

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم التاريخ الإسلامي

الكوارث وآثارها في بلاد الشام
خلال القرون الثلاثة الأول من الهجرة

من القرن السابع إلى القرن التاسع الميلادي ٦٢٢ م – ٩١٣ م

دراسة تاريخية حضارية

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي

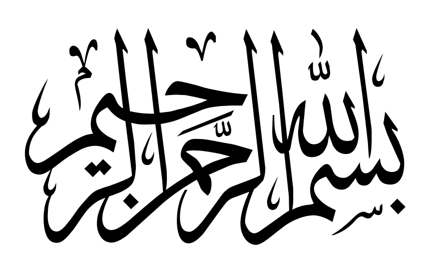
إعداد الطالب

صالح بن عبد الله بن محمد الزهراني

إشراف سعادة

د. عبد العزيز بن عبد الله السلومي

الفصل الثاني ١٤٣١ هـ - ١٤٣٢ هـ



ملخص الرسالة

هذه الدراسة تسلط الأضواء على موضوع الكوارث – الطبيعية – وآثارها وأنواعها المختلفة خلال القرون الثلاثة الأُول في بلاد الشام ،وقد جاءت الدراسة في مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة ، وملاحق وقائمة بالمصادر والمراجع والفهارس، وقد تناول الباحث في المقدمة : أهمية الموضوع وأسباب اختياره والصعوبات التي واجهته والتعريف بأهم المصادر والمراجع التي اعتمد عليها البحث . وكانت فصول الدراسة كالتالي :

- الفصل الأول : تعريف بالكوارث ونظرة الإسلام لها ، تناول تعريف الكوارث وأنواعها ، وناقش المبحث الثاني نظرة الإسلام للكوارث .

- الفصل الثاني : الكوارث في بلاد الشام، قسم الباحث هذا الفصل إلى أربعة مباحث تناولت الزلازل والظواهر الطبيعية الأخرى، والأوبئة، والمجاعات، والآفات الزراعية.

- الفصل الثالث : جهود الدولة والمجتمع في مواجهة الكوارث ، واستعرض الباحث هذه الجهود على مستوى الدولة في المبحث الأول، وعلى مستوى المجتمع في المبحث الثاني .

- الفصل الرابع : آثار الكوارث في بلاد الشام : الآثار السياسية والحربية ، والاقتصادية ، والاجتماعية والنفسية ، والعلمية ، والعمرانية ، كل على حده في مبحث مستقل .

وقد خلصت الدراسة إلى عدد من النتائج كان من أهمها :

- أن المصائب والمحن بأنواعها دقيقها وجليلها وظاهرها وباطنها لا تنزل إلا بذنب، ولكن تتباين الحِكم من نزولها فلله في خلقه شؤون وحكم لا يعلمه إلا هو .

- تعرض بلاد الشام لأكثر من (٣٠) زلزال ، و (٢٥) طاعوناً ووباء كانت هي أبرز ما تعرضت له بلاد الشام من كوارث خلال فترة الدراسة .

- طغى التفسير الديني على الناس عموماً ، الذين كانوا يعتبرون الكوارث والجائحات عقاباً من الله . وهذا يؤكد ارتباط القرون الأولى بالله وصحة اعتقادهم .

- معظم الكوارث التي أصابت بلاد الشام كان لها امتداد في البلدان المجاورة، خاصة بلاد العراق ، وعلى الأخص الزلازل والطواعين .

- أكثر بلدان الشام تعرضاً للكوارث : أنطاكية – فلسطين – دمشق – سواحل الشام – حمص – حلب .

وختاماً أسال الله بمنه وكرمه أن يقينا وإياكم الكوارث وأن يحفظ علينا أمننا وأماننا إنه ولي ذلك والقادر عليه . وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الطالب	المشرف على الرسالة	عميد كلية الشريعة
صالح بن عبدالله الزهراني	د. عبدالعزيز بن عبدالله السلومي	د.سعود بن إبراهيم الشريم

The summary of the thesis

This study sheds the light on natural disasters, its effects and its types during the first three centuries in the Levant. This study consists of introduction , four chapters, conclusion, appendixes and a list for references. In the introduction, the researcher discussed the importance of the topic and why he chose it . He explained the difficulties which faced him . definition of references and the chapters were as the following:

The first chapter : defining the disasters and in the second theme, it discusses how Islam sees it.

The second chapter : disasters in Levant. The researcher has divided this chapter into four themes about earthquakes, natural phenomena, epidemics, famines and pests .

The third chapter: The society and country's effort facing the disasters.

The fourth chapter : the effects of the disasters in Levant , social, political, military, economic, scientific and urban effects, studied separately in each theme .

The study had many results including :

All kinds of the disasters, large and simple, explicit or implicit do not come but by sins. Allah only knows the wisdom.

More than 30 earthquakes and 25 plagues stroked Levant during the study .

The religious interpretation controlled the people's mind in general as they considered the disasters as punishment from Allah. This confirms the relation of the very first centuries people with Allah and how their belief was correct.

Most disasters stroked the Levant extended to the neighbor countries especially Iraq, particularly, Earthquakes and Plagues.

Most affected Levant cities were, Antakya, Palestine, Damascus, Levant shores – Hems – Aleppo.

In conclusion, we ask Allah to save us from disasters . and keep us safe, Prayers and peace from Allah on our prophet Mohammed and his Family and followers .

The student	The supervisor	The dean of the faculty
Saleh bin Abdullah Alzahrani	Dr. Abdel Aziz Bin Abdullah Al-Saloumi	Dr. Soud Bin Ibrahim Al-Shuraim

الإهداء

إلى روح والدي ووالدتي رحمهما الله وأسكنهما فسيح جناته

وإلى أسرتي الصغيرة

زوجتي وأبنائي : خالد ، رغد ، محمد ، جنى .

وإلى الشهداء من أمة محمد ﷺ :

" الشُّهداءُ خَمْسَةٌ : الْمَطْعُونُ ، والَمبطُونُ ، والْغَرِيقُ ، وَصَاحِبُ الْهَدْمِ ، والشَّهِيدُ في سَبِيلِ اللهِ " رواه البخاري (٦٥٣) .

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٠﴾ ﴾ سورة الشورى، والقائل في كتابه الكـــريم : ﴿ ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ سورة الروم ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين . أما بعد : –

فقد اقتضت حكمة الخالق سبحانه وتعالى في خلقه ، أن يكونوا عُرضة للابتلاء والاختبار والتمحيص في هذه الدنيا ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ سورة الأنبياء . وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ سورة البقرة .و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾ سورة آل عمران . وهذه الابتلاءات والآيات ليست خاصة بأمة من الأمم ، أو قوم عن قوم ، بل هي عامة لجميع البشر ، إلا أنها تختلف في الحكمة منها .

لقد حظيت أحداث تاريخ الأمة الإسلامية في عصورها الأولى ، بقدر وافر من البحث والدراسة على مر العصور ، ولقد عُني كثيراً من المؤرخين بالجوانب السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية عناية فائقة ،وقدموا لنا معلومات وافية ودقيقة لهذه المجالات ، إلا أن دراسة ما تعرضت له الأمة الإسلامية في تلك الفترة من كوارث وأزمات ومصائب لا زالت تحتاج منا إلى دراسات عميقة ومتأنية ، كونها من المواضيع المعتمة التي لم يسبر غورها بشكل عميق في الدراسات التاريخية.

لقد كان موضوع الكوارث يحتل مرتبة هامشية في المؤلفات الأولى في تاريخ الإسلام حتى منتصف القرن الثالث الهجري ، وهو أمر طبيعي ، لأن الاهتمام التاريخي خلال تلك الفترة تمحور حول السيرة النبوية وتراجم الصحابة والتابعين والفتوح الإسلامية ، ثم الأحداث التاريخية الكبرى مثل الفتنة ، وثورات الخوارج والشيعة ، وتأسيس الدولتين

الأموية والعباسية ، إلى جانب أحداث سياسية أخـرى ؛ ومـن ثـمَّ شـغلت أخبـار الكـوارث والحوادث الطبيعية حيزاً ضئيلا ، فهي تكاد تنحصر في ذكر عدد مـن القحـوط والطـواعين ، كعام الرمادة بالمدينة سنة ١٨هـ ، وطاعون عَـمَـواس بالشام في نفس العام المذكور .

لهذا فإننا بدراسة هذا الجانب من التاريخ الإسلامي في صـدره الأول ، نقـدم صـورة أخرى من أحداث تاريخنا الإسلامي في صدره الأول ،كما نتعرف من خلاله على تعامل قادته مع هذه الكوارث والمشكلات التي واجهتهم في بداية تكوين وحدتهم السياسية والاجتماعية، كذلك يعطينا بُعداً أكبر وأعمق لما ما تميزت به الأمة الإسلامية وقادتها من حنكة وبعد نظر وتعامل مع الأزمات .

لقد كان تاريخنا الإسلامي غنياً بالمواقف التي تدل على قوة الكيان الإسلامي وأصالته في بداية تأسيسه ، فهو صورة حية للواقع الذي طُبق فيه الإسلام، ولم يكن سردًا للأحـداث وتسجيلاً للوقائع والقصص وحسب، ولكنه تفسير لكل هذه الأحداث والوقـائع، واهتـداء إلى الروابط الظاهرة والخفية التي تجمـع بـين شـتاتها، قـال تعـالى ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (١٣٧) ﴾ سورة آل عمران .

فالتاريخ كما يقول ابن خلدون : " فن من الفنون التي تتداولها الأمم والأجيال وتشد إليها الركائب والرحال ... ، وهو في ظاهره لا يزيد عن أخبار عن الأيام والدول والسوابق من القرون الأول ...، وفى باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومباديها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق، فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق "[1].

كما إن دراسة أخبار الأمم الـسابقة ، والأحـداث الماضـية، يـدعونا إلى أخـذ العـبرة والعظة،ولا ريب في ذلك ، فالقرآن الكريم يؤكد ويقرر هذه المـنهج مـن إيـراد قـصص الأمـم السابقة مع أنبيائهم وما حدث لهم مع أقوامهم ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١١١) ﴾ سورة يوسف، ولهـذا فـإن مـن أعظـم مـا

(1) ابن خلدون ، تاريخه المسمى ،(كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)، ج ١ ص ٣– ٤، ط ٣ ، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان.

يستفيده الإنسان من دراسة تاريخ الأمة الإسلامية في تلك الفترة المتقدمة ، أخذة العبرة والعظة، والاستفادة من تعاملهم في هذا الجانب – الكوارث – الأسباب والنتائج والتعامل معها .

كما إن هذا البحث يسلط الأضواء على جانب آخر من تاريخ الأمة الإسلامية، لم يجد الاهتمام الكافي من المؤرخين الأوائل في العصور المتقدمة؛ ذلك كونهم صرفوا جل وقتهم وكتاباتهم لرصد الأحداث السياسية في تلك الفترة .

كذلك بلاد الشام كانت من أهم البلاد الإسلامية في تلك الفترة ، لما لها من أهمية سياسية واقتصادية،فدراسة تاريخها من هذا الجانب (الكوارث والأوبئة والآفات) سيقدم لنا معلومات أكثر عن أوضاعها الحضارية والتاريخية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية والطبية ، وهذا لا شك يزيد من المخزون التاريخي الإسلامي عن هذه البلاد وفي هذا الجانب المعتم .

كما أن الكوارث لم تنته بعصر من العصور ، ولم تحدد ببقعة واحدة ، ومن أهم سماتها أنها مستمرة ومتجددة ، وما أكثر ما نرى ونسمع في زماننا هذا عن الكوارث [1] .

إن دراسة هذا الموضوع وتناوله من جميع النواحي يعتبر إضافة لرصيد الدارسين والمتابعين لهذا الجانب من الدراسات ، ويقدم لهم إثراء يساعدهم ويعينهم في التعامل مع الحالات الجديدة لمثل هذه الكوارث .

لقد أصاب بلاد الشام كثير من المحن والنكبات ، خلال القرون الثلاثة الأُول ، أضرت بالحياة الطبيعية وأحدثت آثاراً سلبية على النهضة الحضارية بوجه عام ، وقتلت أعداداً كبيرة من سكانها ، كالزلازل والأوبئة والطواعين والقحط وغلاء الأسعار والحرائق والآفات الزراعية وغيرها من الكوارث ، إلا أن الدولة الإسلامية قاومت في كل مراحلها، كثيراً من هذه الكوارث، واستطاعت بقوة إيمان قادتها وأمتها أن تحول المحنة إلى منحة

---

(1) ليس ببعيد عنا ما حدث لنا هنا في بلادنا العام الماضي من زلازل في قرية العيص التابعة لمحافظة ينبع ، وما سجل من حالات من انتشار لمرض الأنفلونزا المعدية ، وكان أشهر وأقوى هذه الحوادث كارثة سيول جدة والتي حدثت يوم الأربعاء الموافق ٨ / ١٢ / ١٤٣٠ هـ والتي ذهب ضحيتها أكثر من (١٣٤) ما بين مفقود وشهيد .

تتعايش معها ، بكل ما أوتيت من وسائل – وإن كانت محدودة – ساعدهم في ذلك قوة ورسوخ إيمانهم بالله .

إننا في حاجة ماسة إلى أن نقترب أكثر من واقع تاريخنا الإسلامي في عصوره الأولى، ذلك لما تميزوا به من ارتباط وثيق بخالقهم ، جعلهم يجزمون أن كثير مما يصيبهم مرده إلى الله ، حتى أن الرجل تعثر به دابته فيقول بسبب ذلك الذنب وتلك المعصية ، لهذا فقد اعملوا طاقاتهم وقدراتهم في التزام أوامر الله ، وكانوا راضين بما كتب الله عليهم من حوادث وعاديات الأزمان، بل استطاعوا أن يحولوها إلى وسيلة تعيدهم إلى ربهم ، وتقوي علاقتهم بالله .

لقد عمد الباحث إلى جمع المعلومات من بطون الكتب المتناثرة والمصادر المعتمدة والموثوقة ، ومن ثم تحليلها بطريقة علمية متوخياً الدقة في نقل النصوص ، وعدم إغفال أي إشارة تتعلق بموضوع الكوارث وترتيبها بالسنوات وذلك لكثرتها وتنوعها وتصنيفها حسب أنواعها، مرتباً ذلك في بطاقات علمية حسب ترتيب الفصول والمباحث ، مخصصاً لكل فصل ملف خاص تجمع فيه كل البطاقات المتعلقة به ، مع الإشارة إلى البطاقة التي يمكن الاستفادة منها في فصول أخرى بإشارة تدل على ذلك ، ومما ينبغي الإشارة إليه إن الباحث قد استبعد ذكر السند للأحاديث النبوية نظراً لكثرتها ، وذلك رغبة في عدم إثقال الدراسة، وكونها دراسة تاريخية غير متخصصة في هذا الفن .

صعوبات الدراسة :

لم يكن إعداد هذه الدراسة ليخلو من المصاعب ، فقد واجهت الباحث في دراسته للموضوع صعوبات عدة ومنها :

أولاً : شح واضح في تناول المصادر المتقدمة والرئيسية للتاريخ الإسلامي للموضوع بشكل صريح، إذ إن كثيراً من المصادر المتقدمة لا تتعرض لموضوع الكوارث إلا عرضاً ولا تقدم عنه إلا نزراً يسيراً من المعلومات لاهتمامها بالجوانب السياسية في تلك الفترة .

ثانياً : تشتت المعلومات في بطون الكتب التاريخية والجغرافية وغيرها على شكل شذرات متناثرة لا يربطها رابط في أغلب الأحيان ، والذي صعّب من الوصول إلى المعلومة والتي لا تخدم البحث إلا بدراسة فاحصة ومتأنية ، وقد احتاج إلى جهدٍ وقتٍ كبيرين ، إذ تطلب الأمر مطالعة مجلدات بكاملها للبحث عن إشارات تفيد موضوع الدراسة .

ثالثاً : ندرة المعلومات عن الكوارث بشكل عام، وانعدام الكتب المصدرية المتخصصة باستثناء ما كتبه السيوطي في مؤلفه (كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة) ، وكتاب بذل الماعون في فضل الطاعون لابن حجر العسقلاني، والذي غلب عليه جانب النظرة الدينية لهذا الوباء ، أما بعض أنواعها الأخرى فلا يكاد أن تجد أي مصدر يتحدث عن كارثة بشكل خاص– حسب علم الباحث – مثل : السيول والفيضانات ، الحرائق ، التغيرات الجوية ، الأوبئة ، القحط والمجاعات ، الآفات الزراعية، وغيرها .

لذلك عمد الباحث أحياناً إلى استخدام الاستنتاج المنطقي، أو بالقياس إلى ما حدث في بلاد الشام في فترة لاحقة لزمن الدراسة .

رابعاً : تطلب اختيار هذا الموضوع القيام برحلات خارج حدود الوطن وخاصة إلى بلاد الشام للتأكد من عدم تطرق الباحثين لهذا الموضوع بزمانه ومكانه المحدد ، وبحث عن المزيد من المصادر والمراجع التي تخدم الموضوع .

فصول الدراسة :

أما الدراسة في مجملها فقد احتوت على مقدمة وتمهيد وأربعة فصول أساسية ، ويندرج تحت هذه الفصول عدد من المباحث المختلفة ، هذا بالإضافة إلى خاتمة وملاحق وفهارس، وقد تناول التمهيد تعريفاً ببلاد الشام وسبب تسميتها بهذا الاسم ، والموقع الجغرافي، وحدوده، وسكانه، وأجناده خلال مرحلة الدراسة، وأهم مظاهر السطح والمناخ في الشام، وفضائله حسب ما ورد في كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ متحرياً الأحاديث الصحيحة والمتفق عليها قدر المستطاع .

تناول المبحث الأول من الفصل الأول التعريف للكوارث ومسمياتها المتعددة وأنواعها وأسبابها، وكان المبحث الثاني عن نظرة الإسلام للكوارث والأوبئه، وفيه استعراض لأحوال الأمم السابقة، وما ارتكبته من ذنوب وما عاقبها به الله من صنوف العقوبات المتنوعة ، والفرق بين عقوبات الله على الكفار وعلى المسلمين ، وأشهر السنن التي تسن عند حدوث الكوارث ، وأجر الصابرين على الأمراض والمصائب .

أما الفصل الثاني فقد استعرضت فيه أهم الكوارث التي أصابت بلاد الشام خلال القرون الثلاثة الأُول،وخصص هذا الفصل لرصدها وجمعها من المصادر والمراجع المتنوعة ، وتم تقسيمه إلى أربعة مباحث، المبحث الأول : الزلازل والظواهر الطبيعية الأخرى مثل : تناثر النجوم وانقضاء الكواكب والتغيرات الجوية، وظاهرة كسوف وخسوف الشمس والقمر ، والمطر والثلج والبرد ، والسيول والفيضانات والغرق ، والحرائق . والمبحث الثاني الأوبئة ومن أشهرها الطاعون والجذام والجدري والحمى والأمراض التي تصيب الحيوانات . والمبحث الثالث يستعرض سنوات القحط وغلاء الأسعار والمجاعات . والمبحث الرابع يدرس الآفات الزراعية .

أما الفصل الثالث فقد تناولت جهود الدولة والمجتمع في مواجهة الكوارث وقسّمتها إلى مبحثين، المبحث الأول: جهود الدولة في مواجهة الكوارث . والمبحث الثاني : جهود المجتمع في مواجهة الكوارث .أما الفصل الأخير فقد تحدث عن آثار الكوارث في بلاد الشام وقسّمته إلى خمسة مباحث : المبحث الأول الآثار السياسية والحربية . والمبحث الثاني

الآثار الاقتصادية . والمبحث الثالث: الآثار الاجتماعية والنفسية . والمبحث الرابع: الآثار العلمية. والمبحث الخامس : الآثار العمرانية .

وقد رتبت جميع الكوارث ترتيباً حولياً حسب تسلسل تاريخ حدوثها ، مقلداً كبار مؤرخينا في هذا التنظيم ، ومما دفعه إليه كثرة حدوث هذه الكوارث وتعددها فرأى أنه من الأفضل تنظيمها بهذا الترتيب .

وأخيراً ذيّلت الدراسة بخاتمة اشتملت على جملة من النتائج، لخصنا فيها زبدة ما انتهى إليه البحث والدراسة من نتائج وخلاصات ، وأتبعنا النتائج بملاحق وجداول للكوارث وأخرى توضيحية، وخرائط لبلاد الشام ، وثبت للمخطوطات والمصادر والمراجع ، وفهارس للآيات القرآنية والأحاديث الشريفة والأشعار والبلدان والأعلام .

وختاماً: يبقى هذا جهد بشري يسري عليه الخطأ ويكتنفه النقصان، وذلك لأن قدرة البشر محدودة وأنهم مجبولون على النقص ومعرضون للخطأ إذ الكمال لله تعالى وحده ، والعصمة لأنبيائه، وحسبي إني اجتهدت بقدر الطاقة، فإن أصبت فهذا من عظيم فضل الله عليَ ومنته على عبده ، وإن أخطأت وهو وارد ولا بد ، فأسأل الله أن يتجاوز عني ويغفر زلتي .

شكر وتقدير

يجد الباحث لزاماً عليه توجيه الشكر والتقدير لكل من أسدى إليه جميلاً ، بدءاً من فكرة هذا العمل وحتى نهايته ، وفي مقدمة هؤلاء أستاذي المشرف على الرسالة ، الدكتور عبدالعزيز بن عبدالله السلومي الذي حظيت بإشرافه طوال فترة إعداد هذا العمل، فقد كان لي بعد الله نعم العون والسند، وبذل معي جهوداً مضنية في توجيهي وزودني بخبرته في مجال البحث العلمي ، وتجشم عناء قراءة هذه الرسالة، وقدم التوجيهات القيمة والآراء السديدة ، وكانت له أيادٍ بيضاء لإخراجها إلى حيز الوجود ، وقد غمرني بدماثة خلقه، ورحابة صدره، ووسعني بكرمه وإحسانه ، فجزاه الله عني خير الجزاء، وأتاه ثواب الدنيا، وحسن ثواب الآخرة، وبارك في عمره وعقبه، ونفع المسلمين بعلمه .

كما أتوجه بالشكر والتقدير إلى جامعة أم القرى والقائمين عليها من أعضاء هيئة تدريس وإداريين، على ما زودتني به من معينها الصافي على أيدي نخبة ممتازة من الأساتذة الفضلاء، ويخص الباحث من الصرح الشامخ كلية الشريعة والدراسات الإسلامية التي كانت النواة الأولى للتعليم الجامعي في المملكة، وقدمت جهوداً كبيرة لطلبة العلم ، والشكر موصولٌ لقسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، ولجميع أساتذة القسم الذين لمست منهم كل رعاية واهتمام، فجزاهم الله عني وعن طلبة العلم خير الجزاء، وجعل عملهم خالصاً لوجهه الكريم .

كما لا أنسى رفاق الدرب زملائي في مرحلة الماجستير ، وكذلك زملاء التربية والتعليم بجدة وأخص منهم الدكتور إبراهيم الأقصم والدكتور عبدالله العبادي على ما قدماه لي من دعم ومساندة طوال فترة الدراسة ، وما وجهاني به من أفكار ورؤى في البحث والدراسة .

التعريف بأهم المصادر والمراجع التي قامت عليها الرسالة :

لقد استعان الباحث في جمع المادة العلمية، بالعديد من المصادر والتي تميزت بتنوعها ما بين مؤلفات تاريخية (كتب التاريخ العام العربية والسريانية، وكتب الفتوح، والتراجم والطبقات، والأنساب، والمعاجم) وكتب جغرافية وأدبية وفقهية وطبية وغيرها.

وقد اعتمد الباحث في دراسته على القرآن الكريم والذي حوى أخبار الأمم السابقة وما ارتكبته من ذنوب ومعاصي وما عاقبها به الله من أنواع العقوبات والكوارث المتعددة كالطوفان والرجفة والريح وغيرها . وكتب التفسيرخاصة في المبحث الثاني من الفصل الأول [نظرة الإسلام للكوارث] ، ومن أهم التفاسير التي اعتمد عليها الباحث : تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن (ت ٣١٠ هـ)، وتفسير القرطبي (ت٦٧١هـ)، وتفسير القرآن العظيم للإمام الحافظ ابن كثير رحمه الله (ت ٧٧٤ هـ)، والذي قدم معلومات وفيرة للبحث والدراسة.

كذلك كتب الأحاديث النبوية ومن أشهرها : صحيح البخاري (ت ٢٥٦ هـ) ، وصحيح مسلم (ت٢٦١هـ)، وكتاب الجامع الكبير للإمام الترمذي (ت ٢٧٩ هـ)، وكتاب المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥ هـ)، وكتاب صحيح مسلم بشرح النووي (٦٧٦هـ)،وكتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢ هـ). وكتب تحدثت عن فضائل بلاد الشام ومنها : كتاب فضائل الشام لابن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥هـ)، وكتاب نزهة الأنام في محاسن الشام لأبي البقاء البدري (ت٨٩٤هـ)، وكتاب الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل للقاضي مجير الدين الحنبلي (ت٩٢٧ هـ)، وكتاب حدائق الأنعام في فضائل الشام لابن عبدالرزاق الدمشقي (ت١١٣٨هـ).

ومن أهم المصادر أيضاً كتب التاريخ العام، خاصةً المعروفة منها بكتب الحوليات،والتي تعتبر المصدر الأساس لموضوع الكوارث والحوادث الطبيعية على مدى العصور الإسلامية الأولى ، مثل تاريخ خليفة بن خياط (ت٢٤٠هـ)، وهو من أقدم المصادر التاريخية. ويعتبر كتاب فتوح البلدان للبلاذري (ت٢٧٩هـ)، والذي جمع أوفى المعلومات وأدقها عن أجناد الشام ومدنها ورسم صورة تاريخية لتنظيمها الإداري في القرون الثلاثة

الأول من الهجرة، وجاء كتابه حاوياً لكثير من المعلومات،والتي كانت من أهم المصادر التي أفادت البحث والدراسة. وتاريخ اليعقوبي (ت نحو٢٩٢هـ)،والذي تميز بالشمول والإيجاز وتفرد في بعض ما قدمه عن غيره من المؤرخين ، كما قدم إشارات مهمة عن بعض الكوارث والحوادث الطبيعية ، وتاريخ الرسل والملوك للطبري (ت ٣١٠ هـ)، وهو من أهم مصادر التاريخ الإسلامي في القرون الثلاثة الأُول ، وتاريخه عالمي عام وشامل ، بدأه بمبدأ الخلق ، وانتهى بعصره ، ورتب أحداثه التاريخية بعد الإسلام على أساس السنين ، وقد أورد الروايات التاريخية ولم يلتزم بذكر الصحيح أو الراجح منها . و تاريخ المنبجي تأليف أغابيوس بن قسطنطين المنبجي(عاش في القرن الثالث الهجري وتوفي أوائل القرن الرابع الهجري)، والذي انتخب منه عمر عبدالسلام تدمري الجزء الإسلامي من (العهد النبوي إلى خلافة المهدي العباسي)، يعد من المصادر المهمة التي استفاد منها الباحث بشكل جيد وذلك لاهتمام المؤلف بذكر جوانب تهم البحث والدراسة كالزلازل والأوبئة والظواهر الجوية في الشام وغيرها ، وتبرز أهمية كتاب المنبجي على الرغم من صغر حجمه، في أنه من أوائل الكتب التي صنفها أحد نصارى بلاد الشام باللغة العربية ، وكان ينقل عن معاصرين للدولة الأموية .

وقد تم الاعتماد على عدد آخر من مصادر التاريخ الإسلامي تفاوت مقدار الفائدة منها حسب إيرادها للأخبار التي تهم الدراسة ومنها: مروج الذهب للمسعودي (ت٣٤٦هـ)، والعيون والحدائق في أخبار الحقائق لمؤلف مجهول من رجال القرن الرابع، وهو كتاب مهم رغم أنه مجهول المؤلف ، وتاريخ حلب للعظيمي (ت ٥٥٨هـ)، والبستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان المنسوب للأصفهاني (ت٥٩٧ هـ)، أفاد منه الباحث لذكره أخبار عن الظواهر الطبيعية والجوية وأخبار الكوارث من غلاء، وطواعين، ووباء، وزلازل، ورياح ، وقحط ، وتساقط وظهور الكواكب والنجوم والمذنبات والعديد من الأخبار ، وكتاب المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ)، كتاب قدم الكثير من الأخبار التي تهم الدراسة، وحشد قدراً معتبراً من المادة الخاصة بموضوع الكوارث، وتميز بذكر أخبار لم يذكرها المؤرخين المتقدمين،والكامل في التاريخ لابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ) وهو مؤرخ أصيل وكتابه تاريخ عام يتميز بالتوازن في عرض المادة العلمية ، وقد اعتمد على

الطبري في كثير من رواياته ، وكتاب مرآة الزمان في تاريخ الأعيان لسبط بن الجوزي (ت٦٥٤هـ) . وكتاب تاريخ الزمان وتاريخ مختصر الدول لابن العبري (ت نحو ٦٨٤ هـ)، والذي جمع أخبار الأيام مع بلاغة واختصار ، وقد أثرى البحث في جوانب مهمة مثل الأوبئة والزلازل والقحط . والتاريخ الصالحي لابن واصل (ت ٦٩٧ هـ) ، وتاريخ الإسلام وسير أعلام النبلاء للذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، وتاريخ ابن الوردي (ت ٧٤٩ هـ)، والبداية والنهاية لابن كثير (ت ٧٧٤ هـ)، وهو من أهم مصادر التاريخ الإسلامي وهو عالمي عام شامل، وقد اتبع طريقة الحوليات في تأليف كتابه ، وكان يبدي رأيه في بعض الأخبار ويصدر أحكامه فيها ، وتاريخ ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ)، وكتاب الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين لابن دقماق (ت ٨٠٩ هـ)، وصبح الأعشى في كتابة الإنشا ، ومآثر الأنافة في معالم الخلافة للقلقشندي (ت ٨٢٠ هـ)، والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي (ت ٨٧٤ هـ)، وتاريخ الخلفاء وكشف الصلصلة في وصف الزلزلة للسيوطي (ت٩١١ هـ) وكتاب أخبار الدول وآثار الأُول في التاريخ للقرماني (ت ١٠١٩ هـ)، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٨ هـ)، وكتاب نهر الذهب في تاريخ حلب للغزي (ت ١٣٥١ هـ) .

ومن المصادر المهمة كتب البلدان، فيها معلومات غزيرة عن أجناد الشام ومدنها وتنظيمها وما طرأ عليها من تغيير في العصور المختلفة، وهي من أوفى المصادر بالمادة الجغرافية والسكانية والاقتصادية والتاريخية، ومن أشهرها كتاب البلدان لليعقوبي (ت ٢٩٢ هـ)، وقد أحصى أجناد الشام ، وسمى كثيراً من مدنها ووصف الطرق والمسافات بينها. والأعلاق النفيسة لابن رسته (ت في أوائل القرن الرابع)، تعرض لأجناد الشام وتنظيمها في صدر الإسلام والعصر الأموي، وفي الكتاب لمحات تاريخية. ومختصر كتاب البلدان لابن الفقيه الهمذاني (ت في اوائل القرن الرابع)، تكلم عن أجناد الشام وحدد المسافات واسترسل في الحديث عن مدنها الكبرى مثل بيت المقدس ودمشق وحمص، وضمن حديثه عنها كثيراً من المعلومات الجغرافية والاقتصادية والتاريخية والأدبية، والمسالك والممالك لابن خرداذبه (ت ٣٠٠ هـ)، عدّد أجناد الشام وأحاط بمدنها وأشار إلى الطرق والمسافات، والمسالك والممالك للاصطخري (ت ٣٤٦ هـ)، ذكر مدنها الكبيرة وقراها

المشهورة ، ووصف الطرقات والمسافات وقدّم معلومات جغرافية واقتصادية . ويعد كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (ت ٣٨٠ هـ)، من أهم المصادر الجغرافية التي أفادت الدراسة ، إذ قدم معلومات مفصلة عن مدن وبلدان وقرى الشام، وأوردا معلومات جغرافية وتاريخية واقتصادية واجتماعية متنوعة .

وكتاب صورة الأرض لابن حوقل (ت نحو ٤٠٠ هـ)، الذي نقل ما في كتاب المسالك والممالك للإصطخري من مادة عن أجناد الشام ومدنها وقراها ، ولكنه دققها وأضاف إليها إضافات أخرى . وكتاب الأزمنة والأمكنة لأبي علي الأصفهاني (ت ٤٢١ هـ)، وهو كتاب يبحث في الطبيعة وفي حركة الكواكب وتسمياتها وقوانينها . وكذلك كتاب المسالك والممالك للبكري (ت ٤٧٨ هـ)، ومعجم البلدان لياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ) قدم الكثير للدراسة وعّرف بالمواقع وزودنا بمعلومات أخرى تاريخية واجتماعية واقتصادية،وكتاب زبدة الحلب من تاريخ حلب لعمر بن أبي جرادة (ت ٦٦٠ هـ)، وكتاب آثار البلاد وأخبار العباد وكتاب عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزويني (٦٨٢ هـ)، وكتاب تقويم البلدان لأبي الفداء صاحب حماة (ت ٧٣٢ هـ) والروض المعطار في خبر الأقطار للحميري (ت ٧٤٩ هـ)، وكتاب خريدة العجائب وفريدة الغرائب لابن الوردي (ت ٨٥٢ هـ)، وكتاب الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب لابن الشحنة (ت ٨٩٠ هـ). وهذه الكتب قدمت جملة فوائد جغرافية وتاريخية أفادت البحث والدراسة .

ومن المصادر كتب التراجم والطبقات،فقد حوت حقائق تاريخية وعلمية واجتماعية،كما أن اشتملت أحياناً على أخبار ومقتطفات سريعة للكوارث والحوادث الطبيعية، ترد عرضاً في ثنايا الترجمة،وأهمها كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد (ت٢٣٠هـ)، وتاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (ت ٥٧١ هـ)، ومختصره لابن منظور (ت٧١١ هـ)، وهو كتاب عظيم الشأن لا يستغنى عنه الباحث في تاريخ بلاد الشام، وقد قسّم كتابه على طريقة الموضوعات ثم ترجم لأعلام دمشق، إلا أنه يحتاج إلى جهد كبير في استخلاص مادته التاريخية المتناثرة في ثنايا التراجم .

كما أفاد الباحث من بعض كتب الأدب حيث قدمت معلومات مهمة عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية؛ ومن أهم هذه المصادر كتاب الحيوان للجاحظ (ت ٢٥٥ هـ)، والمعارف وعيون الأخبار لابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) ، والعقد الفريد للفقيه أحمد بن محمد بن عبدربه الأندلسي (ت ٣٢٨ هـ) . وكتاب ثمار القلوب في المضاف والمنسوب لأبي منصور الثعالبي (ت ٤٢٩ هـ). وكذلك معاجم اللغة العربية ومنها : كتاب معجم الصحاح للجوهري (ت ٣٩٣ هـ) وكان من أهمها لسان العرب لابن منظور والذي استفاد منه الباحث كثيراً في توضيح المصطلحات ومعاني الكلمات الغامضة، وكتاب القاموس المحيط للفيروزابادي (ت ٨١٧ هـ) .

وكتب الطب تناولت جانباً مهماً في البحث والدراسة وكانت مصدراً مهماً في موضوع الأوبئة، ومنها كتاب القانون في الطب لابن سينا (ت ٤٢٨ هـ)، وكتاب المعتمد في الأدوية المفردة للعلاج بالأعشاب للملك المظفر الرسولي (ت ٦٩٤ هـ)، ويعتبر من أهمها كتاب الطب النبوي لابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ)، وهو كتاب قيم أفاد في جوانب متعددة، وقدم مادة علمية متميزة في النظرة الإسلامية لهذا الأمر . وكتاب بذل الماعون في فضل الطاعون لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ)، والذي خصصه للحديث عن الطاعون وتناول جوانب متعددة فيه من حيث تعريفه وما ورد فيه من السنة النبوية وفضله والأحكام المتعلقة به والصبر عليه وغيرها من المعلومات القيمة عن الطاعون . ورسالة للسيوطي في الطاعون والتي كانت بعنوان(ما وصفه الواعون في أخبار الطاعون)، وكتاب الحقائق الطبية في الإسلام للدكتور عبدالرزاق الكيلاني .

إضافة إلى كتب فقهية أمدت البحث بمعلومات جيدة مثل كتاب الخراج لأبي يوسف (١٨٢ هـ)، وكتاب الخراج وصنعة الكتابة لابن قدامة (ت نحو ٣٢٩ هـ)، وهو كتاب عظيم الفائدة وقد تعرض فيه لجغرافية البلدان ووصف الطرق الرئيسية، وتحدث عن المعمور من الأرض ومملكة الإسلام وثغور الإسلام، كما اشتمل على معلومات وافية عن الخراج وتقسيم الأراضي، وقد تميز بالدقة والشمول رغم أسلوب الإيجاز الذي استخدمه .

كما اعتمد الباحث على مجموعة من المراجع الحديثة والدراسات العلمية والتي تحدثت عن بلاد الشام سياسياً، أو اقتصادياً ، أو علمياً ... إلخ، وقدمت مادة علمية أفادت جوانب متعددة في الدراسة ومنها: كتاب خطط الشام لمحمد كرد ،ويعتبر من الكتب الشاملة عن بلاد الشام منذ القدم حتى العصر الحديث. وكتاب الجغرافية التاريخية لبلاد الشام في العصر الأموي لحسين عطوان تحدث فيه عن أجناد الشام. وكتاب تاريخ بلاد الشام الاقتصادي في العصر الأموي لمؤلفه عاطف رحال. وتاريخ سورية ولبنان وفلسطين للمؤلف فيليب حتي . وكتاب الحياة الزراعية في بلاد الشام في العصر الأموي ومؤلفه فالح حسين، وهي رسالة ماجستير مطبوعة، وكتاب الحياة العلمية في الشام في القرنين الأول والثاني من الهجرة للمؤلف خليل داود الزور وهي رسالة ماجستير منشورة. والحياة الاقتصادية في بلاد الشام في العصر الأموي لثريا حافظ (رسالة دكتوراه غير منشورة). وكتاب الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الثغور والعواصم الإسلامية على الحدود البيزنطية لنهلة أنيس مصطفى. وكتاب حالة بلاد الشام الاقتصادية منذ العصر الطولاني وحتى نهاية العصر الفاطمي للدكتور محمد أحمد زيود .

وبعضها ذكر بعض الكوارث التي تعرضت لها بلاد الشام خارج حدود الدراسة الزمنية، مثل كتاب الزلازل في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية. وكتاب إغارات أسراب الجراد وآثارها في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية للدكتور محمد مؤنس. وكتاب الهزات الأرضية في بلاد الشام في القرنين السادس والسابع الهجري. وكتاب الزلازل لمصطفى محمود. وكتاب الزلازل في بلاد الشام في العصر الإسلامي وأثرها على المعالم العمرانية للدكتور يوسف غوانمة. وكتاب الأحداث الزلزالية في الجزيرة العربية والمناطق المجارة خلال التاريخ الهجري لعبدالله النصر. ومبحث صغير عن الزلازل في بلاد الشام (من القرن الأول إلى القرن الثالث عشر الهجري) لخالد يونس الخالدي ، والذي نشره في مجلة الجامعة الإسلامية بغزة ، وقد ذكر حدوث (١٤) زلزال خلال زمن الدراسة،وقدمها بشكل مختصر، وكتب أخرى تحدثت عن الكوارث بصفة عامة مثل كتاب الكوارث الطبيعية لعفت وصال. وكتاب الكوارث الطبيعية وكيفية مواجهتها للدكتور إبراهيم الأحيدب. وكتاب الأخطار والكوارث الطبيعية للمؤلفين محمد صبري ومحمد إبراهيم. وكتاب الكوارث

الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الإنسان في المغرب والأندلس (ق ٦ – ٨ هـ) . وكتاب إدارة ومعالجة الأزمات في الإسلام للدكتورة سوسن الشيخ ، ومثل هذه الكتب تعد من المراجع المهمة لهذا البحث ، وأمدتنا بمعلومات وفيرة، وكثير من الآراء والتحليلات ، وأفدنا منها في مواضع عدة من الدراسة .

كما اعتمدنا على عدد آخر من المصادر والمراجع التي لا تقل أهمية عما ذكرناه ، لكن المجال هنا لا يتسع لذكرها ودراستها ونقدها .

كما قدمت البحوث التي قُدمت إلى المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام ، الذي عقد في الجامعة الأردنية في عمان مادة علمية جيدة ساهمت في جوانب متعددة من موضوع الدراسة، وخاصة البحوث التي تناولت تاريخ بلاد الشام خلال صدر الإسلام والعصر الأموي، وتميزت بالتوثيق العلمي والتنوع في اعتمادها على المصادر ، ومنها بحث بعنوان تاريخ بلاد الشام من القرن السادس إلى القرن السابع عشر قدم سنة ١٩٧٤ م، وبحث آخر بعنوان جنوب بلاد الشام في العصر العباسي ١٣٢ – ٣٥٨ هـ قدم سنة ١٩٩٢ م .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

التمهيد

جغرافية بلاد الشام

جغرافية بلاد الشام

أولاً : سبب تسمية بلاد الشام بهذا الاسم :

الشأْمُ : " بفتح أوله وسكون همزته والشأم بفتح همزته ، وفيها لغة ثالثة وهي الشام بغير همز كذا يزعم اللغويون، وقد جاءت في شعر قديم ممدودة الشآم ، وقد تذكّر وتؤنّث " [1] " والمشهور التذكير "[2].

وتعددت الروايات حول سبب تسمية الشام بهذا الاسم عند اللغويين والجغرافيين ؛ فقد ذكر المسعودي " بأنه سمي شاما لشامات في أرضه بيض وسود، وذلك في التراب والبقاع والحجر وأنواع النبات والأشجار "[3] .

وقال بعضهم : " سميت الشام لأنها عن شمال الكعبة كما أن اليمن أيمن الأرض ، فقالوا : تشامّ الذين نزلوا الشام ، وتيمن الذين نزلوا اليمن ، كما تقول أخذت يمنة أي ذات اليمين، وشآمه أي ذات الشمال" [4] .

وروى الحافظ ابن عساكر عن هشام بن محمد عن أبيه : " كان الذي عقد لهم –يعني ولد نوح عليه السلام – الألوية ببابل لوناطن بن نوح ،... ثم ذكر بلدانهم إلى أن قال ونزل بنو يافث الصّفون تجري الشام والصبا، وفيهم الشقرة والحمرة وأخلى الله تعالى أرضهم فاشتد بردها، وأجلى سماءها فليس يجري فوقهم شيء من النجوم السبعة الجارية [5]، لأنهم

---

(1) الحموي ، معجم البلدان ، ج ٥ ص ١١٦ ،ط. ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان .

(2) النووي ، تهذيب الأسماء واللغات ، ج ٢ ص ٤١٧ ، تحقيق مصطفى عبدالقادر ، ط ١ ، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان .

(3) المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج٢ ، ص ٧٥ ، ط ١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت – لبنان . وانظر : شيخ الربوة ، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، ص ١٩٢ ، ط. ، طبع بمدينة بطربورغ مطابع الأكادمية الامبرطورية ، سنة ١٣٨١ هـ/ ١٩٦٢ م .

(4) ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ج ١ ص ١٠ ، تحقيق عمر العمري ، ط. ، دار الفكر ، بيروت – لبنان، كذلك انظر: ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ، ص ٩٢ ، طبع بمطبعة بريل ١٣٠٢ هـ ، مدينة ليدن .

(5) هي التي تتحرك من المغرب إلى المشرق وهي زحل والمشتري والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر. القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، ج ٢ ص ١٦٥، ط ١، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م ، دار الكتب العلمية .

صاروا تحت بنات نعش والجدي والفرقد [1] وابتلوا بالطاعون ... ولحق قوم من بـني كنعـان بن حام بن نوح عليه السلام بالشام، فسميت الشام حيث تـشاءموا إليهـا ، يعـني مـن أرض بابل" [2] .

ويـذكر الحمـوي سـبب آخـر فيقـول : " وقـرأت في بعـض كتـب الفـرس في قـصة سنحاريب أن بني إسرائيل تمزقت بعـد مـوت سـليمان عليـه الـسلام، فـصار مـنهم سـبطان ونصف سبط في بيت المقدس فهم سبط داود، وانخزل تسعة أسباط ونصف إلى مدينة يقال لها شامين وبها سميت الشام، وهي بأرض فلسطين وكان بها متجر العرب وميرتهم" [3] .

وذكر الشرقي بن القطامي [4] " إنما سمي الشام شاماً بسام بـن نـوح ، لأنـه أول مـا نزله وقطن فيه ، فلما سكنته العرب تطيّرت من أن تقول سام ، فقالت شام " [5] .

ويذكر ابن شداد أن أبا الحسين أحمد بن فارس في كتابه اشتقاق أسماء البلدان قال : " أما الشام فهو فعل من اليد الـشُّومى وهـي اليـسرى يقـال : أخـذ شـآمه أي علـى يـساره ، وشأمت القوم ذهبت على شمالهم " [6] .

قال الشاعر : وانحى على شؤمى يديه فرادها *** بأظمأ من فرع الذّوابة أسحما [7] .

---

(1) تسمى هذه النجوم الثوابت وهي عدة نجوم ومنها بنـات نعش وهي سبعة أنجم على القرب من القطب الشمالي ومنها الجدي الذي تعرف بـه القبلـة وهو نجم صغير على القرب من القطب الشمالي ومنها الفرقدان وهما كوكبان متقاربان معدودان في بنات نعش . للاستزادة انظر: الأصفهاني ، الأزمنة والأمكنة ، ص ٥٤٧، ط ١ ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان . وانظرالقلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٢ ص ١٨١ .

(2) ابن عساكر، المصدر السابق ، ج ١ص ٩- ٨ . للاستزادة انظر : الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج ١ ص ١٢٨ ، ط ١ ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م ، دار الكتب العلميـة ، بيروت – لبنـان . وانظر : أبـو الفداء صاحب حماه ، تقويم البلدان ، ص ٣٢٥ ،اعتنى بتصحيحه رينود والبارون ماك كوكين ، طبع في مدينة باريس بدار الطباعة السلطانية ، ١٨٤٠ م ، دار صادر، بيروت .

(3) الحموي ، معجم البلدان ، ج ٥ ص ١١٧ .

(4) اسمه الوليد (ومعروف بالشرقي) بن حصين (الملقب بالقطامي) بن حبيب الكلبي ، وهو عالم بالأدب والنسب ، من أهل الكوفة استقدمه أبو جعفر المنصور إلى بغداد ليعلم ولده المهدي الأدب توفي نحو سنة ١٥٥ هـ . الزركلي ، الأعلام ، ج ٨ ص ١٢٠ ، ط ١٧ ، ٢٠٠٧ م ، دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان .

(5) المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج ٢ ص ٧٦ .

(6) ابن شداد ، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ، ج ١ القسم الأول ص ١٥، تحقيق يحيى زكريا ، ط . ، منشورات وزارة الثقافة ١٩٩١ م ، سوريا – دمشق .

(7) الأعشى ، ديوان الأعشى ، ص ١٨٨ ، ط . ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م ، دار صادر .

ويجوز أن يكون فُعلى من الشؤم[١].

" وقول إنه جَمْعُ شامة والشامة : العلامة يقال شامة وشام مثل حاجة وحاج ، والرجل أشأم إذا كان ذا شامة وحقيقة الشامة أن تكون مخالفة للون سائر الجسم . قال الجاحظ وأطلقت الشامة على النكتة من أي لون كان في أي لون كان أضعافها . قال رسول الله ﷺ" وما مثلكم والأمم إلا كمثل الرقمة في ذراع الدابة أو كالشامة في جنب البعير"[٢] صححه الترمذي [٣].

" وقيل سميت الشام شاماً لكثرة قراها وتداني بعضها من بعض فشبهت بالشامات "[٤] .

" وقيل : الشام بالسُريانية : الطيب ، سميت بذلك لطيبها وخصبها "[٥].

(1) ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ج ١ ص ٩ .

(2) البدري ، نزهة الأنام في محاسن الشام ، ص ١٥ ، ط . ، المطبعة السلفية ، مصر – القاهرة ، ١٣٤١ هـ .

(3) الترمذي ، الجامع الكبير ، ج ٥ ص ٢٣١ ، تحقيق بشار عواد معروف ، ط ٢ ، ١٩٩٨ م ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت .

(4) الحموي ، معجم البلدان ، ج ٥ ص ١١٧ ، وانظر، محمد كرد علي ، خطط الشام ، ج ١ ص ٨ ، ط٢ ، ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م ، دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان .

(5) ابن عبدالرزاق الدمشقي، حدائق الأنعام في فضائل الشام ، ص ٣٢ ،تحقيق يوسف بديوي ، ط ٢ ، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م ، دار المكتبي ، سورية – دمشق .

ثانياً : الموقع والحدود :

تقع بلاد الشام في الإقليم الثالث والرابع من أقاليم الأرض السبعة المتعارف عليها قديماً[1]، فهي جنوب غرب قارة آسيا ، وتلتقي فيه القارات الثلاث القديمة آسيا وأفريقيا وأوربا[2]، وتشمل الرقعة التي تشغلها الآن سوريا ولبنان والأردن وفلسطين، تلك كانت تسمى بلاد الشام على مدى تاريخ طويل، ولم يتم تقسيمها سياسياً إلى دول أربع إلا بفعل الاستعمار في أعقاب الحرب العالمية الأولى حينما سقطت الدولة العثمانية وانتهت الخلافة الإسلامية[3].

" وقد أطلق اليونان اسم سورية على المنطقة المحيطة بمدينة صور ، ثم توسعوا في استعماله ، فأطلقوه على المنطقة الواقعة بين جبال طوروس في الشمال وسيناء في الجنوب، والبحر المتوسط في الغرب، والبادية في الشرق، وظلت سورية تشمل هذه المنطقة في العصور اليونانية والرومانية المتعاقبة " [4].

ومن أشهر المدن فيها : بيت المقدس ودمشق وطبرية وحلب ونابلس وعسقلان وغزة وبعلبك وحمص ويافا وقيسارية وأرسوف وعكة وصور وبيروت والناعمة وجبيل واطرابلس[5] وانطرطوس وبيسان وجبلة واللاذقية والسويدة وأنطاكية [6].

ويذكر ابن الفقيه أنه : " إذا جزت جبلي طيىء يقال لأحدهما سلمى وللأخر أجأ فقد أشأمت حتى تجوز غزة ودمشق وفلسطين والأردن وقنسرين ، وقالوا الشام من الكوفة إلى الرملة ومن بالس إلى أيلة " [7].

---

(1) ابن شداد ، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ، ص ٢٦ . وسبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، ج ١ ص ٦٣ ، حققه الدكتور إحسان عباس ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م ، دار الشروق ، بيروت . وانظر : القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ١٣٧، ط . ، دار صادر بيروت .

(2) محمد كرد ، خطط الشام ، ص ١٦.

(3) أحمد عادل كمال ، الطريق إلى دمشق (فتح بلاد الشام) ، ص ١٥ ، ط ٢ ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م ، دار النفائس ، بيروت .

(4) حسين عطوان ، الجغرافية التاريخية لبلاد الشام في العصر الأموي ، ص ١٩ ، ط ١، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م ، دار الجيل ، بيروت – لبنان .

(5) هكذا في المصدر وتسمى حالياً طرابلس .

(6) الشريف الإدريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ص ٣٤٧ ، ط ١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩ م ، عالم الكتب ، بيروت .

(7) ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ، ص ٩٢ .

ويحدد ياقوت الحموي الشام : " من الفرات إلى العريش المتاخم للديار المصرية وأما عرضها فمن جبلي طيىءٍ من نحو القبلة إلى بحر الروم وما بشأمة ذلك من البلاد ، وطول الشام من الفرات إلى العريش نحو شهر وعرضها نحو عشرين يوماً " [1].

ويبلغ طول بلاد الشام من طوروس إلى جبل سيناء ١١٠٠ كم٢ تقريباً بينما لا يزيد عرضها على ١٥٠ كم٢ تقريباً ، إذ إنها مستطيل طويل الضلعين من الشرق والغرب قصيرهما من الشمال والجنوب [2].

لقد كانت بلاد الشام ذات حضارة متقدمة قبل الإسلام ، في نظمها وأحوالها الاجتماعية وأوضاعها الاقتصادية المتطورة ، وقد كان من بين العوامل التي ساعدت على تطور هذه البلاد وزاد من خصوصيتها الموقع الجغرافي المميز الذي تحتله الشام وسط العالم القديم ، وقد سماها البعض بأرض العبور الكبير، نظراً لكونها حلقة الوصل بين بلاد الشرق وبلاد الغرب[3] فهي ممر تجاري مهم للتجارة العالمية آنذاك .

لم يتفق الجغرافيون تماماً على حدود بلاد الشام ، فالأوائل أمثال ابن خرداذبه واليعقوبي وابن رسته وغيرهم لم يتعرضوا لذكر حدود بلاد الشام مع أن بعضهم كابن خرداذبه عدد كورها ومدنها [4] .

---

(1) الحموي ، معجم البلدان ، ج ٥ ص ١١٧ ، وهذا التحديد المكاني ذكره ايضاً القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ٢٠٥ . ومحمد كرد ، خطط الشام ، ص ١١ .أما الآن فيختلف الوضع خاصة مع توفر السيارات والطرق المعبدة .

(2) فالح حسين ، الحياة الزراعية في بلاد الشام في العصر الأموي ، ص ١٣، ط . ، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م ، نشر بدعم من الجامعة الأردنية .

(3) عاطف رحال ، تاريخ بلاد الشام الاقتصادي في العصر الأموي ، ص١٦١ ، ط ١ ، ٢٠٠٠ م ، بيسان للنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان .

(4) ابن خرداذبه، المسالك والممالك، ص ٧٥ – ٨٠ ، طبع في ليدن بمطبعة بريل سنة ١٨٨٩ م، دار صادر، بيروت. ذكر كور قنسرين وإقليم حمص وكورة دمشق وأقاليمها وكورة الأردن وكورة فلسطين وقدم وصفاً للطرق والمسافات بين كور بلاد الشام بعضها مع بعض ومع المدن الإسلامية الأخرى. لقد استخدم العلماء والمؤرخون القدماء ألفاظاً ذات صلة بالمسافة وهي كثيرة ومنها، البريد وهي المسافة التي يقطعها الرسول بين كل منزلتين من منازل الطرق ويساوي أربعة فراسخ عند الفقهاء وحالياً يساوي ٢٠,١٦ كيلو تقريباً، والساعة، وهي المسافة التي يقطعها الراجل في ساعة واحدة وهي جزء من ٢٤جزءاً متساوياً من اليوم ويساوي ٥,٦٨٥ كلم تقريباً، والذراع ويطلق على العضو الذي من طرف المرفق إلى طرف الإصبع الوسطى والساعد ويساوي٢٤ إصبعاً معترضات وحالياً يساوي ٤٨ سنتيمتراً والفرسخ يساوي ثلاثة أميال والآن يساوي ٥,٠٤ كيلو تقريباً ، والمرحلة وهي ، مسيرة يوم وتقدر بثمانية فراسخ ولهذا فهي تساوي ٤٣,٢ كلم تقريباً، والميل ويساوي أربعة آلاف ذراع وقيل ثلاثة الآف وخمسمائة ذراع وهو الراجح ويساوي ١,٦٨ كلم تقريبا ، . للاستزادة انظرأيمن عبدالله عبدالعزيز الدهيشي ، الأحكام الفقهية المتعلقة بالمسافة في غير العبادات ، ص ١٨ – ٣١ ، رسالة ماجستير جامعة الإمام محمد بن سعود ، ١٤٢٥ - ١٤٢٦ هـ .

وبعضهم الآخر كاليعقوبي تكلم عن أجناد الشام ونطاق كل جند[١]، ويرى أن رفح آخر أعمال فلسطين هي الحد الجنوبي مع مصر[٢].

ويمثل الاصطخري البداية لمن حاولوا رسم الحدود ، فقد وضع خارطة لبلاد الشام رسم فيها الحدود كما كان يراها بقوله " وأما الشأم فإن غربيها بحر الروم وشرقيها البادية من آيلة [٣] إلى الفرات ثم من الفرات إلى حد الروم وشماليها بلاد الروم وجنوبيها حد مصر وتيه بني إسرائيل [٤] وآخر حدودها مما يلي مصر رفح ومما يلي الروم الثغور وهي ملطية[٥] والحدث ومرعش[٦] والهارونية [٧] والكنيسة [٨] وعين زربة [٩] والمصيصة [١٠] وأذنة [١١] وطرسوس[١٢]" [١٣]. وهذا التحديد ذكره أيضاً ابن حوقل[١٤].

---

(1) البلدان ، ص ٣٢٤ – ٣٣٠،طبع في مدينة ليدن ، مطبعة بريل ، ١٨٩٢ م ، وانظر : محمد أحمد زيود ، حالة بلاد الشام الاقتصادية منذ العصر الطولاني وحتى نهاية العصر الفاطمي ، ص٨٥، ط . ، دار الفكر .

(2) تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ص ١٤٨ ، ط . ، دار صادر ، بيروت ، والبلدان ، ص ٣٣٠ .

(3) آيله : أول حد الحجاز للقادم من مصر، وهي مدينة جليلة القدر على ساحل البحر الملح(القلزم) بها يجتمع حاج مصر والمغرب وبها تجارة كثيرة وأهلها أخلاط من الناس وسميت بأيلة بنت مدين . الحميري ، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص ٧٠ ، حققه إحسان عباس ، ط ٢ ١٩٨٤ م ، مكتبة لبنان ، بيروت.

(4) التيه : الموضع الذي ضل فيه موسى عليه السلام مع بني إسرائيل ، بين أيلة ومصر وبحر القلزم وجبال السراة لما امتنعوا من دخول الأرض المقدسة حبسهم الله في هذا التيه أربعين سنة . القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد، ص ١٧٤ .

(5) ملطية : مدينة كبيرة من أجلّ الثغور وأشهرها وأكثرها سلاحاً وأجلدها رجالاً دون جبل اللكام إلى ما يلي الجزيرة يسكنها الأرمن . ابن حوقل ، صورة الأرض ، ج ١ ص ١٨١ ، ط ٢ ، ١٩٣٨ م ، مطبعة بريل ، مدينة ليدن .

(6) الحدث ومرعش : مدينتان صغيرتيان، وكانتا ثغرين يرابط فيها المسلمون ويجاهدون . ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص ٨١ .

(7) الهارونية: مدينة صغيرة قرب مرعش بالثغور الشامية في طرف جبل اللكام استحدثها هارون الرشيد سنة ١٨٣ هـ . الحموي ، معجم البلدان ، ج ٨ ص ٤٦٥ .

(8) الكنيسة : حصن في معزل من ساحل البحر . ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ١٨٢ .

(9) عين زربة : بلد في جبل ذات قلعة مستعلية وهي عامرة ولها نهر وهي بين سيس وتل حمدون في شمالي جيحان . أبو الفداء ، تقويم البلدان ، ص ٢٥١ .

(10) المصيصة : كانتا مدينتين إحداهما تسمى المصيصة والأخرى كفربيا على جانبي جيحان وكانتا حصينتين على شرف من الأرض ، ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ١٨٣ .

(11) أذنة : مدينة مشهورة كانت بالثغور وهي خصبة عامرة على نهر سيحان في غربي النهر ، أبو الفداء ، تقويم البلدان ، ص ٢٤٨ .

(12) طرسوس : مدينة كبيرة كانت ثغراً من ناحية الروم على ساحل البحر الشامي وهي الحاجز بين المسلمين والروم . أبي الفداء صاحب حماه ، تقويم البلدان ، ص ٢٤٨ .

(13) الاصطخري ، مسالك الممالك ، ص ٥٥ ، ط . ، مطبعة بريل مدينة ليدن ١٩٣٧ م .

(14) صورة الأرض ، ج ١ ص ١٦٥ .

ويشتمل الشام على العواصم [1] والثغور [2] وبين ثغور الشام وثغور الجزيرة [3] جبل اللكام[4] وهو الفاصل بين الثغرين [5] .

" والعواصم هي عواصم هذه الثغور مما يقرب إلى بلاد الإسلام ؛ وإنما سمي كل واحد منها عاصماً لأنه يعصم الثغر ويمده في أوقات النفير " [6].

ويرى الاصطخري : " أن الثغور كلها جمعت إلى الشام، وذلك أن كل ما وراء الفرات من الشام ، وإنما سمي من ملطية إلى مرعش ثغور الجزيرة لأن أهل الجزيرة بها يرابطون وبها يغزون لا لأنها من الجزيرة " [7].

ويرى فيليب : " أن هذه العواصم ذات مواقع استرتيجية إذ قامت عند تقاطع الطرق العسكرية أو على مداخل الممرات الجبلية وقد دعيت بحق العواصم ، وأطلقت هذه التسمية بنوع أخص على المعاقل الداخلية الجنوبية ، وفي مقابل الحصون الخارجية الشمالية التي عرفت بالثغور " [8].

---

(1) العواصم : اسم ناحية وليس موضع بعينه وقصبتها أنطاكية ، الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص ٦٢ . ويعتبر هارون الرشيد أول من جمعها وسماها بالعواصم لأن المسلمين يعتصمون بها فتعصمهم ، انظر : البلاذري ص ١٣٨ ، وابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ، ص ١١١ . وقيل سميت بالعواصم : لأن المسلمين كانوا يعتصمون بها من العدو إذا انصرفوا من غزوهم ، والعاصم هو المانع ومنه قوله تعالى [لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم] والعواصم ، حصون موانع ، انظر : الغزّيّ ، نهر الذهب في تاريخ حلب ، ج ٣ ص ٢٣ ، تقديم شوقي شعث ومحمود فاخري ، ط ٢ ، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩م ، دار القلم ، حلب .

(2) الثغر : موضع المخافة من فروج البلدان ، وكذلك هو ما يلي دار الحرب ، وهو الموضع الذي يكون حداً فاصلاً بين بلاد المسلمين والكفار ، ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٣ ص ٢٣ ، ط ٦ ، ٢٠٠٨ م ، دار صادر ، بيروت – لبنان . وانظر: الجوهري ، معجم الصحاح ، ص ١٣٩ ، ط ٢ ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م ، دار المعرفة بيروت – لبنان . وانظر : الفيروزابادي ، القاموس المحيط ، ص ٣٥٩ ، ط ٣ ، ١٤٣٠ – ٢٠٠٩ م ، مؤسسة الرسالة ، دمشق – سوريا .

(3) أطلق الجغرافيون المسلمون اسم الجزيرة للدلالة على الجزء الشمالي من الأراضي المحصورة بين نهري دجلة والفرات وأيضا على ملحقاتها وكورها . أبو الفداء ، تقويم البلدان ، ص ٢٧٣ . وانظر، نهلة أنيس محمد مصطفى ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الثغور والعواصم الإسلامية على الحدود البيزنطية ، ص ٥٩ ، ط . ، دار الكتاب العربي ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م ، القاهرة .

(4) اللكام : بالضم وتشديد الكاف جبل يشرف على أنطاكية وبلاد ابن ليون والمصيصة وطرسوس ، الحموي، معجم البلدان ، ج ٧ ص ١٨١ . للاستزادة انظر: سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، ج١ ص ٩٢ .

(5) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٥٥ و ٥٦ .

(6) ابن قدامة ، الخراج وصنعة الكتابة ، ص ٢٥٣ ، مطبعة بريل ١٨٨٩ م ، مدينة ليدن . وانظر : البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ١٣٨ ، ط . ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان .

(7) مسالك الممالك ، ص ٥٥ ، وانظر : ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ١٦٨ .

(8) فيليب حتى ، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، ج ٢ ص ٤٤ ،ترجمة كمال اليازجي ، ط . ، بيروت ١٩٥٩ م ، دار الثقافة ببيروت .

" وخلاصة القول فإن بلاد الشام ، كانت تقع ضمن حدود طبيعية واضحة المعالم تماماً فمن الجنوب يحدها الصحراء ، ومن الشرق نهر الفرات والصحراء ، وشمالاً جبال طوروس ، وغرباً البحر الأبيض المتوسط "[1].

(1) عاطف رحال ، تاريخ بلاد الشام الاقتصادي في العصر الأموي ، ص ١١ .

رابعاً : أجناد[1] الشام :

يذكر ابن رسته : " أن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه جند الشام إلى أربعة أجناد : جند فلسطين، وهي الرملة . وجند الأردن وهي الطبرية . وجند حمص . وجند دمشق ، ولما جاء الخليفة الأموي يزيد بن معاوية زاد جند قنسرين فأصبحت في العصر الأموي خمسة أجناد" [2].

" والجند والأجناد والتجنيد مقاربة للمصر والأمصار والتمصير بل هي مطابقة لها في الاستعمال اللغوي والأدبي والتاريخي ولكن العرب اقتصروا على استخدام الجند في بلاد الشام ، ولم يعرف عنهم أنهم استخدموه في البلاد الأخرى " [3] وكان تقسيمهم مبني على أسس عسكرية بالدرجة الأولى، ويتضح هذا جلياً عندما أرسل أبو بكر الصديق رضي الله عنه الجيوش لفتح بلاد الشام فسمى لأبي عبيدة الجراح حمص ، وليزيد بن أبي سفيان دمشق ، ولشرحبيل بن حسنة الأردن ، ولعمرو بن العاص فلسطين وذلك حسب أهمية هذه المراكز [4].

---

(1) الجند : الجُنْد ، العسكر ، والجمع أجناد قال تعالى " إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها " الجنود التي جاءتهم الأحزاب ، والجند بالضم ، الأعوان والأنصار وفلان جند الجنود ، وفي الحديث " الأرواح جنود مجندة " ، والشام خمسة أجناد دمشق وحمص وقنسرين والأردن وفلسطين ، يقال لكل مدينة جند ، والجند صنف من الخلق على حدة ، ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٣ ص ٢١٤ ، وانظرالجوهري ، معجم الصحاح ، ص ١٩٢ ، ، انظرالفيروزابادي ، القاموس المحيط ، ص ٢٧٤ .

(2) الأعلاق النفيسة، ص ١٠٧ ، ط . ، مطبعة بريل في ليدن سنة ١٨٩٣ م . وابن عبدربه الأندلسي ، العقد الفريد ، ج ٧ ص ٢٤٣ ، تحقيق محمد عبدالقادر شاهين ، ط ١ ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م ، المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت . وسبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، ج ١ ص ٧١ وص٧٧. وانظر، القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٤ ص ٩٢ . وابن الشحنة ، الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب ، ص ٩ ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م ، دار الكتاب العربي ، سورية – دمشق . وعبد علي ياسين ، تاريخ صدر الإسلام من البعثة النبوية وحتى نهاية الدولة الأموية ، ص ٤٣٩ ، ط . ، ٢٠٠٣ م ، دار يافا العلمية، عمان – الأردن . وعبد عون الرطنان ، موسوعة تاريخ العرب ، ج ٢ ص ١٥٨ ، ط ١، ٢٠٠٤م، الأهلية ، الأردن – عمان .

(3) حسين عطوان ، الجغرافية التاريخية لبلاد الشام في العصر الأموي ، ص ٢٢ .

(4) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٦٢ ، ط ١ ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان . وانظر : الطبري ، تاريخه ، ج ٢ ص ٣٣١ ، وانظر : الواقدي ، فتوح الشام ، ج ١ ص ١٧ و١٨، ط ١ ، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م ، دار صادر ، بيروت – لبنان .

ويذكر البلاذري : " وقد اختلفوا في تسمية الأجناد ، فقال بعضهم : سمى المسلمون فلسطين جنداً لأنه جمع كور [1] وكذلك دمشق وكذلك الأردن وكذلك حمص مع قنسرين ، وقال بعضهم : سميت كل ناحية لها جند يقبضون أطماعهم بها جنداً " [2].

جند فلسطين : أول أجناد الشام ، قصبتها [3] الرملة التي ابتناها سليمان بن عبدالملك بدلاً عن مدينة يقال لها اللّد [4]، قيل إنها سميت بالرملة لغلبة الرمل عليها [5]، ومدنها بيت المقدس[6] ، بيت جبريل ، غزة ، ميماس ، عسقلان ، يافه ، أرسوف ، قيسارية ، نابلس ، أريحا ، عمان [7]، وهو أول أجناد الشام مما يلي المغرب ، وفلسطين أزكى بلدان الشام ، وبيت المقدس مدينة مشهورة بناها داود وفرغ منها سليمان عليه السلام [8] مرتفعة على جبال يصعد إليها من كل مكان [9]، ليس بها ماء غير الأمطار ، ورساتيقها [10] ذات عيون [11].

(1) الكورة : المدينة والصقع والجمع كور ، ابن منظور ، لسان العرب ، ج ١٣ ص ١٣١ ، وكذلك الجوهري ، معجم الصحاح ص ٩٢٨ .

(2) فتوح البلدان ، ص ١٣٧ و ١٣٨ .

(3) القصبة : قصبة البلد ، مدينته وقيل ، معظمه وقصبة السواد ، مدينتها ، وقصبة البلاد ، مدينتها . ابن منظور ، لسان العرب ، ج ١٢ ص ١١٢ .

(4) ابن رسته ، الأعلاق النفيسة ، ص ٣٢٨ . وكذلك اليعقوبي ، تاريخه ، ص ٢٩٣ . وابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ، ص ١٠٣ .

(5) الحميري ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، ٢٦٨ .

(6) البيت المقدس أحد القبلتين والمسجد الأقصى ثالث الحرمين إليه تشد الرحال ، سمي بالأقصى لأنه أبعد المساجد الثلاثة التي تزار . النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج ١ ص ٨٠ ، اختصره وقدمه مرزوق علي إبراهيم ، ط . ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٦ م ، القاهرة .

(7) المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ١٥٥ ، طبعة بريل مدينة ليدن ، ١٩٠٩ م ، دار صادر .

(8) القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ١٥٩ .

(9) الاصطخري ، مسالك الممالك ، ص ٥٦ .

(10) الرّستاق: فارسي معرب ، بيوت مجتمعة ألحقوه بقرطاس ويقال ، رزداق ورسداق والجمع الرساتيق وهي السواد ، انظر : ابن منظور ، لسان العرب، ج٦ ص ١٤٩، والجوهري، معجم الصحاح، ص ٤٠٦ .

(11) ناصر خسرو، سفر نامه، ص ٥٦، ترجمة يحيى الخشاب ، ط ٢، ١٩٧٠م ، دار الكتاب الجديد ، لبنان - بيروت .

جند الأردن : ثاني أجناد الشام ، وهو أصغرها مساحة وأقصرها مسافة [١]، قصبتها طبرية وهي على بحيرة عذبة الماء وبها عيون جارية [٢] ، ويخرج منها نهر الأردن المشهور[٣] ، وبها حمامات حامية من غير نار، وبها حمام يعرف بحمام الدماقر كبير وأول ما يخرج ماؤه يسمط الحدأة والدجاج ويسلق البيض وهو مالح [٤] ، ويطل عليها جبل الطور، بناها ملك من ملوك الروم اسمه طبارى [٥]، ومن مدنها قدس ، صور ، عكا ، اللجون ، كابل، بيسان ، أذرعات[٦].

جند دمشق[٧] : ثالث أجناد الشام ، وهو أكبرها مساحة ، وأطولها مسافة [٨]، يقول اليعقوبي عنها " ومدينة دمشق مدينة جليلة قديمة وهي مدينة الشأم في الجاهلية والإسلام وليس لها نظير في جميع أجناد الشأم في كثرة أنهارها وعمارتها ونهرها الأعظم بردا " [٩]، وقصبتها دمشق وهي أجلُ مدينة بالشام كلها، وهي في أرض واسعة بين جبال تحيط بها مياه كثيرة وأشجار وزروع متصلة [١٠]، وهي دار المُلْك أيام بني أمية وثمّ قصورهم

---

(1) حسين عطوان ، الجغرافية التاريخية لبلاد الشام في العصر الأموي ، ص ٣٣ .

(2) الاصطخري ، مسالك الممالك ، ص ٥٨ .

(3) ابن رسته ، الأعلاق النفيسة ، ص ٣٢٧ .

(4) ابن الوردي ، خريدة العجائب وفريدة الغرائب ، ص ١٠٥ ،تحقيق أنور محمود زناتي ، ط ١ ، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٨ م ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة .

(5) القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ٢١٧ .

(6) المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ١٥٤ .

(7) دمشق : أقدم عاصمة في العالم ، ورد ذكرها في مخطوطات مصرية تعود إلى القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، قيل بناها دمشق بن فاني بن مالك بن ارفخشد ابن سام بن نوح ، ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ، ص ١٠٤ . وقد اختلفت الروايات في تحديد معنى تسميتها ، فابن عساكر في تاريخه ج ١ ص ١٩ـ ٢٣ ، يورد معاني كثيرة ومنها أنها من دَمْشَقَ أي السرعة ويقال للناقة السريعة دمشق، والأرجح أنها ذات أصول آشورية قديمة تعني الأرض الزاهرة أو العامرة ، ومن أسمائها جلق والشام وشامة الدنيا وكنانة الله والفيحاء وجيرون ، وحالياً عاصمة سوريا ، انظر، ابن الوردي ، خريدة العجائب وفريدة الغرائب ، حاشية ص ٩٨ . وانظرحسن زكي الصواف ، دمشق أقدم عاصمة في العالم ، ص ٨١ ـ ٨٥ ، ط ١ ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م ، دار قتيبة ، دمشق ـ سوريا .

(8) حسين عطوان ، المصدر السابق ، ص ٤٠ .

(9) اليعقوبي، البلدان ، ص ٣٢٥ .

(10) الاصطخري ، المصدر السابق ، ص ٥٩ .

وآثارهم[1]، ومن عجائبها الجامع عمّره الوليد بن عبدالملك سنة ٨٨ هـ ، أنفق في عمارته خراج المملكة سبع سنين [2] وهو المضروب به المثل في الحسن ، فهو منقوش الحيطان والسقوف والأعمدة ، مرصعة كلها بالجواهر ، ملتهبة بالذهب ، مشرقة بألوان الفصوص، يقول عنه بعض الدمشقيين : " ما تأملنا قط تأليف مسجدنا وتركيب محرابنا وفيه مُصلانا إلا أثار لنا التأمل ، وأخرج لنا التفرس غرائب حُسن لم نعرفها ، وعجائب صنعة لم نقف عليها [3] ، وهي أول مدينة خطت بعد الطوفان " [4] .

ويصف ابن الوردي في كتابه دمشق فيقول :" هي أجملُ بلاد الشام مكاناً ، وأحسنها بنياناً ، وأعدلها هواءً ، وأغزرها مطراً ، وهي دار مملكة الشام ، ولها الغوطة التي لم يكن بوجه الأرض مثلها ، بها أنهار جارية مخترقة ، وعيون سارحة متدفقة ، وثمارٌ يانعة ، وأشجار باسقة ، وفواكه مختلفة ، وقصور شاهقة ، ولها ضياع كالمدن " [5] ، ومدنها بانياس ، صيدا ، بيروت ، أطرابلس [6] ، عرقة ، بعلبك ، ولدمشق ست رساتيق : الغوطة ، حوران ، البثنية ، الجولان ، البقاع ، الحولة [7]. وقد قال الشاعر :

دِمِشقُ عندي لا تُحصَى فضائِلُها **** عـدّاً وحصراً ويُحصَى رَمْـلُ يبرين

وما أرى بلدةً أخـرى تماثِلُها **** في الحسنِ من مصَر حتى مُنتهى الصين [8].

---

(1) المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ١٥٦ .

(2) القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ١٨٩ و ١٩٠ .

(3) الثعالبي ، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، ص ٤٢٣ ، تحقيق محمد أبو الفضل ، ط١ ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٣ م ، المكتبة العصرية ، بيروت – لبنان .

(4) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، ج ١ ص ٧١ .

(5) خريدة العجائب وفريدة الغرائب ، ص ٩٨ .

(6) أطرابلس : بفتح الهمزة وسكون الطاء وفتح الراء المهملتين ثم ألف وباء موحدة ولام مضمومتين وسين مهملة في الأخر ، وقد تسقط منها الألف منها فرقاً بينها وبين أطرابلس الغرب (أي التي في ليبيا) وهي مدينة في سواحل حمص واقعة في الإقليم الرابع . القلقشندي ، صبح الاعشى في صناعة الإنشا ، ج ٤ ص ١٤٧ .

(7) المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص ١٥٤ .

(8) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، ج ١ ص ٧٥ .

جند حمص : وهو رابع أجناد الشام ، وقصبتها حمص أيضاً وهي مدينة مستوية خصبة جداً من أصح بلدان الشام تربة [١]، كانت مركز ملوك الروم وكان زيتونها وقنواتها متصلة بتدمر وبعلبك [٢]. تقع على نهر العاصي ومن مدنها سلمية ، تدمر ، الخناصرة ، كفر طاب، اللاذقية ، جبلة ، أنطرسوس ، بلنياس ، حصن الخوابي [٣]. يصفها ياقوت الحموي: " حمص بلد مشهور قديم كبير مسور وفي طرفه القبلي قلعة حصينة على تل عالٍ كبير، وهي بين دمشق وحلب " [٤].

جند قنسرين : خامس أجناد الشام ،وهي قاعدة من قواعد الشام القديمة [٥] ، وقصبتها حلب[٦] وهي عامرة على مدرج طريق العراق إلى الثغور وسائر الشامات، يصفها ياقوت الحموي بقوله : " حلب هي مدينة عظيمة واسعة كثيرة الخيرات ، طيبة الهواء ، صحيحة الأديم [٧] والماء " [٨] ، ولحلب قلعة حصينة تسمى الشهباء لبياض حجرها [٩]، وقنسرين مدينة تنسب الكورة إليها وهي من أصغر المدن بها [١٠] بينها وبين حلب أربعة فراسخ [١١] ،

---

(1) الاصطخري ، مسالك الممالك ، ص ٦١ .

(2) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، ج ١ ص ٧١ .

(3) المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ١٥٤ .

(4) الحموي ، معجم البلدان ، ج ٣ ص ١٨٢ .

(5) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٤ ص ٩٣ .

(6) يقال إن سبب تسمية حلب بهذا الاسم، أن إبراهيم عليه السلام إذا خرج من الأرض المقدسة كان مقامه بهذا التل وكان يحبس به بعض الرعاء ومعهم الأغنام والمعز والأبقار وكان الضعفاء إذا سمعوا بمقدمه أتوه من كل وجه فيجتمعون مع من اتبعه من الأرض المقدسة لينالوا من بره فكان يأمر الرعاء بحلب ما معهم طرفي النهار ويأمر ولده وعبيده باتخاذ الطعام فإذا فرغ من ذلك أمر بحمله إلى الطرق المختلفة من التل فيتنادى الضعفاء أن إبراهيم حلب فيتبادرون إليه ، فنقلت هذه اللفظة فصارت أسماً لهذا التل . انظرعمر بن أبي جرادة ، زبدة الحلب في تاريخ حلب ، ج ١ ص ٣٢ ، تحقيق سهيل زكار ، ط ١ ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م ، دار الكتاب العربي ، دمشق .

(7) الأديم : وجهُ الأرض . الجوهري ، معجم الصحاح ، ص ٣٤ .

(8) الحموي ، معجم البلدان ، ج ٣ ص ١٦٦ .

(9) شيخ الربوة ، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، ص ٢٠٢ .

(10) الاصطخري ، مسالك الممالك ، ص ٦١ .

(11) سبط ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ج ١ ص ٧١ .

ومن مدنها أنطاكية ، بالس ، السويدية ، سميساط ، منبج ، بياس ، التينات ، قنسرين ، مرعش، إسكندرونة، لجون، رفنية ، جوسية ، حماة ، شيزر ، وادي بطنان ، معرة النعمان ، معرة قنسرين [١]. هذه أجناد الشام حيث بات لكل جند خراجه ونواة إدارة مستقلة ووالٍ وحامية [٢].

سكان بلاد الشام :

سكان الشام يتكونون من أجناس متعددة ، ويتباينون في أمور كثيرة ، فتختلف لغاتهم وثقافاتهم ومهنهم وأوضاعهم الاجتماعية ويفترقون في مذاهبهم ومعتقداتهم الدينية [٣] .

حيث تنتشر القبائل اليمنية في أجناد الشام الخمسة ، بينما استقرت القيسية في قنسرين شمالي البلاد مع تركز لها في دمشق ، وبقيت اليمانية تشكل الأكثرية عددياً بعد الإسلام [٤] وإلى جانب العرب فقد كان الموالي وهم من الأجناس غير العربية التي دخلت في الإسلام ونشأت بعد حركة الفتوحات الإسلامية لبلاد الشام [٥] .

كما كان يعيش المسيحيون (الروم واليونان) في المدن والقرى والأرياف وكانوا بسواحل الشام وكان أكثرهم في مدن الشام الشمالية والشرقية ، ومن مدن الشام التي كان لهم وجود ظاهر بها في صدر الإسلام والعصر الأموي ، قيسارية، ودمشق، وبعلبك، وأنطاكية . كما كان يعيش اليهود في مدن قيسارية ، وكان أكثرهم بفلسطين والأردن [٦].

وفي عهد معاوية بن أبي سفيان سكن جماعة من اليهود والفرس في حصن طرابلس ، وكان الأرمن يعيشون في الشام ، وكذلك الفرس كانوا يعيشون في بعلبك وحمص وأنطاكية ،

---

(1) المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ١٥٤ .
(2) عمر بن أبي جرادة ، زبدة الحلب من تاريخ حلب ، ج ١ ص ٤٥ .
(3) عاطف رحال ، تاريخ بلاد الشام الاقتصادي في العصر الأموي، ص ١٩.
(4) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٢٤ – ٣٣٠ .
(5) حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ج ١ ص ٤٣١ ، ط ١٣ ، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م ، دار الجيل ومكتبة النهضة المصرية . ونجدت خماش ، الشام في صدر الإسلام ، ص ١١٥ ، ط ١ ، ١٩٨٧ م ، دار طلاس للدراسات والترجمة .
(6) للاستزادة عن سكان بلاد الشام انظر: اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٢٤ ، ٣٢٥، ٣٢٦ ، والقلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٤ ص ٢١٠ – ٢٢٣ .وعاطف رحال ، تاريخ بلاد الشام الاقتصادي في العصر الأموي، ص ٢٣ و ٢٤، وحسين عطوان ، الجغرافية التاريخية لبلاد الشام في العصر الأموي ، ص ٩٨ – ١١٢ . ونقولا زيادة ، جغُرافية الشام عند جغرافيي القرن الرابع الهجري، ص ١٣٩ – ١٦٤ ، المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام ، الجامعة الأردنية- عمان - ، ط ١ ، ١٩٧٤ م ، الدار المتحدة للنشر ، لبنان – بيروت .

وبعض الزط وأصلهم من الهند وكانوا يسكنون في بعض المدن الساحلية وخاصة أنطاكية نقلهم الخليفة معاوية بن أبي سفيان من البصرة [١] .

وتتعدد في بلاد الشام اللغات ، ففيها اللغات الآرامية ، والسريانية ، والعبرانية ، والفينقية ، والعربية [٢] .

السطح في بلاد الشام :

على الرغم من تميز بلاد الشام عامة بوحدتها الإقليمية وبحدودها الطبيعية الواضحة ، إلا أن هذا التناسق لم يكن إلا في مظهرها العام ، فسطح هذا المستطيل الجغرافي يبدو كأنه ينعدم فيه التناسق كلياً ، فمن تضاريس معقدة ، وتقسيمات جغرافية متباينة ، وبروز كثير من العوائق على سطحه [٣] .

وقد أوضح المقدسي بصورة شاملة وموجزة طبيعة بلاد الشام بوصفه قائلاً :

" هو أربعة صفوف فالصف الأول يلي بحر الروم، وهو السهل رمال منعقدة ممتزجة ، يقع فيه من البلدان الرملة وجميع مدن السواحل، والصف الثاني الجبل مشجر ذو قرى وعيون ومزارع ، يقع فيه من البلدان بيت جبريل وإيليا ونابلس واللجون وقدس والبقاع وأنطاكية ، والصف الثالث الأغوار ذات قرى وأنهار ونخيل ومزارع ، يقع فيه من البلدان ويلة[٤] وتبوك وصغر وأريحاء وبيسان وطبرية ، والصف الرابع سيف البادية وهي جبال عالية باردة معتدلة مع البادية ذات قرى وعيون وأشجار ومن البلدان مآب وعمان وأذرعات ودمشق وحمص وتدمر وحلب " [٥] .

فهي من الغرب إلى الشرق : سهول ساحلية محاذية للبحر الأبيض المتوسط ، تشرف عليها سلسلة من الجبال والهضاب تمتد من الشمال إلى الجنوب ، ثم يبدأ منخفض

---

(1) البلاذري ، ص ١٥٣ ، ١٦٢ ، ١٦٣ .
(2) محمد كرد ، خطط الشام ، ص٣٦ .
(3) عاطف رحال ، تاريخ بلاد الشام الاقتصادي في العصر الأموي ، ص ١١ و ١٢ .
(4) يقصد أيلة .
(٥) المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ١٨٦ .

يسمى الغور لوقوعه بين جبلين[1]، ثم سلسلة الجبال الشرقية والتي تبدأ من جنوب حمص وتتجه جنوباً [2] ، ثم منطقة واسعة تمتد من غرب العراق وشرق بلاد الشام ، تتحول إلى صحراء تسمى بادية الشام .

تبلغ مساحة بلاد الشام في العصر الحالي أكثر من ثلاثمائة ألف كلم٢ ، وتشكل الصحراء حوالي ستين بالمئة من المساحة العامة للمنطقة ، أما الجبال فتبلغ نسبتها حوالي الثلث تقريباً [3] .

وأشهر أنهاره : نهر الفرات ونهر حماة ويسمى العاصي[4] ونهر الأردن ، ونهر العوجاء بفلسطين، ونهر جيحان والذي يصب في المصيصة، ونهر سيحان الذي يمر ببلاد الروم إلى الجنوب ويمر على سور أذنة .

وأشهر جباله : جبل الثلج الذي طرفه الجنوبي بالقرب من صفد، ثم يمتد إلى الشمال ويتجاوز دمشق ، فإذا صار في شماليها سمي جبل سنير ويسمى جانبه المطل على دمشق جبل قاسيون ، ويتجاوز دمشق ويمر غربي بعلبك ويسمى الجبل المقابل لبعلبك جبل لبنان ، وإذا تجاوز بعلبك وصار شرقي طرابلس سمي جبل عكار ، ثم يمر شمالاً ويتجاوز طرابلس إلى

---

(1) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٤ ص ٩٢ .

(2) أحمد عادل كمال ، الطريق إلى دمشق ، ص ١٥ .

(3) فادي الياس توا ، المناخ والأسعار والأمراض في بلاد الشام في عهد المماليك ، ص ١١ ، ط. ، ١٩٩٨ م ، بيروت . وفي الشام مدن كثيرة منها ما دثر وانحط بعد أن كان لها شأن مهم في الأزمان الغابرة مثل قيسارية والمعرة وأنطاكية وقنسرين وأفاميه وجرش والبتراء وبصرى وصيدا وصور وتدمر وبعلبك ... إلخ ومنها ما ثبت على صدمات الأيام والليالي وكان له من موقعه وملاءمة الطبيعة له ما أبقى عليه كأن يكون وسط ريف خصيب وماء دافق كدمشق وحمص وحماه وطرابلس .... ودمشق أهم مدن الشام وعاصمته في الإسلام وعلى عهد السريان وكانت أنطاكية عاصمته في عهد الرومان . انظر، محمد كرد ، خطط الشام ، ص ١٣ .

(4) سمي بالعاصي لأن غالب الأنهر تسقى بغير دواليب ولا نواعير بل تركب البلاد بأنفسها ونهر حماة لا يسقى إلا بالنواعير تنزع الماء نزعا، ويسمى المقلوب لجريه من الجنوب إلى الشمال انظر : القلقشندي ، ج ٤ ص ٨٢ و ٨٣ . وقيل إنه سمي العاصي لأنه يذهب إلى بلاد الروم فهو يخرج من بلاد الإسلام ليدخل بلاد الكفار ، انظرناصر خسرو ، سفر نامه ، ص ٤٦ .

حصن الأكراد من عمل طرابلس، ثم يمتد حتى يتجاوز حماة وشيزر وأفامية ويسمى قبالة هذه البلاد جبل اللكام ، وجبل اللكام يمتد إلى أنطاكية . ومن الجبال أيضاً جبل عاملة شرقي ساحل بحر الروم وجنوبيه ، ومنها جبل عوف وهو بالقرب من عجلون ، ومنها جبل الصلت وهو شرقي جبل عوف وشماليه (١).

المنـــــاخ :

أثرت التضاريس بشكل واضح في مناخ بلاد الشام بسبب اتساع مساحتها وتنوعها(٢)، فيسود فيها مناخ البحر المتوسط في المناطق التي تقترب من الساحل ، أما في المناطق الداخلية القريبة من الصحراء فيسيطر عليها المناخ القاري (٣) .

والمناخ جاف عموماً من بداية شهر ابريل – نيسان – إلى منتصف شهر نوفمبر – تشرين الثاني – ولكنه ممطر من منتصف نوفمبر حتى نهاية مارس – آذار – ، وفي الشتاء ينتشر الصقيع والثلج في سلسلة الجبال الشرقية ، وللبحر أثره على اعتدال درجة الحرارة على الساحل (٤).

" والشام قطر تأخذ فيه الفصول الأربعة حكمها، وتتم في قيعانه وجباله أسباب النعيم، معتدل الأهوية، متهاطل الأمطار والثلوج، ممرع (٥) التربة، فيه الغابات والمعادن والحمامات المعدنية والأنهار الجارية والبحيرات النافعة والأجواء البهجة والرباع المنبسطة والمناظر المدهشة ، فيه الجبال والبحيرات والسهول والمروج والأنهار والمناظر البديعة" (٦).

يقول عنه المقدسي " هو إقليم متوسط الهواء إلا وسطه من الشراة (٧)إلى الحولة (٨)

---

(1) عن أنهار الشام وجباله انظر : القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٤ ص ٨٢ – ٩٠ .

(2) فادي الياس توا ، المصدر السابق، ص ١٣ .

(3)عاطف رحال ، تاريخ بلاد الشام الاقتصادي في العصر الأموي ، ص ١٦ .

(4) أحمد عادل كمال ، الطريق إلى دمشق ، ص ١٩ .

(5) أي أرض خصيبة ، انظر: ابن منظور ، لسان العرب، ج ١٤ ص ٥٨ .

(6) محمد كرد ، خطط الشام ، ص ١٤ .

(7) الشّراة : تمتد من من شرق الطفيلة في الشمال إلى غرب معان في الجنوب ومدينتها أذرح .

(8)الحولة : تقع شمال بحيرة طبرية ضمن جند دمشق .

فإنه بلد الحر والنيل [1] والموز والنخيل .. وأشد هذا الإقليم برداً بعلبك [2] وما حولها .. وكلما علا منه نحو الروم كان أكثر أنهاراً وثماراً وابرد هواءً وما سفل منه فإنه أفضل وأطيب والذُّ ثماراً وأكثر نخيلاً " [3] .

وأشهر أشجار وزروع بلاد الشام : الزيتون وبه أقسم الله ، قال تعالى : ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ۝١ ﴾ سورة التين [4]، " قيل خصهما بالقسم لأن التين فاكهة شبيهة بفواكه الجنة، والزيتون شجرة مباركة " [5]، " فيه من الآيات ما هو ظاهر لمن اعتبر ، فإن عوده يخرج ثمراً ، يعصر منه هذا الدهن الذي هو مادة النور، وصبغ للآكلين [6] وطيب ودواء ، وفيه من مصالح الخلق ما لا يخفى " [7] .

ومن خصائص الشام التفاح الذي يضرب به المثل في الحسن والطيب ، وكان يحمل منه إلى الخلفاء في كل سنة ثلاثون ألف تفاحة [8] .

ومن أهم مزروعات بلاد الشام الغذائية : القمح والشعير وهي أهم محاصيل بلاد الشام الزراعية ، بالإضافة إلى أهمية إنتاج الأشجار المثمرة كالكروم ، والزيتون والنخيل ، ثم تأتي الفواكه والخضار بعد القمح والشعير ، كما كانت زراعة البقول على أنواعها نشيطة خلال العصر الأموي [9] .

---

(1) النيل : حشيش منه بستاني ومنه بريّ وشجرته ، هي العلظم ، انظر: الملك المظفر الرسولي يوسف بن عمر الغساني ، المعتمد في الأدوية المفردة للعلاج بالأعشاب والنباتات ، ص ٤٨٢ ، تحقيق أبي الفداء محمد عزت ، ط . ، دار الفضيلة ، القاهرة .

(2) بعلبك : مدينة قديمة مشهورة بقرب دمشق قالوا إن ذلك الموضع كان يسمى بك في قديم الزمان حتى عبد بنو إسرائيل بها صنماً اسمه بعل ، فأضافوا الصنم إلى ذلك الموضع ثم صار الجموع اسما للمدينة ، فيها مزارع وعجائب ، المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ١٩٠ ، والقزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ١٥٦ .

(3) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ١٧٩ .

(4) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٤ ص ٥٦٣ ، ط ١٠ ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان . وقد اختلف المفسرون في تفسير هذه الآية فقال مجاهد هو تينكم هذا والزيتون الذي تعصرون وقال غيره التين مسجد دمشق وقيل هي نفسها وقيل الجبل الذي عندها وقال كعب الأحبار وقتادة هو مسجد بيت المقدس .

(5) ابن عبد الرزاق الدمشقي ، حدائق الأنعام في فضائل الشام ، ص ٤٣ .

(6) وصبغ للآكلين : إدام .

(7) ابن قيم الجوزية ، التبيان في أقسام القرآن ، ص ٦٩ ، حققه محمد شريف سكر ، ط ١ ، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م ، دار إحياء العلوم ، بيروت – لبنان .

(8) النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج ١ ص ٨٢ .

(9) عاطف رحال ، تاريخ بلاد الشام في العصر الأموي ، ص ١٤٧ – ١٥٧ .

خامساً : فضائل الشام :

البلدان تتفاضل فيما بينها بالمزايا والصفات ، وقد صنف المؤلفون كتباً كثيرة تتحدث عن فضل بعض البلدان وقيمتها ، ومن ذلك ما كتبه العلماء والمؤرخون والجغرافيون والرحالة عن بلاد الشام ومحاسنها وفضائلها .

ويذكر ابن عبدالرزاق الدمشقي في كتابه حدائق الأنعام في فضائل الشام ، أن كتاب (فضائل الشام ودمشق) لعلي بن محمد الربعي [ت ٤٤٤] أول كتاب يفرده صاحبه للحديث عن مزاياها وفضائلها ، وقد اختصره إبراهيم الفزاري وسماه (الإعلام بفضائل الشام) ، كما ألف البصروي (تحفة الأنام في فضائل الشام) [1].

وألف ابن رجب الحنبلي حماية الشام المسمى فضائل الشام ، وغيرها من الكتب التي أفردت للحديث عن الشام كله أو بعض مدنه .

ولقد سبق القرآن الكريم جميع الكتب والمؤلفين في وصف بلاد الشام وبيان فضلها وبركتها ، قال تعالى : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ سورة الإسراء [2]، فهي الأرض المباركة ؛ فالبركة فيها مضاعفة .

وقال تعالى – إخباراً عن نبيه موسى عليه السلام ﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ سورة المائدة ، والأرض

---

(1) عبد الرزاق الدمشقي ، حدائق الأنعام في فضائل الشام ، ص ٦ – ٧ .

(2) المقصود بالمسجد الأقصى في الآية : بيت المقدس الذي بإيلياء معدن الأنبياء من لدن إبراهيم الخليل عليه السلام . انظرابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٣ ص ٣ .

المقدسة أي المطهرة وهي أرض الشام ، والتقديس هو التطهير ، وسمي بيت المقدس مقدساً ، لأنه يتطهر فيه من الذنوب[1].

وفي قوله تعالى في قصة إبراهيم : ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ سورة الأنبياء ، ومعلوم أن إبراهيم إنما نجاه الله ولوطاً إلى أرض الشام[2].

وقال تعالى : ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ سورة الأنبياء ، وإنما كانت تجري إلى أرض الشام التي فيها مملكة سليمان عليه السلام [3] .

وجاءت السنة النبوية حافلة بالأحاديث الشريفة الدالة على فضل الشام وبركتها ومن ذلك ما رواه زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : كنا عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع إذ قال رسول الله ﷺ : طوبى[4] للشام فقلنا : لأي شيء ذاك ؟ فقال " لأن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليهم " صحيح على شرط الشيخين [5] وكذلك صححه الألباني [6].

---

(1) القاضي مجير الدين الحنبلي ، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، ص ٢٢٦ و ٢٢٧ ، ط . ، دار الجيل ، ١٩٧٣ م ، بيروت – لبنان . وقد سميت القدس عبر تاريخها الطويل بعدة أسماء ومن أهم أسمائها : أورسالم أي مدينة السلام، و مدينة يبوس زعيم القبيلة الكنعانية العربية التي استقرت في فلسطين منذ فجر التاريخ، ومدينة داود عليه السلام عندما جعلها مقراً لحكمه، ومدينة أورشليم ذكر في سفر يسوع الإصحاح العاشر ومدينة إيليا كابيتولينا أطلقه عليها هدريان سنة ١٣٥ م ، ومدينة بيت المقدس بضم القاف والدال وهي الطهارة والبركة ، للاستزادة انظر: شفيق جاسر، تاريخ القدس والعلاقة بين المسلمين والمسيحيين منذ فجر الإسلام حتى الحروب الصليبية ، ص ١٧ و ١٨ ، ط ١ ، ١٤٠٤ -١٩٨٤ م ، دار البشير ، عمان .

(2) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٣ ص ١٩٤ .

(3) ابن كثير ، المصدر السابق ، ج ٣ ص ١٩٦ .

(4) طوبى : مصدر من طاب ، كزلفى وبشرى ، ومعنى طوبى لك ، أصبت طيبا وخيرا ، انظرابن عبدالرزاق الدمشقي ، ص ٦٩ . وقيل شجرة في الجنة ، ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٩ ص ١٦٨ .

(5) الحاكم النيسابوري ، المستدرك على الصحيحين ، ج ٢ ص ٦٠٣ ، ط ٢ ، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، رقم الحديث ٢٩٥٥ .

(6) الألباني ، تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن علي بن محمد الربعي ، ص ٩ ، ط ١ ، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م ، مكتبة المعارف ، الرياض .

كذلك ما ورد في رواية أبي داود في سننه عن عبد الله بن حوالة قال رسول الله ﷺ "إنكم ستجندون بعدي أجناداً ثلاثة ، جنداً باليمن ، وجنداً إلى الشام ، وجنداً إلى العراق " قال عبدالله بن حوالة " خر لي [1] يارسول الله قال : عليك بالشام فإنها خيرة الله في أرضه يجتبي إليها خيرته من عباده وإن الله قد تكفل لي بالشام وأهله " قال أبو إدريس الخولاني ومن تكفل الله به فلا ضيعة عليه [2]. قال عنه الألباني صحيح جداً [3] .

وما رواه أبي الدرداء رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال :" فسطاط [4] المسلمين يوم الملحمة بالغوطة إلى جانب مدينة يقال لها : دمشق ، من خير مدائن الشام " صححه الألباني [5] .

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله : ﷺ " الشام أرض المحشر والمنشر " صححه الألباني [6].

وفي صحيح البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : ذكر النبي ﷺ "اللهم بارك لنا في شأمنا ، اللهم بارك لنا في يمننا ، قالوا : يارسول الله وفي نجدنا قال : "اللهم بارك لنا في شأمنا ، اللهم بارك في يمننا " قالوا : يا رسول الله وفي نجدنا ، فأظنه قال في الثالثة : " هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان " [7].

وينقل لنا المسعودي [8] أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين فتح الله البلاد على المسلمين من العراق والشام ومصر ، كتب إلى حكيم من حكماء العصر : إنا أُناس عرب ، وقد

---

(1) أي اختار لي .

(2) البدري ، نزهة الأنام في محاسن الشام ، ص ١١ .

(3) الألباني ، تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق ، ص ١٠ .

(4) الفسطاط : المدينة التي فيها مجتمع الناس ، وكل مدينة فسطاط . الحموي ، معجم البلدان ، ج ٦ ص ٤٣٦.

(5) الألباني ، تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق ، ص ٣٨ . أيضاً انظر: البدري ، المصدر السابق، ص ١١.

(6) الألباني ، المصدر السابق ، ص ١٤ .

(7) البخاري ، صحيح البخاري ، ج ٤ ص ٣٧٢ ، ط . ، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م ، دار الفجر ، القاهرة ، ورقم الحديث ٧٠٩٤ .

(8) مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج ٢ ، ص ٦٥ .

فتح الله علينا البلاد ، ونريد أن نتبوأ الأرض ، ونسكن البلاد والأمصار ، فصف لي المدن وأهويتها ومساكنها ، وما تؤثرة التربة والأهوية في سكانها .

فكتب إليه الحكيم، وصفاً للبلدان ومنها الشام فقال : أما الشام فسحب وآكام [1] ، وريح وغمام [2]، وغدق [3] وركام [4]، ترطب الأجسام ، وتولد الأحلام ، وتصفي الألوان ، .... إلى أن قال والشام يا أمير المؤمنين مسرح خصب ووابل [5] سكب ، كثرت أشجاره ، واطردت [6] أنهاره ، وغمرت أعشاره ، وبه منازل الأنبياء ، والقدس المجتبى ، وفيه حل أشرف خلق الله تعالى من الصالحين والمتعبدين ، وجباله مساكن المجتهدين والمنفردين .

لقد كانت بلاد الشام أرض الأنبياء والرباط والملاحم ، ويكفيها شرفاً أن الله سماها بالأرض المباركة ، والأرض المقدسة ، ولقد صنف المؤلفون في فضائلها كتباً كثيرة ، وقدموا معلومات وفيرة ، وقد ذكر الباحث بعضها وترك بعضها خشية الإطالة .

(1) الآكام : هو ما كان دون الجبال وقيل : هو الموضع الذي هو أشد ارتفاعاً مما حوله وهو غليظ لا يبلغ أن يكون حجراً . للاستزادة انظر، ابن منظور ، لسان العرب ، ج ١ ص ١٢٨ .

(2) الغمام : الغيم الأبيض وإنما سمي غماماً لأنه يغم السماء أي يسترها . ابن منظور ، لسان العرب ، ج ١١ ص ٨٩ .

(3) الغدق : الماء الغامر الكثير .

(4) الركام : السحاب المتراكم بعضه فوق بعض . ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٦ ص ٢١٧ .

(5) الوابل : المطر الشديد .

(6) اطردت : تتابع جريانها .

الفصل الأول

تعريف بالكوارث ونظرة الإسلام لها

المبحث الأول : تعريف الكوارث وأنواعها

المبحث الثاني : نظرة الإسلام للكوارث

المبحث الأول

التعريف بالكوارث وأنواعها

أولاً : تعريف الكوارث : -

أطلق المسلمون الأوائل مسميات عديدة على ما أصابهم في أنفسهم وأموالهم وديارهم من مصائب وابتلاءات ومن هذه المسميات ، النوازل ، الجوائح ، النوائب، المصائب ، الكروب، الأزمات ،الكوارث، وسنستعرض بعض التعريفات لهذه المسميات حتى يتضح المعنى من هذه المسميات :-

النوازل : " جمع نازلة وهي الشدة من شدائد الدهر تنزل بالناس "[1].

الجوائح : " في اللغة (جاح) الشيء استأصله، ومنه الجائحة وهي الشدة والنازلة العظيمة التي تجتاح المال من سنةٍ أو فتنة ، والجوح الاستئصال، وجاحتهم السنة أي استأصلت أموالهم" [2]، وفي الاصطلاح " هي ما لا يُستطاع دفعه " [3]. وروى الشافعي قال : "جماع الجوائح كل ما أذهب الثمر أو بعضها من أمر سماوي بغير جناية آدمي " [4].

النائبة : " ناب الأمر نوباً ونوبةً : نزل ، ونابتهم نوائب الدهر ، والنوائب جمع نائبة وهي ما ينوب الإنسان، أي ما ينزل به من الملمات والحوادث ، والنائبة : المصيبة ، واحدة نوائب الدهر والنائبة : النازلة " [5] .

المصيبة : " ما أصابك من الدهر ، والجمع مصائب وفي الحديث : من يرد الله به خيراً يُصب منه ، أي ابتلاه بالمصائب ليثيبه عليها ، وهو الأمر المكروه ينزل بالإنسان " [6] .

---

(1) الجوهري ، معجم الصحاح ، ص ١٠٣٤ . وابن منظور ، لسان العرب ، ج ١٤ ص ٢٣٨ .

(2) ابن منظور ، المصدر السابق، ج ٣ ص ٢٣٣ – ٢٣٤ .

(3) سليمان إبراهيم الثنيان ، الجوائح وأحكامها ، ص ١٧ – ٢٠ ، ط ١ ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م ، دار عالم الكتب ، الرياض .

(4) ابن منظور ، المصدر السابق ، ج ٣ ص ٢٣٣ .

(5) ابن منظور ، المصدر السابق، ج ١٤ ص ٣٧٧ .

(6) ابن منظور ، المصدر السابق، ج ٨ ص ٣٠١ .

الكروب : الكربُ : الحزنُ والغمُ الذي يأخذ النفس وجمعه كروب ، وكربه الأمـر أي اشـتد عليه ، والكرائب الشدائد ، والواحدة كريبة [1].

الأزمة : في اللغة : " أزم أي عض عليه وأزم أزماً : أمسك عن المطعم والمأكـل ، أزم الزمـان : اشتد بالقحط والأزمة اسم منه " [2]، وفي الاصطلاح هـي : " حـدث يـسبب تغـيراً في الحيـاة العادية للمجتمع ، والوقت الذي يستغرق حدوث الأزمة إلى عـودة الحيـاة الطبيعيـة يـسمى وقت الاسترجاع ، كما تعرّف الأزمة بأنها لحظـة حرجـة وحاسمـة تتعلـق بمـصير الكيـان الإداري الذي أصيب بها ، مشكّلة بذلك صعوبة حادة أمام متخذ القرار " [3].

الكارثة : في اللغة : مأخوذة من كَرثَه الأمر تكرثُه ، كرثاً ، وأكرثـه سـاءه واشـتد عليـه ، وبلغ منه المشقة ، قال الأصمعي [4] : ولا يقال كرثهُ وإنما يقال أكرثه على أن رؤبـة [5] قـد قال : وقد تُجلّى الكرب الكوارث " [6].

ومن خلال التعاريف اللغوية المتقدمة يتضح لنا الملاحظات التالية :

المفاهيم الواردة سابقاً تعكس معان متقاربة جـداً مثـل : [النازلـة ، الجائحـة ، النائبـة ، المصيبة ، الكربة ، الأزمة ، الكارثة] .

كل التعاريف السابقة توحي بتدخلات خارجة عـن قـدرة الإنـسان ، لـيس للإنـسان تـدخل فيها، بل هي أمور تحدث بتقدير الله عز وجل على من يشاء من عباده .

---

(1) ابن منظور ، لسان العرب ، ج ١٣ ص ٤١ . والجوهري ص ٩٠٦ .

(2) ابن منظور ، لسان العرب ، ج ١ ص ١٠٠ .

(3) سوسن سالم الشيخ ، إدارة ومعالجة الأزمات في الإسلام ، ص ١٣ ، ط١ ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م ، دار النشر للجامعات ، القاهرة .

(4) الأصمعي ، عبدالملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي ، راوية العرب ، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان ، كان كثير التطواف فب البوادي، يقتبس علومها ويتلقى أخبارها ، ويتحف بها الخلفاء ، فيكافأ عليها بالعطايا الوافرة ، وكان الرشيد يسميه شيطان الشعر ، توفي بالبصرة سنة ٢١٦ هـ . الزركلي ، الأعلام ، ج ٤ ص ١٦٢ .

(5) رؤبة بن العجاج التميمي : اسمه عبدالله بن رؤبة بن لبيد بن صخر، راجز مشهور من أعراب البصرة، ومن الفصحاء المشهورين ، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، توفي سنة خمس وأربعين ومائة .انظرابن منظور ، مختصر تـاريخ دمشق ، ج ٨ ، ص ٣٣٤ . وابـن كثيـر ، البدايـة والنهايـة ، ج ١٠ ص١٠٣ . والزركلي ، الأعلام ، ج ٣ ص ٣٤ .

(6) انظر : الجوهري ، معجم الصحاح، ص ٩٠٧ . وابن منظور ، لسان العرب ، ج ١٣ ص ٤٤ .

وحيث إننا نتحدث عن الكوارث فإننا سنستعرض بعض التعاريف التي تعرف لنا الكارثة في **الاصطلاح الحديث** : -

الكارثة : " حادثة محددة زماناً ومكاناً ينتج عنها تعرض مجتمع بأكمله أو جزء منه إلى أخطار مادية شديدة وخسائر في الأرواح فتؤثر على البناء الاجتماعي وتهدد قِيَمَه ومصالحه " [1].

وتنقل لنا عفت وصال : تعريف المنظمة الدولية للحماية المدنية للكارثة : " حادثة كبيرة ينجم عنها خسائر كبيرة في الأرواح والممتلكات، وقد تكون طبيعية مردها فعل الطبيعة، وقد تكون فنية أو صناعية مردها فعل الإنسان سواءً أكان ذلك إرادياً أم لا إرادياً، وتتطلب مواجهتها معونة الحكومة الوطنية، أو تعاوناً على المستوى الدولي إذا كانت قدرة مواجهتها تفوق القدرات الوطنية " [2].

وتعرف سوسن الشيخ الكارثة وتقول هي : " التغير المفاجئ حاد الأثر يُحْدِث تغيرات متصلة في القوى ويكون من نتائجها انهيار التوازن " [3]. ويورد محمد صبري وزميله تعريفاً عاماً للكارثة الطبيعية " بأنها تأثير سريع وفجائي للبيئة الطبيعية على النظم الاقتصادية والاجتماعية " [4] .

ويذكر محمد الشريف تعريفاً للكارثة فيقول : " هي النازلة العظيمة الشاقة التي تنزل بالأقوام : كنقص الأموال والنفس والثمرات ، وجريان السيول العظيمة ، ووقوع الحروب المهلكة وتغلب العدو ، ونحو ذلك قال الله تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ " سورة البقرة [5] .

---

(1) عفت وصال حمزة ، الكوارث الطبيعية ، ص ٥، ط ١ ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م ، دار ابن حزم بيروت .

(2) عفت وصال ، المصدر السابق ، ص ٥ .

(3) إدارة ومعالجة الأزمات في الإسلام ، ص ١٣ .

(4) محمد صبري محسوب ومحمد إبراهيم أرباب ، الأخطار والكوارث الطبيعية ، ص ٣٧ ، ط. ، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م ، دار الفكر العربي ، القاهرة .

(5) محمد بن شاكر الشريف ، الكوارث بين المنح والمحن ، ص ٨ ، مجلة البيان ، السنة ٢٥ ، العدد ٢٧٢ ربيع الآخر – ابريل ٢٠١٠ م .

وتعرفها خولة المقبل فتقول : " هي الأحداث المفاجئة التي تقع في البيئة ، نتيجة لعوامل غير بشرية ينتج عنها خسائر بشرية ومادية ومعنوية كبيرة " [1] . كل هذه التعاريف تقدم معاني متقاربة للكوارث وأنها تحدث نتيجة أمور خارجة عن قدرة البشر وتتسبب في خسائر مادية وبشرية كبيرة في فترة محدودة زماناً ومكاناً .

ثانياً : أنواع الكوارث :

تتعرض الأرض وما عليها من كائنات حية لحوادث مختلفة، وكوارث مفزعة، ومصائب متعددة ، فمن فوقنا رياح وأمطار وصواعق، ومن تحت أرجلنا زلازل وبراكين وسيول وفيضانات ... إلخ ، وهي كلها مسخرة بأمر الله ولها أسبابها وحكمها التي يعلمها الله ،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٢٢﴾ ﴾ سورة الحديد .

وقد جرى تقسيم هذه الكوارث إلى أربعة أنواع :

النوع الأول : كوارث طبيعية وهي التي تحدث دون تدخل الإنسان ، – وتكون بإرادة وتقدير الله ومشيئته – ، مثل : الزلازل ، والبراكين ، والسيول والفيضانات ، والغرق ، والتشققات والتصدعات ، والتغيرات المناخية المفاجئة ، والخسف ، وتناثر وسقوط الكواكب من السماء ، والآفات السماوية مثل الصقيع والبرد والثلج ، والقحط والجفاف ، والموجات الهوائية الباردة والحارة ، وزحف الرمال ، والحرائق – أحياناً تكون بشرية – ، وتختلف درجة الخطورة بالنسبة لهذه الحوادث الطبيعية حسب درجة حدوثها ومدة حدوثها — أي كم تستغرق – والرقعة التي تحدث فيها ، فمنها شديد الخطورة والمتوسط والضعيف [2].

النوع الثاني : كوارث بشرية يكون المتسبب فيها — بعد إذن الله — أشخاص أو دول أو جيوش، وقد تكون ناتجة عن كارثة طبيعية مثل القحط ينتج عنه أحياناً غلاء الأسعار والمجاعات ، وسيكون لنا معها وقفات حسب ما ورد في مصادرنا التاريخية .

---

(1) خولة بنت يوسف المقبل ، العمل الدعوي عند حلول الكوارث ، ص ٧ ، رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود كلية الدعوة وأصول الدين ، قسم الدعوة والاحتساب .

(2) إبراهيم بن سليمان الأحيدب ، الكوارث الطبيعية وكيفية مواجهتها (دراسة جغرافية) ، ص ٥ – ٧ ، ط. ، ١٤١٩ هـ ، الرياض .

النوع الثالث : الأوبئة والأمراض التي انتشرت في القرون الأُول المتقدمة وما سنتحدث عنه تحديداً في بحثنا هذا من أمثال أمراض الطاعون والجدري والجذام والحمى ونحوهما .

النوع الرابع : الآفات الزراعية كغزو الجراد والجرذان وبعض الكائنات الحية التي تهاجم المحاصيل الزراعية ، وكذلك الحشرات التي تؤذي الإنسان مثل : البراغيث والبق والبعوض والنمل وغيرها من الحشرات .

ويذكر بعض الدارسين [1] في موضوع الأزمات والكوارث بأنه يمكن تقسيم الكوارث من حيث **حجم المتضررين** إلى :

- كوارث فردية لا يتعدى ضررها فرداً أو عدة أفراد ، ويتميز هذا النوع بمحدودية الخسائر سواء في الأرواح أو الممتلكات ، وإمكانية السيطرة على العواقب المترتبة عليه.

- كوارث جماعية تصيب أعداداً كبيرة من المتضررين وتخلف خسائر فادحة في الأرواح والممتلكات ، مثل الزلازل والفيضانات ، وتحتاج إلى تضافر الجهود لاحتوائها .

وأيضاً من حيث **طريقة وقوعها** يمكن تقسيمها إلى :

- كوارث مباغتة تحدث بشكل مفاجئ وسريع دون أدنى توقع .

- وكوارث موسمية وهي التي تحدث في مواسم معينة بحيث يمكن اتخاذ الاحتياطات اللازمة لمواجهتها كموسم الأمطار والفيضانات .

ومن حيث **موقعها** تنقسم الكوارث إلى :

- كوارث محلية وتشمل مكاناً محدداً كالحي والقرية والمدينة .

- كوارث وطنية وهي التي تؤثر في دائرة أكبر ويمكن أن تشمل مجتمعاً بكامله .

- كوارث دولية – عالمية – وهي التي تتأثر بها عدة دول .

---

(1) أحمد حسن الزهراني ، الأزمات والكوارث فوائد وحلول ، ص ٣٧ – ٣٩ ، ط ١ ، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م ، مطابع الحميضي .

وأيضاً تذكر خولة المقبل أن الكوارث تنقسم إلى كـوارث طبيعيـة وكـوارث بـشرية ، وتقسم الكـوارث الطبيعيـة إلى خمـسة أقـسام : أرضـية جيولوجيـة مثـل الـزلازل . مائيـة جيومورفولوجيـة (الميـاه الجوفيـة) مثـل الهبـوط الاضـطراري للأرضـية وتآكـل الـسواحل والانهيارات الجليدية . مناخية (جوية) مثل العواصف والأعاصير وموجات الحر والـبرد والصقيع والتصحر . كونية مثل تساقط الشهب والنيازك والإشعاع الكوني . حيوية بيولوجية مثل الأوبئة والجراد والآفات الزراعية (1) .

---

(1) للاستزادة انظر : خولة المقبل ، العمل الدعوي عند حلول الكوارث ، ص ٤٤ – ٤٥ .

التعريف بأنواع الكوارث

أولاً : الزلازل والظواهر الطبيعية الأخرى :-

الزلزلة في اللغة العربية " تعني تحريك الشيء ، وزلـزل الله الأرض زلزلـة وزلـزالاً بالكسر فتزلزلت هي ، والزلازلُ : الشدائد ، والزلزلة : التخويف والتحـذير ومنـه قولـه تعالى " وزلزلوا " أي خُوفوا وحذروا ، وهناك أيضاً تعبير رجفت الأرض إذا تحركـت بـشدة وعنف [1].

ويعرف المقدسي الزلزلة : " هي الهدة الهائلة والصوت الشديد ، وسببها احتقان البخـار في باطن الأرض ، فإذا انشقت وجدت مخرجاً ، وقلبت الأرض فأصبح أعلاها أسفلها " [2] .

وأيضاً هي : " عبارة عن هزات سريعة متلاحقة وقصيرة المدى تتعرض لها القـشرة الأرضـية وذلك خلال فترات متقطعة نتيجة للاضطرابات الباطنية " [3].

وقد ورد ذكر الزلازل في القرآن الكريم في مواضع متعددة ومنها : قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ ﴿٢١٤﴾ ﴾ سورة البقرة بمعنى خوفوا من الأعداء [4]،وقَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ﴿١﴾ ﴾ سورة الحج ، هنا وصف للزلزلة التي تكون في آخر عمر الدنيا وأول أحوال الآخرة [5]، وقوله تعـــالى: ﴿ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا ﴿١١﴾ ﴾ سورة الأحزاب، وهذا تصوير لحال المسلمين في غزوة الأحزاب عندما حاصرهم الأعداء فكان الموقف لهم بمثابة الابتلاء والاختبار[6]، وقوله تعالى ﴿ إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا ﴿١﴾ ﴾ سورة الزلزلة، والمقصود هنا زلزلت الآخرة [7].

---

(1) ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٧ ص ٥٢ ، والجوهري ، معجم الصحاح ، ص ٤٥٦ .

(2) المقدسي ، البدء والتاريخ ،ج ٢ ص ٣٦، ط. ، مكتبة الثقافة الدينية .

(3) محمد مؤنس أحمد عوض ، الزلازل في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية ، ص ٥٥ ، ط ١ ، ١٩٩٦ م ، عين للدراسات .

(4) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ١ ص ٢٥٨ .

(5) ابن كثير ، المصدر السابق ، ج ٣ ص ٢١٣ .

(6) ابن كثير ، المصدر السابق ، ج ٣ ص ٤٨١ .

(7) ابن كثير ، المصدر السابق ، ج ٤ ص ٥٧٦ .

ويشير القرآن الكريم إلى زلزال الآخرة في عدد من الإشارات الضمنية من مثل قوله تعالى: ﴿ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ ﴾ سورة الواقعة ، وقوله تعالى ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ ﴾ سورة المزمل وغيرها من الآيات [١].

أما زلازل الدنيا فجاءت الإشارة إليها في القرآن الكريم بلفظ الخسف أو إتيان البنيان من القواعد، وفي وصف ذلك يقول تعالى في سورة النحل : ﴿ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ سورة النحل [٢].

" والخسف في اللغة الغور والتغييب في الأرض أو تغييب الأرض بهم ، والقواعد هي الدعائم ، والعمد هي الأساس وهذا ما يحدث أثناء الزلازل" [٣].

وفي الأحاديث الشريفة أيضاً ذكرت في مواضع متعددة وبصور مختلفة ووصل عددها حوالي ثلاث عشرة مرة [٤]. ومن هذه الأحاديث ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال في وصفه لعلامات الساعة " لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم ، وتكثر الزلازل ، ويتقارب الزمان ، وتظهر الفتن ، ويكثر الهرج وهو القتل " [٥] .

وتعتبر الزلازل من أخطر الكوارث الطبيعية على البشرية وذلك بسبب ما تحدثه من خسائر في الأرواح والممتلكات ومما يزيد خطورتها عنصر المفاجأة والمباغتة عند وقوعها [٦] .

---

(1) زغلول راغب محمد النجار ، الزلازل في القرآن الكريم ، ص ٤، ط ٢ ، ٢٠٠٧ م ، شركة نهضة مصر ، القاهرة .

(2) زغلول النجار ، المصدر السابق ، ص ٥ .

(3) ابن منظور ، ج ٥ ص ٦٦ . وكذلك زغلول النجار ، المصدر السابق ، ص ٥ .

(4) ونسنك ومنسنج ، المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ، ج ٢ مادة زَلْزَلَ ، ص ٣٤١ – ٣٤٢ ، رتبه ونظمه لفيف من المستشرقين ، ط . ، مطبعة بريل في مدينة ليدن سنة ١٩٤٣ م . ومحمد مؤنس ،الزلازل في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية ، ص ٥٥ . وانظر، هدى محمد حسين الويسي ، الهزات الأرضية في بلاد الشام في القرنين (٦ – ٧ هـ) ، ص ٥٢، ط ١ ، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م ، دار العالم العربي .

(5) البخاري ، صحيح البخاري ، ج ١ ص ٢٦٥ ورقم الحديث ١٠٣٦ .

(6) هدى الويسي ، المصدر السابق ، ص ٥٥ .

الحرائق : حريق : الحرقُ بالتحريك : النـارُ يقـال في حـرقِ الله ، والحـرق أيـضاً احـتراق الثوب، وتحرق الـشيء بالنـار واحـترق والاسـم الحرقـة والحريـق[1]. وقـد تكـون طبيعيـة كالحرائق نتيجة الصواعق ، وقد تكون بفعل فاعل وعندها تكون كوارث بشرية .

الرياح [2] **والأعاصير** : ريح : نسيم الهواء ، والريح واحدة الرياح والأرياح وقد تجمع على أرواح لأن أصلها الواو وإنما جاءت بالياء لانكسار ما قبلها [3].

ويذكر القرطبي في تفسير قولهتَعَالَىٰ: ﴿ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَـٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ سورة البقرة . قول العلماء في الريح فيقول : " الريح تحرك الهواء، وقد يشتد ويضعف، فإذا بدت حركة الهواء من تجاه القبلة ذاهبة إلى سمت القبلة قيل لتلك الريح : الصبا، وإذا بدت حركة الهواء من وراء القبلة وكانت ذاهبة إلى تجاه القبلة قيل لتلك الريح:الدبور، وإذا بدت حركة الهواء عن يمين القبلة ذاهبة إلى يسارها قيل لها : ريح الجنوب، وإذا بدت حركة الهواء عن يسار القبلة ذاهبة إلى يمينها قيل لها : ريح الشمال، ولكل واحدة من هذه الرياح طبع، فتكون منفعتها بحسب طبعها، فالصبا حارة يابسة، والدبور باردة رطبة، والجنوب حارة رطبة، والشمال باردة يابسة،

---

(1) انظر، الفراهيدي ، العين ، ص ١٣٤ ، وانظر : الجوهري ، معجم الصحاح ، ص ٢٢٥ .

(2) الريـاح مـن أعظـم آيـات الـرب الدالـة علـى عظمتـه وربوبيتـه وقدرتـه ، ففـي الريـاح مـن العبـر، هبوبهـا وسكونـها، ولينـها، وشدتـها، واختلاف طبائعـها، وصفاتـها، ومهابهـا، وتصريفها، وتنـوع منافعهـا، وشدة الحاجة إليها، فللمطر خمسة رياح : ريح ينشر سحابه، وريح يؤلف بينه، وريح تلقحه، وريح تسوقه، حيث يريد الله وريح تذرو أمامه وتفرقه ، وللنبات ريح، وللسفن ريح، وللرحمة ريح، وللعذاب ريح، إلى غير ذلك من أنواع الرياح، وذلك يقضي بوجود خالق مصرف لها، مدبر لها، يصرفها كيف شاء، ويجعلها رخاء تارة، وعاصفة تارة ، ورحمة تارة، وعذابا تارة ، فتارة يحيي بها الزرع والثمار، وتارة يغطيها بها، وتارة ينجي بها السفن، وتارة يهلكها بها، وتارة ترطب الأبدان، وتارة تذيبها ، وتارة عقيماً، وتارة لاقحة، وتارة جنوباً، وتارة دبوراً، وتارة صبا، وتارة شمالاً، وتارة حارة، وتارة باردة، وهي مع غاية قوتها ألطف شيء، وأقبل المخلوقات لكل كيفية، سريعة التأثر والتأثير، لطيفة المسارق بين السماء والأرض، تحمل الأصوات إلى الأذان، والرائحة إلى الأنف، والسحاب إلى الأرض الجرز . انظر، ابن قيم الجوزية ، التبيان في أقسام القرآن ، ص ٣٥٢ – ٣٥٤ . وكذلك سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، ج ١ ص ١٤١ – ١٤٢ .

(3) الجوهري ، المصدر السابق ، ٤٣٥ . وابن منظور ، لسان العرب ، ج ٦ ص ٢٥٣ .

واختلاف طباعها كاختلاف طبائع فصول السنة، وذلك أن الله تعالى وضع للزمان أربعة فصول مرجعها إلى تغيير أحوال الهواء [1].

قال عبدالله بن عمرو : الرياح ثمان : أربع منها عذاب ، وأربع منها رحمة،فأما العذاب منها : القاصف قال تعالى : ﴿ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ ﴾ سورة الإسراء، والعاصف قال تعالى ﴿ فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ ﴾ سورة المرسلات ، والعقيم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ ﴾، والصرصر ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ ﴿١٦﴾ ﴾ سورة فصلت ، قال مشؤومات .

وأما رياح الرحمة : فالناشرات قال تعالى ﴿ وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ ﴾ سورة المرسلات ، والمبشرات قال تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ ﴿٤٦﴾ ﴾ سورة الروم،والمرسلات قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴿١﴾ ﴾ سورة المرسلات ، والذاريات قال تعالى: ﴿ وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ ﴾ سورة الذاريات [2] .

السيول والفيضانات :- سيل : السيلُ واحد السيول، وسال الماء وغيره سيلاً وسيلاناً ، ومسيل الماء موضع سيله ، والجمع مسايل[3]. وتحدث السيول بعد هطول الأمطار الغزيرة ، وتتكون بعد سقوط الأمطار فوق الجبال فتندفع بكثافة نحو المنحدرات [4].

والفيضانات : فيض ، فاض الخير أي شاع ، وهو حديث مستفيض أي منتشر بين الناس ، ويقال استفاض الوادي شجراً أي اتسع وكثر شجره ، وفاض الماء يفيض فيضاً أي كثر حتى سال على ضفة الوادي . وأرض ذات فيوض إذا كانت فيها مياه تفيض[5]. ويعتبر مصدر

---

(1) الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان ،ج ١ ص ٤٧٣ – ٤٧٤ ، تحقيق عبدالحميد هنداوي ، ط ١ ، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م ، المكتبة العصرية ، بيروت – لبنان . أيضاً انظر : القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٢ ص ١٨٤ .

(2) ابن أبي الدنيا ، كتاب المطر والرعد والبرق والريح ، ص ١٠٨ ،ط ١ ، ١٤٢٧ – ٢٠٠٦ م ، المكتبة العصرية ، بيروت – لبنان .

(3) الجوهري ، معجم الصحاح ، ص ٥٢٨ .

(4) مجلة القافلة،عدد ٨ ج ٤٥، ص ٦ ، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م، تصدر عن العلاقات العامة في شركة أرامكو .

(5) الجوهري ، معجم الصحاح ، ص ٨٣٠ .

الفيضان ارتفاع منسوب المياه في النهر أو على الساحل أو زيادة كمية الأمطار الساقطة على الأرض[1].

الغرق : غرق في الماء غرقاً فهو غَرِقٌ وغارق أيضاً ومنه قول أبي النجم :

فأصبحوا في الماء والخنادق *** من بين مقتول وطافٍ غارق

وأغرقه غيره وغرقه والتغريق القتل قال الأعشى : ألا ليت قيساً غرقته القوابل .

وذلك أن القابلة [2] كانت تغرق المولود في ماء السلى عام القحط ذكراً أو أنثى حتى يموت [3].

---

(1) مجلة القافلة،عدد ٨ ج ٤٥، ص ٧، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م، تصدر عن العلاقات العامة في شركة أرامكو .

(2) القابلة : المرأة التي تتلقى الولد عند الولادة ، الجوهري ، معجم الصحاح ، ص ٨٣٥ . وهذه من المعالجات السلبية في مواجهة الكوارث كالقحط .

(3) الجوهري ، المصدر السابق ، ص ٧٧٢ .

ثانياً - الأوبئة

وبأ : الوبأ : يمد ويقصر : وهو مرض عام وجمع المقصور أوباءُ ، وجمع الممدود أوبئة ، وقد وبئت الأرض توبأ وبأ فهي موبوءة إذا كثر مرضها [1].

والوباء مهموز : الطاعون ، وهو أيضاً كل مرض عام تقول : أصاب أهل الكورة العام وباء شديد [2] ، " ويرى البعض أن الوباء مرض يصيب مجموعة من الناس في جهة من الأرض دون سائر الجهات، ويكون مخالفاً للمعتاد من أمراض في الكثرة وغيرها، ويكون مرضهم نوعاً واحداً، بخلاف سائر الأوقات، فإن أمراضهم فيها مختلفة " [3] .

وتذكر خولة المقبل تعريفاً آخر للوباء فتقول :" هو انتشار مرض بصورة مفاجئة وخطيرة، على نطاق واسع ، بين عدد كبير من سكان منطقة إقليم أو دولة ما " [4] .

وتعرفه منظمة الصحة العالمية بأنه " تفشي المرض بأسلوب غير متوقع ويستدعي الاستنفار" [5] .

والفرق بين الوبأ والطاعون أن الطاعون أخص من الوباء؛ فإن المرض العام قد يكون بطاعون وقد لا يكون ، فكل طاعون وبأ وليس كل وبأ طاعون، وقد ثبت أن المدينة لا يدخلها الطاعون وقد دخلها الوباء ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنه قدمنا المدينة وهي وبيئة... إلخ الحديث [6].

ويشير ابن القيم إلى أن المرض نوعان : مرض القلوب ، ومرض الأبدان ، وطب مرض الأبدان أيضاً نوعان: نوع قد فطر الله عليه الحيوان ناطقة وبهيمه، فهذا لا يحتاج فيه إلى

---

(1) الجوهري ، معجم الصحاح ، ص ١١٢٠ . وابن منظور ، لسان العرب، ج ١٥ ص ١٤١ .

(2) الفراهيدي ، العين ، ص ٨٨٧ . الأزهري ، تهذيب اللغة ، ص ٦٠٦ ، ط.، ١٩٦٧ م ، دار الكاتب العربي .

(3) النووي ، صحيح مسلم بشرح النووي ،ج ١٣ ص ٢١٥، أشرف على مراجعته ، حسن عباس قطب ، ط ١ ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م ، دار عالم الكتب ، الرياض .

(4) العمل الدعوي عند حلول الكوارث ، ص ١٠٦ .

(5) خولة المقبل ، العمل الدعوي عند حلول الكوارث ، ص ١٠٧ .

(6) السيوطي ، رسالة في الطاعون ، مخطوط بجامعة أم القرى تحت رقم ٤٦٨٥ . والحديث عند مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١٣٧٦ ج ٢ ص ١٠٠٣ . ابن حجر العسقلاني ، بذل الماعون في فضل الطاعون ، ص ٩٧، ط ١ ، ١٤١١ هـ ، الرياض ، دار العاصمة .

معالجة طبيب ، كطب الجوع ، والعطش، والبرد ، والتعب بأضدادها وما يزيلها . والثاني: ما يحتاج إلى فكر وتأمل ، كدفع الأمراض المتشابهة الحادثة في المزاج [1] .

ويعتبر الطاعون والجدري والجذام والحمى أخطر الأوبئة والأمراض في العصور الإسلامية الأولى ، وقد ذكرت بعض المصادر التاريخية الأولى مرض الطاعون بشيءٍ من التفصيل خاصةً عند الحديث عن طاعون عمواس، لكنها عمدت إلى الاختصار عند حديثها عن الطواعين والأمراض الأخرى ، عدا بعض الإشارات العابرة .

الطاعون : -

" الطاعون داء معروف والجمع الطواعين ، وطُعِنَ الرجل والبعير ، فهو مطعون وطَعِين : أصابه الطاعون ، وفي الحديث : نزلت على أبي هاشم بن عُتبة وهو طَعين . وفي الحديث فناء امتي بالطّعن والطاعون ، الطعن : القتل بالرماح ، والطاعون : المرض العام والوباء، الذي يفسد له الهواء، فتفسد به الأمزجة والأبدان ، أراد ان فناء الأمة بالفتن التي تسفك فيها الدماء وبالوباء " [2].

" والطاعون : وزنه فاعول من الطعن ، عدلوا بـه عن أصله ووضعوه دالاً على الموت العام كالوباء، ويقال : طعن فهو مطعون وطعين : إذا أصابه الطاعون وكذا إذا أصابه الطعن بالرمح " [3] .

وهو أول هذه الأوبئة وأخطرها [4]، وأكثرها انتشاراً في القرون الثلاثة الأول ، بل حتى قبل هذه القرون وبعدها، كان الهاجس الكبير للعالم كله .

---

(1) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ج ٣ ص ٧١٢، حقق نصوصة شعيب الأرنوط وعبدالقادر الأرنوط، ط ٤ ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م ، مؤسسة الرسالة .

(2) ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٩ ص ١٢٢ .

(3) ابن حجر العسقلاني ، بذل الماعون في فضل الطاعون ، ص ٩٥ .

(4) والتحقيق أن بين الوباء والطاعون عموماً وخصوصا ، فكل طاعون وباء ، وليس كل وباء طاعوناً ، وكذلك الأمراض العامة أعم من الطاعون ، فإنه واحد منها . ابن قيم الجوزية ، الطب النبوي ،ص ٢٧، تحقيق محمد تامر ، ط ٢ ، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م ، مكتبة نزار مصطفى الباز ، مكة المكرمة . ويرى أيضاً يوسف بن تغري بردي صاحب النجوم الزاهرة في ملك مصر والقاهرة ، أن الطاعون غير الوباء وذلك أن الوباء هو الذي تتنوع فيه الأمراض، والطاعون هو الطعن الذي ذكر في الحديث . ج ٢ ص ٩ .

وسمي بالموت الأسود في أوروبا في القرون الوسطى لكثرة ما خلفه من عدد الموتى والمصابين به في تلك الفترة [1].

وانتشر في بلاد الشام بشكل لافت خاصةً في عهد الدولة الأموية ، حتى إن الخليفة العباسي أبا جعفر المنصور افتخر بانحساره في عهد دولته فيذكر ابن عساكر أن الأصمعي حدثه : " أن أبا جعفر المنصور لقي أعرابياً بالشام [2] فقال : أحمد الله يا أعرابي الذي رفع عنكم الطاعون بولايتنا أهل البيت قال : إن الله لم يجمع علينا حشفاً وسوء كيل ، ولايتكم والطاعون "[3] .

ولقد وصف رسول الله ﷺ ، الطاعون وصفاً دقيقاً رغم أنه لم يره وهذه من دلائل نبوته؛ فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : " ستهاجرون إلى الشام فيفتح لكم ويكون فيكم داء كالدَمَل أو كالوخزة يأخذ بمراق الرجل فيشهد أو فيستشهد الله به أنفسكم ويزكي بها أعمالكم "[4].

والطاعون من حيث اللغة : نوع من الوباء ، وعند أهل الطب :" ورم ردىء قتال يخرج معه تلهب شديد مؤلم جداً ، ويصير ما حوله في الأكثر أسود أو أخضر أو أكمد ، ويؤول أمره إلى التقرح سريعاً ، وفي الأكثر يحدث في ثلاثة مواضع : في الإبط ، وخلف الأذن، والأرنبه ، وفي اللحوم الرخوة " [5] .

---

(1) ج . م . والاس هادريل ، أوربا في صدر العصور الوسطى ، ص ٨٨ ، تعريب وتعليق حياة ناصر الحجي ، ط ١ ، ١٩٧٩ م ، الكويت . وانظر : يوسف غوانمه ، الطاعون والجفاف وأثرهما على البيئة في جنوب بلاد الشام (الأردن وفلسطين) في العصر المملوكي ، ص ٧٤، مجلة دراسات تاريخية ، لجنة كتابة تاريخ العرب بجامعة دمشق ، العددان الثالث عشر والرابع عشر ، محرم ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م . واحمد عادل كمال ، الطريق إلى دمشق ص ٥٣٣ .

(2) اسم الأعرابي أبو بكر بن عياش . الثعالبي ، ثمار القلوب ص ٦٣ . وقيل جعونة بن الحارث ، بدران ، تهذيب تاريخ دمشق الكبير ، ج ٣ ص ٣٩٥ . (ترجمة جعونة بن الحارث) .

(3) تاريخ مدينة دمشق ، ج ٣٢ ص ٣١٩ . والثعالبي ، ثمار القلوب ، ص ٦٣ . وكذلك السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ٢١١، ط . ، شركة دار الأرقم بن الأرقم ، بيروت – لبنان .

(4) البيهقي ، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، ج ٦ ص ٣٣٦، تحقيق سيد إبراهيم ، ط . ، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م ، دار الحديث ، القاهرة – مصر . الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج ٣ ص ٢٧٧، تحقيق خيري سعيد ، ط . ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة – مصر .

(5) ابن قيم الجوزية ، الطب النبوي ، ص ٢٦ . وللاستزادة أيضاً انظر: ابن حجر العسقلاني ، بذل الماعون في فضل الطاعون ، ص ٩٥ – ١٠٠ .

" **وقد ذكر ابن حجر أربعة أنواع للطاعون** : -

" الأول : ما يخرج في البدن من الورم خصوصاً في المغابن ، وأنه قد يقع في اليد والإصبع وجميع الأعضاء ، لكنه نادر بالنسبة إلى ما يقع في المغابن .

الثاني : يقع في أي عضو كان من البدن أيضاً مثل القرحة والبثرة لكن الاختصاص له بالمغابن دون غيرها .

الثالث : ما يطفيء الروح كالذبحة ، وليست الذبحة نفسها طاعوناً ، وإنما في أنواع الطاعون ما يضاهيها .

الرابع : ما يقع في عضو ما فيتآكل منه كالجذام "(1) .

ويعرف في العصر الحديث بأنه : " مرض وبائي معدٍ يتسبب عن عدوى بميكروب خاص" اليرسينيا الطاعونية "(2)،وعادة يصيب الحيوانات القارضة كالجرذان وينتقل للإنسان بواسطة البراغيث المتطفلة عليها، ويأتي على ثلاثة صور أولها : تورم والتهاب في الغدة الدرقية الطاعون الدبلي،الثاني التسممي ويكون من تسرب الميكروبات إلى الدم ، والثالث الرئوي وفيه تصاب الرئتين ويعتبر هذا أخطر الأنواع وأكثرها انتقالا بالعدوى وذلك عن طريق الرذاذ عند الكحة "(3) .

الجدري : -

الجدري بضم الجيم وفتح الدال وبفتحهما لغتان : قروح في البدن تنقط على الجلد ممتلئة ماءً، وتقيحاً ، وأرض مجدرة : ذات جدري، وفي الحديث : الكمأة جدري الأرض،

---

(1) ابن حجر العسقلاني ، بذل الماعون في فضل الطاعون ، ص ٩٩ – ١٠٠ .

(2) اكتشفت سنة ١٨٩٤ م على يد العالم يرسن في هونغ كونغ . انظر : عبدالرزاق الكيلاني ، الحقائق الطبية في الإسلام ، ص ١٣٢، ط ١ ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م ، دار القلم ، دمشق .

(3) فادي الياس ، المناخ والأسعار والأمراض في بلاد الشام في عهد المماليك ، ص ٣٧٥ و ٣٧٦ . وانظر : مجلة الحرس الوطني ، العدد ١٤٨ ، جمادى الآخرة ١٤١٥ هـ .

شبهها بالجدري وهو الحب الذي يظهر في جسد الصبي لظهورها من بطن الأرض ، كما يظهر الجدري من باطن الجلد [1] .

وهو : مرض فيروسي معد ، يتميز بخاصيتين رئيسيتين :

الأولى : أعراض عامة شديدة مثل الارتفاع في درجة الحرارة وصداع وألام في الظهر وما شابه ذلك .

الثانية : طفح جلدي عام يتميز بوجود حويصلات مصلية وصديدية ينتشر في جسم الإنسان [2].

الجذام : -

في اللغة : " الجذم : القطع . جذمه ويجذمه جذماً : قطعه ، فهو جذيم ، والجُذام من الداء: معروف لتجذم الأصابع وتقطعها . ورجل أجذم وجذوم : نزل به الجذام " [3] .

وفي الحديث أنه قال ﷺ لمجذوم في وفد ثقيف : (ارجع فقد بايعناك) [4] .

والمجذوم : " هو الذي أصابه الجذام وإنما رده النبي ﷺ لئلا ينظر إليه أصحابه فيزدروه وقيل : لأن الجذام من الأمراض المعدية "[5] ، ويذكر الفيروزابادي أن الجذام : " علة تحدث من انتشار السوداء في البدن كله ، فيفسد مزاج الأعضاء هيئتها وربما انتهى إلى تآكل الأعضاء وسقوطها عن تقرح" [6] .

" وهو مرض بكتيري يتميز بحدوث أورام وعقد في الوجه خاصةً ، وتؤدي إلى سقوط شعر الأهداب والحاجبين وتآكل الأغشية المخاطية في العينين والفم والأنف وسقوط الأصابع

---

(1) ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٣ ص ٩٤ . والفيروزابادي ، القاموس المحيط ، ص ٣٦٢ .

(2) الملك المظفر الرسولي ، المعتمد في الأدوية ، ص ٥١٠ .

(3) ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٣ ص ١٠٥ – ١٠٦ .

(4) مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، ج٤ ص١٧٥٢، ط ١ ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م ، دار عالم الكتب، ورقم الحديث ٢٢٣١ .

(5) ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٣ ص ١٠٦ .

(6) القاموس المحيط ، ص ١٠٨٦ .

وحدوث تشوهات في الأطراف " [١] ، " ويسمى بداء الأسد لأنه يحول وجه المريض بما يجعله يشبه الأسد ، وهو من الأمراض المعدية التي تجيء عدواها من التنفس مع المخالطة الطويلة ، وله أنواع مثل النوع الدرني، والنوع العقدي" [٢] .

الحُمَّى : -

الحمّى والحُمّة : " علة يستحر بها الجسم ، من الحميم ، وحُمّ الرجل أصابه ذلك ، والمحمَةُ: أرض ذات حُمَى ، وأرض محمة : كثيرة الحمى " [٣] .

" والحُمَّى حرارة غريبة تشتعل في القلب ، وتنبث منه بتوسط الروح والدم في الشرايين والعروق إلى جميع البدن فتشتعل فيه اشتعالاً يضر بالأفعال الطبيعية ، وتنقسم الحميات إلى حادة ومزمنة أو تقسم تبعاً لأعضاء الجسم ، وتسمى جميعاً بالحميات" [4].

وقد ورد ذكرها وعلاجها في الحديث الذي رواه ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: " الحمى من فيح جهنم ، فأبردوها بالماء " [٥].

ثالثاً : المجاعات :-

الجوع : اسم للمخمصة، نقيض الشبع وقد جاع يجوع جوعاً ومجاعة ، والجوعة : هي المرة الواحدة وقوم جياع وجوَع، وعام مجاعة عام فيه جوع ومجوعة بتسكين الجيم عام الجوع [٦].

---

(1) الملك المظفر ، المعتمد في الأدوية ، ص ٥١٠ .

(2) ابن عبدالبر ،الاستذكار ، حاشية ج ١٣ ص ٣٥٧، تحقيق عبدالمعطي قلعجي ، ط١ ،١٤١٤ هـ ١٩٩٣ م ، دار قتيبة ، دمشق – بيروت .

(3) ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٤ ص ٢٣٤ .

(4) ابن سينا ، خلاصة تذكرة القانون في الطب ، ص ١٨٩، ط. ، المركز العربي للنشر ، الاسكندرية . وانظر : ابن قيم الجوزية ، الطب النبوي ، ص ١٩. ويقال إن النيران ثلاث : نار تأكل وتشرب وهي نار الحُمَى ، تاكل اللحم وتشرب الدم ، ونار تأكل ولا تشرب ، وهي نار الدنيا ، ونار لا تأكل ولا تشرب وهي نار جهنم . الثعالبي ، ثمار القلوب ، ص ٤٦٧ .

(5) البخاري ، صحيح البخاري ، ج ٢ ص ٤١١ ورقم الحديث ٣٢٦٤ .

(6) الجوهري ، معجم الصحاح ، ص ١٩٩ . وانظر : ابن منظور ، المصدر السابق ، ج ٣ ص ٢٤١ .

رابعاً - الآفات الزراعية :-

الآفة :– " عرضٌ مفسد لما أصاب من شيءٍ ، والجميع : الآفات ، إذا دخلت الآفة على قومٍ قيل: قد إفوا ، ويقال في لغة : قد إيفوا "[1].

والآفات: " هي الكائنات الحية التي تصيب المزروعات، وتسبب لها خسائر بصورة مباشرة أو غير مباشرة في جميع مراحل نموها حتى بعد تخزين منتجاتها، مما يؤثر في الإنتاج الزراعي كمّاً ونوعاً ، وقد تكون حشرات أو طفيليات أو مسببات مرضية مثل الفطريات والبكتيريا والفيروسات أو الحشائش غير المرغوب فيها "[2].

---

(1) الخليل بن أحمد ، العين ، ص ١٦، ط ١ ، ٢٠٠٤ م ، مكتبة لبنان . وانظر : الأزهري ، تهذيب اللغة، ج١٥ ص ٥٨٧ .

(2) د .عبد العزيز المنشاوي وزميله د. عصمت حجازي ، الآفات الحشرية والحيوانية وطرق مكافحتها ، ص٩، ط ١ ، ٢٠٠١ م ، مكتبة المعارف الحديثة ، الإسكندرية .

أسباب الكوارث :

" انقسمت بعض المصادر التاريخية في تحليلها لأسباب حدوث بعض الكوارث الطبيعية إلى قسمين : فالأول يرى أن أسباب ذلك ترتبط بالمشيئة الإلهية وهو إنذار من الله سبحانه وتعالى للناس بضرورة محاسبة أنفسهم ،قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٠﴾ ﴾ سورة الشورى . وقال تعالى ﴿ ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ سورة الروم ، والقسم الآخر من المصادر التاريخية ، تذكر أن أسباب حدوث هذه الكوارث يرتبط بالناحية العلمية مثل : الطواعين ، والزلازل ، والجراد .

فالطاعون مثلاً هو مرض خطير يصيب الإنسان عن طريق الحيوانات القارضة كالجرذان ، والزلازل ناتجة عن الرياح والأبخرة المحتقنة داخل الأرض وهكذا ... إلخ . ومهما يكن من أمر فما تم تحليله علمياً عن أسباب حدوث بعض الكوارث لا يتعارض مع المشيئة والحكمة الإلهيتين ، فالله سبحانه وتعالى جعل لكل حدث سبباً في حدوثه ، والتفسير العلمي لا يختلف مع القول : إن كل ما حدث من كوارث كان بعلم الخالق عز وجل وبتدبيره " [1] وهو عز وجل الذي أوجد لهذه الكارثة أسباباً ، وتلك جعلها بدون أسباب البتة وكل ذلك بقدرته سبحانه وتعالى .

" وأهل الكتاب يرجعون أسباب الكوارث التي تصيبهم إلى خطاياهم وذنوبهم وأخطاء وذنوب آبائهم وأجدادهم فهم يصيّرون تلك الكوارث إلى أنها عقوبات ملازمة لهم إما أن تكون من موروثات الآباء والأجداد ويظل العقاب ملازماً للأبناء والأحفاد، وإما خطايا نابعة من ذواتهم ، وقد وردت آيات تبين عقيدتهم في هذا الشأن منها قوله تعالى : ﴿ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ ﴿١٣١﴾ ﴾ سورة الأعراف " [2] ، ولكن الملاحظ الآن أن عقائدهم اختلفت وتمسكهم بكتبهم يكاد ينعدم ، لذا نجدهم يفسرون أسباب الكوارث إلى عوامل الطبيعة [3] .

---

(1) فيصل عبد الله بني حمد ، أثر الكوارث الطبيعية على الحياة الاقتصادية في بلاد الشام في العصر المملوكي ، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ، الحولية ٢٨ ، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م .

(2) خولة المقبل ، العمل الدعوي عند حلول الكوارث ، ص ٦٢ .

(3) خولة المقبل ، المصدر السابق ، ص ٦٢ .

الخصائص المشتركة للكوارث :

ذكر بعض المختصين في دراسة الكوارث والأزمات وكيفية إدارتها ومواجتها ، خصائص للكوارث عادة تشترك فيها ومنها على سبيل المثال لا الحصر :

- عدم معرفة وقت حدوثها أو التنبؤ بوقوعها بدقة [1].
- " التعقيد والتشابك .
- زيادة حالة الخوف .
- ضغط الوقت .
- العمل في ظروف عدم التأكد .
- الخدمة تحت التهديد .
- انهيار الكيان الإداري – أحياناً – .
- الدخول في دائرة من المجاهيل .
- انهيار سمعة متخذ القرار الذي سبب الأزمة . " [2]

---

(1) الأحيدب ، الكوارث الطبيعية وكيفية مواجهتها (دراسة جغرافية) ، ص ١٣ .

(2) سوسن الشيخ ، إدارة ومعالجة الأزمات في الإسلام ، ص ١٥ .

المبحث الثاني : نظرة الإسلام للكوارث

أخبر الله في كتابه الكريم أن هذه الدنيا دار بلاء واختبار قال الله عز وجل ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ سورة البقرة ، وهذا الابتلاء من الله للمؤمنين، بالخوف من العدو تارة وبالسنين تارة، وبالحروب تارة، وبالجدوب تارة أخرى ، كل هذا للتمحيص والاختبار وتحقيق سنن الله الكونية قال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾سورة البقرة، وقال تعالى: ﴿ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾ سورة آل عمران .

إذن، فالمؤمنون مُعرّضون للتمحيص والابتلاء في أنفسهم وأموالهم وأولادهم، لكنهم موعودون إن صبروا بمغفرة من الله ورحمة، وأنهم هم المهتدون المصيبون طريق الحق، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ سورة البقرة [1].

ونبينا محمد ﷺ أوضح لنا أن هذه الحياة للمؤمن دار ابتلاء واختبار، منذ يُخلق الإنسان إلى أن يلقى ربه وقد محيت جميع ذنوبه ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: " لا يزال البلاءُ بالمؤمن في نفسه وماله وولده حتى يلقى الله وما عليه من خطيئة "[2]. ولو أن الدنيا دار خلود وبقاء وتنعم لكان الأنبياء أحق الناس بالتنعم فيها؛ لكنها دار فناء قال تعالى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ سورة الرحمن .

---

(1) الطبري ، تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) ، ج ٢ ص ٧٠٣-٧٠٥، تحقيق ، عبدالله بن عبدالمحسن التركي ، ط ١ ، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م ، دار هجر ، القاهرة،(بتصرف) .

(2) الحاكم النيسابوري ، المستدرك على الصحيحين ، ج ١ ، ص ٦٦٧ .

وابن قيم يوضح أن هذه الابتلاءات من الله يقابلها أيضاً عطاءات فيقول : " وهذا من تمام حكمة الرب عز وجل ، وتمام ربوبيته ، فإنه كما ابتلى عباده بالأدواء ، أعانهم عليها بما يَسَّرهُ لهم من الأدوية ، وكما ابتلاهم بالذنوب أعانهم عليها بالتوبة ، والحسنات الماحية والمصائب المكفرة ، وكما ابتلاهم بالأرواح الخبيثة من الشياطين ، أعانهم عليها بجند من الأرواح الطيبة ، وهم الملائكة ، وكما ابتلاهم بالشهوات أعانهم على قضائها بما يسره لهم شرعاً وقدراً من المشتهيات اللذيذة النافعة ، فما ابتلاهم سبحانه بشيء إلا أعطاهم ما يستعينون به على ذلك البلاء ، ويدفعونه به ، ويبقى التفاوت بينهم في العلم بذلك ، والعلم بطريق حصوله والتوصل إليه " [1] .

" وهذا معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه أطلع في بئر بالأبواء [2] فأصابته لقوة [3] فاعتم بعمامةٍ سوداء وسدلها على الشق الذي أصيب فيه ، ثم أذِن للناس فقال : أيها الناس ، إن ابن آدم بعرض بلاء : إما مُعاتب ليُعتب ، وإما مُعاقب بذنب ، أو مبتلى ليؤجر ، فإن عوتبت فقد عوتب الصالحون قبلي ، وإني لأرجو أن أكون منهم ، وإن عوقبت فقد عوقب الخطاءُون قبلي ، وما آمن أن أكون منهم ، وإن مرِض عضو مني فما أُحصي صحيحي ولَمَا عُوفيت أكثر ، ولو أن أمري إلى ما كان لي على ربي أكثر مما أعطاني . وإني وإن كنت عاتباً على خاص منكم فإني حدب [4] على جماعتكم ، أحب صلاحكم . وقد أُصبت بما ترون فرحم الله آمرءاً دعا لي بعافية ، فرفعوا أصواتهم بالبكاء والدعاء " [5] .

---

(1) زاد المعاد ، ج ٤ ص ١٢٣ – ١٢٤ .

(2) الأبواء ، قرية من أعمال الفرع من المدينة المنورة بينها وبين الجحفة مما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً .ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ١ ص ٧٣ .

(3) اللقوة : داء يصيب الوجه يعوج منه الشدق إلى أحد جانبي العنق .

(4) الحدب : الشفوق والعطوف .

(5) ابن قتيبة ، عيون الأخبار ، ج ٣ ص ٥٤ ، ط. ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان .

الأمم السابقة (الذنوب والعقوبات) :

المتتبع لأخبار الأمم السابقة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم يجد أن الله أهلك كل أمة بحسب ذنبها وجرمها [1]، بعد أن أقام عليهم الحجة ، وأرسل إليهم الأنبياء يدعونهم إلى عبادته وَتْركِ ما هم عليه من الشرك ، وقد قام أنبياؤهم بواجب الدعوة إلى الله وبذلوا كل الوسائل لهدايتهم إلا أنهم رفضوا دعوة الحق والتوحيد، وأصروا على عبادتهم وكفرهم، وعند ذلك استحقوا العذاب والتدمير فسلط الله عليهم رؤساءهم وكبراءهم فأظهروا الفساد وعصوا الله فجاءتهم العقوبة من الله قال تعالى : ﴿ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ﴿١٦﴾ ﴾ سورة الإسراء [2] .

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى قصة قوم نوح عليه السلام وما كان من قومه ، وما أنزل الله بهم من العذاب وكيف أنجاه ومن معه في السفينة، في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ ﴾ سورة نوح، لكنهم أبوا واستكبروا قَالَ تعالى على لسان نوح عليه السلام﴿ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ﴿٧﴾ ﴾ سورة نوح، وبعد أن وصل الأمر بنوح عليه السلام أن يئس من إيمانهم كل اليأس في رحلة الدعوة التي استمرت ٩٥٠ سنة، قال تعالى: ﴿ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ سورةالعنكبوت . جاء أمر الله ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴿٤٠﴾ ﴾ سوره هود [3] . هذا المشهد العظيم والذي يدل على عظمة الخالق سبحانه وتعالى كان نهاية حتمية لقوم نوح الكافرين

---

(1) ابن قيم الجوزية ، التبيان في أقسام القرآن ، ص ٤٨ .

(2) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٣ ص ٣٦ .

(3) للاستزادة انظر: القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ١١ ص ١٠٧ – ١٣٣ .

المكذبين ، كما كان دليلاً قاطعاً أن العاقبة للمتقين حتى وإن طال بهم الزمان ، وأن أهل الكفر والفساد والذنوب والمعاصي مآلهم إلى خسران، وأن عاقبة أمرهم حسرة وندامة ولو بعد حين .

ويذكر القرآن الكريم قصة قوم آخرين ، هم قوم عاد ونبيهم هود عليه السلام ، سكنوا الأحقاف باليمن وبلغوا في زمانهم أقصى قوة ومنعة ، إلا أنهم عتوا عن أمر ربهم واختاروا الوثنية على التوحيد وكذبوا الرسل وعبدوا الأصنام ، فانظر إلى عاقبة أمرهم قال تعالى : ﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ ﴾سورة الذاريات ، هكذا كانت نهاية قوم عاد بالريح العقيم المفسدة التي لا تنتج ، بل وتجعل الأشياء كالرميم ، أي الشيء الهالك البالي [1] .

أما ثمود قوم صالح عليه السلام فقد سكنوا الحِجْر بين الحجاز وتبوك ، وكانوا يعبدون الأصنام من دون الله ، فأرسل الله لهم صالحاً عليه السلام دعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، فآمنت طائفة وكفر الباقون ، قال تعالى : ﴿ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ سورةالأعراف . لكنهم استمروا في طغيانهم حتى بعد أن أرسل الله لهم الحجج الدامغة والتي تناسبهم وحسب ما طلبوه من نبيهم، فأخرج الله لهم ناقة عظيمة عشراء من صخرة صماء واشترط عليم شروطاً ، قال تعالى ﴿ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ سورة القمر ، إلا أنهم عتوا عن أمر ربهم، فعقروا الناقة قال تعالى : ﴿ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ سورة الأعراف ، فأرسل الله عليهم الصاعقة قال الله تعالى : ﴿ فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ سورة الذاريات [2] .

---

(1) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٤ ص ٢٥٣ .
(2) ابن كثير ، المصدر السابق، ج ٢ ص ٢٣٧، وج٤ ص ٢٥٣ . وج ٤ ص ٥٥٢ .

وقوم لوط عليه السلام كانوا قوماً فاسقين مترفين يصرون على فسقهم وفسادهم وقبيح أعمالهم من إتيانهم الذكران من العالمين، وكانوا مع هذا يكفرون بالله ويكذبون رسله ويقطعون السبيل ، قال تعالى : ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ فستحقوا العذاب قال تَعَالَى: ﴿ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ سورة العنكبوت ، فلما جاء أمر الله أرسل إليهم جبريل عليه السلام اقتلع قراهم من قرار الأرض ثم رفعها إلى عنان السماء ثم قلبها عليهم ، وأرسل عليهم حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك ، وجعل الله مكانهم بحيرة منتنة وجعلهم عبرة إلى يوم التناد (١) .

وقوم شعيب كانوا كفاراً يقطعون السبيل ،سكنوا أرض معان من أطراف الشام بين الحجاز والشام، وكانوا يعبدون شجرة الأيكة ، وكانوا يبخسون المكيال والميزان قال الله عز وجل عنهم ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ سورة الأعراف، لقد دعاهم إلى التوحيد، ووعظهم شعيب عليه السلام ، لكنهم تمردوا عليه واشتد كفرهم، وعتوا عن أمر ربهم فكانت العقوبة من رب العالمين نظير ما اقترفوه من التكذيب والضلال قال تعالى : ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾ سورةالأعراف، لقد عاقبهم الله بالرجفة كما أرجفوا شعيباً

(1) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٢ ص ٢٤٢ .

وأصحابه وتوعدوهم بالجلاء ، وهي صيحة من السماء ورجفة من الأرض شديدة من أسفل منهم فزهقت الأرواح وفاضت النفوس وخمدت الأجسام [1] .

شؤوم المعاصي والذنوب :

لقد كانت العقوبات من الله عز وجل على بني آدم ، بسبب ما يرتكبوه من الذنوب والمعاصي، حتى آدم عليه السلام أُخرج من الجنة بسبب ذنب ارتكبه، قال تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ ﴾، سورة البقرة ، فلما كان منه ما كان من أكله من الشجرة التي نُهي عنها أُهبط إلى أرض الشقاء والتعب ، والنصب والكدر ، والسعي والنكد ، والابتلاء والاختبار والامتحان [2] .

ويعلق الإمام ابن القيم رحمه الله على خروج الأبوين آدم وحواء إلى الدنيا فيقول: " وهل في الدنيا والآخرة شرور وداء إلا سببه الذنوب والمعاصي ؟ فما الذي أخرج الأبوين من الجنة دار اللذة والنعيم والبهجة والسرور ، إلى دار الآلام والأحزان والمصائب " [3].

" وفي زمن موسى عليه السلام قحطت بني إسرائيل وأصابهم قحط شديد فخرج موسى عليه الصلاة والسلام بسبعين ألف من قومه فيهم الشيوخ الركع والأطفال الرضع والبهائم الرتع دعا الله وتضرع فما زادت السماء إلا تقشعاً وصفاءً، فأوحى الله إلى موسى أن بينكم عبد يحاربني بالمعاصي منذ أربعين سنة لا أسقيكم حتى يخرج من بينكم " [4] .

---

(1) ابن كثير ، المصدر السابق ، ج ٣ ص ٤٢٢ .

(2) ابن كثير ، قصص الأنبياء ، ص ٢٥، تحقيق علي عبد الحميد أبو الخير ومحمد وهبي ومعروف رزيق ، ط٤، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م ، دار الخير ، دمشق .

(3) الداء والدواء ، ص ٦٥ ، تحقيق علي بن حسن الحلبي ، ط ٣ ، ١٤١٩ – ١٩٩٩ م ، دار ابن الجوزي ، الدمام . وانظر: عبد الكريم الحميد ، المصدر السابق ، ص ١٥ .

(4) ابن قدامة ، التوابين ، ص ١١٥-١١٦، تحقيق خالد عبد اللطيف السبع ، ط ١ ، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

" لقد أخبر الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم بأن هذه الآيات والكوارث العظيمة ليس حصولها بمجرد سبب طبيعي مجرد فحسب ، بل بسبب ما يرتكبه بنو آدم من الكفر والمعاصي والذنوب ، حيث بين سبحانه وتعالى أنه قد أخذ بمثل هذه الآيات أمماً كثيرة بسبب ما ارتكبوه من الكفر والمعاصي والذنوب فقال سبحانه وتعالى وهو يعدد أصناف ما أصاب به أولئك الأقوام بسبب ذنوبهم ، قال تعالى : ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ سورة العنكبوت، وقال تعالى ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾ ﴾ سورة الأنعام [1] .

وقال الله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ سورة هود ، نعم كانوا هم الظالمون لأنفسهم بالكفر والمعاصي [2] .

وقال تعالى ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ سورة الشورى ، فهذه الآية ترجع سبب المصيبة إلى ما تكسبه الأيدي ،أي ما تقترفه وتجنيه من الخطايا [3].

---

(1) عبد الكريم صالح الحميد ، التفكر والاعتبار بآيات الله الكسوف والزلازل والإعصار ، ص ١٦، ط ١ ، ١٤٢٦ ـ ٢٠٠٦م ، مطابع الجمعة الالكترونية .

(2) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ١١ ص ٢٠٦، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي ، ط ١ ، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ـ لبنان .

(3) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٤ ص ١٢٥ .

وقال عز من قائل ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ سورة الروم ، والآية هذه تقرر: أن سبب ظهور الفساد في البر والبحر هو: ذنوب الناس وارتكاب المعاصي [1] .

وفي معركة أحد، لما خالف الرماة أَمْرَ رسول الله ﷺ- بنزولهم من الجبل ، لجمع الغنائم – ركب المشركون ظهورهم، وانقلب النصر هزيمة، وكاد رسول الله ﷺأن يُقتل، لكنه أصيب وأدمي، فنزل على الأثر قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ ﴾ سورة آل عمران . إذن المعصية سبب في الكارثة تصيب الإنسان أو جموع الناس [2].

كما أن التعامل بالربا سبب لسخط الله وعقوبته والبعد عن رضاه ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ ﴾ سورة البقرة [3] .

كما جاءت السنة النبوية مؤكدة لهذه الحقيقة العظيمة ورابطة بين ما يرتكبه الناس من الذنوب والمعاصي وما يصيبهم من العقوبات الربانية ومنذرة لهم بالابتعاد عن كل ما يؤدي بهم إلى معصية الله عز وجل .

فقد روى الحاكم في مستدركه من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنه أنه قال : قال النبي ﷺ: " يا معشر المهاجرين، خمس إذا ابتليتم بهنَّ ونزل فيكم أعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعملوا بها إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤونة وجور

---

(1) ابن كثير ، المصدر السابق ، ج ٣ ص ٤٤٥ . وابن قيم الجوزية ، الداء والدواء، ص ١٠٤ .

(2) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ١ ص ٤٣٤ .

(3) ابن كثير ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٣٨ .

السلطان عليهم ، ولم يمنعوا الزكاة إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ..."[1]
هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . إذن ظهور الفاحشة ونقص المكيال ومنع الزكاة وغيرها من الذنوب سبب مباشر في ظهور الأمراض والأوبئة والمجاعات والقحط كما أخبر به نبينا محمد ﷺ.

كما روى الحاكم في مستدركه أيضاً ما يدل على أن العقوبات تكون بسبب ما يرتكبه الناس من ذنوب، فعن أنس بن مالك عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : " إن المرأة إذا خلعت ثيابها في غير بيت زوجها هتكت ما بينها وبين الله عز وجل من حجاب ، وأن تطيبت لغير زوجها كان عليها ناراً وشناراً ، فإذا استحلوا الزنا وشربوا الخمور بعد هذا وضربوا المعازف غار الله في سمائه فقال للأرض: (تزلزلي بهم) فإن تابوا ونزعوا وإلا هدمها عليهم " ، فقال أنس : عقوبة لهم ، قالت رحمة وبركة وموعظة للمؤمنين ونكالاً وسخطةً وعذاباً للكافرين . هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه [2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : " إن ربكم تعالى يقول : لو أن عبادي أطاعوني ؛ لأسقيتهم المطر بالليل ، وأطلعت عليهم الشمس بالنهار ، ولم أسمعهم صوت الرعد " هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه [3] .

ويذكر الحارث بن النعمان أن أنس بن مالك قال : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنهما : " إن الرجف من كثر الزنا، وأن قحوط المطر من قضاء السوء وأئمة الجور " [4] .

وعن عبد الكريم أبي أمية قال : " كان الحسن إذا رأى السحاب قال : في هذا رزقكم ولكنكم تُحرمونه بخطايكم وذنوبكم " [5] .

---

(1) ج ٥ ، ص ٧٥٠ ، ورقم الحديث ٨٦٦٧ .

(2) ج ٥ ص ٧٢٢ . وانظر : عبد الكريم الحميد ، التفكر والاعتبار بآيات الله الكسوف والزلازل والإعصار ، ص ٤٠ .

(3) الحاكم النيسابوري ، المستدرك على الصحيحين ، ج ٣ ص ٩٠ ورقم الحديث ٣٣٨٣ .

(4) ابن أبي الدنيا ، المطر والرعد والبرق والريح ، ص ٥٩ .

(5) ابن أبي الدنيا ، المصدر السابق، ص ٥٩ .

ويورد ابن جرير من طريق سيف بن عمر [1] ... عن أبي حارثة قصة تدل على شؤوم المعصية فيقول : " أنه في سنة ١٨هـ ، قالوا : كتب أبو عبيدة إلى عمر بن الخطاب أن نفراً من المسلمين أصابوا الشراب ، منهم ضرار وأبو جندل بن سهل ، فسألناهم فقالوا : خُيِّرنا فاخترنا، قال ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾سورة المائدة ، ولم يعزم ، فجمع عمر الناس فأجمعوا على خلافهم ، وأن المعنى : فهل أنتم منتهون أي انتهوا ، وأجمعوا على جلدهم ثمانين جلدة ، وأن من تأول هذا التأويل وأصر عليه يقتل ، فكتب عمر إلى أبي عبيدة أن ادعهم فسلهم عن الخمر فإن قالوا هي حلال فاقتلهم ، وإن قالوا هي حرام فاجلدهم . فاعترف القوم بتحريمها ، فجلدوا الحد وندموا على ما كان منهم من اللجاجة فيما تأولوه ، وقال : ليحدثن فيكم يا أهل الشام حادث ، فحدثت الرمادة [2] .

ويذكر الفقيه ابن عبدربه الأندلسي : " أن المنصور سمر ذات ليلة ، فذكر خلفاء بني أمية وسيرهم ، وأنهم لم يزالوا على استقامة، حتى أفضى أمرهم إلى أبنائهم المترفين، وكانت همتهم مع عظم شأن الملك وجلالة قدره، قصد الشهوات وإيثار اللذات والدخول في معاصي الله ومساخطه جهلاً باستدراج الله، وأمنا لمكره ، فسلبهم الله العز ونقل عنهم النعمة. فقال له صالح بن علي [3]: "يا أمير المؤمنين، إن عبد الله بن مروان لما دخل النوبة هارباً فيمن تبعه، سأل ملك النوبة عنهم فأُخبر، فركب إلى عبد الله فكلمه بكلام عجيب في هذا النحو لا أحفظه، وأزعجه عن بلده ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يدعو به من الحبس بحضرتنا في هذه الليلة ويسأله عن ذلك ، فأمر المنصور بإحضاره وسأله عن القصة، فقال: يا أمير المؤمنين، قدمنا أرض النوبة وقد خبر الملك بأمرنا ، فدخل عليَّ رجل أقنى الأنف طوال حسن الوجه فقعد على الأرض ولم يقرب الثياب، فقلت :ما يمنعك أن تقعد على ثيابنا ؟. قال: لأني ملك، ويحق على الملك أن يتواضع لعظمة الله إذ رفعه الله . ثم قال: لأي شيء تشربون الخمر وهي محرمة عليكم في كتابكم ؟فقلت: اجترأ على ذلك عبيدنا وغلماننا وأتباعنا ، لأن المُلك

(1) سيف بن عمر التميمي ،أحد الرواة المعتمدين عند الطبري في أخبار الفتوح ، له (٢٦٦) راوية في تاريخ الطبري ، وهو ضعيف الحديث عمدة في التاريخ . السلمي ، منهج كتابة التاريخ الإسلامي، ص ٣٩٧-٣٩٨ .

(2) تاريخ الطبري ، ج ٢ ص ٥٠٧ . لعله يقصد وصول تأثير عام الرمادة الذي حدث في المدينة النبوية إلى بلاد الشام ، أو طاعون عمواس .

(3) هو صالح بن علي ابن حبر الأمة عبدالله بن عباس ، عمُ المنصور أحد الأبطال المذكورين ، الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج ٧ ص ١٧ .

قد زال عنا . قال: فلم تطؤون الزرع بدوابكم والفساد محرم عليكم في كتابكم ؟. قلت: يفعل ذلك عبيدنا وأتباعنا بجهلهم. قال: فلم تلبسون الديباج والحرير وتستعملون الذهب والفضة وذلك محرم عليكم ؟. قلت: ذهب الملك وقل أنصارنا فانتصرنا بقوم من العجم دخلوا في ديننا فلبسوا ذلك على الكره منا. فأطرق ملياً وجعل يقلب يده وينكت الأرض ويقول: عبيدنا وأتباعنا، وقوم دخلوا في ديننا، وزال الملك عنا ، يردده مراراً ، ثم قال: ليس ذلك كذلك ، بل أنتم قوم استحللتم ما حرم الله عليكم، وركبتم ما نهاكم عنه ، وظلمتم من ملكتم ، فسلبكم الله العز، وألبسكم الذل بذنوبكم، ولله فيكم نقمة لم تبلغ غايتها ، وأخاف أن يحل بكم العذاب وأنتم ببلدي فيصيبني معكم، وإنما الضيافة ثلاثة أيام فتزودوا ما احتجتم وارتحلوا عن بلدي " [1] .

ويرى المقريزي [2] أن أسباب المحن ، مخالفة أمر الله فيقول " اعلم تولى الله أمرك بالحياطة [3] والهداية ، ولا أخلاك من الكفاية والعناية ، أن الغلاء الذي حل بالخلق منذ أن كانت الخليقة فيما نقل من أخبارها بسائر البلاد في قديم الزمان وحديثه على ما عرف من أحوال الوجود وطبيعة العمران ، وعلم من أخبار البشر ، إنما يحدث من آفات سماوية في غالب الأمر : كقصور جري النيل بمصر ، وعدوم نزول المطر بالشام والعراق والحجاز وغيره، أو آفة تصيب الغلال من سمائم [4] تحرقها ، أو رياح تهفيها [5]، أو جراد يأكلها ، وما شابه ذلك ، هذه عادة الله تعالى في الخلق ، إذا خالفوا أمره وأتوا محارمه ، أن يصيبهم بذلك جزاء ما كسبت أيديهم " .

لقد جاءت الكوارث في القرآن الكريم مسخرة بأمر ربها ، لأسباب ذكرها سبحانه في كتابه ، فهي عقوبة لمن كفر بآيات ربه ولقائه ، وهي تذكرة وعبرة لأولي الألباب قال تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ هُمْ أَشَدَّ

---

(1) ابن عبدربه الأندلسي ، العقد الفريد ، ج ٥ ص ١٩٧ – ١٩٨ . والمسعودي ، مروج الذهب ، ج ٣ ص٣١٢ – ٣١٣ .

(2) إغاثة الأمة بكشف الغمة ، ص ٤٣ و ٤٤، ط١ ، ١٤٢٩ – ٢٠٠٨ م ، المكتبة العصرية ، صيدا – لبنان .

(3) الحياطة : الحفظ والتعهد . حاشية المقريزي ، المصدر السابق ، ص ٤٣ .

(4) السمائم : جمع السّموم ، الريح الحارة أو الحر الشديد النافذ في المسام . حاشية المقريزي ، المصدر السابق ، ص ٤٤ .

(5) تهفيها : تيبسها أو تعطشها أو تسقط ورقها . حاشية المقريزي ، المصدر السابق ، ص ٤٤ .

مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ ﴾ سورة غافر.

وإذا كانت الذنوب والمعاصي سبباً للعقوبة، فإن الطاعة والتزام أوامر الله واجتناب نواهيه بفعل الطاعات وترك المحرمات أيضا سبب للبركة والرزق قال تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴿٩٦﴾ ﴾ سورة الأعراف . ليس هذا فحسب، بل قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ سورة النور .

ومما يؤكد ذلك ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي – ﷺ – قال : " بينما رجل بفلاة من الأرض ، فسمع صوتاً في سحابة : اسق حديقة فلان[1] ، فتنحّى ذلك السحاب[2]، فأفرغ ماءه في حَرّة [3]، فإذا شَرجةٌ [4] من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله، فتتبّع الماء فإذا رجل قائم في حديقته يحول الماء بمسحاته ، فقال له : يا عبد الله ، ما اسمك ؟ ، قال : فلان ، للاسم الذي سمع في السحابة ، فقال له : يا عبد الله ، لم تسألني عن اسمي ؟ ، فقال : إني سمعت صوتاً في السحاب الذي هذا ماؤه ، يقول : اسق حديقة فلان – لاسمك – ، فما تصنع فيها ؟ ، قال : أما إذ قلت هذا ، فإني انظر إلى ما يخرج منها ، فأتصدق بثلثه ، وآكل أنا وعيالي ثلثاً ، وأرد فيها ثلثه " رواه مسلم [5] .

---

(1) الحديقة : القطعة من النخيل وتطلق على الأرض ذات الشجر .

(2) فتنحى ذلك السحاب : أي قصد .

(3) حرة : الحرة أرض بها حجارة سود كثيرة .

(4) شرجة : وجمعها شراج وهي مسايل الماء في الحرار .

(5) مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، ج ٤ ، ص ٢٢٨٨ ، رقم الحديث ٢٩٨٤ .

الفرق بين عقوبات الله على الكفار وعلى المسلمين :

لقد كانت العقوبات على الكفار في الدنيا عذاباً وفي الآخرة حسرة وندامة، ذلك أن الله يأخذ الكفار بكفرهم ولهم عذاب الدنيا والآخرة ، ولذلك ذكر الله تعالى في كتابه الكريم أنه أخذ الأمم الكافرة والسابقة بالعذاب على تنوعه بسبب ذنوبهم والذي أعظمها الكفر ، أما المسلمون فليس ما يعاقبهم الله به مماثلاً لما يعاقب به الكفار ، بل هو أهون وفيه تكفير لسيئاتهم وتمحيص لهم ، كما أنه موعظة وعبرة ، كذلك فيه الرحمة وخير كثير لما يحصل بسببه من توبتهم ورجوعهم إلى الله مولاهم الحق سبحانه بالانكسار والذل والخوف ، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : " إن أمتي أمة مرحومة ليس عليها في الآخرة عذاب إلا عذابها في الدنيا : القتل ، البلاء ، الزلازل " [1]. صححه الألباني [2] .

وتروي عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ ما يؤكد أن ما يصيب المسلم من بلاء ، إلا كان له كفارة ، قالت : قال رسول الله ﷺ: " ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها "[3] .

وروى أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: " لا يزال البلاءُ بالمؤمن في نفسه وماله وولده حتى يلقى الله وما عليه من خطيئة "[4] .

ومما يحسن الإشارة إليه في هذا المجال ما ذكره لطف الله خوجه : " أن أسباب المصائب والبلايا التي تقع على المسلمين تكون نتيجةً لثلاثة أسباب :

١- الخطايا ، فتكون عقوبة .

٢- الابتلاء، فيكون تمحيصاً وتطهيراً .

٣- الرفعة، فتكون زيادة في الثواب .

---

(1) عبدالكريم الحميد ، التفكر والاعتبار بآيات الله الكسوف والزلازل والإعصار ، ص ١٠٨ و ١٠٩ .

(2) الألباني ، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها ، ط ٤ ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ج ٢ ص ٦٨٤ ورقم الحديث ٩٥٩ .

(3) البخاري ، صحيح البخاري ،ج ٤ ص ٢٤ ورقم الحديث ٥٦٤٠ .

(4) الحاكم النيسابوري ، المستدرك على الصحيحين ، ج ١ ، ص ٦٦٧ .

إن المصيبة – بمجردها – لا تعرف، إن كانت: عقوبة على إجرام، أو تطهيراً، أو تمحيصاً، أو رفعة ، ذلك لأن الأطراف في المعصية ثلاثة: الواقع فيها، والناهي عنها، والساكت عليها.

وقد جاءت النصوص مبينة أن المصيبة :

– تارة تقع على العاصي وحده.

– وتارة تقع على العاصي والساكت عنه؛ الذي لا ينهاه [١].

– وتارة تقع على الجميع: العاصي، والناهي، والساكت.

إذن النتيجة : أن المصيبة إذا أتت عامة على الجميع، فسببها المعصية، ثم في تنزيلها على الخاصة، يختلف سببها الخاص: فبعضهم يصاب لمعصيته، فإما تكفيراً إن كان من المرحومين، أو انتقاماً إن كان من المجرمين، وبعضهم ابتلاء، وبعضهم رفعة، وقد روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنه ما يدل على هذا المعنى ، قال رسول الله ﷺ: " إذا نزل بقوم عذاباً أصاب العذاب من كان فيهم ثم بعثوا على أعمالهم " [٢]، فالمصيبة بمجردها ليست مقياساً على صلاح الإنسان أو فساد إيمانه أو كفره ذلك أنها تكون في حق :

– الطائع : تطهير، وتزكية، ورفعة.

– والعاصي المقر بذنبه : تكفير ومحو للذنب.

– والمجرم : عقوبة وانتقام " [٣]

---

(1) مما يؤثر عن عمر بن عبدالعزيز أنه قال : "إن الله لا يؤخذ العامة بعمل الخاصة ، فإذا ظهرت المعاصي فلم تنكر استحقوا العقوبة جميعاً " . انظرالقاضي أبو يوسف ، كتاب الخراج ، ص ١١، ط ٤ ، ١٣٩٢ هـ ، المطبعة السلفية ، القاهرة .

(2) البخاري ، صحيح البخاري ، ج ٤ ص ٣٧٥ . ورقم الحديث ٧١٠٨ .

(3) لطف الله بن عبد العظيم خوجه ، كارثة جدة والعلاقة بين المصيبة والخطيئة ، المقالات العلمية ، موقع الإسلام اليوم ، http,//islamtoday.ne، السبت ٠٢ محرم 1431 الموافق 19 ديسمبر ٢٠٠٩ م . وانظر : كارم السيد غنيم و عبد العظيم محمد الجمال ، الجراد في القرآن الكريم والعلم الحديث ، ط ١ ، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م ، دار الصحوة ، القاهرة ، ص ٤٧ . وانظرابن القيم الجوزية ، الطب النبوي ، ص٢٠٦ .

النظرة الإسلامية للأوبئة :

كان الإسلام سباقاً إلى حماية أفراده منها، فهو يقرر مبدأ الوقاية منها أولاً، وخاصةً المعدي منها ، وذلك خوفاً من انتقال المرض – بإذن الله – من المصاب إلى الصحيح ، كما أنه يدعو أفراده إلى الالتزام بجملة من الآداب والأخلاق التي تسهم بإذن الله في حمايتهم، ومن ذلك النظافة الشخصية والعناية بالصحة والابتعاد عن الأماكن الموبوءة ، وتجنب مخالطة أصحاب الأمراض المعدية كالطاعون والجذام وغيرها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: " لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر[1]،وفر من المجذوم كما تفر من الأسد " [2] وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺقال : " لا يورد ممرض[3]على مصح"[4] .

فهذه الأحاديث تدل على خطورة هذه الأمراض وأنها معدية، ولهذا فقد نهى الرسولﷺ عن الذهاب إلى البلاد الموبوءة ومن ذلك ما رواه أسامه بن زيد قال : قال رسول الله ﷺ: " إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها " [5] .

وهذا ما يعرف حالياً بالحجر الصحي ، لقد سبق الإسلام الجميع في مراعاة الأسباب الظاهرة لانتقال المرض وحث أفراده على الاحتياط .

---

(1) العدوى : هو أن يصيبه مثل ما بصاحب الداء ، والطيرة ، هي التشاؤم بالشيء ، ولا صفر، الصفر ، دواب في البطن وهي دود ، والهامة كانت العرب تعتقد أن عظام الميت وقيل روحه تنقلب هامه وتطير . انظرصحيح مسلم ، ج ٤ ص ١٧٤٢ و ١٧٤٣ .

(2) البخاري ، صحيح البخاري ،ج ٤ ص ٤٠ ورقم الحديث ٥٧٠٧ . وهنا لا عدوى ، وفر من المجذوم كما تفر من الأسد ، لا تعارض بينهما ، فإن المنفي عدوى الطبع ، والأمر بالفرار لأن الله أجرى العادة بالأعداء عند المخالطة ، أو لئلا يتفق للمخالط شيء بالقدرة بالأعداء ، فيظن أنه عدوى فيقع في الحرج ، أو لئلا يحصل للمجذوم كسر خاطر برؤية الصحيح ، أو لا عدوى عام ، خص بقوله ، " فر ...إلخ " أي ، لا عدوى إلا ما استثنيت . انظر : الزبيدي ، مختصر صحيح البخاري ، ص ٦٤٩، ط ١ ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م ، دار ابن القيم .

(3) الممرض : صاحب الإبل المراض والمصح صاحب الإبل الصحاح ، والمعنى : لا يورد صاحب الإبل المراض إبله على ابل صاحب الإبل الصحاح ، انظرصحيح مسلم ج ٤ ، ص ١٧٤٣ .

(4) مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، ج ٤ ص ١٧٤٣ ورقم الحديث ٢٢٢١ .

(5) البخاري ، صحيح البخاري ، ج ٤ ص ٤٤، ورقم الحديث ٥٧٢٨ .

ويذكر ابن قيم الجوزية فوائد وحِكم المنع من الدخول أو ما سمي بعد ذلك الحجر الصحي فيقول :-

أحدها : تجنب الأسباب المؤذية والبعد عنها .

الثاني : الأخذ بالعافية التي هي مادة المعاش والمعاد .

الثالث : أن لا يستنشقوا الهواء الذي قد عفن وفسد فيمرضون .

الرابع : أن لا يجاوروا المرضى الذين قد مرضوا بذلك فيحصل لهم بمجاورتهم من جنس أمراضهم .

الخامس : حمية النفوس من الطيرة والعدوى ، وبالجملة ففي النهي عن الدخول في أرضه الأمر بالحذر والحمية ، والنهي عن التعرض لأسباب التلف ، وفي النهي عن الفرار منه الأمر بالتوكل ، والتسليم ، والتفويض ، فالأول : تأديب وتعليم ، والثاني : تفويض وتسليم " [1].

(1) الطب النووي ، ص ٣٠ .

سنن تسن عند حدوث الكوارث :

لقد سن لنا رسول ﷺ سنناً نؤديها عند حدوث النوازل والكوارث ومنها :

القنوت والمقصود به الدعاء برفع البلاء والنجاة من الكوارث ويكون في الركعة الأخيرة من كل صلاة بعد الركوع (1) .

والدعاء في زمن الكوارث والملمات من أعظم الواجبات، قال تعالى ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ سورة غافر، وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ سورة البقرة.

وقد روى الحاكم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها ،قالت : قال رسول الله ﷺ " لا يغني حذر من قدر، والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، وإنَّ البلاء ينزل فيتلقاه الدعاء، فيتعالجان إلى يوم القيامة" هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه (2).

ويسن صلاة الاستسقاء عند تأخر هطول المطر فعن عبد الله بن زيد بن عاصم قال : "خرج النبي ﷺ إلى المصلى يستسقي ، واستقبل القبلة ، فصلى ركعتين ، وقلب رداءه . قال سفيان: فأخبرني المسعودي ، عن أبي بكر قال : جعل اليمين على الشمال " (3).

وعند اشتداد الجفاف والقحط جاز للمسلمين الدعاء والتضرع إلى الله ، كما دعا واستسقى رسول الله ﷺ وهو يخطب يوم الجمعة ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلا دخل يوم الجمعة من باب كان وُجَاهَ المنبر ، ورسول الله ﷺ قائم يخطب ، فاستقبل رسول الله ﷺ قائما ، فقال : يا رسول الله ، هلكت المواشي ، وانقطعت السبل ، فادع الله يغيثنا . قال : فرفع رسول الله ﷺ يديه فقال : اللهم اسقينا ، اللهم اسقنا ، اللهم اسقنا . قال أنس : لا والله ، ما نرى في السماء من سحاب ، ولا قزعة ، ولا شيئا ، وما بيننا وبين

---

(1) زغلول النجار ، الزلازل في القرآن الكريم ، ص ٥٠ .

(2) المستدرك على الصحيحين ، ج ٢ ص ١٦٢ ورقم الحديث ١٨٥٦ .

(3) البخاري ، صحيح البخاري ، ج ١ ص ٢٦٢ ورقم الحديث ١٠٢٧ .

سلع من بيت ولا دار . قال : فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس ، فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت . قال : والله ما رأينا الشمس ستا . ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة ، ورسول الله ﷺ قائم يخطب ، فاستقبله قائما ، فقال : يا رسول الله ، هلكت الأموال ، وانقطعت السبل ، فادع الله يمسكها . قال : فرفع رسول الله ﷺ يديه ، ثم قال : اللهم حوالينا ولا علينا ، اللهم على الآكام والجبال ، والآجام [1] والظراب [2]، والأودية ومنابت الشجر . قال : فانقطعت ، وخرجنا نمشي في الشمس . قال شريك : فسألت أنساً : أهو الرجل الأول ؟ قال : لا أدري .[3]

ومما يشرع للمسلمين عند حدوث الزلازل الصلاة والابتهال إلى الله والتقرب بوجوه البر ، فقد أخرج البيهقي في سننه [4] عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه صلى في زلزلة بالبصرة فأطال القنوت ، ثم ركع ثم رفع رأسه فأطال القنوت ثم ركع ثم رفع رأسه فأطال القنوت ثم ركع فسجد ثم قام في الثانية ففعل كذلك، فصارت صلاته ست ركعات وأربع سجدات فقال ابن عباس : " هكذا صلاة الآيات " [5] .

وقال ابن أبي شيبه في المصنف [6] حدثنا وكيع عن جعفر بن برقان قال كتب إلينا عمر بن عبد العزيز في زلزلة كانت بالشام : أن اخرجوا يوم الاثنين من شهر كذا وكذا ومن استطاع منكم أن يخرج صدقة فليفعل فإن الله قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ ﴾ سورة الأعلى [7] .

---

(1) الآجام : منبت الشجر كالغيضة وهي الآجام ، والأجمة الشجر الكثيف الملتف . ابن منظور ، لسان العرب ، ج ١ ص ٦١ .
(2) الظراب : الجبل المنبسط ؛ وقيل الجبل الصغير ؛ وقيل : الروابي الصغار ، والجمع : ظراب . ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٩ ص ١٨١ .
(3) البخاري ، صحيح البخاري ، ج ١ ص ٢٥٩ ورقم الحديث ١٠١٣ .
(4) البيهقي ، السنن الكبرى ، ج ٣ ص ٤٧٨، تحقيق محمد عبدالقادر عطا ، ط ٣ ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان .
(5) السيوطي ، كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة ، ص ١٤٦، تحقيق د . محمد كمال الدين ، ط ١ ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م ، عالم الكتب ، بيروت .
(6) ابن أبي شيبة ، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار ،ج ٢ ص ٢٢٠، تقديم وضبط كمال يوسف الحوت ، ط ١ ، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م ، دار التاج ، بيروت – لبنان ، رقمه ٨٣٢٨ .
(7) السيوطي ، كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة ، ص ١٤٦ .

أيضاً دعانا نبينا محمد ﷺ وحثنا وأرشدنا إلى أقوال تقال عند حدوث المصائب والكروب ، لتخفف على المسلم كربته ، ومن ذلك ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان النبي ﷺ يدعو عند الكرب يقول " لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب السموات والأرض ورب العرش العظيم " [1] . رواه البخاري .

وعن سعد بن أبي وقاص قال : كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ فقال : " ألا أخبركم وأحدثكم بشيء إذا نزل برجل منكم كرب أو بلاء من الدنيا ودعا به فرج الله عنه : فقيل له بلى ، قال: دعاء ذي النون لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين " [2]. صحيح الإسناد ولم يخرجاه [3] .

وعن أسماء بنت عميس قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : "من أصابه هم أو غم ، أو سقم، أو شدة ، فقال : الله ربي ، لا شريك له ، كشف ذلك عنه " [4] حسنه الألباني [5] .

أجر الصابرين على الأمراض والمصائب :

وعند حدوث الكوارث وحلول المصائب شرع للمؤمن الصبر وبه ينال أعظم الدرجات والمثوبات، والصبر فضيلة يتحلى بها المؤمن فيجتاز بها الشدائد، ويثبت على طاعة الله عز وجل مهما تشتد الخطوب وتعظم البلايا، فإن المؤمن يصبر على ما أصابه ويحتسب، طمعاً في مرضاة الله سبحانه وتعالى، وأملاً في الفوز بثوابه وما أعده للصابرين من ثواب وتكفير للمعاصي قال تعالى ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ سورة البقرة .

---

(1) البخاري ، صحيح البخاري ، ج ٤ ص ١٨٥ .

(2) التنوخي ، الفرج بعد الشدة ، ج ٢ ص ١٢٩، تحقيق عمر الشالجي ، ط . ، دار صادر ، بيروت .

(3) الحاكم النيسابوري ، المستدرك على الصحيحين ، ج ٢ ص ١٨٣ ، ورقم الحديث ١٩٠٧ .

(4) التنوخي ، المصدر السابق ، ج ١ ص ١٣٦ .

(5) الألباني ، صحيح الجامع الصغير ، ج ٥ ص ٢٤٥، ط ٢ ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ورقم الحديث ٥٩١٦ .

وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ سورة البقرة وقال تعالى : ﴿ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾ سورة النحل .

ومما ينبغي على المسلم حال حدوث البلايا الصبر والاحتساب ، ذلك أن المؤمن يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليُصيبه ، قال تعالى : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ سورة الحديد، وهذه المصيبة على ما فيها من الألم والأحزان في ظاهرها، إلا أنها تحمل الخير والأجر والمثوبة للمؤمن، فقد ورد عند البخاري في حديث المصطفى ﷺ حيث يقول: "ما من مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها إلا كفَّر الله بها سيئاته، وحُطَّتْ عنه ذنوبه كما تحط الشجرة ورقها " رواه البخاري [1].

ايضاً مما يسلي المؤمن وقت المصيبة التزامه الصبر والدعاء وهو مؤجر بذلك قال رسول الله ﷺ : " ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله : إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي ، وأخلف لي خيراً منها إلا خلف الله له خيراً منها " [2] .

وكذلك ما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " لا يزال البلاءُ بالمؤمن في نفسه وماله وولده حتى يلقى الله وما عليه من خطيئة " [3] .

وعن صهيب بن سنان – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : " عجباً لأمر المؤمن ، إن أمره كله له خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر ، فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له " رواه مسلم [4] .

(1) صحيح البخاري ، ج ٤ ص ٢٥ ورقم الحديث ٥٦٤٨ .

(2) مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، ج ٢ ص ٦٣٢ . ورقم الحديث ٩١٨ .

(3) المستدرك على الصحيحين ، ج ١ ، ص ٦٦٧ .

(4) مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، ج ٤ ص ٢٢٩٥ ورقم الحديث ٢٩٩٩ .

وعن أبي سعيد الخدري وعن أبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال " ما يصيب المسلم، من نصب ولا وصب ، ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم ، حتى الشوكة يشاكها، إلا كفر الله بها من خطاياه " رواه البخاري [١] .

" وروت عائشة رضي الله عنها أنها سألت النبي ﷺ عن الطاعون فأخبرها نبي الله ﷺ أنه كان عذاباً يبعثه الله على من يشاء فجعله الله رحمةً للمؤمنين ، فليس من عبد يقع الطاعون فيمكث في بلده صابراً يعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له إلا كان له مثل أجر الشهيد " [٢]، وهذا يجعل المسلمين يستجيبون لقواعد الطب الوقائي والحجر الصحي بطيب خاطر وبرضاً كامل، لأنهم ينالون أجر الشهادة وهو شيءٌ عظيم بالنسبة للمؤمن [٣] .

كما أن الإسلام يدعو أفراده إلى اليقظة وعدم الغفلة بمفهومها الواسع ، وألا يركنوا إلى الدنيا، فعن عائشة زوج النبي ﷺ أنها قالت : كان النبي ﷺ إذا عصفت الريح[٤] قال : " اللهم إني أسألك خيرها ، وخير ما فيها ، وخير ما أرسلت به . وأعوذ بك من شرها ، وشرما فيها ، وشر ما أرسلت به " . قالت : وإذا تخيلت[٥]السماء ، تغير لونه ، وخرج ودخل ، وأقبل وأدبر . فإذا مطرت سري[٦] عنه . فعرفت ذلك في وجهه . قالت عائشة : فسألته . فقال : " لعله ، ياعائشة كما قال قوم عاد : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ سورة الأحقاف [٧].

وهذا سليمان بن عبدالملك كان أول ما تكلم به حين ولي الخلافة أنه قال : " الحمد لله الذي ما شاء صنع وما شاء رفع وما شاء وضع ، ومن شاء أعطى ومن شاء منع ، إن الدنيا دار غرور، ومنزل باطل ، وزينة تقلب ، تضحك باكياً وتبكي ضاحكاً ، وتخيف آمناً وتؤمن

---

(1) البخاري ، صحيح البخاري ، ج ٤ ص ٢٤ ورقم الحديث ٥٦٤١ .
(2) البخاري ، المصدر السابق ، ج ٤ ص ٤٥ ورقم الحديث ٥٧٣٤ .
(3) عبدالرزاق الكيلاني ، الحقائق الطبية في الإسلام ، ص ١٤٠ .
(4) عصفت الريح : أي اشتد هبوبها . انظر : حاشية صحيح مسلم ، ج ٢ ص ٦١٦ .
(5) تخيلت : هي السحابة فيها رعد وبرق يخيل إليه أنها ماطرة . انظر حاشية صحيح مسلم ، ج ٢ ص ٦١٦ .
(6) سري عنه : أي انكشف عنه الهم . انظر حاشية صحيح مسلم ، ج ٢ ص ٦١٦ .
(7) مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، ج ٢ ص ٦١٦ ورقم الحديث ٨٩٩ .

خائفاً ، تفقر مثريها ، وتثري فقيرها ، ميالة لاعبة بأهلها . ياعباد الله اتخذوا كتاب الله إماماً ، وارضوا به حاكماً ... إلخ [1] .

إذن المؤمن كيس فطن يعرف أن هذه الحياة محفوفة بالمخاطر وأنها دار مرور وعبور للحياة الحقيقية ، فلا يغتر بها المؤمن ويكون دائماً على استعداد للرحيل منها ، وعلى استعداد لاستقبال ما ياتي من الله وما يبتلي به عباده المؤمنين .

كما كان الصحابة ينظرون إلى الأمراض بنظرة ملؤها الإيمان الصادق بقضاء الله وقدره واحتساب الأجر عند الله ، وينقل لنا الطبري أن أبا عبيدة لما اشتعل الوجع في طاعون عمواس قام خطيباً فقال : " أيها الناس إن هذا الوجع رحمة ربكم ودعوة نبيكم محمد ﷺ ، وموت الصالحين قبلكم، وإن أبا عبيدة يسأل الله أن يقسم له منه حظه فطعن ومات . واستخلف على الناس معاذ بن جبل، قال فقام خطيباً وقال مثل ما قال أبو عبيدة " [2].

(1) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٩ ص ١٨٧ .

(2) الطبري ، تاريخه ، ج ٢ ص ٤٨٨ .

الفصل الثاني : الكوارث في بلاد الشام

المبحث الأول : الزلازل والظواهر الطبيعية الأخرى .

المبحث الثاني : الأوبئة .

المبحث الثالث : المجاعات .

المبحث الرابع : الآفات الزراعية .

الكوارث في بلاد الشام

المبحث الأول : **الزلازل والظواهر الطبيعية** :

تحدثت المصادر التاريخية عن الزلازل وتباينت آراء المؤرخين في عرضها ووصفها والحديث عنها ، وذلك بسبب الظروف الزمانية والمكانية المختلفة التي تحكم كل مؤلف أو مؤرخ ، فمنهم من يذكر الحدث باختصار، ومنهم من يتطرق إلى تاريخ حدوثها وزمن وقوعها بشكل دقيق (ليلاً – نهاراً – في الضحى – بعد صلاة العصر ... إلخ) ويحدد مدتها وكم دامت ويذكر تكرارها ورجوعها ويحدد الرقعة التي حدثت فيها ومدى قوتها (زلزلة لطيفة – خفيفة – صعبة – هائلة – شديدة – شديدة جداً – عظيمة – مهولة ..) [1] ويذكر الأثر المترتب عليها كهدم الأبنية وتخريب الحصون والقلاع وسقوط وخسف، ويحدد الضحايا والقتلى والمنظر العام للأرض ... إلخ ، وما صاحب الزلزلة من أحوال طبيعية (مطر – رياح – صواعق – وتغير في الماء : الطعم واللون، وظهور تغيرات في الجو (حمرة – ظلمة ..) .

وقد يعتمد خلود أي معلومة في مجال الزلازل التاريخية بشكل كبير على الظروف والملابسات التاريخية والجغرافية والدينية لمنطقة الحدث .

وقد جمع الباحث كل ما ذكر عن الزلازل في مصادرنا التاريخية المعروفة ، مع إضافة ما تطرقت إليه بعض المراجع الحديثة، وخاصةً التي اهتمت برصد النشاط الزلزالي في العالم العربي مما لم يرد في المصادر التاريخية القديمة [2]، والتي وقعت خلال فترة الدراسة، ولم أهمل أي إشارة عابرة ذكرت أو أرخت لحدوث زلزال في بلاد الشام خلال هذه الفترة، ورتبتها حسب التسلسل الزمني لوقوعها حتي يسهل دراستها والرجوع إليها .

وقد ركز المؤرخون عند حديثهم عن الزلازل على ذكر تاريخها وتفاوتوا في تحديده بدقة ، ونطاقها الجغرافي ، وآثارها ، واختلفوا في وصفها .

---

(1) انظر في الملاحق ، جدول درجة تأثير الزلازل على الأرض حسب مقياس ريختر .
(2) اعتمد بعضها على مصادر أجنبية ، ومخطوطات وكتب نادرة .

أسبابها :

ذكر المؤرخون أسباباً مختلفة حول وقوع الزلازل فمنهم من جعلها : أسباباً دينية وأنها تخويف من الله عز وجل لعباده عند فعل المنكرات قال تعالى ﴿ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْآيَـٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ ﴾ سورةالإسراء . والبعض جعلها من أشراط الساعة [1] فقد أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم ، وتكثر الزلازل ، ويتقارب الزمان ، وتظهر الفتن ، ويكثر الهرج ، وهو القتل القتل ، حتى يكثر فيكم المال فيفيض "[2] .

ومنهم من قال إنها تحدث نتيجة لأسباب طبيعية ، وينقل لنا السيوطي قول الحكماء [3] في حدوث الزلازل فيقول : " إن الزلازل تحدث نتيجة كثرة الأبخرة الناشئة عن تأثير الشمس واجتماعها تحت الأرض، بحيث لا تقاومها برودة حتى تصير ماء، ولا تتحلل بأدنى حرارة لكثرتها ، ويكون وجه الأرض صلباً بحيث لا تنفذ البخارات منها ، فإذا صعدت ولم تجد منفذاً اهتزت منها الأرض واضطربت كما يضطرب بدن المحموم ؛ لما يثور في باطنه من بخارات الحرارة وربما انشق ظاهر الأرض وتخرج من الشق تلك المواد المحتبسة"[4] .

وأما التفسير العلمي الحديث فيرى: "أنه تحدث نتيجة نشاط بركاني، أو ارتطام النيازك، أو انزلاقات أرضية تحت الماء، أو أنها تنتج عن حركات أرضية مفاجئة على طول الصدوع" [5] .

وهي لا شك أنها تحدث بتقدير الله عز وجل ، ولحكمة يعلمها الله ، فهي تارة تخويف من الله لعباده ، أو عقوبة ، أو ابتلاء ، أو تمحيص ، وهي للكفار عذاب من الله عليهم،[6] فعلم

(1) السيوطي ، كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة ، ص ١٣٨ .
(2) البخاري ، صحيح البخاري ، ج ١ ص ٢٦٥ ، ورقم الحديث ١٠٣٦ .
(3) السيوطي ينعت قولهم – أي الحكماء - بأنه قول فاسد ويرى الرأي الأول (إن سبب حدوث الزلازل هو ، تخويف من الله) .
(4) السيوطي ، كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة ، ص ١٣٥ .
(5) باتريك ل . أبوت ، الكوارث الطبيعية ، ج ١ ص ١٨٠ ، ترجمة توفيق علي منصور ، ط ١ ، ٢٠٠٣ م ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة .
(6) انظر : المبحث الثاني من الفصل الأول نظرة الإسلام للكوارث .

الله واسع وأعظم مما يتصوره الإنسان ، ويشمل ما هو أدق وأصغر من حدوث الزلازل ، قال الله عز وجل : ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ سورة الأنعام ،وقال تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ ﴾ سورة آل عمران .

والمؤمن ينظر إليها وهو مؤمن بقضاء الله وقدرته ، ويعلم أن هذه الأحداث قد يكون لها مسببات، يقبلها الإنسان وتجعله مترقباً ومتيقظاً لها، وهذا لا يعارض أن المدبر لهذا الأمر هو الله عز وجل ، وإنما يجعلها لحكمة يعلمها سبحانه وتعالى [1] . وهي مما آتها الله للإنسان من العلوم التي تعينه على المعاش في هذه الحياة الدنيا قال تعالى ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾ سورة البقرة .

وقبل حدوث الزلازل هناك من يقرر حدوث بعض الظواهر والدلائل ومن أمثلة ذلك: اضطرابات جوية ، أوعواصف تحدث في أعقابها موجة من الركود، ثم سقوط أمطار غزيرة في فترات غير مألوفة ، أو في أماكن لم تعهد سقوطها ، كذلك احمرار قرص الشمس ، وازدياد حجم الأبخرة في الجو إلى حدٍ كبير، كذلك خروج غازات كبريتية من بعض أجزاء التربة الطينية، وقد أشار بعض العلماء إلى أنه في بعض الأحيان تهاجر الطيور قبل حدوث الزلازل من موطنها الأصلي إلى بقاع أخرى ، وأحياناً يمكن توقعها من خلال الحركات العصبية للحيوانات مثل الكلاب والقطط قبيل حدوثها [2] .

لقد مثلت بلاد الشام ومنذ القدم مركزاً لانتشار الهزات الزلزالية ، ويمكن إدراك ذلك من خلال معرفة أن تلك المنطقة على نحو خاص ، اعتبرت ضمن نطاق الأخدود الأفريقي العظيم، الذي عُدّ من نقاط تركز نشاط الزلازل على المستوى العالمي [3] .

---

(1) حتى يُعرف المؤمن من المنافق قال تعالى ، {مَّا كَانَ اللّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىَ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ} سورة آل عمران١٧٩.

(2) محمد مؤنس عوض ، الزلازل في بلاد الشام ، ص ٥٦ .

(3) محمد مؤنس عوض ، المصدر السابق ، ص ٦١ . وانظر : هدى الويسي، الهزات الأرضية في بلاد الشام في القرنين ٦ – ٧ هـ ، ٥٤ – ٥٥ . ومصطفى محمود سليمان ، الزلازل من فجر التاريخ إلى اليوم، ص ٥٧، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٦ م .

وتعد أنطاكية أكثر المدن التي ارتبط اسمها بالزلازل في السجل الزلزالي العربي القديم ، فقد قتلت الزلازل أكثر من نصف مليون شخص من سكانها، ودمرت المدينة مرات عديدة ، وتليها دمشق والقدس وبغداد والموصل والبصرة والقاهرة [١] .

ويذكر ابن الشحنة في تاريخه ما يؤيد اشتهار أنطاكية بالزلازل منذ قديم الزمان ، فيذكر ما نصه : " وفي أول سنة من تملك لاوند يونس الماكالي صارت زلزلة قوية في مدينة أنطاكية ، وهدمت المدينة كلها . وفي السنة السابعة من ملك يوستينوس التراكوسي صارت زلزلة عظيمة بمدينة أنطاكية وأخربتها كلها ... ، وفي السنة الرابعة من تملك يوستينيانس ملك الروم في التاسع والعشرين من تشرين الثاني في الساعة الثالثة من النهار صارت زلزلة عظيمة بمدينة أنطاكية ، ومكثت مقدار ساعة ، وسمعوا صوتاً هائلاً من السماء ، ووقعت كل البنايات الجديدة التي بناها الملك ... ، وفي السنة السابعة والعشرين من ملكه صارت زلزلة عظيمة في كل المسكونة ، وأتلفت أشياء كثيرة في بلاد الغرب وفلسطين وبين النهرين وأنطاكية ، وفنيت بلاد كثيرة وحصون عظيمة ، ومات من الناس والبهائم كثرة كثيرة ، وزاد مد البحر وغرق مراكب كثيرة ، ومكثت الزلزلة أربعين يوماً . وفي السنة الخامسة من ملك موريق ملك الروم كانت رجفة عظيمة شديدة بأنطاكية فانهدم أكثرها وهلك سكانها"[٢].

كذلك يذكر الغزي من مساوىء أنطاكية في فصل الشتاء : " كثرة الأمطار والرعود والصواعق بالإضافة إلى الزلازل ، وهي بالحقيقة في موقع جبلي بركاني يدلّك عليه نبع المياه في قمم الجبال ، الأمر الذي يبرهن لك على أن هذه المياه الغزيرة لم يدفعها إلى تلك القمم صعداً سوى حركة بركانية أعقبت انفجار بركاني عظيم " [٣] .

(1) صلاح محمد عبدالحميد ، سلسلة الكوارث الطبيعية (الزلازل) ، ص ٤٩ ، ط ١ ، ٢٠٠٨ م ، مؤسسة طيبة ، القاهرة .

(2) ابن الشحنة ، الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب ، ص ٢٠٣ – ٢٠٥ .

(3) الغزي ، نهر الذهب ، ج ١ ص ٣١٩ .

سنة ٧ هـ (٦٢٨ م) [١] :

" وفي هذه السنة عرضت رجفة عظيمة ، وكسفت الشمس" [٢] . ولم يحدد المنبجي موقعها ، أما مصطفى محمود فيحدد موقعها في الحجاز واليمن [٣] .

ولعل أي زلزلة شديدة يكون لها امتداد مكاني واسع نظراً لشدتها ، واليمن والحجاز وبلاد الشام تشكل كتلة من اليابس متصلة بعضها ببعض ، فعند حدوث زلزال شديد في الحجاز فإنه لا غرابة أن يشعر بها أهل بلاد الشام والعكس صحيح ، كما أن المنبجي مؤرخ اهتم بذكر حوادث الشام على وجه التحديد وهذا له أسبابه الوجيهه [٤] .

سنة ١١ هـ (٦٣٢ م) :

يذكر المنبجي ضمن أحداث سنة ٦٣٢ م ، أنه : " عرضت رجفة عظيمة ، وظهر في السماء آية وهو عمود من نار ، وجعل يتردد من المشرق إلى المغرب ومن الجنوبي إلى التيمن ، ثم اضمحل أمره " [٥]، ولم يحدد المنبجي موقعها .

سنة ١٣ هـ (٦٣٣ / ٦٣٤ م) :

يورد المنبجي خبر هذه الزلزلة ضمن أحداث سنة ٦٣٣ م أي سنة ١٣ هـ فيقول: "وفي السنة الثالثة لأبي بكر عرضت رجفة شديدة بفلسطين ثلاثين يوماً تُزعزع الأرض ، وعرض فيها وباء كثير في مواضع مختلفة " [٦] .

---

(1) قابلت التاريخ الهجري مع الميلادي معتمداً على موقع شبكة ساندروز http://www.sandroses.com/hijri/ على شبكة الانترنت والتي تقوم بتحويل التاريخ من هجري الى ميلادي والعكس .

(2) المنبجي، المنتخب من تاريخ المنبجي ،ص ٤٣، انتخبه وحققه عمر عبدالسلام تدمري ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م ، دار المنصور ، طرابلس – لبنان .

(3) الزلازل ، ص ٨٩ .

(4) انظر : مقدمة التحقيق لعمر عبدالسلام تدمري لكتاب المنتخب من تاريخ المنبجي ، ص٦- ٧ .

(5) المنتخب من تاريخ المنبجي ، ص ٢٩ .

(6) المنتخب من تاريخ المنبجي ، ص ٤٥ . عبدالله يوسف الغنيم ، سجل الزلازل العربي (أحداث الزلازل وآثارها في المصادر العربية) ، ص ٦٧، ط ١ ، ٢٠٠٢ م ، طبع بدعم كريم من مؤسسة الكويت للتقدم ، الكويت .

ويذكر مصطفى محمود خبر هذه الزلزلة والتي ضربت فلسطين واستمرت ٣٠ يوماً ويحدد تاريخها بسنة ٦٣١ م أي سنة ١١ هـ [1] . ويشير في كتابه إلى زلزلة أخرى حدثت سنة ٦٣٤ م ويحدد مواقعها في مدينة حلب ، ويذكر أنها حطمت الأسوار والقلاع [2] .

أما هاني أبو الرب فيذكر أن هذا الزلزال حدث سنة ١٣ هـ / ٦٣٣ م ، أثناء تقدم القوات الإسلامية لفتح فلسطين واستمر ٣٠ يوماً ورافقه انتشار للأوبئة في أنحاء مختلفة من البلاد [3] .

ولم ترد إي إشارة في المصادر التاريخية الإسلامية المتقدمة ، أمثال تاريخ خليفة بن خياط وتاريخ الطبري وغيرهم ، عن هذه الزلزلة .

سنة ١٥ هـ (٦٣٦ م) :

يذكر الطبري ضمن أحداث هذه السنة ما يدل على حدوث زلزلة في بلاد الشام فيقول: " أن الله أثاب المسلمين على صبرهم أيام حمص أن زُلزل بأهل حمص وذلك أن المسلمين ناهدوهم فكبروا تكبيرة زلزلت معها الروم في المدينة وتصدعت الحيطان ففزعوا إلى رؤسائهم وإلى ذوي رأيهم ممن كانوا يدعوهم إلى المسالمة فلم يجيبوهم وأذلوهم بذلك ، ثم كبروا الثانية فتهافت منها دور كثيرة وحيطان وفزعوا إلى رؤسائهم وذوي رأيهم فقالوا : ألا ترون إلى عذاب الله فأجابوهم : لا يطلب الصلح غيركم فأشرفوا فنادوا : الصلح الصلح ، ولا يشعر المسلمون بما حدث فيهم فأجابوهم وقبلوا منهم على أنصاف دورهم " [4] .

ويذكر ابن الجوزي هذه القصة ويقول : " أقبل أبو عبيدة فنزل حمص وأقبل بعده خالد فنزل عليها فلقوا من الحصار أمراً عظيماً وكان البرد شديداً، ولقي المسلمون شدة، وكان أهل حمص يقولون عن المسلمين إنهم حفاة فصابروهم ليقطع البرد أقدامهم، وأن المسلمين كبروا تكبيرة فاتفق معها زلزلة فصدعت المدينة والحيطان، ثم كبروا الثانية فتهافتت منها

---

(1) الزلازل ، ص ٨٩ .

(2) مصطفى محمود ، المصدر السابق، ص ٨٩ .

(3) تاريخ فلسطين في صدر الإسلام ، ص ١٩٧، ط ١ ،٢٠٠٢ م ، منشورات بيت المقدس،الأردن،(بتصرف). وهاني أبو الرب ينقل من حولية المؤرخ ثيوفانيس (Theophanes) .

(4) تاريخ الطبري ، ج ٢ ، ص ٤٤٤ .

دور كثيرة، فأشرفوا على الهلاك فنادوهم الصلح الصلح، فأجابوهم، فكتب أبو عبيدة إلى عمر بالفتح " [1] .

وقد أكدت بعض الأبحاث والمراجع الحديثة التي اهتمت برصد النشاط الزلزالي في العالم العربي أنه حدث في شتاء هذه السنة زلزال ضرب سوريا وفلسطين لكنها لم تعطِ تفاصيل عن حجم الآثار التي خلفها هذا الزلزال [2].

لقد كانت هذه الزلزلة كرامة من الله للمسلمين على جهادهم وصبرهم ومصابرتهم للعدو، ذلك وأن أغلب ضرر هذه الزلزلة وتأثيرها كان على الروم أعداء المسلمين ، بل إنها كانت بفضل الله سبباً مباشراً في طلبهم الصلح والرضوخ للمسلمين .

والمتتبع للأحداث التاريخية يجد أن هذا العون من الله وبمثل هذه الجند[3] المسخرة من الله قد تكرر في أكثر من موقف مع المسلمين وأعدائهم، ومن ذلك تسّخير الله الريح في غزوة الأحزاب في السنة الخامسة من الهجرة على المشركين وجموع الأحزاب لتكون عوناً ونصراً للمسلمين، حيث أرسل الله عليهم الرياح والعواصف الشديدة والباردة فاقتلعت خيامهم وكفأت قدورهم وأطفأت نيرانهم ودفنت رحالهم ، فنادى أبو سفيان الرحيل[4] . قال تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ الأحزاب ، يخبر الله تعالى عن نعمته وفضله وإحسانه إلى عباده المؤمنين في صرفه أعداءهم وهزمه إياهم عام تألبوا عليهم وتحزبوا ، فقد

---

(1) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، ج ٤ ص ١٩٠، حققه محمد عبد القادر عطا واخوه مصطفى ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان . وانظر : ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٢ ص ٤٥٦، حققه خليل مأمون شيحا ، ط ٢ ، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م ، دار المعرفة ، بيروت . وانظر : ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٧ ص ٥٠، تحقيق أحمد عبد الوهاب فتيح ، ط ١ ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م ، دار الحديث .

(2) مصطفى محمود ، الزلازل ، ص ٨٩ . وانظر : خالد يونس الخالدي ، الزلازل في بلاد الشام (من القرن الأول إلى القرن الثالث عشر الهجري) ، ص ٦٧ – ٩٢، مجلة الجامعة الإسلامية بغزة - فلسطين (سلسلة الدراسات الإنسانية) ج ١٣ – العدد الأول يناير ٢٠٠٥ م .

(3) جند الله كثيرة ومن أمثلتها ، الريح، والماء، والحشرات، وغيرها .

(4) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج ٣ ص ١٤٥، تعليق عمر عبد السلام تدمري ، ط. ، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

أرسل الله عليهم الريح وهي الصبا [١] وأمدهم بالملائكة زلزلتهم وألقت في قلوبهم الرعب [٢] .
وقد بين النبي ﷺ أنه نُصِرَ بالصبا ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : "نُصرت بالصبا، وأهلكت عاد بالدبور" [٣] يقصد يوم الأحزاب .

سنة ٢٠ هـ (٦٤١ م) :

ذكر اليعقوبي ضمن أحداث سنة ٢٠ هـ وقوع زلازل لم ير مثلها [٤] ، ومع أن اليعقوبي لم يحددها إلا أنها شملت سوريا وفلسطين حسب تحديد مصطفى محمود لمناطقها[٥].

مع العلم أن ابن حبان يذكر خبر وقوع هذه الزلزلة ويحددها بالمدينة النبوية [٦]، وهذا يؤكد وقوع زلازل في تلك السنة ، كذلك عبدالله النصر يذكر في كتابه " أنها وقعت في المدينة والحجاز زلازل في هذه السنة " [٧]، بينما لم يرد الخبر بوقوع زلازل في هذه السنة عند المؤرخين المتقدمين أمثال خليفة بن خياط والطبري في أيٍّ من بلاد المسلمين .ويبدو أن اليعقوبي بالغ في وصفها بأنها لم يُرَ مثلها ، ذلك وأن حدثاً وبمثل هذا الوصف لا يمكن أن تهمله جميع المصادر المتقدمة .

---

(1) قوله (بالصبا) : بفتح المهملة وتخفيف الموحدة وهي الريح الشرقية ، والدبور الريح الغربية . ويقال لها القبول بفتح القاف لأنها تقابل باب الكعبة إذ مهبها من مشرق الشمس ، وضدها الدبور وهي التي أهلِكَ بها قوم عاد ، ومن لطيف المناسبة كون القبول نصرت أهل القبول وكون الدبور أهلكت أهل الإدبار ، ومن الرياح أيضا الجنوب والشمال ، فهذه الأربع تهب من الجهات الأربع ، وأي ريح هبت من بين جهتين منها يقال لها النكباء بفتح النون وسكون الكاف بعدها موحدة ومد . ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري ، تحقيق ، عبد القادر شيبة الحمد ، ط ١ ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م ، طبع على نفقة الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود .

(2) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٣ ص ٤٧٨ ـ ٤٨٠ .

(3) البخاري ، صحيح البخاري ، ج ٣ ص ١٢٤ .

(4) تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ص ١٥٦ .

(5) الزلازل ، ص ٨٩ .

(6) السيرة النبوية وأخبار الخلفاء ، ص ٤٧٩، صححه وعلق عليه ، السيد عزيز بك ، ط ٢ ، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م ، مؤسسة الكتب الثقافية .

(7) عبد الله حسن النصر ، الأحداث الزلزالية في الجزيرة العربية والمناطق المجاورة خلال التاريخ الهجري ، ص ٣٩، ط ١ ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م ، الإدارة العامة للتوعية العلمية والنشر ـ مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية .

سنة ٣٨ / ٣٩ هـ (٦٥٨ / ٦٥٩ م) :

يذكر هاني أبو الرب : " أنه وأثناء الصراع بين علي ومعاوية – رضي الله عنهما – خربت فلسطين هزة أرضية قوية . ثم تلتها هزة أرضية أخرى عام ٣٩ / ٦٥٩ م ضربت الكثير من المدن والقرى ، ولم تتوفر تفاصيل عن الخسائر التي سببتها هذه الزلازل في الأنفس والممتلكات " [١] .

كما ذكر هذا مصطفى محمود ، ضمن أحداث سنة ٦٥٨ / ٦٥٩ م : ويصفها بالزلازل العظيمة ويحدد مواقعها في سوريا وفلسطين[٢] ، ويذكر أنه :" زلزال عظيم هدم معظم مدن فلسطين والبلاد المجاورة " [٣].

أما يوسف الدبس فيذكر نقلاً عن صاحب كتاب التاريخ السرياني [٤] إنه حدث يوم الجمعة من شهر حزيران في الساعة الثانية زلزال شديد خرب كثيراً من قرى فلسطين ، وفي هذه السنة ٦٥٩ م أيضاً والتي تجادل فيها أساقفة اليعاقبة والموارنة بحضرة معاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنه – على الإيمان وغُلب اليعاقبة ففرض عليهم معاوية أن يدفعوا عشرين ألف دينار، وأمرهم أن يلزموا السكينة على أن يوفر لهم الحماية، وألا يضطهدهم أبناء الكنيسة الموارنة ، وفي أثناء هذا الحدث التاسع من شهر حزيران يوم الأحد حدث زلزال آخر [٥] . ويحدده عبدالله النصر في البصرة [٦] .

---

(1) تاريخ فلسطين في صدر الإسلام ، ص ١٩٨ . كذلك ينقل عن ثيوفانيس . وانظر كذلك : خالد الخالدي ، الزلازل في بلاد الشام ، ص ٧٠ .

(2) الزلازل ، ص ٨٩ .

(3) الزلازل ، ص ٨٩ .

(4) يرجح يوسف الدبس أن مؤلفه قيس الماروني الذي ذكره المسعودي .

(5) يوسف الياس الدبس (مطران بيروت الماروني) ، تاريخ سورية ، ج ٥ ص ٣٣، طبع في المطبعة العمومية في بيروت سنة ١٩٠٠ م .

(6) الأحداث الزلزالية في الجزيرة العربية والمناطق المجاورة خلال التاريخ الهجري،ص٤٦.

سنة ٤٣ هـ (٦٦٣ م) :

" وفي هذه السنة تعرضت الشام إلى زلزلة، لم يصلنا من أخبارها غير أنها أدت إلى خراب في قلعة رعبان [١] " [٢] .

سنة ٥٧ / ٥٨ هـ (٦٧٨ م) :

" وفي هذه السنة عرضت رجفة في نيسان، وانخسفت قرية من قرى سروج[٣] يقال لها قطنان وسقط سورها وعامة بيوتها ، وحدث مثل ذلك في الرُها [٤] ، وفسد فيها مواضع كثيرة ، وأمر معاوية بتجديدها وإعادة ما سقط من كنائس الرُها " [٥] . ويبدو أن هذه الزلزلة كان تأثيرها محدود ، ولكن لا يستبعد وصول تأثيرها إلى بلاد الشام خاصةً في البلدان المجاورة للجزيرة من جهة الشمال الشرقي .

سنة ٧٠ هـ (٦٨٩ م) :

يذكر العظيمي : " كانت بالشام زلزلة هدمت المدائن[٦] وأخربت طبرية " [٧] .

ويذكر هذا أيضاً صاحب البستان الجامع : " أنه وفي هذه السنة زُلزلت الشام " [٨] . وقد تفردا بهذا ، حيث لم تذكر المصادر الأخرى أي خبر عن هذه الزلزلة .

---

(1) قلعة رعبان : بفتح أوله وسكون ثانيه وباء موحدة وآخره نون ، مدينة بالثغور بين حلب وسميساط قرب الفرات معدودة في العواصم وهي قلعة تحت جبل ، الحموي ، معجم البلدان، ج٤ ص ٤٠٨ .

(2) خالد يونس الخالدي ، الزلازل في بلاد الشام ، ص ٧٠ .

(3) سروج : بلدة قريبة من حران ديار مضر ، فتحها عياض بن غنم صلحاً سنة ١٧ هـ . انظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج ٥ ص ٤٣ .

(4) الرها: مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام بينهما ستة فراسخ. الحموي، المصدر السابق ، ج٤ ص٤٥٠ .

(5) المنبجي ، المنتخب من تاريخ المنبجي ، ص ٧٣ .

(6) المدائن : اسم قريتين من نواحي حلب في نقرة بني أسد ، ينسب إليها أبو الفتح أحمد بن علي المدائني الحلبي . الحموي ، معجم البلدان ، ج ٧ ص ٢٢٢ .

(7) العظيمي، تاريخ حلب ، ص ١٦١، تحقيق إبراهيم زعرور، رسالة ماجستير جامعة دمشق، كلية الآداب، قسم التاريخ ، ١٩٨٤ م .

(8) الأصفهاني ، البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان ،ص ١١٩، تحقيق عمر عبدالسلام تدمري ، ط ١ ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م ، المكتبة العصرية ، بيروت – لبنان . ويرى محقق هذا الكتاب أنه لا يصح نسبة هذا الكتاب إلى أبي حامد محمد بن محمد الأصفهاني المعروف بالكاتب ويرى أنه لمؤلف مجهول . للاستزادة انظر مقدمة التحقيق ص ٥ – ٢٥ .

سنة ٩٤ هـ (٧١٣ م) [1] :

ومن الأحداث التي حدثت في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك : الزلازل في ولايته، التي هدمت كل شيء ، وأقامت أربعين صباحاً [2] .

وشمل الهدم الأبنية الشاهقة وتهدمت دورأنطاكية [3] ، وخربت البلاد ،وكان تركيزها في أنطاكية [4] . ويذكرها ابن كثير ويقول : " وفيها كانت الرجفة بالشام " [5] .

ويصفها ابن تغري" بالزلازل العظيمة والتي دامت في غالب البلاد أربعين يوماً وكان أولها من عشرين آذار فهدمت الأبنية ووقع معظم أنطاكية " [6].

---

(1) التاريخ الميلادي للزلازل من سنة ٩٤ – ٢٤٥ هـ مأخوذة من كتاب يوسف غوانمه ، الزلازل في بلاد الشام في العصر الإسلامي وأثرها على المعالم العمرانية ، ط. ١٩٩٠ م ، دار الفكر ، عمان – الأردن .

(2) اليعقوبي ، تاريخه ، ج ٢ ص ٢١٩ . والمنبجي ، المنتخب من تاريخ المنبجي ، ص ٨٢ . والقلقشندي ، مآثر الأنافة في معالم الخلافة ، ج ١ ص ١٣٧، تحقيق عبدالستار أحمد فراج ، ط. ، عالم الكتب ، بيروت – لبنان . ومصطفى محمود ، الزلازل ، ص ٥٨ . وابن واصل ، التاريخ الصالحي (سيرة النبي ﷺ والأنبياء عليهم السلام والخلفاء والملوك وغيرهم) ، ج ١ ص ٣٠١، تحقيق عمر عبدالسلام تدمري ، ط ١ ، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م ، المكتبة العصرية ، بيروت – لبنان . وعبدالرحمن سنبط قنيتق الأبلي ، خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك ، ص ١، صححه وعلق عليه مكي السيد جاسم ، ط. ، مكتبة المثنى ، بغداد .

(3) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ص ٣١٨ . ، أنطاكية : مدينة عظيمة من أعيان المدن على أطراف بحر الروم بالشام ، وهي قصبة العواصم من الثغور الشامية ، موصوفة بالنزاهة والحسن وطيب الهواء وعذوبة الماء وفي داخلها مزارع وبساتين ، بنتها أنطاكية بنت الروم بن اليقن بن سام بن نوح عليه السلام ذات سور وفصيل ولسورها ثلاثمائة وستون برجاً يطوف عليها أربعة الآف حارس من عند صاحب القسطنطينية ، وسورها مبني على السهل والجبل وهو من عجائب الدنيا . وللاستزادة انظر القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ١٥٠ . وقيل بناها بطليموس بن هيفلوس الثاني من ملوك اليونانيين والنصارى يدعونها مدينة الله ومدينة الملك وأم المدائن لأنها أول بلد أظهر فيه دين النصرانية . للاستزادة انظر الحميري ، الروض المعطار ، ص ٣٨ . فتحها القائد أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه سنة ١٥ هـ ولم تزل ثغراً من ثغور المسلمين إلى أن ملكها الروم سنة ٣٥٣ هـ واستمرت في أيديهم إلى أن استنقذها سليمان السلجوقي سنة ٤٧٧ هـ . انظر ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، ج ١ ص ٢١٣ . وتعد أنطاكية أكثر المدن التي ارتبط اسمها بالزلازل في السجل الزلزالي العربي القديم ، فقد قتلت الزلازل أكثر من نصف مليون شخص من سكانها ودمرت المدينة مرات عديدة وتليها دمشق والقدس وبغداد والموصل والبصرة والقاهرة .. انظر مصطفى محمود ، الزلازل ، ص ٥٨ .

(4) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٤ ص ٢٣٠ . والنويري ، نهاية الأرب ، ج ٢ ص ٢٨٩ . والأصفهاني، البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان ، ص ١٢٨ .

(5) البداية والنهاية ، ج ٩ ص ١٠٢ .

(6) ابن تغري ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج ١ ص ٢٩١، تعليق محمد حسين شمس الدين ، ط ١ ،١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت . وانظر : السيوطي ، كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة ، ص ١٦٧ . وانظر : يوسف غوانمه ، الزلازل في بلاد الشام في العصر الإسلامي وأثرها على المعالم العمرانية ، ص ١٧ .

وصاحب كتاب العيون والحدائق [1] والغزي يحددان تاريخ وقوع هذه الزلزلة بسنة ٩٣ هـ [2] وهذا يخالف ما اتفقت عليه المصادر السابقة .

سنة ٩٨ / ٩٩ هـ (٧١٧ / ٧١٨ م):

" وفيها زلزلت بلاد الشام في عهد الخليفة عمر بن عبدالعزيز [3]، وكثرت الزلازل في الدنيا ودامت ستة أشهر" [4] " وقيل عادت الزلازل أربعين يوماً وقيل ستة أشهر فهدمت القلاع والأماكن العالية" [5]. وذكر بعضهم أنها كانت في الشام والجزيرة سنة ٩٩هـ[6] .

" وكتب الخليفة عمر بن عبدالعزيز إلى الأمصار وواعدهم يوماً بعينه ثم خرج بنفسه رضي الله عنه في ذلك اليوم وخرج معه الناس فدعا عمر وتضرع فسكنت الزلازل ببركته " [7].

سنة ١٢٤ هـ (٧٤٢ م) :

يذكر المنبجي : " أنه قلت الأمطار في هذه السنة ، ونقصت بسببها الينابيع والأنهار ، وعرض جوع شديد ، ورجفات كثيرة مختلفة " [8] .

---

(1) مؤلف مجهول ، العيون والحدائق في إخبار الحقائق ، من خلافة الوليد بن عبدالملك إلى خلافة المعتصم ، ص ٨ ، مكتبة المثنى ، بغداد .

(2) الغزّيّ ، نهر الذهب في تاريخ حلب ، ج ٣ ص ٢٦ .

(3) السيوطي ، كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة ، ص ١٦٧ .

(4) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٧ ص ٢٩ . وانظر : ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٤ ص ٢٦٣ . ومصطفى محمود ، الزلازل ، ص ٥٨ .

(5) ابن تغري ، النجوم الزاهرة ، ج ١ ص ٣٠٢ .

(6) الأصفهاني، البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان ، ص ١٣٢ . وعبدالله يوسف الغنيم ، سجل الزلازل العربي ، ص ٧٠ .

(7) ابن تغري ، المصدر السابق ، ج ١ ص ٣١٠ . وانظر : يوسف غوانمه ، الزلازل في بلاد الشام في العصر الإسلامي وأثرها على المعالم العمرانية ، ص ١٧ .

(8) المنتخب من تاريخ المنبجي ، ص ٩٤ . عبدالله الغنيم ، سجل الزلازل العربي ، ص ٧١ .

ويذكر عبدالله النصر ومصطفى محمود وقوع أحداث زلزالية في هذه السنة في سورية والأردن وجنوب الحجاز [1].ولم يذكرا نتائجاً لهذه الزلازل . ويذكر مصطفى محمود أنها استمرت عشرة أيام [2].

سنة ١٣٠ هـ (٧٤٧ / ٧٤٨ م) :

وفيها كانت الزلزلة العظيمة بالشام ، وينقل لنا الذهبي هذه الرواية : قال ابن جوصا : حدثنا محمد بن عبدالوهاب بن محمد بن عمرو بن محمد بن شداد بن أوس الأنصاري قال : حدثنا أبي عن أبيه فذكر حديثاً طويلاً منه : " لما كانت الرجفة التي بالشام سنة ثلاثين ومئة كان أكثرها ببيت المقدس فهلك كثير ممن كان فيها من الأنصار وغيرهم ، ووقع منزل شداد بن أوس الأنصاري [3] على من كان معه، وسلم محمد بن شداد وذهب متاعه تحت الردم " [4] .

وزاد في سير أعلام النبلاء " أنه ذهبت رجله أي محمد بن شداد " [5] .

ويورد المنبجي خبر هذه الزلزلة ويحدد مركزها بساحل فلسطين فيقول : " وعرضت رجفة شديدة في كانون الآخر في ساحل بحر فلسطين ، وانخسف هناك أماكن كثيرة لك فيها خلق كثير ، وخاصة بطبرية فإنه فقد منها من الناس مائة ألف ونيف " [6] .

---

(1) الأحداث الزلزالية في الجزيرة العربية ، ص ٣٩ . الزلازل ، ص ٩٠ ، وهذه المعلومة لم ترد إلا عنده وعند مصطفى محمود . ، وقد اعتمد عبدالله النصرعلى امبريسز، نيكلوس ن . (١٩٨٨م) تقرير بحثي ، ن١١/٨٨ ، إدارة الهندسة المدنية ، الكلية الملكية للعلوم والتقنية ، لندن .

(2) الزلازل ، ص ٩٠ .

(3) هو شداد بن أوس بن ثابت الخزرجي الأنصاري ، يكنى أبا يعلى ، صحابي مات بالشام ، وهو ابن أخي حسان بن ثابت المتوفي سنة ٥٨ هـ . ابن الجوزي ، صفة الصفوة ، ج ١ ص ٢٧٦ ، تحقيق أحمد علي، ط ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م ، دار الحديث ، القاهرة .

(4) الذهبي ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، ج ٣ ص ٣٦٦، حققه بشار عواد معروف ، ط ١، ٢٠٠٣ م ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت – لبنان . والردمُ : ما يسقط من الجدار إذا انهدم ، وكل ما لفق بعضه ببعض فقد ردم . ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٦ ص ١٣٨ .

(5) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج ٤ ص ٨٧ .

(6) المنتخب من تاريخ المنبجي ، ص ١٠٥ - ١٠٦ .

ويصفها ابن تغري بأنها " كانت زلازل شديدة بالشام وأخربت بيت المقدس، وأهلكت أولاد شداد بن أوس فيمن هلك ، وخرج أهل الشام إلى البرية وأقاموا أربعين يوماً على ذلك، وقيل كان ذلك سنة إحدى وثلاثين ومائة " [1] .

ويذكر السيوطي : " أنه أصابت دمشق رجفة سنة ثلاثين ومئة حتى رحل أهلها عنها، وسقط في تلك الرجفة سوق الدجاج وذاك من الصخر العظام، فلما كان بعد ذلك بأيام كثيرة حركوا بعض الذي وقع فإذا فيه رجل حي فقيل له كيف حييت ؟ قال كانت جروٌ تأتيني بعظم في فيها فتجعله في فمي " [2].

ويذكر هاني أبو الرب أن زلزال سنة ١٣٠ هـ كان أخطر زلزال ضرب فلسطين في صدر الإسلام وقد أدى " إلى قتل عشرات الآلاف من الناس، وتهدمت الكثير من الكنائس خاصة في صحراء بيت المقدس " [3] . ويحدد الخالدي وقت حدوثها بشهر رمضان [4] .

سنة ١٣١ / ١٣٢ هـ (٧٤٨ / ٧٤٩ م) :

كما حدث في هذه السنة زلزلة، يذكر ذلك السيوطي فيقول : (قال وأخبرت أنه انشق في الرجفة العظمى، سنة إحدى وثلاثين ومئة سقف في المسجد حتى نظر منه إلى السماء، ثم جاءت رجفة بعده فأطبقته) [5].

ويؤرخ لها في البستان الجامع بسنة ١٣٢ هـ [6] .وكذلك عبدالله النصر يذكرأنه حدث زلزال سنة ١٣١ هـ ويحدد موقعه بدمشق وفي سنة ١٣٢ هـ حدثت زلزلة أخرى في بلاد

---

(1) النجوم الزاهرة ، ج ١ ص ٣٩٤ .

(2) كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة ، ص ١٦٨ . وانظر : يوسف غوانمه ، الزلازل في بلاد الشام في العصر الإسلامي ، ص ١٧ .

(3) تاريخ فلسطين في صدر الإسلام ، ص ١٩٨ .

(4) الزلازل في بلاد الشام ، ص ٧٠ .

(5) كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة ، ص ١٦٨ . وعبدالله النصر ، المصدر السابق ، ص ٤٦ .

(6) الأصفهاني ، ص ١٤١ .

الشام [١]، وكذلك مصطفى محمود يؤرخ لها بعامي ٧٤٨ / ٧٤٩ م ويحدد موقعها في دمشق تحديداً [٢].

سنة ١٤٠ هـ (٧٥٧ م) :

تذكر بعض المراجع أنه حدثت في هذه السنة زلزلة في المصيصة (المعمورة)[٣] .

ويورد ابن الأثير ما يدل على وقوع هذه الزلزلة فيذكر : " فيها أمر المنصور بعمارة مدينة المصيصة [٤] على يد جبرائيل بن يحيى ، وكان سورها قد تشعث من الزلازل وأهلها قليل ، فبنى السور وسماها : المعمورة ، وبنى بها مسجداً جامعاً ، وفرض فيها لألف رجل، وأسكنها كثيراً من أهلها " [٥] .

أما مصطفى محمود فيذكر أنه حدث في عام ٧٥٦ م زلزال عظيم في سوريا وفلسطين[٦]، وما بين عامي ٧٥٨ – ٧٧٥ م حدثت هزة عنيفة سقطت على أثرها منارة المسجد، وقد شملت حلب وأنطاكية والقدس [٧] .

سنة ١٦٣ هـ (٧٨٠ م) :

" وفي زمانه (ثاوذوروس الثاني) [٨] حدث زلزال عظيم عم فلسطين وسوريا فتهدم كثير من الكنائس والأديرة، وألوف من السكان هلكت تحت الردم " [٩] .

---

(1) الأحداث الزلزالية في الجزيرة العربية ، ص ٤٦ .

(2) الزلازل ، ص ٩١ .

(3) عبدالله النصر ، الأحداث الزلزالية في الجزيرة العربية ، ص ٤٦ . ومصطفى محمود ، الزلازل ، ص ٩١ .

(4) المصيصة : مدينة بأرض الروم على ساحل جيحان كانت من ثغور الإسلام ، سميت بالمصّيصة بن الروم بن اليقين بن سام بن نوح عليه السلام ، وجيحان نهر يخرج من بلاد الروم حتى يصل المصيصة وبين المصيصة والبحر اثنا عشر ميلاً . انظر القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد ، ص٥٦٤ ، وانظر : الحميري ، الروض المعطار ، ص ٥٥٤ .

(5) الكامل في التاريخ ، ج ٤ ص ٦٤٦ .

(6) الزلازل ، ص ٩١ .

(7) الزلازل ، ص ٩١ .

(8) أحد بطاركة الكنيسة الأورشيلمية ، انظر : خليل إبراهيم قزاقيا ، النسخة الإلكترونية لكتابه المسمى الكنيسة الرسولية الأورشليمية http://www.orthodoxissues.com/ . والكنيسة الرسولية الأولى هي : أحد الكنائس الغير تقليدية وهي كنيسة انجيلية تبشيرية كاريزماتية. للاستزادة . انظر : موسوعة ويكبيديا الموسوعة الحرة . http://ar.wikipedia.org .

(9) عبدالله الغنيم ، سجل الزلازل العربي ، ص ٧٤ .

وهذا الزلزال لم تذكره المصادر الأخرى ، وقد نقله الغنيم عن خليل قزاقيا أثناء حديثه عن بطاركة الكنيسة الأورشيليمة . بينما يذكر مصطفى محمود حدوث زلازل بين عامي ٧٧٥ – ٧٩٥ م، ولم يحدد تاريخها بدقة، ويصفها بأنها زلازل قوية هدمت المباني[١].

سنة ١٨٧ هـ (٨٠٢ / ٨٠٣ م) :

" وفيها زلزلت المصِّيصة فانهدم بعض سورها ، ونضب ماؤهم ساعة من الليل" [٢]. ويصفها السيوطي " بأنها زلزلة عظيمة " [٣] .

سنة ٢١٩ هـ (٨٣٤ م) :

" وفي سنة تسع عشرة ومائتين قال صاحب المرآة : كانت ظلمة شديدة بين الظهر والعصر وزلازل هائلة " [٤]. كما ذكرها ابن الجوزي ضمن أحداث هذه السنة [٥] ، ويحددها عبدالله النصر في بلاد الشام [٦]، ولم يعطينا المصدر توضيحات عما خلفته تلك الزلازل من آثار.

" وقال أبو بكر النحاس في الوقت الذي ضرب فيه أحمد بن حنبل أظلمت الدنيا وزلزلت [٧] أي في خلافة المعتصم (٢١٨ – ٢٢٧ هـ)،أيام الفتنة بخلق القرآن، عندما لم يجبه إلى القول بخلقه ، فأمر به فجلد سنة ٢١٩هـ " [٨] .

---

(1) الزلازل ، ص ٩١ .

(2) الطبري ، تاريخه ، ج ٤ ص ٦٦٥ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٩ ص ١٣٧ . ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٥ ص ٢٣٠ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٠ ص ٢٠٩ . وعبدالله النصر ، الأحداث الزلزالية ، ص ٤٦ .

(3) كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة ، ص ١٦٨ .

(4) السيوطي ، المصدر السابق ، ص ١٦٨ .

(5) المنتظم ، ج ١١ ص ٤٢ .

(6) الأحداث الزلزالية في الجزيرة العربية ، ص ٤٦ .

(7) السيوطي ، كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة ، ص ١٦٩ .

(8) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٥ ص ٤٣١ . وينبغي ألا نربط بين حدوث الزلزلة وما تعرض له الإمام أحمد بن حنبل من ضرب ، لأن هذه الظواهر تحدث بتقدير الله ولحكمة يعلمها الله ، وليست متعلقة بفرد من الأفراد ، ومما يدل على ذلك حالة الكسوف التي حدثت في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزامنت مع وفاة ابنه إبراهيم فذهب الناس إلى الربط بين الحادثتين فقال رسول الله : " إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله، وكبروا وصلوا وتصدقوا " .

سنة ٢٢٠ هـ (٨٣٥ م):

" وفي سنة عشرين ومائتين زلزلت الأرض ودامت أربعين يوماً وتهدمت أنطاكية " [١] .

سنة ٢٣٢هـ (٨٤٦ / ٨٤٧ م) :

"كثرت الزلازل في المغرب وكانت زلزلة بدمشق هدمت منها المنازل والدور ومات خلق من الناس وكذلك بحمص وعظم ذلك في قرى أنطاكية والموصل ويقال إنه مات فيها عشرون ألفاً " [٢] .

ويذكر الذهبي عنها : " وفيها كانت الزلازل كثيرة بالشام وسقطت بعض الدور بدمشق ومات جماعة تحت الردم "[٣] .

وينقل لنا السيوطي ما ذكره صاحب المرآة فيقول: " في سنة اثنتين وثلاثين ومائتين كثرت الزلازل في الدنيا خصوصاً المغرب والشام وانهدمت حيطان دمشق وحمص وكان أشدها بأنطاكية والعواصم، وأخربت بلاد الجزيرة والموصل ودامت أياماً " [٤] .

ويصفها مصطفى محمود بالزلزال الكارثي المدمر خاصةً في حمص وأنطاكية [٥] .

سنة ٢٣٣ هـ (٨٤٧ م) :

ضربت الشام في هذه السنة زلازل تعتبر من أقوى الزلازل التي أصابت بلاد الشام ، وقد اشتدت وعظم تأثيرها في دمشق والغوطة والبلقاء [٦] وأنطاكية ،وقد تحدث عنها المؤرخون

---

(1) السيوطي ، كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة ، ص ١٦٩. وعبدالله النصر ، الأحداث الزلزالية ، ص ٤٦. ومصطفى محمود ، الزلازل ، ص ٩٢ .

(2) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ١١ ص ١٧٦ . وعبدالله النصر ، المصدر السابق ، ص ٤٦ .

(3) تاريخ الإسلام ، ج ٥ ص ٧٤٤ . وانظر : ابن تغري ، النجوم الزاهرة ،ج ٢ ص ٣١٩ .

(4) كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة ، ص ١٧٠ . وانظر : يوسف غوانمه ، الزلازل في بلاد الشام في العصر الإسلامي ، ص ١٨ .

(5) الزلازل ، ص ٩٢ .

(6) البلقاء : مدينة بالشام من عمل دمشق سميت بالبلقاء بن سورية من بني عبيل بن لوط ، وبها اجتمع الحكمان ، الحميري ، الروض المعطار ص ٩٦ .

وقدموا وصفاً دقيقاً لها ، ومن ذلك ما ذكره لنا ابن الجوزي حيث يقول : " وفي ربيع الآخر من هذه السنة رجفت دمشق رجفة شديدة لارتفاع الصخر وانتقضت منها البيوت وتزايلت الحجارة العظيمة، وسقطت عدة منازل وطاقات في الأسواق على من فيها فقتلت خلقاً كثيراً من الرجال والنساء والصبيان ، وسقط بعض شرفات المسجد الجامع وتصدعت طاقات القبة التي في وسط الجامع مما يلي المحراب وانقطع ربع منارة الجامع ، فهرب الناس بالنساء والصبيان، وهرب أهل الأسواق إلى مصلى العيد يبكون ويتضرعون ويصلون ويستغفرون إلى وقت المغرب ثم سكن ذلك فرجعوا فأخذوا في إخراج الموتى من تحت الهدم " [1].

" وذكر بعض من كان في دير مران [2] أنه كان يرى مدينة دمشق وهي ترتفع وتستقل مراراً وأصاب أهل قرية من عمل الغوطة من الرجفة أنها انكفأت عليهم فلم ينج منهم إلا رجل واحد على فرسه فأتى أهل دمشق فأخبرهم" [3] .

" وأصاب أهل البلقاء مثل ما أصاب أهل دمشق من هدم المنازل في ذلك اليوم وذلك الوقت وتزايلت الحجارة من سور مدينتها وسقط حائط لها عرضه ذراع في ستة عشر ذراعاً وخرج أهلها بنسائهم وصبيانهم فلم يزالوا في دعاء وضجيج حتى كف الله عنهم برحمته "[4].

" وعظمت الزلازل بأنطاكية ومات من أهلها خلق كثير، وكذلك الموصل، ويقال إنه مات من أهلها عشرون ألفاً " [5].

ويروي لنا الذهبي الحدث ويقول : " وفيها جاءت زلزلة مهولة بدمشق سقطت منها شرفات الجامع وانصدع حائط المحراب، وسقطت منارته، وهلك خلق تحت الردم، وهرب الناس إلى المصلى باكين متضرعين وبقيت ثلاث ساعات وسكنت " [6].

---

(1) المنتظم ، ج ١١ ص ١٨٩ . وعبد الله النصر ، الأحداث الزلزالية ، ص ٤٦ .

(2) دير مران : بالقرب من دمشق على تل مشرف على مزارع الزعفران ورياض حسنة وبناؤه بالجص وأكثر فرشه بالبلاط الملون وهو دير كبير وفيه رهبان، وفي هيكله صورة عجيبة دقيقة المعاني، كثيرة الأشجار محيطة به . الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ص ٣٦١ . والدير لا يكون في المصر الأعظم إنما يكون في الصحاري ورؤوس الجبال فإن كان في المصر سمي كنيسة . الغزي ، نهر الذهب ، ج ١ ص ٣٣٩ .

(3) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ١١ ص ١٩٠ .

(4) ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ج ١١ ص ١٩٠ .

(5) ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ج ١١ ص ١٩٠ .

(6) تاريخ الإسلام ، ج ٥ ص ٧٤٥ . وانظر : ابن تغري ، النجوم الزاهرة ، ج ٢ ص ٣٢٦ وزاد في وصفها بأنها عظيمة .

" وينقل الذهبي عن أحمد بن كامل القاضي في تاريخه ، قال إن بعض أهل دير مران رأى دمشق تنخفض وترتفع مراراً فمات تحت الهدم معظم أهلها، كذا قال والله حسيبه، قال وانكفأت قرية بالغوطة فلم ينج منه إلا رجل واحد وكانت الحيطان تنفصل حجارتها مع كون الحائط عرضه سبعة أذرع وامتدت إلى أنطاكية فهدمتها وإلى الجزيرة فأخربتها وإلى الموصل فيقال: هلك من أهلها خمسون ألفاً، ومن أهل أنطاكية عشرون ألفاً " [1] .

وفي سير أعلام النبلاء يذكر الذهبي أنه وفي أول خلافة المتوكل (٢٣٢ – ٢٤٧ هـ) كانت الزلزلة بدمشق وذكر الأحداث نفسها التي في تاريخه [2] .

وينقل السيوطي لنا ما ذكره صاحب المرآة حيث يقول : " وفي سنة ثلاث وثلاثين ومائتين كانت زلزلة عظيمة ، ذكرها الحافظ بن عساكر في كتاب الزلازل [3] وقال : زلزلت دمشق يوم الخميس ضحى لإحدى عشرة خلت من ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثين ومائتين فقطعت ربعاً من الجامع، وتزايلت الحجارة العظام، ووقعت المنارة وسقطت القناطر والمنازل، وامتدت في الغوطة، فأتت على داريا والمزة وبيت لهيا وغيرها وخرج الناس إلى المصلى يتضرعون إلى قريب نصف النهار فسكنت الدنيا " [4] .

ويصفها ابن العماد الحنبلي: " بأنها رجفت دمشق رجفة شديدة من ارتفاع الضحى: إلى ثلاث ساعات " [5].

وجميع هذه النصوص تؤكد أن زلزال هذه السنة كان من الزلازل الشديدة التي وقعت في بلاد الشام وشملت مناطق متعددة ، وكان تركيزها في: دمشق ، البلقاء، الغوطة،أنطاكية – داريا والمزة – وبيت لهيا ، وامتدت إلى العراق لتشمل : الموصل والجزيرة ، وأحدثت آثاراً بشرية وعمرانية واقتصادية واجتماعية كبيرة .

---

(1) تاريخ الإسلام ، ج ٥ ص ٧٤٥ . ابن تغري ، المصدر السابق ، ج ٢ ص ٣٢٦ .

(2) ج١٠ ص ٤٧ .

(3) هذا الكتاب مفقود .

(4) كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة ، ص ١٧٠ .

(5) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج١، ص٤٧٠ ، ط ١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، دار الكتب العلمية، لبنان – بيروت .

سنة ٢٣٩ هـ (٨٥٣ م) :

" وفي جمادى الأولى زلزلت الدنيا في الليل " [١] " ورجفت طبرية في ربع الليل الأول حتى مادت الأرض، واصطكت الجبال، ثم رجفت وانقطع من الجبل المطل عليها قطعة ثمانين ذراعاً طولاً وعرضاً في خمسين ذراعاً فتقطع فمات تحته بشر كثير وهَدَمَ دوراً " [٢].

سنة ٢٤١ هـ (٨٥٥ م):

" كانت زلزلة عظيمة بالشام أخربت أنطاكية وحمص وتدمر " [٣] . ويؤرخ لهذه الزلزلة عبدالله النصر والغنيم بعام ٢٤٤ هـ / ٨٥٨ م [٤] .

سنة ٢٤٢ هـ (٨٥٦ م) :

يذكر الطبري : " أن هذه السنة كان فيها زلازل هائلة، وعمت أرجاء كثيرة فكانت بفارس، وخراسان، والشام، في هذه السنة زلازل وأصوات منكرة، وكان باليمن مثل ذلك، مع خسف بها [٥] .

ويذكر العظيمي : " أن الزلزلة دبت إلى الثغور والشام " [٦].

---

(1) ابن تغري ، النجوم الزاهرة ، ج ٢ ص ٣٦١ .

(2) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١١ ص ٢٦٦. والسيوطي ، كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة، ص ١٧٠. و الإمام ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج ٢ ص ٢١٦ . وعبدالله النصر ، المصدر السابق ، ص ٤٦.

(3) الأصفهاني، البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان ، ص ١٨٣ . تدمر : من مدن الشام القديمة مشهورة في برية الشام، بينها وبين حلب خمسة أيام ، سميت بتدمر نسبة إلى تدمر بنت حسان بن أذنية بن السميدع ، يقال أن الجن بنتها لسليمان عليه السلام ، لها حصون لا ترام . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٢ ص ٤٣٣ . والحميري ، الروض المعطار ، ص ١٣١ .

(4) الأحداث الزلزالية في المناطق المجاورة للجزيرة العربية ، ص ٤٦ . عبدالله الغنيم ، سجل الزلازل العربي، ص ٨٦ .

(5) تاريخ الطبري ، ج ٥ ص ٣٢٥ . ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٥ ص ٥٥٢ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٠ ص ٣٧٠ . وعبدالله النصر ، الأحداث الزلزالية ، ص ٤٦ . وابن واصل ، التاريخ الصالحي ، ج ١ ص ٤٣١ . وابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص ١٤٣، ط ١ ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م ، دار الآفاق العربية .

(6) تاريخ حلب ، ص ٢٢٨ .

ويحدد ابن تغري بردى الشهر الذي وقعت فيه فيقول : " كانت زلزلة بعدّة بلاد في شعبان هلك منها خلقٌ تحت الردم، قيل : بلغت عدّتهم خمسة وأربعين ألفاً " [١].

ويذكر السيوطي : " أنه في هذه السنة كانت بقومس[٢] واليمن وفارس والشام وقم[٣] وقاشان[٤] والري [٥] وجرجان[٦] ونيسابور[٧] والدامغان[٨] وطبرستان [٩] واصبهان [١٠] زلازل منكرة وتقطعت جبال، وتشققت الأرض بقدر ما تدخل الرجل الشق، ورجمت قرية السوداء [١١] بناحية مضر من السماء بخمسة أحجار، ووقع حجر منها على خيمة أعرابي فاحترقت، ووزن حجر منها فكان عشرة أرطال وسار جبل باليمن عليه مزارع لأهله حتى مزارع آخرين " [١٢].

ويذكر ابن الجوزي أن : " طائراً دون الرخمة [١٣] وفوق الغراب أبيض وقع على دابة بحلب لسبع بقين من رمضان ، فصاح يامعشر الناس : اتقوا الله ، الله ، الله حتى صاح أربعين صوتاً وكتب بذلك صاحب البريد وأشهد خمسمائة إنسان سمعوه " [١٤].

(1) النجوم الزاهرة ، ج ٢ ص ٣٦٨ .
(2) قومس : في الاقليم الرابع وهي بين الري وخراسان ، وقومس بلد جليل القدر واسعة تشتمل على مدن وقرى وقصبتها الدامغان ، وهي أول مدن خراسان فتحها عبدالله بن عامر في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه سنة ٣٠ هـ . الحميري ، الروض المعطار ، ص ٤٨٥ . والحموي ، المصدر السابق ، ج ٧ ص ١٠٢ .
(3) قم : مدينة تذكر مع قاشان وهي من كور الجبل .وهي مدينة مستحدثة إسلامية لا أثر للأعاجم فيها وأول من مصرها طلحة بن الأحوص الأشعري ، فتحت سنة ٢٣ هـ . الحموي ، معجم البلدان ، ج ٧ ص ٨٨ .
(4) قاشان : مدينة قرب أصبهان تذكر مع قمّ . الحموي ، المصدر السابق ، ج ٧ ص ١١ ، والحميري ، الروض المعطار ، ص ٤٤٧ .
(5) الري : مدينة مشهورة من أمهات البلاد وهي قصبة بلاد الجبال . الحموي ، المصدر السابق ، ج ٤ ص ٤٥٧ .
(6) جرجان : مدينة مشهورة عظيمة بين طبرستان وخراسان . الحموي ، المصدر السابق ، ج ٣ ص ٤٢ .
(7) نيسابور : مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة معدن الفضلاء ومنبع العلماء ، خارجة من الإقليم الرابع في الإقليم الخامس . الحموي ، المصدر السابق ، ج ٨ ص ٤٢٢ .
(8) الدامغان : بلد كبير بين الريّ ونيسابور، وهي قصبة قومس . الحموي ، المصدر السابق ، ج ٤ ص ٢٨٤.
(9) طبرستان : بلدان واسعة كثيرة يشملها هذا الاسم ، وهذه البلاد مجاورة لجيلان وديلمان وهي بين الري وقومس والبحر وبلاد الديلم والجبل . الحموي ، المصدر السابق ، ج ٦ ص ٢٤٦ .
(10) أصبهان : اسم لإقليم من نواحي الجبل في آخر الإقليم الرابع وهي صحيحة الهواء نقية الجو خالية من جميع الهوام . الحموي ، المصدر السابق ، ج ١ ص ١٦٧ .
(11) السوداء : أربعة مواضع ، والمراد هنا ، السويداء المدينة المشهورة بين آمد وحران من نواحي ديار مضر بالجزيرة ، وأهلها نصارى أرمن في الغالب . الحموي ، معجم البلدان ، ج ٥ ص ٩٦ .
(12) كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة ، ص ١٧١ .
(13) الرخمة : طائر يشبه النسر في الخلقة ، غزير الريش ذو منقار طويل ، وله جناح طويل مدبب يبلغ طوله نحو نصف متر ، ومخالبة متوسطة الطول انظر حاشية الغزّيّ ، ج ٣ ص ٣٣ .
(14) المنتظم ، ج ١١ ص ٢٩٥ . وانظر : ابن تغري ج ٢ ص ٣٦٨ ، والذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج ٥ ص ٩٨٥ . وعمر بن أبي جرادة ، زبدة الحلب من تاريخ حلب ، ج ١ ص ٨٠ . القرماني ، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ ، تحقيق ، ج ٢ ص ١١٥، أحمد حطيط و فهمي سعد ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م ، عالم الكتب ، بيروت . والسيوطي ، كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة ، ص ١٧٠ . وتاريخ الخلفاء ، ص ٢٧١ . والغزّيّ ، المصدر السابق ، ج ٣ ص ٣٣ .

" وسمع في هذه السنة أصوات هائلة من السماء وزلزلت نيسابور، وتقلعت جبال من أصولها، ونبع الماء من تحتها ووصلت الزلزلة إلى الشام والثغور " [1] .

سنة ٢٤٥ هـ (٨٥٩ /٨٦٠ م) :

" وفي هذه السنة أصابت الشأم كله زلازل حتى ذهبت اللاذقية وجبلة ومات عالم من الناس حتى خرج الناس إلى الصحراء وأسلموا منازلهم وما فيها واتصل ذلك شهوراً من سنة ٢٤٥ هـ " [2] .

ويذكر الطبري : " أنه كانت في هذه السنة بأنطاكية زلزلة ورجفة في شوال قتلت خلقاً كثيراً وسقط منها ألف وخمسمائة دار، وسقط من سورها نيف وتسعون برجاً، وسمعوا أصواتاً هائلة لا يحسنون وصفها من كوى [3] المنازل، وهرب أهلها إلى الصحارى ، وتقطع جبلها الأقرع وسقط في البحر فهاج البحر في ذلك اليوم، وارتفع منه دخان أسود مظلم منتن، وغار[4] منها نهر على فرسخ لا يدري أين ذهب " [5] . والعظيمي يذكر : " أنه ظهرت حمرة في السماء وزلزلت أنطاكية أربعة أشهر أتلفت خلقاً " [6] .

وعمت الزلازل مواقع كثيرة منها : بالس [7] والرقة [8] وحران [9] ورأس

---

(1) عمر بن أبي جرادة ، زبدة الحلب من تاريخ حلب ، ج ١ ص ٨١ . الغزّيّ ، نهر الذهب في تاريخ حلب ، ج ٣ ص ٣٣ .

(2) اليعقوبي ، تاريخه ، ج ٢ ص ٤٩١ .

(3) الكوى : الخرق في الحائط والثقب في البيت ونحوه . ابن منظور ، لسان العرب ، ج ١٣ ص ١٤٠ .

(4) غار ، نضب وجفّ .

(5) تاريخ الطبري ، ج ٥ ص ٣٢٨ . وابن الجوزي ، المنتظم ، ج ١١ ص ٣٢٨ . وابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٥ ص٥٥٨ . وابن العبري ، تاريخ الزمان ، ص ٤٠ ، نقله إلى العربية إسحاق أرملة ، ط . ، ١٩٨٦ م ، دار المشرق ، بيروت – لبنان . والقلقشندي ، مآثر الأنافة في معالم الخلافة ، ج ١ ص ٢٣٣. وابن واصل ، التاريخ الصالحي ، ج ١ ص ٤٣٣ . ومصطفى محمود ، الزلازل ، ص ٦٥ .

(6) تاريخ حلب ، ص ٢٢٩ .

(7) بالس : بلدة بالشام بين حلب والرقة سميت فيما ذكر ببالس بن الروم بن اليقن بن سام بن نوح عليه السلام. الحموي ، معجم البلدان ، ج ٢ ص ٢٦١ .

(8) الرقة : مدينة مشهورة على الفرات بينها وبين حران ثلاثة ايام ، معدودة في بلاد الجزيرة ،لأنها من جانب الفرات الشرقي ، . الحموي ، المصدر السابق ، ج ٤ ص ٤١٣- ٤١٤ وهي حالياً من سوريا .

(9) حران : مدينة عظيمة مشهورة من جزيرة أقور وهي قصبة ديار مضر وهي على طريق الموصل والشام والروم . الحموي ، المصدر السابق ، ج ٣ ص ١٣٠ .

عين [1] وحمص ودمشق والرها وطرسوس [2] والمصيصة وأذنـة [3] وسـواحل الـشام [4] ورجفـت اللاذقيـة[5]، فما بقي منها منزل ولا أفلت من أهلها إلا اليسير وذهبت جبلة [6] بأهلها [7].

ويصفها ابن الوردي فيقول : " وفيها زلزل الشام عظيماً في شباط وسـقطت مـن ذلـك كنيـسة حناك [8] الكبيرة وغيرها " [9].

" وتزلزلت ديار الجزيرة والثغور وطرسوس وأذنة وزلزلت الشام فلم يسلم من أهل اللاذقية إلا اليسير وهلك أهل جبلة " [10].

ويتحدث عنها ابن كثير فيقول : " وفيها وقعت زلازل كثيرة في بلاد شتى فمن ذلك بمدينـة أنطاكيـة سقط فيها ألف وخمـسمائة دار، وانهـدم سـورها ونيـف وتـسعون برجـاً ، وسمعت من كوى دورها أصوات مزعجة جداً فخرجوا من منازلهم سـراعاً يهرعـون ، وسـقط الجبل الذي إلى جانبها الذي يقال لـه : الأقـرع فـساخ [11] في البحـر فهـاج البحـر عـن ذلـك وارتفع دخان اسود مظلم منتن وغار نهر على فرسخ منها فـلا يـدرى أيـن ذهـب ، وزلزلـت بالس والرقة وحران ورأس عين وحمص ودمشق والرها وطرسوس والمصيصة وأذنة وسـواحل

---

(1) رأس عين : مدينـة كبيـرة مشهورة من مدن الجزيرة بين حران ونصيبين ودنيسر . الحموي ، المصدر السابق ، ج ٤ ص ٣٨٠ .

(2) طرسوس : مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم .الحموي ، معجم البلدان ، ج ٦ ص ٢٥٦ . وهي تختلف عن مدينة طرطوس .

(3) أذنة : بلد من الثغور قرب المصيصة مشهور . الحموي ، المصدر السابق ، ج ١ص ١١٢ .

(4) سواحل الشام : المدن الممتدة على طول ساحل البحر المتوسط ، وهي سواحل حمص انطرطوس وبلنياس واللاذقية وجبلة والهرياذة وسواحل جند دمشق عرقة وطرابلس وجبيل وبيروت وصيدا وحصن الصفند وعدنون وسواحل جند الأردن صور وعكا وسواحل جند فلسطين قيسارية وأرسوف ويافا وعسقلان وغزة . انظر ابن قدامة ، الخراج وصنعة الكتاب ، ص ٢٥٥ .

(5) اللاذقية : في آخر بلاد الشام الساحلية وبقرب أنطاكية والبحر منها غرباً ، أقيم بها دور صناعة الرخام . الحميري ، الروض المعطار ، ص ٥٠٧ .

(6) جبلة : قلعة مشهورة بساحل الشام من أعمال حلب قرب اللاذقية . الحموي ، المصدر السابق ، ج ٣ ص٣١ .

(7) تـاريخ الطبـري، ج ٥ ص ٣٢٩ . وابـن الجـوزي ، المنـتظم ، ج ١٠ ص ٣٢٩ . وابـن واصـل، التـاريخ الصالحي، ج ١ ص ٣٠١ .

(8) حناك : حصن بمعرة النعمان . ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، ج ٣ ص ١٨٧ .

(9) تاريخ ابن الوردي ،ج ١ ص ٢١٩، ط ١ ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان .

(10) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٥ ص ٥٥٨ .

(11) ساخ : غاص وغار .

الشام، ورجفت اللاذقية فما بقي منها منزل ولا أفلت من أهلها إلا اليسير، وذهبت جبلة بأهلها " [1] .

ويذكر مؤلف البستان الجامع : " أنه جاءت زلزلة عظيمة بالشام هدمت أكثر العمارة ، وتبعها صوت أسقط الحوامل ومات خلق كثير " [2] .

ويشير معظم المؤرخين إلى هذه الزلازل التي وقعت في هذه السنة أنها عمت الدنيا، وامتدت إلى العراق، والمغرب، وخراسان، فأخربت القلاع والمدن والقناطر، وهلك خلق كثير تحت الردم، وكان أشدها في أنطاكية واللاذقية وجبلة وبالس، وأمر المتوكل بثلاثة الآف ألف درهم للذين أصيبوا بمنازلهم [3] .

وتعتبر هذه الزلازل هي أقوى وأشد الزلازل التي ضربت بلاد الشام خلال القرون الثلاثة الأول وذلك :

- لاتساع الرقعة التي شملتها .
- وما ترتب عليها من الآثار .
- وطول فترة بقائها .

سنة ٢٥٧ هـ (٨٧١ م) :

يذكر اليعقوبي أنه : "كانت في السماء نار عظيمة أخذت من المشرق إلى المغرب" ، وبعد أن جلت تلتها مع مطلع فجر الثالث والعشرين من رجب ، المقابل لحزيران " هدّة شديدة وزلزلة " [4] .

---

(1) البداية والنهاية ، ج١٠ ص ٣٧٣ . والغزّيّ ، نهر الذهب في تاريخ حلب ، ج ٣ ص ٣٣.

(2) الأصفهاني ، ص ١٨٤ .

(3) الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج ٥ ص ٩٨٧ . وسير أعلام النبلاء ، ج ١٠ ص ٤٩ . وابن تغري ، النجوم الزاهرة ، ج ٢ ص ٣٨٢ . والسيوطي ، تاريخ الخلفاء، ص ٢٧٢ ، وكشف الصلصلة عن وصف الزلزلة ، ص١٧٠ – ١٧١ . والقرماني ، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ ، ج ٢ ص ١١٥ . وابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج ٢ ص ٢٤١ . وشفيق جاسر ، تاريخ القدس والعلاقة بين المسلمين والمسيحيين فيها منذ الفتح الإسلامي حتى الحروب الصليبية ، ص ١٧٧ .

(4) تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ص ٥٠٨ .

ولم يحدد اليعقوبي موقع الزلزلة ، مع أنه حدد تاريخها بدقة ؛ وذلك كونه معاصراً لهذا الحدث . والطبري يذكر تاريخها بسنة ٢٥٨ هـ ويحدد تاريخها لعشر خلون من شعبان ويحدد موقعها بالصَّيمرة [١] . ومصطفى محمود يحددها موقعها بواسط في العراق ، ويعتبره زلزال مدمر قتل نحو (٢٠٠٠٠) ألف من أهل واسط [٢] . وإن كانت في العراق فإن تأثيرها سيصل إلى بلاد الشام ؛ لقرب بلاد الشام من العراق .

سنة ٢٦٧ هـ (٨٨١ م) :

" وفيها كانت زلزلة عظيمة بالشام، ومصر، وبلاد الجزيرة، وأفريقية، والأندلس، وكان قبلها هدة عظيمة قوية " [٣] . ويحددها الخالدي بيوم الخميس الثاني والعشرين من شهر شوال ، ولم تتوفر معلومات عن الخسائر التي أسفرت عنها هذه الزلزلة في بلاد الشام[٤] .

وقد ذكر الناصري آثارها في بلاد المغرب قائلاً :" كانت زلزلة عظيمة لم يسمع بمثلها، تهدمت منها القصور، وانحطت منها الصخور من الجبال ، وفر الناس من المدن إلى البرية من شدة اضطراب الأرض ، وتساقطت السقوف والحيطان ، وفرت الطيور عن أوكارها، وماجت في السماء زماناً حتى سكنت الزلزلة ، وعمت هذه الرجفة جميع بلاد الأندلس سهلها وجبالها وجميع بلاد العدوة من تلمسان إلى طنجة، ومن البحر الرومي إلى أقصى المغرب" [٥] . وهذا له دلالاته الواضحة من حيث قوتها ، واتساع رقعتها ، ومدى قوتها وتأثيرها .

---

(1) تاريخ الطبري ، ج ٥ ص ٤٩٣ .

(2) الزلازل ، ص ٩٤ .

(3) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٦ ص ٦٩ . وعبدالله النصر ، الأحداث الزلزالية ، ص ٤٦ . والغزّيّ ، نهر الذهب في تاريخ حلب ، ج ٣ ص ٣٥ .

(4) الزلازل في بلاد الشام ، ص ٧٣ .

(5) الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى ، ج ١ ص ١٨١، تحقيق ولدي المؤلف جعفر ومحمد ، ط. ، ١٩٥٤ م ، دار الكتاب ، الدار البيضاء .

سنة ٢٧٢ هـ (٨٨٥ م) :

" كانت زلزلة عظيمة عمت البلدان ، ووقع غلاء ، بيع القمح فيه نصف ويبةٍ [١] بدينار" [٢]. ويحددها عبد الله النصر في مصر والشام [٣].

سنة ٢٧٥ هـ (٨٨٨ م) :

يذكر عبد الله النصر وقوع زلزلة عظيمة عمت البلدان [٤]، لكنه لم يحدد موقعها بالضبط ، ولا آثارها ؛ لكن قوله عمت البلدان دل على أنها شملت مناطق واسعة ، والشام أولى من غيرها لاشتهارها بالزلازل .

سنة ٢٨٩ هـ (٩٠٢ م) :

يذكر ابن الجوزي : " أنه في هذه السنة كثرت الزلازل فكان في رجب زلزلة شديدة"[٥] إلا أنه لم يحدد موقعها وما نتج عنها ، ويبدو أنها كانت زلزلة عامة شملت مناطق واسعة . ويذكر مصطفى محمود : " أنه شمل بغداد والبصرة وحمص وكان زلزال بحري أحدث طوفانات [٦] بحرية أغرقت مواضع كثيرة " [٧] .

---

(1) الويبة : مكيال معروف . ابن منظور ، لسان العرب ، ج ١٥ ص ٢٩٤ . وهو اثنان أو أربعة وعشرون مدا، الفيروزابادي ، القاموس المحيط ، ص ١٤٣ . للاستزادة عن المد ومقداره انظر نفس المصدر ص ٣١٨ .

(2) القلقشندي ، مآثر الأنافة في معالم الخلافة ، ج ١ ص ٢٥٦ .

(3) الأحداث الزلزالية في الجزيرة العربية ، ص ٤٧ . وعبد الله الغنيم ، سجل الزلازل العربي ، ص ٩٢ .

(4) الأحداث الزلزالية في الجزيرة العربية ، ص ٤٧ . وعبد الله الغنيم ، سجل الزلازل العربي ، ص ٩٣ .

(5) المنتظم ، ج ١٢ ص ٤٢٣ .

(6) الطوفان : الماء الذي يغشى كل مكان ، وقيل : الطوفان الموت العظيم ، وقيل الطوفان من كل شيء ما كان كثيراً مُحيطاً مُطيفاً بالجماعة كلها كالغرق الذي يشتمل على المدن الكثيرة . ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٩ ص ١٦١ .

(7) الزلازل ، ص ٩٤ .

سنة ٣٠٠هـ (٩١٢ م):

" وصل الخبر في هذه السنة بانخساف قطعة عظيمة من جبل لبنان [1] وسقوطها في البحر [2] وحدثت زلزلة في مناطق مختلفة من لبنان" [3] .

هذا ما رصده الباحث على ضوء ما أطلع عليه من مصادر ومراجع، وقد بلغت (٣٠) زلزلة تنوعت ما بين ضعيفة ومتوسطة وشديدة .

---

(1) جبل لبنان : مطل على حمص، ويعتبر من الجبال المشهورة والمعروفة بجمال مناظرة وطيب الهواء فيه . انظر عنه : القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ٢٠٨ .

(2) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ١٣ ص ١٣٢ . وانظر : ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ص ١٢٦ . ويوسف بن تغري ، النجوم الزاهرة ، ج ٣ ص ٢٠٠ .

(3) عبدالله النصر ، الأحداث الزلزالية ، ص ٤٧ .

تناثر النجوم وانقضاء الكواكب والتغيرات الجوية :

النجم : " نجم الشيء ينجم بالضم نجوماً ظهر وطلع يقال : نجم السن ، ونجم النبت، والنجم : الكوكب ، والنجم : الثريا ، وهو اسم لها علم مثل زيد وعمرو ، فإذا قالوا طلع النجم يريدون الثريا ، وإن أخرجت الألف واللام تنكر " [١] .

وقال أهل اللغة : " النجم : بمعنى النجوم ، والنجوم تجمع الكواكب كلها ، والنَجْمُ في الأصل : اسم لكل واحد من كواكب السماء ، وهو بالثريا أخص" [٢] .

" والكوكب : من كواكب السماء ، ويُشبّه به النور ، فيسمى كوكباً ، وقيل الكوكب والكوكبة : النجم ، كما قالوا عجوز وعجوزة ، وبياض وبياضة ، قال الأزهري : وسمعت غير واحد يقول للزهرة من بين النجوم : الكوكبة يؤنثونها ، وسائر الكواكب تُذكر فيقال : كوكب كذا وكذا " [٣].

لقد شهدت بلاد الشام حوادث وظواهر تدل على وقوع تناثر للنجوم وانقضاء للكواكب ، وظهور نجوم وكواكب في السماء، سبَّبَ هذا هلعاً وخوفاً للسكان ، كما طرأت تغيرات جوية ومناخية وبشكل مفاجئ أثارت الرعب في نفوس السكان ،وقد رتبتها ترتيباً زمنياً حسب وقوعها في القرون الثلاثة الأول وحسب ما سجلته المصادر التاريخية .

ومما ينبغي ملاحظته أن هذه الظواهر الجوية لم تحدد المصادر مواقعها تحديداً دقيقاً، باعتبار أنها تحدث غالباً في الفضاء الخارجي — الجو – وقد يراها من يسكن مثلاً في العراق والشام أو الجزيرة والشام على حدٍ سواء بسبب تقارب الأمصار بعضها من بعض، وكذلك وجود قرى متجاورة ومشتركة ومتداخلة في الحدود ، فقد أوردتها دون التدقيق في موقعها – فضلاً عن عدم وجود حدود برية مرسومة بين الأمصار في تلك الفترة بل الدولة كلها دولة واحدة وتتبع خليفة واحد وتدين له بالتبعية – ، إلا أن الباحث حرص على

(1) الجوهري ، معجم الصحاح ، ص ١٠٢٤ .

(2) ابن منظور ، لسان العرب ، ج ١٤ ص ٢٠٢ .

(3) ابن منظور ، المصدر السابق ، ج ١٣ ص ١٣٤ . والكواكب السيارة سبعة : زحل والمشتري والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر ، وهي تتحرك من المغرب إلى المشرق . للاستزادة عن مراتبها واشتقاق أسمائها ومقادير أبعادها من الأرض. انظر القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٢ ص ١٦٥ .

الاستنتاج من ورود الخبر عن أي إشارة قد تدل على أن الحادثة حدثت في بلاد الشام ، كذكر الحدث أو الخبر بالشهور السريانية وهي الدارجة في الشام ،أو ارتباط الخبر بحدث تاريخي وقع في بلاد الشام ، أو ارتباط الخبر بأي خليفة خلال فترة الدراسة ، أو إيراد الخبر من مؤرخ يعيش بالشام ،وهكذا .

سنة ٧ هـ :

" ظهر النجم المذنب [١] في السماء من ناحية المغرب " ، ذكر هذا المنبجي ضمن أحداث سنة ٦٢٦ م [٢] .

سنة ٥٤ هـ :

" في السنة الثالثة عشر لمعاوية ظهر قوس قُزح في السحاب كاملاً ، فغشي الناس الخوف والفزع ، وقال كثير عن القيامة : قد حضر وقتها " [٣] .

سنة ٥٥ هـ :

(ظهر كوكب ذُؤابي[٤] وبقي من ثمانية عشر إلى عشرين من أيلول) [٥] .

---

(1) الذنب : آخر كل شيء . والمذنب أي ذو الذنب الطويل . ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٦ ص ٤٦ . وفي رسائل إخوان الصفا يذكرون : " إن الكواكب ذوات الأذناب، التي تظهر في بعض الأحايين قبل طلوع الشمس أو بعد غروبها، فإنها لا تحدث إلا في كُرة الأثير – النار – قريباً من فلك القمر، والدليل على ذلك دورانها مع فلك القمر، تارةً بالتقدُّم على توالي البروج كمسير الكواكب السيَّارة، وتارة بالتأخر كرجوعها . وأما مادتها التي تتكون منها فهي دخانٌ وبخارٌ لطيفان يصعدان إلى هناك، فينعقدان بقوة زحل وعطارد، وتكون شفافة كشفيف البلور، إذا أشرقت عليها الشمس شفَّت من الجانب الآخر، فلا تزال تدور مع الفلك وتطلع وتغيب إلى أن تضمحل وتتلاشى ، وكل هذه الحوادث التي ترى في ضوء الهواء إما بشارات من الله تعالى بالرخص والخصب والسلامة للناس والحيوان والصلاح ، وإما إنذارات وتخويفات من الحدثان والجدب والقحط والغلاء والزلازل والوباء والموت والخسف والحروب والفتن، وذلك ليجعل العباد المكلفين يعتبرون ويرتدعون عن معصية الله ، وينقادون إلى طاعة الله ويظهرون الدعاء والتضرع والتوبة والندم والتطوع بالصوم والصلاة والصدقة ... إلخ " انظر : رسائل إخوان الصفا وخلان الوفاء ، ج ٢ ص ٨٥، تأليف إخوان الصفا (القرن الرابع الهجري) ، ط . ، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م ، دار صادر، بيروت – لبنان .

(2) المنتخب من تاريخ المنبجي ، ص ٢٨ .

(3) المنبجي ، المصدر السابق ، ص ٢٨ .

(4) الذؤابة : الناصية وقيل ، الذؤابة منبت الناصية من الرأس والجمع الذوائب ، وذؤابة الجبل ، أعلاه ، وغلام مُذأب ، له ذؤابة ، وذؤابة الفرس ، شعر في الرأس في أعلى الناصية ، وذؤابة كل شيء أعلاه . للاستزادة انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٦ ص ١٢ و ١٣ .

(5) الأصفهاني ، البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان ، ص ١١٠ .

سنة ١١٥ هـ :

" في السنة العاشرة لهشام بن عبد الملك ظهر في السماء شبيه بسيف من نار في تشرين الأول " [١] .

سنة ١٢٥ / ١٢٦ هـ :

" ظهرت في السماء آية [٢] كبيرة مثل أساطين [٣] من نار تتأجج في حزيران وثبتت ، ثم ظهرت أخرى في أيلول كلهيب النار وامتدت من المشرق إلى المغرب " [٤] .

" وفيها ظهرت آية أخرى في كانون الأول على شكل القمر ، وكان الجو كدراً مظلماً " [٥] .

" وفي خلافة يزيد بن الوليد سنة ١٢٦ هـ ظهر في السماء نار تأجج " [٦].

سنة ١٢٧ هـ :

" وفي خلافة مروان بن محمد ظهر النجم المذنب " [٧] . " وفي هذه السنة عرضت ظلمة شديدة ، وكانت خمسة أيام في آب ، وكان الجو متكدراً مظلماً ، وكانت الشمس مثل الدم ، وكان ضوؤها ضعيفاً ، ولم يكن ذلك الكسوف لكن اكدّر الجو " [٨] .

سنة ١٣٦ هـ :

حيث أشارت بعض المصادر إلى أنه : " ظهر في السماء آية مثل حربة من نار ممتدة من الشرق إلى الغرب ، وجعلت تمتد وتنقص " [٩] .

---

(1) المنبجي ، المنتخب من تاريخ المنبجي ، ص ٩١ .

(2) الآية : العلامة . ابن منظور ، لسان العرب ، ج ١ص ٢٠٦ .

(3) أساطين : الأسطوانة ، السارية المعروفة . ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٧ ص ١٨٤ .

(4) المنبجي ، المنتخب من تاريخ المنبجي ، ص ٩٥ .

(5) المنبجي ، المصدر السابق ، ص ٩٥ .

(6) المنبجي ، المصدر السابق، ص ٩٧ .

(7) المنبجي ، المصدر السابق ، ص ١٠٠ .

(8) المنبجي ، المصدر السابق ، ص ١٠٤ .

(9) المنبجي ، المصدر السابق ، ص ١١٩ .

سنة ١٤٣هـ :

في هذه السنة طلع الكوكب ذو الذنب [1] نهاراً يوم الجمعة لخمس ليال بقين من المحرم، فأقام نحواً من عشرين ليلة، ثم أفل ليالي، ثم طلع عشاء من قبل الشام النصف من صفر [2].

ويذكر المنبجي " أنه ظهر في هذه السنة النجم المذنَب ، وكان في الحمل بين يدي الشمس ، ثم صار من خلفها ، ولبث أربعين يوماً " [3] .

سنة ١٤٧ هـ :

" وفي هذه السنة تساقطت النجوم وتناثرت الكواكب [4] ، وفيها انتثرت الكواكب من أول الليل إلى الصباح فخاف الناس عاقبة ذلك " [5] .

سنة ١٦٧ هـ :

ذكرت المصادر أنه في تلك السنة : " أظلمت الدنيا ظلمة شديدة لليالٍ بقين من ذي الحجة، حتى تعالى النهار فكشف الله ذلك " [6] .

سنة ١٦٨ هـ :

" أصاب الناس في آخر سنة ١٦٨ هـ ودخول سنة ١٦٩ هـ وباء كثير، وظلمة، وتراب أحمر، كانوا يجدونه في فرشهم، وعلى وجوههم " [7] .

---

(1) وفي تفسير القرآن العظيم لابن كثير لسورة الدخان ، ج ٤ ص ١٥٠ ، أورد هذا الحديث ، عن عبد الله بن أبي مليكة قال ، غدوت على ابن عباس رضي الله عنهما ذات يوم فقال ، ما نمت الليلة حتى أصبحت ، قلت، لم ؟ قال ، قالوا ، طلع الكوكب ذو الذنب فخشيت أن يكون الدخان قد طرق فما نمت حتى أصبحت) قال عنه وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس رضي الله عنه حبر الأمة وترجمان القرآن وفيه يستدل به على أن الدخان من الآيات المنتظرة .

(2) مؤلف مجهول ، العيون والحدائق ، ص٢٢٩ .

(3) المنتخب من تاريخ المنبجي ، ص ١٢٥ .

(4) خليفة بن خياط ، تاريخه ، ص ٢٧٨ ، وابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٨ ص ١٠٢ . الأزدي ، تاريخ الموصل ،ص ٢٠٠، تحقيق علي حبيبة ، ط . ، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م ، لجنة إحياء التراث الإسلامي .

(5) ابن تغري ، النجوم الزاهرة ، ج ٢ ص ١١ .

(6) الطبري ، تاريخه ، ج ٤ ص ٥٨١ . و ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٨ ص ٢٨٨ . وابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٥ ص ١٣٦ . وابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٠ ص ١٦٠ .

(7) اليعقوبي ، تاريخه ، ج ٢ ص ٤٠١ .

سنة ١٧٧ هـ :

" فيها كان ليلة الأحد لأربع ليال بقين من المحرم ريح وظلمة وحمرة [(١)]، ثم كانت ظلمة ليلة الأربعاء لليلتين بقيتا من المحرم من هذه السنة، ثم كانت ريح وظلمة شديدة يوم الجمعة لليلة خلت من صفر " [(٢)] .

سنة ٢٠٢ هـ :

" فيها في ربيع الآخر : ظهرت حمرة في السماء ليلة السبت رابع عشر ربيع الآخر وبقيت إلى آخر الليل ، وذهبت الحمرة ، وبقي عمودان أحمران إلى الصبح " [(٣)] .

سنة ٢١٩ هـ :

" قال صاحب المرآة : كانت ظلمة شديدة بين الظهر والعصر وزلازل هائلة ، وقال أبو بكر النحاس : في الوقت الذي ضُرب أحمد بن حنبل أظلمت الدنيا وزلزلت " [(٤)] .

سنة ٢٢٢ هـ :

في هذه السنة " انقض ليلة السبت لست خلون من ربيع الآخر نجم لم يُر أعظم منه حتى نودي بالنفير[(٥)] في الرقة وكور الجزيرة[(٦)] والسابات [(٧)] " [(٨)] .

---

(1) قد يعترض في الأفق حمرة بالغداة والعشي من غير سحاب في الشتاء فيستدل به على قلة الخير وشدة الزمان .

وقد قال النابغة : لا يبرمون إذا ما الأفق جلله *** صرُّ الشتاء من الإمحال كالآدم

وهي تدل على الجدب حسب تفسيراتهم في تلك الفترة لبعض الظواهر الكونية . للاستزادة انظر : الأصفهاني ، الأزمنة والأمكنة ، ص ٥٣٩ – ٥٤٠ .

(2) الطبري ، تاريخه ، ج ٤ ص ٦٣٦ . وابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٩ ص ٢٩ . وابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٥ ص ١٨٩ .

(3) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ، ج ٥ ص ٣٦٠ . وابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٠ ص ٢٧٠ .

(4) السيوطي ، كشف الصلصلة ، ص ١٦٨ . وانظر :ابن تغري ، النجوم الزاهرة ، ج ٢ ص ٢٨١ .

(5) النفير : الآلة التي يصدر منها الصوت العالي ، وهي للإعلان الحرب . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ حاشية ص ٤ . وابن منظور يذكر أنه القوم ينفرون معك ويتنافرون في القتال . لسان العرب ، ج ١٤ ص ٣١٨ .

(6) كور الجزيرة : ما يقع بين نهري دجلة والفرات مثل ، سروج والرها وحران وقاليقلا ورأس عين وميافارقين والرحبة ... إلخ . أبي الفداء صاحب حماة، تقويم البلدان ، ص ٢٧٣ .

(7) السابات : (ساباط كسرى) موضع بالمدائن ، الحموي، ج ٣ ص ٥ .

(8) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ١١ ص ٧٣ .

وفيها يذكر ابن الأثير نقلاً عن تاريخ ابن أبي أسامة " وفيها ظهر عن يسار القبلة كوكب فبقي يرى نحواً من أربعين ليلة وله شبه الذنب وكان أول ما طلع نحو المغرب ثم رؤي بعد ذلك نحو المشرق وكان طويلاً جداً فهال الناس ذلك وعظم عليهم " (1) .

سنة ٢٣٢ هـ :

وفيها : " اشتد البرد في نيسان حتى جمد الماء لخمس خلون منه " (2) . ويبدو أن البرد كان عاماً ؛ وذلك إن المؤرخين لم يحددوا بقعة محددة لهذا البرد ، كما أن بلاد الشام أولى من غيرها بهذا الخبر لبرودة الجو فيها خلال فصل الشتاء .

سنة ٢٤١ هـ :

في هذه السنة " كان انقضاض الكواكب لليلة الخميس لستٍ خلون من جمادى الآخرة سنة ٢٤١ هـ ولم تزل تنقض من أول الليل إلى طلوع الفجر " (3) ، وزاد المسعودي " بأنه انقضاض لم ير مثله قط ، وكان في اليوم السادس من جمادى الآخرة " (4) .

" وفي جمادى الآخرة (5) ماجت (6) النجوم في السماء وتناثرت الكواكب كالجراد أكثر الليل وكان أمراً مزعجاً لم يعهد (7) ، فكان ذلك آية مزعجة " (8) .

ويصف ابن الجوزي ذلك بقوله : " ماجت النجوم في السماء وجعلت تتطاير شرقاً وغرباً ويتناثر بعضها خلف بعض كالجراد، من قبل غروب الشفق إلى قريب من الفجر، ولم

---

(1) الكامل في التاريخ ، ج ٥ ص ٤٥٢ . ويصف ابن الأثير ابن ابي أسامة بانه من الثقات الأثبات .

(2) الطبري ، تاريخه ، ج ٥ ص ٢٩٠ . والعظيمي ، المصدر السابق ، ص ٢٢٤ . وابن الجوزي ، المنتظم ، ج ١١ ص ١٧٦ .

(3) اليعقوبي ، تاريخه ، ج ٢ ص ٤٩١ . الأصفهاني، البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان ، ص ١٨٣ . والعظيمي ، تاريخ حلب ، ص ٢٢٧ .

(4) مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج ٤ ص ١١٣ .

(5) الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج ٥ ص ٩٨٥ .

(6) ماجت : ماج البحر يموج موجاً وموجاناً ومؤوجاً وتموَج ، اضطربت أمواجه ، وموج كل شيء وموجانه ، اضطرابه . ابن منظور ، لسان العرب ، ج ١٤ ص ١٤٩ .

(7) الذهبي ، تاريخ الذهبي ، ج ٥ ص ٩٨٥ ، والسيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ٢٧١ . وانظر : أبو الفرج نور الدين علي بن إبراهيم الحلبي ، السيرة الحلبية ، ج١ص ٣٠٦، تحقيق عبدالله الخليلي ، ط ٢ ، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان .

(8) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج ١٠ ص ٤٨ .

يكـن مثـل هـذا إلا لظهـور رسـول الله ﷺ " [1] . والأصـفهاني يـذكر أنـه : " وظهـر كوكـب بذؤابة" [2].

سنة ٢٥٠ هـ :

" طلع بالمشرق كوكب بذنب " [3] .

سنة ٢٥٣ هـ :

" فيها اتفق اجتماع المشتري ، والمريخ ، والزهرة ، وعطارد ، والشمس ، والقمر ، في برج السرطان في العشرين من حزيران ، وتولد سحاب ، ومطر غزير ، وظلمات ، ورعد ، وبرق ، ودام ستة أيام فبرد الجو ، وذلك في أول تموز " [4] .

سنة ٢٥٧ هـ :

يذكر اليعقوبي أنه : "كانت في السماء نار عظيمة أخذت مـن المشرق إلى المغـرب" ، وبعد أن جلت تلتها مع مطلع فجر الثالث والعـشرين مـن رجـب ، المقابـل لحزيـران " هـدّة شديدة وزلزلة " [5] . ولم يحـدد اليعقـوبي موقـع النـار ولا موقـع الزلزلـة ، مـع أنـه حـدد تاريخها بدقة؛ وذلك كونه معاصراً لهذا الحدث .

سنة ٢٦٣ هـ :

" فيها ظهر كوكب له ذؤابة " [6] .

سنة ٢٧٨ هـ :

" فيها طلع لليلتين بقيتا من المحرم كوكب ذو جمة ثم صارت الجمة ذؤابة " [7] .

---

(1) المنتظم ، ج ١١ ص ٢٨٣ . و ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج ٢ ص ٢٢٤ .

(2) البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان ، ص ١٨٢ .

(3) العظيمي ، تاريخ حلب ، ص ٢٣١ .

(4) الأصفهاني، البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان ، ص ١٨٧ .

(5) تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ص ٥٠٨ .

(6) الأصفهاني، المصدر السابق، ص ١٩٣ .

(7) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ١٢ ص٢٨٧ . وانظر : ابن الأثير ، الكامل في التاريخ، ج ٦ ص ١٣٣ . وابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٠ ص ٦٦ .

سنة ٢٨٤ هـ :

" فيها في ربيع الآخر ظهرت ظلمة شديدة وريح وحمرة ، وخاف الناس من ذلك كله ثم كشفه الله " [١] . ويذكر صاحب كتاب البستان الجامع أن تاريخها كان سنة ٢٨٣ هـ : "وفيها هبت ريح شديدة من وقت العشاء إلى نصف الليل ، وفي نصف النهار كانت ظلمة شديدة جداً ، وهاجت الريح أقوى من الأولى ، وكانت تطرح على رؤوس الناس رملاً أحمر، وكان الناس يرون في أربعة أركان السماء أعمدة نار . فلم يزل هذا إلى وقت الصبح ، ثم خمدت الريح ، وصارت السماء حمراء حمرة شديدة ، وكان الناس يرون الأرض ولباسهم والجبال وغيرها حمراً ، ثم غابت الحمرة ساعتين ، ثم تغيرت إلى صفرة ، ثم صارت سوداء، ولم تظهر الشمس يوماً ونصف يوم " [٢] .

سنة ٢٨٨ هـ :

يقول ابن كثير : " ولما ولي المكتفي ، كثرت الفتن، وانتشرت في البلاد ، وفي رجب منها زلزلت الأرض زلزلة عظيمة جداً،وفي رمضان منها تساقط وقت السحر من السماء نجوم كثيرة ، ولم يزل الأمر كذلك حتى طلعت الشمس" [٣] .

سنة ٢٨٩ هـ :

" انقضت الكواكب لثمان خلون من رمضان من جميع السماء في وقت السحر فلم تزل على ذلك إلى أن طلعت الشمس " [٤] .

كما حدث في هذه السنة تغير مُناخي سريع ومفاجيء ، حيث تذكر المصادر أنه " وفي يوم عرفة صلى الناس العصر بحمص وبغداد وكان الوقت صيفاً، فهبت ريح من ناحية الشمال باردة جداً ، حتى احتاجوا إلى الاصطلاء بالنار، ولبسوا الفراء والمحشوات، وجمد الماء كفصل الشتاء " [٥] . والطبري يذكرها ويحدد موقعها ببغداد فقط [٦].

---

(1) القلقشندي ، مآثر الأنافة في معالم الخلافة ، ج ١ ص ٢٦٦ .

(2) الأصفهاني، ص ٢٠٣ .

(3) البداية والنهاية ، ج ١١ ص ١٠١ . وابن الجوزي ج ١٢ ص ٤١٧ .

(4) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ١٢ ص ٤٢٣ ، وانظر : ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ص ١٠١ . والسيوطي ، كشف الصلصلة ، ص ١٧٣ .

(5) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ١٣ ص ٦ . وابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٦ ص ١٨٧ . وابن العبري ، تاريخ الزمان ، ص ٥٠ .والسيوطي ، كشف الصلصلة ، ص ١٧٣- ١٧٤ .

(6) تاريخ الطبري ، ج ٥ ص ٦٤٣ .

سنة ٢٩٢ هـ :

" فيها طلع كوكب الذنب وقت المغرب لعشر خلون من رجب في آخر برج[1] الحوت[2] ، وفيها في العشرين من أيار طلع كوكب له ذنب عظيم جداً في برج الجوزاء " [3] .

سنة ٢٩٤ هـ :

" في هذه السنة طلع كوكب الذنب من ناحية المغرب ، وكثرت الأمطار حتى غرقت المنازل" [4] .

سنة ٢٩٧ هـ :

" ظهر كوكب ذو ذُوآبة في ذي القعدة " [5] .

سنة ٢٩٩ هـ :

" ظهر فيها ثلاثة كواكب مذنبة . ظهر أحدها ليلة الخميس لخمس بقين من رمضان في برج الأسد ، وظهر الثاني في ليلة الثلاثاء لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي القعدة في المشرق، وظهر الثالث ليلة الأربعاء لعشر بقين من ذي القعدة في برج العقرب ، وبقيت أياماً ثم اضمحلت " [6] .

سنة ٣٠٠ هـ :

" تناثرت النجوم في جمادى الآخرة تناثراً عجيباً وكله إلى ناحية المشرق " [7] ويحدد تاريخها ابن كثير في ليلة الأربعاء لسبع بقين من جمادى الآخرة [8] . ويحدد ابن الجوزي موقعها بقوله : كلها جهة خراسان [9] .

---

(1) البرج : كل ظاهر مرتفع ، وإنما قيل للبروج بروج لظهورها وبيانها وارتفاعها ، والبُرجُ ، واحد من بروج الفلك ، وهي اثنا عشر برجاً ، كل برج منها منزلتان ، إذا غاب منها ستة طلع ستة ، ولكل برج اسم على حده، أولها الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت، وجمعها أبراج وبروج ، وقوله تعالى {وَالسَّمَاء ذَاتِ الْبُرُوج } سورة البروج آية (١) ، قيل ذات الكواكب . انظر ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٢ ص ٥٠ . وانظر : سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، ج ص ١٣٩ . والقلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٢ ص ١٦٩ . ويذكر الأصفهاني في كتابه الأزمنة والأمكنة ص ١٢١ ، أن للشتاء بروجاً وهي الجدي والدلو والحوت ، وبروج الربيع الحمل والثور والجوزاء ، وبروج الصيف السرطان والأسد والسنبلة ، وبروج الخريف ، الميزان والعقرب والقوس . وللاستزادة انظر : رسائل إخوان الصفا وخلان الوفاء ، ج ١ ص ١١٧ – ١١٩ .

(2) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ١٣ ص ٣٣ .

(3) ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج ٦ ص ٢٠٠ .

(4) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ١٣ ص ٥٠ .

(5) الأصفهاني، البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان ، ص ٢١٠ .

(6) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ١٣ ص ١٢٣ . وابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ص ١٢٤ .

(7) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ، ج ٦ ص ٢٥٨ .بن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٣ ص ٢٠٠ . وانظر: علي بن إبراهيم الحلبي ، السيرة الحلبية ، ج ١ ص ٣٠٦ .

(8) البداية والنهاية ، ج ١١ ص ١٢٦ .

(9) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ١٣ ص ١٣٣ .

كسوف الشمس وخسوف القمر[1] :

تمدنا المصادر في فترة الدراسة بنزر يسير من المعلومات عن الظاهرتين ، لكن وبطبيعة حالة الإيمان الموجودة في الناس في تلك القرون ، كانوا ينظرون إليها بنظرة إيمانية تبعث نوعاً من الاطمئنان النفسي لتسكين الهلع والخوف الذي يصاحب هذه الظواهر .

" فعن أبي بكرة قال: كنا عند رسول الله ﷺ ، فانكسفت الشمس، فقام النبي ﷺ يجر رداءه حتى دخل المسجد، فدخلنا، فصلى بنا ركعتين حتى انجلت الشمس، فقال ﷺ : إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد، فإذا رأيتموهما فصلوا وادعوا، حتى يكشف ما بكم " [2] .

" ويروي عبد الله بن مسلمة ،عن عائشة أنها قالت :خسفت الشمس في عهد رسول الله ﷺ ، فصلى رسول الله ﷺ بالناس، فقام فأطال القيام، ثم ركع فأطال الركوع، ثم قام فأطال القيام، وهو دون القيام الأول، ثم ركع فأطال الركوع، وهو دون الركوع الأول، ثم سجد فأطال السجود، ثم فعل في الركعة الثانية مثل ما فعل في الأولى، ثم انصرف، وقد انجلت الشمس، فخطب الناس، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: " إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله، وكبروا وصلوا وتصدقوا " . ثم قال: " يا أمة محمد، والله ما من أحد أغير من الله أن يزني عبده أو تزني أَمَتُه يا أمة محمد، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا " [3] .

هذا الحديث فيه تحذير من ارتكاب المعاصي والذنوب ؛ كونها السبب المباشر لغضب الله عز وجل، كما يوجه نبينا محمد ﷺ الأمة إلى القيام بمعالجات سريعة عند حدوث مثل هذه الظواهر وأهمها: الدعاء ، والصلاة ، والصدقة .

وقد رتب الباحث حدوث هذه الظاهرة تاريخياً على النحو التالي :

---

(1) الكسوف والخسوف : معنى واحد ، خسفت الشمس ذهب ضوؤها واسودت ، وكذلك القمر ذهب نوره وتغير إلى السواد ، ويقال كسفت الشمس وخسف القمر وهذا أجود الكلام . ابن منظور ، لسان العرب ، مادة خسف ج ٥ ص ٦٦ و مادة كسف ج ١٣ ص ٦٧.

(2) البخاري ، صحيح البخاري ، ج ١ ص ٢٦٦ ورقم الحديث ١٠٤٠ .

(3) البخاري ، المصدر السابق ، ج ١ ص ٢٦٧ ورقم الحديث ١٠٤٤ .

سنة ٤ هـ :

يذكر المنبجي ضمن أحداث سنة ٦٢٦ م أنه : " انكسفت الشمس[1] وثبت كسوفها منذ تشرين الأول إلى حزيران ، وذلك تسعة أشهر ، وكان نصف جرمها مكسوفاً والنصف غير مكسوف ، ولم يكن يظهر من ضوئها إلا شيء يسير " [2] .

سنة ٧ هـ :

" في السنة السابعة لهجرة محمد بن عبدالله – ﷺ – انكسفت الشمس وظهرت النجوم بالنهار " [3] . والمشهور أن كسوف الشمس كان في السنة العاشرة من الهجرة وتزامن مع وفاة ابن الرسول ﷺ إبراهيم .

سنة ٢٣ هـ :

" في السنة الحادية عشرة لعمر بن الخطاب انكسفت الشمس يوم الجمعة أول يوم من تشرين الآخر " [4] .

سنة ٧٣ هـ :

" فيها كسفت الشمس حتى بانت النجوم " [5] .

سنة ١٦٧ هـ :

" فيها انكسفت الشمس بعد العصر ، وظهرت الكواكب " [6] .

---

(1) المشهور في استعمال الفقهاء أن الكسوف للشمس والخسوف للقمر ، وقيل يقال بهما في كل منهما وبه جاءت الأحاديث ، ولا شك أن مدلول الكسوف لغة غير مدلول الخسوف لأن الكسوف التغير إلى السواد والخسوف النقصان أو الذل ، فإذا قيل في الشمس كسفت أو خسفت لأنها تتغير ويلحقها النقص ساغ وكذلك القمر . للاستزادة انظر ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري ، ج ٢ ص ٦٢٢ .

(2) المنتخب من تاريخ المنبجي ، ص ٢٨ .

(3) المنبجي ، المنتخب من تاريخ المنبجي ، ص ٣٦ .

(4) المنبجي ، المصدر السابق ، ص ٥٤ .

(5) الأصفهاني، البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان ، ص ١٢١ .

(6) الأصفهاني، المصدر السابق ، ص ١٥٣ .

سنة ١٩٣ هـ :

" كسفت الشمس في رجب " [١] .

سنة ١٩٦ هـ :

يذكر ابن العبري في تاريخه : " أنه في رابع عشر آيار من سنة ٨١٢ م انكسفت الشمس ساعتين وظهرت النجوم وأضاء الأهالي السروج ثم لاحت الشمس ساعة في المغرب " [٢] .

سنة ٢٠٣ هـ :

" وفي هذه السنة انكسفت الشمس يوم الأحد لليلتين بقيتا من ذي الحجة حتى ذهب ضوؤها، وكان غاب أكثر من ثلثيها، وكان انكسافها من ارتفاع النهار فلم يزل كذلك حتى قرب الظهر ثم انجلت " [٣] .

سنة ٢٤٠ هـ :

" كان كسوف أظلمت به الأرض ، وظهرت الكواكب ، وسمع أهل أرمينية صوتاً هائلاً مات فيه خلق عظيم " [٤] .

سنة ٢٤٧ هـ :

" انكسفت الشمس وخسف القمر " [٥] .

سنة ٢٤٩ هـ :

" كسفت الشمس ، وجمد الفرات ٤٠ يوماً ، وجمدت البحيرة كلها، ولقي الناس شدة من البرد في البلاد كلها، وفي طريق مكة " [٦] .

---

(1) العظيمي ، تاريخ حلب ، ص ٢٠٦ .

(2) تاريخ الزمان ، ص ٢٠ .

(3) الطبري ، تاريخه ، ج ٥ ص ١٤٨ . وابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٥ ص ٣٦٤ . والعظيمي ، تاريخ حلب ، ص ٢١٢ .

(4) الأصفهاني، البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان ، ص ١٨٢ .

(5) العظيمي تاريخ حلب ، ص ٢٢٩ .

(6) العظيمي ، المصدر السابق ، ص ٢٣٠ .

سنة ٢٥٣ هـ :

" في ليلة أربع عشرة من ذي الحجة انخسف القمر جميعه " [1] حتى غاب أكثره وغرق نوره[2] .

سنة ٢٥٤ هـ :

" فيها انكسف القمر كسوفاً كلياً لم يبق منه شيء ظاهر " [3] .

سنة ٢٥٦ هـ :

" فيها انكسف القمر كله ليلة النصف من شهر ربيع الأول " [4] .

سنة ٢٥٧ هـ :

يذكر ابن الجوزي أنه وفي يوم الجمعة لثلاث عشرة بقيت من شوال : غارت خيل الزنج على البصرة ، ويذكر ان صاحب الزنج كان ينظر في حساب النجوم ، فعرف انخساف القمر في هذه الليلة فاستغل هذا الظرف لصالحه [5].

وابن كثير يذكر أنه كان : " في ليلة الرابع عشر من شوال من هذه السنة كسف القمر " [6] .

سنة ٢٦٩ هـ :

" اجتمع في المحرم من هذه السنة كسوف الشمس والقمر ، وغابت الشمس منكسفة " [7].

" وفيها انخسف القمر ، وغاب منخسفاً ، وانكسفت الشمس فيه أيضاً آخر النهار ، وغابت منكسفة ، فاجتمع في المحرم كسوفان " [8] . وهذه من النوادر حدوثها واجتماع الظاهرتين في نفس اليوم والليلة .

---

(1) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٥ ص ٦٢٤ .
(2) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ص ١٤ .
(3) ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج ٥ ص ٦٣١ .
(4) الأصفهاني، البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان ، ص ١٨٨ .
(5) المنتظم ، ج ١٢ ص ١٢٤ .
(6) البداية والنهاية ، ج ١١ ص ٣١ . كسف القمر ، أي وقعت الأرض بين القمر والشمس .
(7) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج١٢ ص ٢٢٢ .
(8) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٦ ص ٩٣ .

سنة ٢٨٠ هـ :

" كسفت الشمس ، وظهرت الظُلمة ساعات ، ثم رُئيت الكواكب ،وهبت ريح سوداء وزلزلة " [١] .

سنة ٢٨٨ هـ :

يذكر ابن الجوزي أنه وفي هذه السنة : " كسفت الشمس ، فظهرت الظلمة ساعات ، ثم هبت وقت العصر ريح بناحية دبيل سوداء إلى ثلث الليل ثم زلزلوا " [٢].

هذا ما تم رصده عن ظاهرتي الكسوف والخسوف في بلاد الشام ، مع أن بعضها قد حدث في بلدان مجاورة لبلاد الشام ، وقد ذكرها الباحث لكون هذه الظاهرتين – غالباً – عند حدوثها تكون المنطقة المتأثرة بها ذات مساحة واسعة ، فمثلاً لو حدث كسوف أو خسوف في بلاد العراق فإنه من المؤكد أن من في بلاد الشام سيرى هذه الظاهرة ويتأثر به .

---

(1) الأصفهاني، البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان ، ص ٢٠١ . والزلزلة كانت في أردبيل . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ص ٧٣ .

(2) المنتظم ، ج ١٢ ص ٤١٧ .

المطر والثلج والبرد والسيول والعواصف والفيضانات والغرق :

شهد الشام خلال القرون الثلاثة الأُول أمطاراً وثلوجاً وسيولاً وعواصف وفيضانات متفاوتة الخطورة ، ولم تزودنا المصادر التاريخية إلا بمعلومات يسيرة عن هذه الظواهر ، ومن ذلك ما حدث في السنوات التالية :

سنة ٢٤ هـ :

في هذه السنة " عرضت ريح شديدة، فقلعت أشجاراً كثيرة ، وأفسدت الزروع والكروم، وهدمت صوامع كثيرة " [١] .

سنة ٥٠ هـ :

" في السنة التاسعة لمعاوية بن أبي سفيان ، سقط ثلج كثير ، وحدث برد شديد ، ومات خلق كثير من الناس والبهائم " [٢] .

سنة ٦٤ هـ :

" حدث برد شديد في شتاء هذه السنة ، تجمدت فيه المياه، ويبست أشجار الزيتون والكروم، وفنيت الحيوانات والبهائم" [٣] .

سنة ٧٨ هـ :

" فيها كانت غزوة عظيمة للمسلمين ببلاد الروم ، افتتحوا إرقيلية [٤] ،فلما رجعوا أصابهم مطر عظيم، وثلج وبرد، فأصيب بسببه ناس كثير" [٥] .

سنة ٩٨ هـ :

يذكر مؤلف كتاب العيون والحدائق أنه وفي أثناء محاصرة مسلمة بن عبدالملك للقسطنطينية، أصاب المسلمون شدة وجوع، وأن سليمان بن عبدالملك كان مقيماً بدابق[٦] لا يقدر أن يمدهم

---

(1) المنبجي ، المنتخب من تاريخ المنبجي ، ص ٥٥ .

(2) المنبجي ، المصدر السابق ، ص ٧١ .

(3) هاني أبو الرب ، تاريخ فلسطين في صدر الإسلام ، ص ٢٠١ .

(4) إرقيلية : عند الحموي تسمى هرقلة وهي مدينة معروفة من بلاد الروم . يالحموي ، معجم البلدان ، ج ٨ ص ٤٧٢ .

(5) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٩ ص ٢٤ .

(6) دابق : قرية قرب حلب بينها وبين حلب اربعة فراسخ ، عندها مرج معشب نزه كان ينزله بنو مروان ، وبها قبر سليمان بن عبدالملك ، الحموي ، ج ٤ ص ٢٧١ .

بشيء من الأزواد ؛ لكثرة البرد والثلوج [١] وهذا يدل على أن دابق كانت متأثرة بالبرد والثلوج . وابن كثير يذكر أن المسلمين وفي طريق عودتهم للشام جهدوا جهداً شديداً [٢].

كما يذكر فيليب نتائج ما بعد الحصار فيقول : " وبعد نهاية حصار القسطنطينية بقيادة مسلمة بن عبدالملك، وفي طريق العودة، هبت عاصفة عاتية حطمت الأسطول الإسلامي، ولم يصل منه إلى الشاطيء السوري إذا صحت أرقام ثيوفانس إلا خمس سفن من أصل ألف وثمان مئة، وكان هذا آخر العهد بالأسطول العربي ، وارتفعت أصوات التهليل في أوروبا واعتبر المؤسس السوري للأسرة الايصورية المخلص، الذي أنقذ أوروبا المسيحية من حكم العرب المسلمين " [٣] . وعلى أية حال فإن الخبر لم يرد في المصادر الإسلامية ،إلا أنها ذكرت محاولات فتح القسطنطينية ، وما نتج عنها من فشل في هذا التاريخ ، وتعرض الجيش الإسلامي لظروف ومواقف صعبة نتيجة نفاذ المؤن وتغير المُناخ . وهذا الخبر على ما فيه من المبالغة إلا إنه فيه دلالة واضحة على مدى تأثير العواصف البحرية والتي تسبب في كثير من الأحيان كوارث مادية وبشرية خطيرة .

سنة ١٦١ هـ :

يورد البلاذري ما يدل على تعرض مدينة الحدث [٤] للثلوج فيقول نقلاً عن الواقدي :" ولما بنيت مدينة الحدث، هجم الشتاء والثلوج وكثرت الأمطار ، ولم يكن بناؤها بمستوثق منه ولا محتاط فيه فتثلمت المدينة وتشعثت " [٥] .

سنة ١٧٥ هـ :

" فيها غزا الصائفة عبدالرحمن بن عبدالملك ، وأصابهم في هذه الغزاة برد قطع أيديهم وأرجلهم " [٦] .

---

(1) مؤلف مجهول ، ص ٣٣ . وانظر : ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٤ ص ٢٥٧ . وابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص ١١٤ . و يوسف الدبس ، تاريخ سورية ، ج ٥ ص ٢١٧ .

(2) البداية والنهاية ، ج ٩ ص ١٨٢ .

(3) تاريخ سورية ، ج ٢ ص ٥٠ .

(4) الحدث : قلعة حصينة بين ملطية وسميساط ومرعش من الثغور ويقال لها الحمراء لأن تربتها جميعاً حمراء وقلعتها على جبل يقال له الأحيدب ، وكان فتحها أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه على يد حبيب بن مسلمة ، وبناؤها كان سنة ١٦٢ هـ في عهد المهدي. الحموي ، معجم البلدان ، ج ٣ ص ١٢٤

(5) فتوح البلدان ، ص ١٩٤ . الحموي ، معجم البلدان ، ج ٣ ص ١٢٥ .

(6) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٩ ص ١١ .

سنة ٢١٦ هـ :

" في هذه السنة كان البرد الشديد " [١] .

سنة ٢٢٦ هـ :

" في ليلة الاثنين النصف من جمادى الآخرة مطر أهل تيماء [٢] مطراً وبرداً كالبيض فقتل ثلاثمائة وسبعين إنساناً وهدم دوراً ، وسمع صوتاً يقول : ارحم عبادك ، اعف عن عبادك، ونظر إلى أثر قدم طولها ذراع بلا أصابع وعرضها شبران ، من الخطوة إلى الخطوة خمسة أذرع أو ست ، فاتبعوا الصوت فجعلوا يسمعون صوتاً ولا يرون شخصاً "[٣] . ويحددها ابن تغري في شهر جمادى الأولى [٤] .

سنة ٢٣١ هـ :

" أصاب الناس فيها الثلج والمطر، فمات منهم قدر مائتي إنسان وغرق منهم في البدندون[٥] قوم كثير، وأسر منهم نحو من مائتين " [٦] .

سنة ٢٤٤ هـ :

" فيها دخل الخليفة العباسي المتوكل إلى مدينة دمشق في أُبَّهة الخلافة، وكان يوماً مشهوداً، وكان عازماً على الإقامة فيها ... فأقام بها مدة ثم أنه استوخمها ورأى أن هواءها بارد ندي، وماءها ثقيل بالنسبة إلى هواء العراق ومائه ، ورأى كثرة البراغيث بها، ودخل

---

(1) الطبري ، تاريخه ، ج ٥ ص ١٨٣ .

(2) تيماء : بليد في أطراف الشام بين الشام ووادي القرى على طريق حاج الشام . الحموي ، معجم البلدان ، ج ٢ ص ٤٧١ .

(3) ابن الجوزي ،المنتظم ، ج ١٠ ص ١١١ . وابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج ٢ ص ١٥٤ .

(4) النجوم الزاهرة ، ج ٢ ص ٣٠٠ .

(5) البدندون : نهر في بلاد الروم . ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٥ ص ٥١٠، وانظر : العيون والحدائق، ص ٣٧٧ .

(6) الطبري ، تاريخه ، ج ٥ ص ٢٨٧ . حدث هذا بعد تبادل الأسرى بين المسلمين والروم أو ما يسمى الفداء .

عليه فصل الشتاء فرأى من كثرة المطر والثلوج أمراً عجيباً، وغلت الأسعار وهو بها لكثرة الخلق الذين معه، وانقطعت الأجلاب بسبب كثرة الأمطار والثلوج فضجر " (١) .

سنة ٢٦٦ هـ :

" فيها اشتد الحر في تشرين الثاني ثم اشتد فيه البرد حتى جمد الماء " (٢) .

سنة ٢٨٩ هـ :

" فاض ماء البحر على الساحل فأخرب البلاد والحصون التي عليه وهذا لم يعهد " (٣) .
وسبب هذا الفيضان الزلزال البحري الذي ضرب بغداد والبصرة وحمص وأحدث طوفانات بحرية في مواقع كثيرة، ومنها ساحل بلاد الشام سنة ٢٨٩ هـ (٩٠٢ م) (٤) ، ومن المحتمل أن تكون نقطة تمركز الزلزال كانت في البحر .

سنة ٢٩٧ هـ :

" كان البرد عامّاً ، وقتل سائر الحيوان بالبرية " (٥) .

---

(1) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٠ ص ٣٧٢ . وانظر : ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ١١ ص ٣٢٢ . وفيليب حتى ، تاريخ سورية ، ج ٢ ص ١٦٧ . يوسف الدبس ، ج ٥ ص ٣١٤ .
(2) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٦ ص ٥١ .
(3) الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج ٦ ص ٦٦١ . وابن تغري ، النجوم الزاهرة ، ج ٣ ص ١٤١ .
(4) مصطفى محمود ، الزلازل ، ص ٩٤ .
(5) الأصفهاني، البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان ، ص ٢١٠ .

الحرائق :

شهدت بلاد الشام حرائق خلفت دماراً بيئياً ملحوظاً ، حيث طالت الأراضي الزراعية والرعوية والدواب ،وشبت في الحواضر والأسواق التجارية تارة أخرى ، على أن أكثر هذه الحرائق، كانت بأسباب ودوافع سياسية نتيجة تعاقب الدول وما يتبع ذلك من تغير في السياسات والتبعية ، وما يقوم به سكان تلك المدن من حركات تمرد وعصيان على الحكام ، أو سببها نكاية بالعدو أو تعبير عن الغضب أو إظهار للقوة أو تكتيك عسكري ، أو العصبية القبلية بين القبائل .

وهي على أية حال، فإنها تعتبر من الكوارث التي أثرت في البيئة وامتد تأثيرها في نواحٍ اقتصادية وعمرانية وصحية، لا يمكن تجاهلها مهما كانت أسبابها ، وسنقصر حديثنا على ذكرها باختصار من دون الخوض في تفاصيل أسبابها ودواعيها السياسية ، وسنركز على رصدها وتوثيقها في هذا الفصل ، ثم نتحدث عن آثارها الاقتصادية والعمرانية في الفصل الرابع .

سنة ٩٨ هـ :

في سنة ٩٨ هـ تعرضت اللاذقية لحريق كبير من قبل الروم عندما أغاروا عليها ، ويصف اليعقوبي الحريق عند حديثه عن أهم أحداث هذه السنة فيقول : " وفيها غزى مسلمة بن عبدالملك بلاد الروم حتى بلغ القسطنطينية وأصاب المسلمون ضر وجوع وبرد ، وبلغ سليمان ذلك فأمدهم بعمرو بن قيس [1] في البر ، وأغزى عمر بن هبيرة الفزاري [2] في البحر وذلك أن الروم أغاروا على مدينة اللاذقية من جند حمص فأحرقوها وذهبوا بما فيها فبلغ عمر بن هبيرة خليج القسطنطينية " [3]. ففي النص السابق يتضح أن الحريق كان كبيراً وشاملاً، ومن المؤكد أن له تأثيراته الكبيرة على المسلمين في تلك الفترة، خاصة إذا ما علمنا

---

(1) عمرو بن قيس بن ثور بن مازن السكوني الكندي ، شيخ أهل حمص ، ولد سنة ٤٠ هـ ، ولي إمرة الغزو لعمر بن عبدالعزيز ، مات سنة أربعين ومائة عن مائة عام . الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج ٦ ص ١٣٩.

(2) عمر بن هبيرة بن معاوية، أبو المثنى ، الفزاري الشامي، أمير العراقيْن ووالد أميرها يزيد ، كان ينوب ليزيد بن عبدالملك فعزله هشام ، توفي سنة ١٠٧ هـ . الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج ٥ ص ٤٤٥ .

(3) تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ص ٢٩٩ .

أن اللاذقية تعتبر في آخر بلاد الشام الساحلية من جهة الشمال، ومقاربة للحدود مع الروم، ولهذا فقد سارع الخليفة سليمان بن عبدالملك بإرسال الإمدادات البرية والبحرية .

كما أن المقدسي يورد خبر خروج مجاهد بن يزيد مع خالد البريدي في أيام وجَّه إلى الطاغية [١] سنة ١٠٢ هـ فيذكرون : أنهم خرجوا وليس معهم ثالث من المسلمين فيقولون : قدمنا القسطنطينية ثم خرجنا منصرفين إلى عمورية ثم أتينا اللاذقية المحترقة في أربع ليال... إلخ القصة ، فدل وصفهم للاذقية بالمحترقة تعرضها للحريق ، وهذا يؤيد ما ذكرناه سابقاً [٢] .

ويذكر هذا الحدث أيضاً فيليب حتى فيقول : " بينما كان أسطول المسلمين يستعد للهجوم على القسطنطينية بقيادة مسلمة بن عبدالملك عند كيليكيا في طريقه إلى القسطنطينية نزل ملاحون بيزنطيون على الساحل السوري وأحرقوا مدينة اللاذقية " [٣] .

سنة ١٠٨ هـ :

" وفيها وقع حريق عظيم بدابق احترق المرعى حتى احترق المواشي والدوابّ والرجال " [٤] . ويذكر العظيمي أنه وفي هذه السنة " غزا معاوية بن هشام بن عبدالملك الروم ونزل بدابق فأحرق المرعى والخِيِمَ وكثيراً من الناس والدواب " [٥] .

سنة ١٢٦ هـ :

ظهر في دمشق حريق كل ليلة يفعله رجل من أهل العراق يقال له ابن العمراس ، فإذا وقع الحريق يسرقون ، وذلك للوشاية على خالد بن عبدالله القسري عند هشام بن عبدالملك ... إلخ القصة [٦] . وهذا الحريق المتكرر له تأثيره البيئي والأمني على المجتمع .

---

(1) إمبراطور الروم في القسطنطينية .
(2) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ١٥٣ .
(3) تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، ج ٢ ص ٥١ .
(4) الطبري ، تاريخه ، ج ٤ ص ١٢٠ . وابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٧ ص ١٢١ . وابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٤ ص ٣٤٦ . و يوسف بن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ١ ص ٣٣٤ .
(5) تاريخ حلب ، ص ١٧٦ .
(6) الطبري ، تاريخه ، ج ٤ ص ٢٤٧ . وابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٤ ص ٤٦٣ .

سنة ١٢٧ هـ :

" وفيها جاء الخبر بخلاف أهل الغوطة وخروجهم على مروان بن محمد [1] فأرسل إليهم عشرة الآف فارس مع أبي الورد بن الكوثر فانهزم أهل الغوطة ونهبهم العسكر وأحرقوا المزة [2] وقرى غيرها "[3] .

سنة ١٧٦ هـ :

في هذه السنة هاجت الفتنة بدمشق بين المضرية واليمانية ، وقد تكرر في هذه الأحداث إحراق المنازل والدور [4] .

سنة ١٩٤ هـ :

ولى الخليفة الأمين، عبدالله بن سعيد الحرشي حمص ، فقتل عدة من وجوههم، وحبس عدة وحرق مدينتهم من نواحيها بالنار، فسألوه الأمان فأجابهم فسكنوا، ثم هاجوا فضرب أعناق عدة منهم [5] .

سنة ٢٥٠ هـ :

ثار أهل حمص على عامل المستعين الفضل بن قارون [6] فقتلوه فوجه المستعين إليهم موسى بن بغا الكبير [7] فحارب أهلها وهزمهم وقتل منهم مقتلة عظيمة وأحرقها [8] .

---

(1) آخر خلفاء بني أمية وبموته سقطت الدولة الأموية سنة ١٣٢ هـ .

(2) المزة : هي قرية كبيرة غناء في وسط بساتين دمشق بينها وبين دمشق نصف فرسخ . الحموي ، معجم البلدان ، ج٨ ص ٢٦١ ، وهي جزء من دمشق اليوم .

(3) الطبري ، تاريخه ، ج ٤ ص ٢٨١ . وانظر : ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٤ ص ٥٠٨ . وابن الوردي ، تاريخه ، ج ١ ص ١٧٨ . وابن خلدون ، تاريخه ، ج ٣ ص ١٣٩ .

(4) ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج ٥ ص ١٨٠ . وابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٠ ص ١٨١ . وابن خلدون ، تاريخه ، ج ٣ ص ٢٦٨ .

(5) الطبري ، تاريخه ، ج ٥ ص ١٩٤ ، وابن الجوزي ، المنتظم ، ج ١٠ ص ٣ . وابن تغري ، النجوم الزاهرة، ج ٢ ص ١٨٤ . والذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج ٤ ص ١٠٣٢ .

(6) الفضل بن قارون : عامل المستعين على حمص .

(7) موسى بن بغا الكبير : أحد قادة العباسيين وأبوه كان أميراً جليلاً ومقدراً عند العباسيين .

(8) الطبري ، تاريخه ، ج ٥ ص ٣٦٦ ، وابن الجوزي ، المنتظم ، ج ١٢ ص ٣٥ . وابن الأثير ، ج ٥ ص ٥٩٣ . وابن تغري ، النجوم الزاهرة ، ج ٢ ص ٣٩٦ . وابن الوردي ، تاريخه ، ج ١ ص ٢٢١ . وابن خلدون ، تاريخه ، ج ٣ ص ٣٦٨ . والذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج ٥ ص ٩٩٢ . ومحمد زيود ، حالة بلاد الشام الاقتصادية منذ العصر الطولاني، ص ١٦ ، ويذكر أنها حدثت سنة ٢٤٩ هـ .

سنة ٢٣٧ هـ :

" ظهرت نار في بعض كور عسقلان تحرق المنازل والمساجد والبيادر [١] فهرب الناس فلم تزل تحرق حتى مضى ثلث الليل ثم كفت " [٢] . ولم تحدد المصادر سبب هذه النار، ولعلها حدثت بسبب الصواعق والتي تسبب أحياناً كثيرة حرائق مجهولة السبب .

سنة ٢٦٤ هـ :

" فيها دخل أحمد بن طولون دمشق ووقع فيها حريق عند كنيسة مريم، فذهب إليه أحمد بن طولون ومعه أبو زرعة عبدالرحمن بن عمرو، وأبو عبدالله أحمد بن محمد الواسطي كاتبه ينظرون إلى الحريق ، فالتفت أحمد بن طولون إلى أبي زرعة فقال : ما يسمى هذا الموضع ؟ فقال له ابو زرعة : يقال له كنيسة مريم ، فقال أبو عبدالله : وكان لمريم كنيسة ؟ فقال أبو زرعة : إنها ليست مريم بنت عمران أم عيسى، وإنما بنى النصارى هذه الكنيسة فسموها باسمها ، فقال أحمد بن طولون لأبي عبدالله الواسطي : ما أنت والاعتراض على الشيخ ثم أمر بسبعين ألف دينار تخرج من ماله وتعطى كل من احترق له شيء ويقبل قوله ولا يستحلف عليه ، فأعطوا وفضل من المال أربعة عشر ألف دينار ، وكان يجري ذلك على يد أبي عبدالله الواسطي فراجع أبو عبدالله أحمد بن طولون فيما بقي من المال ، فأمر أن يفرق على أصحاب الحريق على قدر شهامتهم ولا يرد إلى بيت المال منه شيء " [٣] .

سنة ٢٨٧ هـ :

" وفيها نزل المعتضد المصيصة، يوم الأحد لعشر بقين من ذي القعدة، بعد أن قبض على وصيفاً الخادم [٤]، وكتب إلى وجوه أهل طرسوس في المسير إليه، فأقبلوا ، وكان قد وجد

---

(1) البيادر : جمع بيدر وهو الموضع الذي يُداس فيه الطعام – الحبوب – عند حصادها . الجوهري ، معجم الصحاح ، ص ٧٩ .

(2) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ١١ ص ٢٥٢ . وابن تغري ، النجوم الزاهرة ، ج ٢ ص ٣٤٨. والذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج ٥ ص ٧٥٠ . والقرماني ، أخبار الدول وآثار الأول ، ج ٢ ص ١١٤ .

(3) ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ج ٧١ ص ٢١٨ . والذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج ١٠ ص ٤٨٧ . وابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ص ٥٠ .

(4) وصيف الخادم : كان خادماً لمحمد بن ابي الساج (الأفشين) بأذربيجان وخرج عليه ، فطلبه المعتضد وقبض عليه سنة ٢٨٧ هـ ، ثم قتله سنة ٢٨٨ هـ وصلبه . انظر : الطبري ، تاريخه ، ج ٥ ص ٦٣٢ – ٦٣٧ .

عليهم لأنهم كانو كاتبوا وصيفاً الخادم ، فأمر بإحراق المراكب البحرية التي كان المسلمون يغزون فيها وجميع الآتها ، وذكر أن دميانه [(١)] غلام يازمان [(٢)] هو الذي أشار عليه لشيء كان في نفسه على أهل طرسوس، فأحرق ذلك كله، وكان في المراكب نحو خمسين مركباً قديماً، قد أُنفِقَ عليها أموالٌ جليلة لا يعمل مثلها في هذا الوقت فأحرقت ، فأضر ذلك بالمسلمين، وكسر ذلك في أعضادهم، وقوي به الروم وأمنوا أن يغزوا في البحر "[(٣)] .

سنة ٢٩٠ هـ :

" وفيها اشتدت شوكة القرامطة وهزموا جيش طغج أمير دمشق وحصروا دمشق ، وتولى قيادتهم الحسين القرمطي صاحب الشامة، الذي سار إلى معرة النعمان[(٤)] وقتل فيها بضعة عشر ألفاً، وأقام بها ينهب ويحرق خمسة عشر يوماً " [(٥)] .

سنة ٢٩٣ هـ :

" وفيها أغارت الروم على موارس من أعمال حلب، وقاتلهم أهلها فانهزموا، وقتل منهم خلق، ودخلها الروم فأحرقوا جامعها وأخذوا من بقي فيها " [(٦)] .

---

(1) دميانة : أمير الثغور ، وبحر الروم ، توفي سنة ٣٠١ هـ . ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ،ج ٦ ص ٢٦١ .

(2) يازمان الخادم : كان مولى الفتح بن خاقان وزير المتوكل الذي قتل معه ، وكان يازمان في نهاية البلاغة في الجهاد في البر والبحر ، وكان له في العدو نكاية عظيمة ، توفي سنة ٢٧٨ هـ . انظر : المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٤ ص ٢٢٧ .

(3) الطبري ، تاريخه ، ج ٥ ص ٦٣٥ . وابن الأثير ، الكامل في التاريخ، ج ٦ ص ١٦٩ . وابن خلدون ، تاريخه ، ج ٣ ص ٤٣٢ .

(4) معرة النعمان : مدينة كبيرة قديمة مشهورة بين حلب وحماه ، ومنها أبو العلاء المعري . الحموي ، معجم البلدان ، ج ٨ ص ٢٨٧ .

(5) ابن الوردي ، تاريخه ، ج ١ ص ٢٣٨ . وانظر : ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٦ ص ١٨٩ .

(6) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ، ج ٦ ص ٢٠٦ . وابن خلدون ، تاريخه ، ج ٣ ص ٤٣٨ .

المبحث الثاني : الأوبئة :

شهدت بلاد الشام خلال القرون الثلاثة الأُول أوبئة وطواعين متعددة ، كغيرها من البلدان ، إلا أنها اشتهرت بكثرة طواعينها خاصةً في العصر الأموي، ثم خفت بعد ذلك . واشتهار الشام بالطواعين يؤيده ما جاء عن رسول الله ﷺ فعن أبي عسيب مولى رسول الله ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ " أتاني جبريل عليه السلام بالحمى والطاعون فأمسكت الحمى بالمدينة وأرسلت الطاعون إلى الشام والطاعون شهادة لأمتي ورحمة لهم ورجساً على الكافرين"[1]. حسّنه ابن حجر[2] ، وصححه الألباني [3] .

ويذكر ابن الفقيه :" أن من عيوب الشام كثرة طواعينها [4] والناس يقولون حمّى خيبر، وطواعين الشام، ودماميل الجزيرة، وجرب الزنج، وطحال البحرين ، قالوا ومن أقام بالموصل حولاً وجد في قوته فضلاً، ومن أطال الصوم بالمصيصة خيف عليه الجنون ، ومن قدم من شق العراق إلى بلاد الزنج لم يزل حزيناً ما أقام بها ... ، وقال أبو هريرة أنا لبراغيث الشام أخوف مني لغيرها " [5].

" ويذكر الجاحظ أن عمر بن عبدالعزيز – رضي الله عنه – لما بلغه قدوم عبدالله بن الحسن إلى الشام، أرسل إليه : إني أخاف عليك طواعين الشام ، وإنك لا تُغنم أهلك خيراً لهم منك فالحقُ بهم ، فإن حوائجهم ستسبقك " [6] . " ومعناها الكراهة لمقامه بالشام خوفاً

---

(1) ابن حجر العسقلاني ، بذل الماعون في فضل الطاعون ، ص ٧٨ .

(2) بذل الماعون في فضل الطاعون ، ص ٧٩ .

(3) الألباني ، سلسلة الأحاديث الصحيحة ، ج ٢ ص ٤٠٠ ، ورقم الحديث ٧٦١ .

(4) يفسر ذلك شاكر مصطفى : أن الشام كانت تجتذب إليها الجماعات العربية من قيسية ويمانية على السواء طوال العهد الأموي بسبب مغريات ومنها القرب من مركز الدولة والقيادات والغنى الذي تدفق على الشام من خراج الدول والفتوح وهذا التكاثر الديموغرافي المضطرد أوجد من جهه تجمعات قبلية متزايدة الأعداد وبشكل عشوائي كان من نتائجها تكاثر الأوبئة والطواعين في الشام في أواخر العصر الأموي . للمزيد انظر جنوب بلاد الشام في العصر العباسي ١٣٢ ـ ٣٥٨ هـ، ص ٦، منشورات لجنة تاريخ بلاد الشام ، عمان ١٩٩٢ م .

(5) مختصر كتاب البلدان ، ص ١١٨ .

(6) الحيوان، ج ٣ ص ٦٢٩، تحقيق إيمان الشيخ وغريد الشيخ ، ط. ، ١٤٢٩ هـ ـ ٢٠٠٨ م ، دار الكتاب العربي ، بيروت ـ لبنان . وفي ثمار القلوب فإن حوائجك ستسبقك ، الثعالبي ، ص ٤٤٠ .

عليه من الشاميين ، وظاهر العبارة يدل على اشتهار الشام بالطواعين ، فكان ظاهر كلامه حسناً مذكوراً ، وباطنه أجود التدبير في تسريحه سراحاً جميلاً " [1] .

قال أحد بني المغيرة ، فيمن مات منهم بطواعين الشام ، ومن مات منهم بطعن الرماح أيام تلك المغازي :

مَنْ ينزلِ الشامَ ويَعْرِسْ بهِ	فالشّـام إن لمْ يفْنِهِ كاذبُ
أفنى بني ريطةَ فرسانهم	عشرين لم يَقصْص لَهم شاربُ
ومن بني أعمامهم مثلُهم	لمـثـلِ هذا عَجِبَ العاجِبُ
طَعْنٌ وطاعونٌ منـاياهُم	ذلك ما خَطَّ لنا الكـاتِبُ [2] .

ويصف اليعقوبي الشام عند حديثه عن العراق فيقول : " وإنها – أي العراق – ليست كالشام الوبيئة الهواء ، الضيقة المنازل ، الحزنة الأرض ، المتصلة الطواعين ، الجافية الأهل " [3] .

" ويذكر صاحب ثمار القلوب عن طواعين الشام : ذكر أبو الحسن المدائنى عن أشياخه عن الحجاج أنه كان يقول : لما نزلت الأشياء منازلها قالت الطاعة : أنا أنزل الشام، فقال الطاعون : وأنا معك وقال الخصب : أنا أنزل العراق فقال النفاق : وأنا معك وقالت الصحة : أنا أنزل البادية فقال الشقاق : وأنا معك ولم تزل الشام كثيرة الطواعين حتى صارت تواريخ، وكانت تظهر بالشام ثم تمتد إلى العراق، وأول طاعون وقع في الشام في الإسلام طاعون عمواس وذلك في زمن عمر بن الخطاب وفيه مات معاذ بن جبل وأبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنهما ثم الجارف ثم طاعون العذارى ثم طاعون الأشراف ولم يقع بالمدينة ولا مكة قط . ولما ولي بنو العباس انقطع الطاعون إلى أيام المقتدر " [4].

---

(1) الثعالبي ، ثمار القلوب ، ص ٤٤٠ .

(2) الجاحظ ، الحيوان ، ج ٤ ص ٧٢٠ .

(3) البلدان ، ص ٢٣٦ .

(4) الثعالبي ، ص ٤٣٩ – ٤٤٠ .

" وينقل لنا ابن حجر العسقلاني أسباب حدوث الوباء فيقول : إن الوبـاء ينـشأ عـن فساد يعرض لجوهر الهواء بأسباب سمائية أو أرضية :

فمن الأرضية : الماء الآسن، والجيف الكثيرة، كما يقع في مواضع المعركة إذا لم تدفن القتلى والتربة الكثيرة النزّر [1] والكثيرة التعفن، وكثرة الحشرات والضفادع .

ومن السمائية : كثرة الشهب والرجوم في آخر الصيف وفي الخريف وكثرة الجنـوب والصبا في الكانونين [2]، وإذا كثرت علامات المطر في الشتاء ولم تمطر . انتهى. ومستند ذلـك كله التجارب " [3].

الطاعون في الأمم السابقة وبني إسرائيل :

يعتبر الطاعون اشد الأوبئة فتكاً بالبشرية على مـدى القـرون والأجيـال المتطاولـة ، وأول وصف مسجل للطاعون ما حدث في مصر القديمة ، سجله قـدماء المـصريين علـى أوراق البردي ، وقد ذكره السيوطي في كتابه (ما رواه الواعون في أخبـار الطـاعون) ذلـك الطـاعون الذي حدث في مصر في عهد موسى عليه السلام وفرعون، وكان نوعاً من الرجز والعذاب لقـوم فرعون [4] .

فقد أخرج مسلم في صحيحه، عن أسامة بن زيـد رضـي الله عنهمـا أن رسـول الله ﷺ قال: " الطاعون رجز أوعذاب أرسل على بني إسـرائيل، أو علـى مـن كـان قبـــلكم ، فـإذا سمعـتم بـه بأرض ، فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها ، فلا تخرجوا فراراً منه " رواه مسلم [5] .

" كما يعتبر طاعون جوستنيان [6] أول طاعون انتشر في العالم القـديم بأسـره، وقتـل خلال قرنين من الزمان نصف سكان المعمورة آنذاك، وقد ظهر هذا الطاعون عام (٥٤١ م) في وادي النيـل وانتقـل منــه إلى الـدلتا ومنهـا إلى سـوريا ووصـل إلى آسـيا الـصغرى ودخـل

(1) النزّر : ما تحلّب من الأرض من ماء . انظر : حاشية بذل الماعون ، ص ١٠١ .
(2) كانون الأول والثاني التي تقابل شهري ذى الحجة ومحرم .
(3) بذل الماعون في فضل الطاعون ، ص ١٠٠ – ١٠١ .
(4) ما رواه الواعون في أخبار الطاعون ، مخطوط بجامعة أم القرى ، رقم المخطوط ٤٦٨٥ .
(5) مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، ج ٤ ص ١٧٣٧ورقم الحديث ٢٢١٨ .
(6) أمبراطور بيزنطي حكم من (٤٨٣ – ٥٦٥ م) جمع الشرائع الرومانية .

القسطنطينية في صيف عام (٥٤٢) م ،واجتاح الطاعون أوربا وشمال أفريقيا والشام بأكمله، ومصر والعراق وفارس ومعظم البلاد المعمورة آنذاك ، وكان عدد ضحاياه أكثر من مائة مليون شخص على مدى قرنين من الزمان في موجات متلاحقة ، كلما خفت موجة تلتها موجة أخرى أشد وأعتى"[1] .

أشهر الطواعين في الإسلام :

" قال أبو محمد : حدثني أبو حاتم عن الأصمعي . قال: أول طاعون في الإسلام طاعون عمواس بالشام، فيه مات معاذ بن جبل وامرأتاه وابنه، وأبو عبيدة بن الجراح. وطاعون شيرويه ابن كسرى بالعراق في زمن واحد وكانا جميعاً في زمن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه [2]، وبين طاعون شيرويه وبين طاعون عمواس مدة طويلة. ثم الجارف في زمن ابن الزبير سنة تسع وستين وعلى البصرة يومئذ عبيد الله بن عبد الله بن معمر. ثم طاعون الفتيات لأنه بدأ في العذارى والجواري بالبصرة وبواسط وبالشام وبالكوفة، والحجاج يومئذ بواسط في ولاية عبد الملك بن مروان، ومات فيه عبد الملك أو بعده بقليل، ومات فيه أمية بن خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد، وعلي بن أصمع وصعصعة بن حصن وكان يقال له طاعون الأشراف. ثم طاعون عدي بن أرطأة سنة مائة. ثم طاعون غراب سنة سبع وعشرين ومائة، وغراب رجل من الرباب، وكان أول من مات فيه في ولاية الوليد بن يزيد بن عبد الملك. ثم طاعون سلم بن قتيبة وسلم قدم علينا سنة إحدى وثلاثين ومائة في شعبان وشهر رمضان وأقلع في شوال وفيه مات أيوب السختياني. قال: وقال الأصمعي مرة أخرى وقع طاعون سلم بالعراق يوم الخروج يعني يوم العيد سنة إحدى وثلاثين وبالشام سنة خمس وثلاثين، وكان إذا فتح فرق منه صاحبه، وفي طاعون الأشراف يقول الشاعر:

وما تَرَكَ الطاعونُ من ذي قرابةٍ   إليه إذا كـانَ الإيابُ يؤوبُ " [3] .

---

(1) محمد علي البار، وباء الطاعون، ص٩٠، مجلة المنهل، العدد (٥٣٦) ج ٥٨، رجب / شعبان ١٤١٧هـ - ١٩٩٦ م .

(2) المشهور أن طاعون شيرويه كان سنة ٦ هـ . انظر خليفة بن خياط ، تاريخه ، ص ٣٥ .

(3) ابن قتيبة، المعارف ، ص ٢٥٩ – ٢٦٠ ، صححه وعلق عليه محمد إسماعيل الصاوي ، ط ٢ ، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان .

ويذكر ابن تغري أن أشهر الطواعين في الإسلام أربعة : " الأول كان بالمدائن في عهد النبي ﷺ – يسمى شيرويه – والثاني طاعون عمواس في زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان بالشام، والثالث بالكوفة وأميرها أبو موسى الأشعري، والرابع أيضاً في الكوفة سنة ٥٠ هـ وأميرها المغيرة بن شعبة "[1] .

" ويذكر ابن حجر العسقلاني الطواعين العظام المشهورة في الإسلام خمسة نقلاً عن المدائني : طاعون شيرويه بالمدائن في عهد الرسول ﷺ ، ثم طاعون عمواس في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، كان بالشام مات فيه خمسة وعشرون ألفاً ، ثم طاعون الجارف سنة تسع وستين، ثم طاعون الفتيات سنة سبع وثمانين ، ثم يذكر أنه كان بمصر سنة ست وستين طاعون ، ثم في سنة وفاة عبدالعزيز بن مروان سنة خمس وثمانين ، ثم الطاعون الذي مات فيه زياد ابن أبيه سنة ٥٣ هـ ، ثم طاعون الأشراف : وقع والحجاج بواسط ، ثم طاعون عدي بن أرطاة سنة مائة ، ثم سنة ١٠٧ هـ ثم سنة ١١٥ هـ وكلاهما بالشام ، ثم طاعون غراب سنة ١٢٧ هـ ، ثم طاعون أسلم بن قتيبة سنة ١٣١ هـ ، وهذا كله في الدولة الأموية ، بل نقل بعض المؤرخين أن الطواعين في زمن بني أمية كانت لا تنقطع بالشام "[2] .

---

(1) النجوم الزاهرة ، ج ١ ص ١٨٤ .

(2) بذل الماعون في فضل الطاعون ، ص ٣٦١ - ٣٦٣.

الأوبئة والطواعين في القرون الثلاثة الأولى :

طاعون عمواس سنة ١٨ هـ :

عَمَوَاس : " بفتح العين المهملة والميم والواو وبعد الألف سين مهملة ، كورة من فلسطين بالقرب من بيت المقدس ، وقال المهلبي : كورة عمواس ضيعة جليلة على ستة أميال من الرملة على طريق بيت المقدس "[١] ، ويذكرها الحميري " بأنها قرية من قرى الشام بين الرملة وبيت المقدس" [٢]،ظهر فيها الوباء أولاً ثم انتشر في جميع بلاد الشام منها فنسب إليها [٣].

" وأما الأصمعي فقال هو من قولهم زمن الطاعون عمّ وآسى" [٤]. وطاعون عمواس أول الطواعين في الإسلام واستقام شهراً "[٥].

تاريخ طاعون عَمَوَاس :

ذكر ابن سعد أن الطاعون وقع سنة ١٨ هـ ، وفي هذه السنة كان أول عام الرمادة ، وفي رواية أخرى أورد ابن سعد أن الخليفة عمر خرج في جمادى الأولى سنة ١٧ هـ يريد الشام فبلغ سرغ [٦] فبلغه أن الطاعون قد اشتعل بالشام فرجع من سرغ [٧] .

أما الطبري فقد ذكر في إحدى رواياته أن الطاعون وقع سنة ١٧ هـ ، فقد روى أن الطاعون وقع بالشام ومصر والعراق واستقر بالشام، ومات فيه الناس الذين هم بالأمصار في

---

(1) الحموي ، معجم البلدان ، ج ٣ ص ٣٥٤ . وتبعد عن يافا حوالي ٣٠ كلم ومثل ذلك تقريباً عن القدس ترتفع عن سطح البحر ٢٣٠ متراً. "عمواس" بمعنى الينابيع الحارة بلد قديم. كان اسمها في العهد الروماني "نيقوبوليس" بمعنى مدينة النصر نسبة إلى انتصار فاسبسيانوس على اليهود . انظر ويكيبيديا، الموسوعة الحرة ، http,//ar.wikipedia.org/wiki .

(2) الروض المعطار، ص ٤١٥ ، وانظر : ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب ، ج ١ ص ٤٣ .

(3) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٧ ص ٨٥ . و ابن حجر العسقلاني ، بذل الماعون في فضل الطاعون ، ص ٢٢٢ .

(4) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج ٣ ص ١٣ .

(5) الغزّيّ، نهر الذهب في تاريخ حلب ، ج ٣ ص ٢٠ .

(6) سرغ: أول الحجاز وآخر الشام بين المغيثة وتبوك من منازل حاجّ الشام . ياقوت الحموي ، معجم البلدان، ج ٥ ص ٣٩ .

(7) الطبقات الكبرى، ج ٣ ص ١٥٠ ، أعد فهارسها رياض عبد الله عبد الهادي، ط١، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥م، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان .

المحرم وصفر وارتفع عن الناس [١]، وفي رواية أخرى ذكر أن الطاعون كان في سنة ١٨ هـ ، وهي نفس السنة التي حدثت فيها مجاعة عام الرمادة [٢] .

وفي تاريخه ذكر خليفة بن خياط أن عمر خرج إلى سرغ في سنة ١٧ هـ ورجع منها بسبب الطاعون ، ثم نجده في مكان آخر يتفق مع الرواية التي تقول إن الطاعون كان سنة ١٨هـ [٣] .

والبلاذري في فتوح البلدان يؤرخ له سنة ١٨ هـ [٤] . وابن عساكر جعل تاريخ حدوث الطاعون ومجاعة الرمادة واحداً وهو العام ١٨ هـ [٥] .

ويقول اليعقوبي في تاريخه : " ثم خرج عمر يريد الشام حتى بلغ إلى سرغ فبلغه أن الطاعون قد كثر فرجع " ذكر هذا في أحداث سنة ١٧ هـ [٦].

وابن حبان يحدد وقوعه بسنة ١٨ هـ [٧] والذهبي يذكر تاريخ حدوث طاعون عمواس بسنة ١٨ هـ [٨]، وابن الكازروني يؤرخ له بسنة ثمان عشرة للهجرة [٩] .

وابن كثير يذكره في أحداث سنة ١٨ هـ ويؤكد أن سيفاً أخطأ في روايته عند الطبري عندما حدد وقوعه بسنة ١٧هـ، لأنه اعتقد أن الوباء قد وقع بالشام في المحرم من سنة ١٧ هـ ثم ارتفع[١٠] .

---

(1) تاريخ الطبري ، ج ٢ ص ٤٨٦ .

(2) تاريخ الطبري ، ج ٢ ص ٤٨٧ ،

(3) ص ٧٦ .

(4) ص ١٤٥ .

(5) تاريخ مدينة دمشق ، ج ٢ ص ١٦٨ . وانظر : النويري ، نهاية الأرب ، ج ٢ ص ٢٦٨ .

(6) ج ٢ ص ١٤٩ .

(7) السيرة النبوية وأخبار الخلفاء ، ص ٤٧٦ .

(8) تاريخ الإسلام ، ج ٢ ص ٩٩ .

(9) ابن الكازروني، مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة العباس، ص ٦٦، تحقيق مصطفى جواد، ط.، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م، مطبعة الحكومة – بغداد .

(10) البداية والنهاية ، ج ٧ ص ٧٣ وكذلك ص ٨٥ .

ويذكره ابن الأثير في أحداث السنة ١٨ هـ [1] ،والقلقشندي يؤرخ له بسنة ١٨ هـ [2] والغزي يذكره أيضاً في أحداث سنة ١٨ هـ [3].

ويذكر ابن خلدون أنه : " أصاب الناس سنة ثماني عشرة قحط شديد وجدب أعقب جوعاً بعُد العهد بمثله – في المدينة النبوية – [4]، مع طاعون أتى على جميع الناس – بالشام – لم يسمع بمثله في الإسلام – وحلف عمر بن الخطاب ألا يذوق السمن واللبن حتى يحيا الناس وكتب إلى الأمراء بالأمصار يستمدهم لأهل المدينة " [5]. وابن العماد الحنبلي يرى أيضاً أنه كان ضمن أحداث سنة ١٨ هـ [6]، وهذا يعني أن الدولة الإسلامية واجهت أزمة شديدة في مكانيين مختلفين وزمانٍ واحد.

وللجمع بين هذه الروايات والخروج من تضاربها ، يرى التيجاني [7] أن طاعون عمواس بدأ سنة ١٧هـ واستمر حتى سنة ١٨هـ [8]. وذلك أن الطواعين عادةً تستمر فترةً من الزمن حتى تنتشر ، وإن ارتفع الطاعون فإن آثاره تبقى فترة طويلة من الزمن .

" ولما اشتعل الوجع قام أبو عبيدة بن الجراح في الناس خطيبا فقال: أيها الناس ، إن هذا الوجع رحمة ربكم ودعوة نبيكم [9]، وموت الصالحين قبلكم، وإن أبا عبيدة يسأل الله أن يقسم لأبي عبيدة حظه منه. فطعن فمات، فاستخلف معاذ بن جبل على الناس، فقام خطيباً

(1) الكامل في التاريخ ، ج ٢ ص ٥١٥ . وانظر : ا بن واصل ، التاريخ الصالحي (سيرة النبي ﷺ والأنبياء عليهم السلام والخلفاء والملوك وغيرهم) ، ج ١ ص ٢٢٨ .

(2) مآثر الأنافة في معالم الخلافة ، ج ١ ص ٩١ .

(3) نهر الذهب في تاريخ حلب ، ج ٣ ص ٢٠ .

(4) سمي هذا العام عام الرمادة وذلك أن الريح كانت إذا تسفي تراباً كالرماد . الطبري ، تاريخه ، ج ٢ ص٥٠٨. وقال ابن كثير ، سمي بعام الرمادة لأن الأرض اسودت من قلة المطر حتى عاد لونها شبيهاً بالرماد، البداية والنهاية ، ج ٧ ص٨٥ .

(5) تاريخ ابن خلدون ، ج ٢ ص ٥٣٠ .

(6) شذرات الذهب ، ج ١ ص ٤٣ .

(7) أستاذ مساعد بكلية الآداب بجامعة الملك عبد العزيز بجدة .

(8) صلاح التيجاني حمودي ،معالجة الخليفة عمر بن الخطاب لمشكلة المجاعة في عام الرمادة ، ج ١ ص ٨٤ ، مجلة جامعة الملك عبد العزيز الاقتصاد الإسلامي ، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م ، مركز النشر العلمي بجامعة الملك عبد العزيز .

(9) كان عبدالله بن زيد يقول ، بلغني هذا من قول أبي عبيدة وقول معاذ بن جبل ، إن هذا الوجع رحمة ربكم ودعوة نبيكم وموت الصالحين قبلكم فكنت أقول كيف دعا به رسول الله ﷺ لأمته حتى حدثني بعض من لا أتهم عن رسول الله ﷺ أنه سمعه منه وجاءه جبريل عليه السلام فقال ، " إن فناء أمتك يكون الطعن أو الطاعون فجعل رسول الله ﷺ يقول اللهم فناء الطاعون " فعرفت أنها التي كان قال أبو عبيدة ومعاذ بن جبل . انظر الطبري ، تاريخه ، ج ٢ ص ٤٨٨ .

بعده، وقال مثل ما قال ، لكن قال : أن يقسم لآل معاذ حظهم . فطعن ابنه عبد الرحمن فمات ثم قام فدعا لنفسه فطعن في راحته، فكان يقول: ما أحب أن لي بها شيئا من الدنيا فلما مات قام عمرو بن العاص خطيباً فقال : أيها الناس، إن هذا الوجع إذا وقع فإنما يشتعل اشتعال النار، فتحصنوا منه في الجبال. فقال أبو واثلة الهذلي رضي الله عنه : والله لقد صحبت رسول الله ﷺ وأنت شر من حماري هذا، فقال: والله ما أرد عليك ما تقول، ووالله لا نقيم عليه، قال: ثم خرج وخرج الناس فتفرقوا وارتفع الطاعون . قال: فبلغ ذلك عمر بن الخطاب من رأي عمرو بن العاص ، فوالله ما كرهه " [1] .

قدوم عمر رضي الله عنه إلى الشام:

" روى عبدالله بن عباس رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج إلى الشأم ، حتى إذا كان بسرغ لقيه أمراء الأجناد، أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه ، فأخبروه أن الوباء قد وقع بأرض الشأم . قال ابن عباس : فقال عمر : ادع لي المهاجرين الأولين ، فدعاهم فاستشارهم ، وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشأم ، فاختلفوا ، فقال بعضهم : قد خرجت لأمر ، ولا نرى أن ترجع عنه ، وقال بعضهم : معك بقية الناس وأصحاب رسول الله ﷺ، ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء، فقال : ارتفعوا عني ، ثم قال : ادع لي الأنصار، فدعوتهم فاستشارهم ، فسلكوا سبيل المهاجرين ، واختلفوا كاختلافهم ، فقال : ارتفعوا عني ، ثم قال : ادع لي من كان ها هنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح ، فدعوتهم ، فلم يختلف منهم عليه رجلان ، فقالوا : نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء ، فنادى عمر في الناس : إني مصبح على ظهر فأصبحوا عليه [2] . قال أبو عبيدة بن الجراح : أفرارا من قدر الله ؟ فقال عمر : لو غيرك قالها يا أبا عبيدة ؟ نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله ، أرأيت لو كان لك إبل هبطت واديا له عدوتان [3] ، إحداهما خصبة ، والأخرى جدبة ، أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله ، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله ؟ قال : فجاء عبد الرحمن بن عوف ، وكان متغيبا في بعض حاجته ، فقال : إن

---

(1) ابن حجر العسقلاني ، بذل الماعون في فضل الطاعون ، ص ٢٦٨ . ، وانظر : ابن الجوزي ، المنتظم ج ٤ ص ٢٤٧ .

(2) أي مسافر على ظهر الراحلة راجع إلى وطني فأصبحوا عليه وتأهبوا له . صحيح مسلم بشرح النووي ، ج ١٣ ص ٢٢١ .

(3) العدوة : بضم العين وكسرها وهي جانب الوادي ، والجدبة ضد الخصيبة . صحيح مسلم بشرح النووي ، ج ١٣ ص ٢٢١ .

عندي في هذا علماً ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : (إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه " . قال : فحمد الله عمر ثم انصرف [1] .

" وقد كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي عبيدة في الطاعون أنه قد عرضت لي حاجة ولا غنى بي عنك فيها فعجل إلي فلما قرأ الكتاب قال : عرفت حاجة أمير المؤمنين إنه يريد أن يستبقي من ليس بباق فكتب : إني قد عرفت حاجتك فحللني من عزيمتك فإني جند من أجناد المسلمين لا أرغب بنفسي عنهم فلما قرأ عمر الكتاب بكى فقيل له : مات أبو عبيدة ؟ قال : لا وكأن قد " [2] .

تسمية من مات من مشاهير الصحابة في طاعون عمواس :

يذكر الذهبي أن أبو الموجه محمد بن عمرو المروزي قال : " زعموا أن أبا عبيدة كان في ستة وثلاثين ألفاً من الجند فلم يبق منهم إلا ستة الآف رجل " [3] .

اختلفت الروايات في تحديد عدد من استشهد من المسلمين في طاعون عمواس ، لكنها أجمعت على أن المصاب كان كبيراً ، وإن الخسارة في صفوف الجيش الإسلامي كانت كبيرة جداً ، وذكرت أرقام تدل على حجم الكارثة ، - سنستعرضها في فصل الآثار - ولم ترد إحصائيات دقيقة عن عدد من أصيبوا في هذا الطاعون .

ومن أشهر من مات فيه من الصحابة رضوان الله عليهم :

- **أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح** ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وأمين هذه الأمة ، شهد اليرموك وهو أمير الناس ، كان رجلاً نحيفاً معروق الوجه خفيف اللحية طوالاً أجنأ أثرم الثنيتين ، مات سنة ١٨هـ في خلافة عمر بن الخطاب وقبره بعمواس وعمره ٥٨ سنة [4] .

---

(1) البخاري ، صحيح البخاري ، ج ٤ ص ٤٤ . ومسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، ج ٤ ص ١٧٤٠ . وابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٤ ص ٢٢٤ . وابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٧ ص ٧٣ . وابن الأثير ، الكامل في التاريخ، ج ٢ ص ٥١٥ .

(2) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج ٣ ص ١١ .

(3) الذهبي ، المصدر السابق ، ج ٣ ص ١١ .

(4) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ،ج ٧ ص ١٨٣ . وانظر : ابن عبد البر ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ص ٣٩٨ ،تحقيق خليل مامون شيحا ، ط ١ ، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان . وابن الأثير ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ج ٢ ص ٥١٨، تحقيق خليل مأمون شيحا ، ط ٢ ، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان . و ابن حجر العسقلاني ، الإصابة في تميز الصحابة ، ج ٢ ص ٩٧٧، تحقيق خليل مامون شيحا ، ط ١ ، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان .

- **معاذ بن جبل** بن عمرو بن أوس وكنيته أبا عبد الرحمن ، شهد العقبة مع السبعين من الأنصار وشهد بدراً وهو ابن عشرين أو إحدى وعشرين سنة وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن عاملاً ومعلماً ، قال عنه رسول الله: " أعلم أمتي بالحلال والحرام معاذ بن جبل " خرج معاذ إلى الشام مجاهداً في سبيل الله ، كان رجلاً طويلاً أبيض حسن الثغر عظيم العينين جموع الحاجبين جعداً ، توفي بعمواس سنة ١٨ هـ وهو ابن ٣٨ سنة وليس له عقب [١] .

- **شرحبيل بن حسنة** وأمه امرأة عدولية من أهل عدولى من ناحية البحرين وإليها تنسب السفن العدولية ، وهو ابن عبدالله بن المطاع بن عمرو من كندة حليف لبني زهرة ويكنى أبا عبد الله ، أسلم قديماً بمكة وهو أحد الأمراء الذين عهد لهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه بالشام ، مات سنة ١٨ هـ وهو ابن ٦٧ سنة [٢] .

- **يزيد بن أبي سفيان** بن حرب بن أمية ، أسلم يوم فتح مكة وشهد مع رسول الله حنين وعقد له أبو بكر الصديق رضي الله عنه مع أمراء الجيوش إلى الشام، ولاه عمر بن الخطاب دمشق فلم يزل والياً بها حتى مات في طاعون عمواس سنة ١٨ هـ وليس له عقب ، وهو أفضل بني أبي سفيان وكان يقال له يزيد الخير [٣] .

وممن مات أيضاً الفضل بن العباس بن عبدالمطلب [٤]، والحارث بن هشام بن المغيرة أخو أبو جهل[٥]، وسهيل بن عمرو العامري[٦] ، وعامر بن غيلان الثقفي مات وأبوه حي وتفانى الناس منه [٧] .

---

(1) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ص ١٨٥ . وابن عبد البر ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ص ٦٧١ . و ابن الأثير ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ج ٤ ص ١٤٢ . و ابن حجر العسقلاني ، الإصابة في تميز الصحابة ، ج ٣ ص ١٨٤٧ .

(2) ابن سعد ، المصدر السابق ، ص ١٨٨ . وابن عبد البر ، المصدر السابق ، ص ٣٥٦ . و ابن الأثير ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ج ٢ ص ٤١٩ . و ابن حجر العسقلاني ، الإصابة في تميز الصحابة ، ج ١ ص ٨٤٥ .

(3) ابن سعد ، المصدر السابق ، ص ١٩٣ . وابن عبد البر ، المصدر السابق ، ص ٧٥٢ . و ابن الأثير ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ج ٤ ص ٣٤١ . و ابن حجر العسقلاني ، الإصابة في تميز الصحابة ، ج ٣ ص ٢١٠٩ .

(4) يكنى : أبا عبدالله، أمه أم الفضل لبابة الصغرى بنت الحارث أخت ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، شهد حنين وحجة الوداع وغسل الرسول صلى الله عليه وسلم ، ابن عبدالبر ،الاستذكار، ص ٦٠٥ .

(5) يكنى : أبا عبدارحمن، شهد بدراً كافراً مع شقيقع أبو جهل ، أسلم يوم الفتح وحسن إسلامه، وكان من المؤلفة قلوبهم . ابن عبدالبر ، المصدر السابق ، ص ١٧٢ .

(6) يكنى : أبا يزيد، أسلم عام الفتح ، :كان من أشراف قريش وسادتهم في الجاهلية، أسر يوم بدر كافراً، وهو مندوب قريش في صلح الحديبية ، ابن عبدالبر ، الاستذكار ، ص ٣٤٤ .

(7) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ، ج ٢ ص ٥١٣ . والذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج ٢ ص ٩٩ .

سنة ٥٤ هـ :

حدث في خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه طاعون بفلسطين [١] ، ولم تتوفر معلومات عن حجم الخسائر التي خلفها .

سنة ٧٩ هـ :

" وفيها كان الطاعون العظيم بالشام ، حتى كاد الناس أن يفنوا منه، ولم يغزو أحد في تلك السنة فيما قيل " [٢] ويعلل ذلك ابن كثير بسبب ضعفهم وقلتهم[٣] . ووصفه ابن الأثير بالطاعون الشديد [٤]، وفيها أصابت الروم أهل أنطاكية لعلمهم بضعف الجنود والمقاتلة[٥]، وتوقفت حملات الشواتي والصوائف ضد الروم في هذه السنة .

ويؤرخ له الغزي بسنة ٧٨ هـ ، وهذا خلاف الراجح الذي اتفق عليه المؤرخون السابقون أمثال الطبري والذهبي وابن كثير وغيرهم [٦].

ويذكر أحمد إسماعيل : " أنه من الأمور التي حدثت في عهد عبدالملك بن مروان والتي كانت ذات أثر على بلاد الشام ذلك الطاعون الذي حدث فيها وما نتج عنه من مصائب شديدة، حيث لم يقدر أهل الشام من شدته على القتال والغزو " [٧] .

سنة ٨٠ هـ :

يذكر خليفة بن خياط أنه : " أصاب أهل الشام طاعون شديد فلم يكن ذلك العام غزو " ويؤرخ له بسنة ٨٠ هـ [٨] . ويوافقه المسعودي أنه كان في هذه السنة الطاعون العامُّ بالعراق

---

(1) المنبجي ، المنتخب من تاريخ المنبجي ، ص ٧١ . وهاني أبو الرب ، تاريخ فلسطين في صدر الإسلام ، ص١٩٩ .

(2) الطبري ، تاريخه ، ج ٣ ص ٦١٤ . والذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج ٢ ص ٧٧٥ ، والغبر في خبر من غبر ، ص ٦٦ . وابن تغري ، النجوم الزاهرة ، ج ١ ص ٢٥٦ . وابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ج ١ ص١٦١ .

(3) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٩ ص ٣٠ .

(4) الكامل في التاريخ ، ج ٤ ص ١٢١ . والعظيمي ، تاريخ حلب ، ص ١٦٤ .

(5) الطبري، تاريخه، ج ٣ ص ٦١٤. وابن الجوزي، المنتظم، ج ٦ ص ٢٠٣ . وابن كثير ، البداية والنهاية، ج ٩ ص ٣٠ .

(6) نهر الذهب في تاريخ حلب ، ج ٣ ص ٢٥ .

(7) أحمد إسماعيل ، تاريخ بلاد الشام منذ قبل الميلاد حتى نهاية العصر الأموي ،ص ١٨٧، ط ٣ ، ١٩٩٤ م ، دار دمشق ، دمشق – سوريا .

(8) تاريخ خليفة بن خياط ، ص ١٧٦ .

والشام ومصر والجزيرة والحجاز وهي سنة ثمانين [1] . واستمر توقف الحملات على الـروم أيضاً في هذه السنة .

سنة ٨١ هـ :

كذلك يذكر العظيمي : " أنه كان الطاعون بالشام " [2] في هذه السنة .

سنة ٨٦ هـ :

" وفيها كان طاعون الفتيات سمي بذلك لأنه بدأ في النساء ، وماتت فيه الجواري" [3]، وكان بالشام وواسط والبصرة [4]. يقال مات فيه عبدالملك بن مروان[5] وكان يقـال لـه طـاعون الأشراف [6].

سنة ٩٨ هـ :

وقع في هذا العام طاعون مات فيه ابن الخليفة سليمان بن عبدالملك ،وولي عهده أيوب، وأهل بيته [7] .

سنة ١٠٧ هـ :

" وفيها وقع بالشام طاعون شديد [8] ، حتى وقع في الدواب والبقر [9] ، وخاف الناس كثيراً " [10] .

---

(1) مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج ٣ ص ١٨٨ . هاني أبو الرب ، تاريخ فلسطين في صدر الإسلام ، ص١٩٩ . والعظيمي ، تاريخ حلب ، ص ١٦٥ .
(2) تاريخ حلب ، ص ١٦٥ .
(3) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ص ٢٦٧ .
(4) الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج ٢ ص ٩١٦ . وابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٩ ص ٦٦ ، وابن تغري ، النجوم الزاهرة ، ج ١ ص ٢٧٢ .
(5) ابن قتيبة ، المعارف ، ص٢٦٠ .
(6) ابن قتيبة ، المصدر السابق ، ص٢٦٠ . سُمي بطاعون الأشراف : لكثرة من مات فيه من الأشراف .
(7) عبدالقادر بدران ، تهذيب تاريخ دمشق الكبير ، ج ٣ ص ٢١٠ ، ط ٣ ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت . ومحمد علي البار ، وباء الطاعون ، ص ٩٧، مجلة المنهل ، العدد (٥٣٦) ج٥٨، رجب / شعبان ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م .
(8) الطبري، تاريخه ، ج ٤ ص ١٢٠ . وابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٧ ص ١١٧ . وابن كثير ، البداية والنهاية، ج ٩ ص ٢٥٠ .
(9) خليفة بن خياط ، تاريخه ، ص ٢١٧ . ومؤلف مجهول ، العيون والحدائق ، ص ٨٩ .
(10) ابن تغري ، النجوم الزاهرة ، ج ١ ص ٣٣٢ .

واليعقوبي يذكر عند حديثه عن هشام بن عبدالملك (من ١٠٥ — ١٢٥ هـ) ، : " أنه فشا الطاعون في أيامه حتى هلك عامة الناس وذهبت الدواب والبقر [1] . وقيل مات فيه خلق عظيم " [2] .

كما يذكر المنبجي أنه وفي خلافة هشام بن عبدالملك : " وفي السنة الثالثة لهشام عرض وباء شديد بسورية ولحق الناس طواعين وخراجات [3] مختلفة " [4] .

سنة ١٠٨ هـ :

" وفيها كان بالشام طاعون شديد " [5] .

سنة ١١٥ هـ :

" وفيها وقع الطاعون بالشام " [6] .

والمنبجي يذكر : " وفي السنة العاشرة لهشام بن عبدالملك عرض بفلسطين ومصر وباء شديد " [7] .

سنة ١١٦ هـ :

" وفيها كان طاعون عظيم وشديد بالعراق والشام وكان أشد ذلك بواسط " [8] .

---

(1) تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ص ٣٢٨ .
(2) الأصفهاني، البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان ، ص ١٣٤ .
(3) الخُراج : ورم يخرج من البدن من ذاته ، والجمع أخرجة وخرجان ، وقيل الخراج ورم قرح يخرج بدابة أو غيرها من الحيوان . ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٥ ص ٤٠ . وابن قيم الجوزية يقول إذا اجتمع الورم سمي خراجاً . زاد المعاد في هدي خير العباد ، ص ١٠٥ .
(4) المنتخب من تاريخ المنبجي ، ص ٨٩ .
(5) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٤ ص ٣٤٦ . الغزّيّ ، نهر الذهب ، ج ٣ ص ٢٦ .
(6) الطبري ، تاريخه ، ج ٤ ص ١٥٢ ، والعظيمي ، تاريخ حلب ، ص ١٧٩ . وابن الأثير ، المصدر السابق ، ج ٤ ص ٣٨١ . وابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٧ ص ١٦٤ . وابن كثير ، البدية والنهاية ، ج ٩ ص ٣١٣ ، ويوسف بن تغري ، النجوم الزاهرة ، ج ١ ص ٣٥٢ . الغزّيّ ، نهر الذهب ، ج ٣ ص ٢٦ .
(7) المنتخب من تاريخ المنبجي ، ص ٩١ .
(8) الطبري ، تاريخه ، ج ٤ ص ١٥٣ ، وابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٤ ص ٣٨٢ . وابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٧ ص ١٦٤ . وابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٩ ص ٣١٣ . وانظر : الأزدي ، تاريخ الموصل ، ص ٣٦ .

سنة ١٢٦ هـ :

يذكر البلاذري أحداث مبايعة الوليد بن يزيد بالخلافة (١٢٥ – ١٢٦ هـ) ويذكر أن الوليد بن يزيد كان متبدياً أي في البادية، ويعلل ذلك بأن أرض الشام كانت في تلك الأيام وبيئة فخرج الناس إلى البادية [1] . والطبري يذكر أن الشام في تلك الأيام وبيئة ، فخرجوا إلى البوادي ، وكان يزيد بن الوليد متبدياً [2] .

كما يذكر ابن الأثير حادثة قتل الوليد بن يزيد بن عبدالملك ثم يذكر : وكان الشام وبيئاً فخرجوا إلى البوادي [3] . وهذا يدل على أن الشام في تلك السنة كان متعرض للأوبئة فكلمة وبيئاً تدل على أن بلاد الشام كلها كانت معرضة للوباء ، ويظهر أن الطاعون قد انتشر في المدن والحواضر وهذا ما دفع يزيد بن الوليد الخروج إلى البادية جرياً على عادة الخلفاء الأمويين عند حدوث الطاعون .

وتحدد نهلة أنيس المدن التي وقع فيها الطاعون سنة ١٢٦ هـ : حلب وأنطاكية وباقي مدن الجزيرة [4] .

سنة ١٢٧ هـ :

" وفي هذه السنة كان الطاعون بالشام ومات فيه خلائق لا تحصى ، وكان هذا الطاعون يسمى بطاعون غراب " [5] .

سنة ١٣١ هـ :

يذكر ابن قتيبة : " وقوع طاعون سنة إحدى وثلاثين ومائة في شعبان وشهر رمضان وأقلع في شوال، وفيه مات أيوب السختياني [6]. قال: وقال الأصمعي مرة أخرى وقع طاعون

---

(1) جمل من أنساب الأشراف ، ج ٩ ص ١٦٩، تحقيق سهيل زكار ورياض زركلي ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م ، دار الفكر ، بيروت – لبنان . وابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٠ ص ١٠ .
(2) تاريخ الطبري ، ج ٤ ص ٢٣٨ .
(3) الكامل في التاريخ ، ج ٤ ص ٤٧٠ .
(4) الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الثغور والعواصم على الحدود البيزنطية ، ص ١٤٥ .
(5) ابن تغري،النجوم الزاهرة ، ج ١ ص ٣٨٦ . وسمي بطاعون غراب نسبة إلى غراب رجل من الرباب كان أول من مات فيه في ولاية الوليد بن يزيد بن عبدالملك . انظر: ابن قتيبة ، المعارف ، ص ٢٥٩ – ٢٦٠ .
(6) أيوب بن أبي تميمة السختياني ، من المصطفين من أهل البصرة ، ثقة ثبت من كبار الفقهاء العباد . ولد سنة ٦٨ هـ وتوفي سنة ١٣١ هـ بالبصرة بالطاعون .ابن الجوزي ، صفة الصفوة ، ج ٢ ص ١٧٣ . والذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج ٦ ص ٢٨٤ .

أسلم بن قتيبة بالعراق يوم الخروج يعني يوم العيد سنة إحدى وثلاثين وبالشام سنة خمس وثلاثين" [1]. وهذا الطاعون حدث في البصرة تحديداً . إلا أن هاني أبو الرب يرى أنه أيضاً كان هناك طاعون آخر وقع بالشام وفلسطين ويعتبره أخر طاعون في العصر الأموي هو طاعون سنة ١٣١هـ[2] .

سنة ١٣٥ هـ :

ينقل ابن قتيبة قول الأصمعي : " قال الأصمعي : مرة أخرى وقع طاعون أسلم بن قتيبة بالعراق يوم الخروج يعني يوم العيد سنة إحدى وثلاثين وبالشام سنة خمس وثلاثين"[3] . ولم تذكر المصادر الأخرى وقوع طاعون بالشام سنة ١٣٥ هـ حسب المصادر المتوفرة .

سنة ١٧٠ هـ :

يورد البلاذري خبر وقوع طاعون زمن هارون الرشيد : " قالوا : وكان بفلسطين في أول خلافة أمير المؤمنين الرشيد(١٧٠ – ١٩٣ هـ) رحمه الله ، طاعون جارف ربما أتى على جميع أهل البيت، فخربت أرضهم، وتعطلت، فوكل السلطان بها من عمرها وتألف الأكرة[4] والمزارعين إليها فصارت ضياعاً للخلافة وبها السامرة [5] " [6] .

---

(1) المعارف ، ص ٢٦٠ .

(2) تاريخ فلسطين في صدر الإسلام ، ص ٢٠٠ .

(3) المعارف ، ص ٢٦٠ .

(4) الأكرة : هم الذين يفلحون الأرض ويسقونها ، انظر الجاحظ ، الحيوان ، ج ١ ص ٧٦ .

(5) السامرة : قبيلة من قبائل بني إسرائيل ، يخالفون اليهود في بعض دينهم ، إليهم نسب السامري الذي عبد العجل الذي سمع له خوار ، وهم بالشام يعرفون بالسامريين . ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٧ ص ٢٥٣. يقيمون تحديداً في مدينة نابلس منذ ما قبل الإسلام وبعض القرى مثل بيت ماما وفي قيسارية ، وانتقل بعضهم إلى الرملة بعد تأسيسها ، وتعتبر طائفة السامرية من الطوائف المنغلقة على نفسها ، ولا يوجد أي اختلاط بينهم وبين طائفتهم من اليهود ، ويبلغ عدد سكانهم حوالي خمسمائة رجل . هاني حسين أبو الرب، تاريخ فلسطين في صدر الإسلام ، ص ٢٠٥ . وهدى الويسي، الهزات الأرضية في بلاد الشام، ص١٣٢ .

(6) فتوح البلدان ، ص ١٦٣ . وانظر : يوسف غوانمه ، الطاعون والجفاف ، ص ٧٤ . لم تذكر المصادر المتوفرة طواعين أخرى ، بعد هذه السنة وقد يكون هذا لأسباب ومنها ، أن الشام لم تصبح المركز الرئيسي للدولة الإسلامية فقد انتقلت العاصمة إلى بغداد ، ظهور وتتابع الأحداث السياسية جعل اهتمام المؤرخين بها أكثر من غيرها .

أحكام تخص الطاعون :

حكم الخروج من البلد التي يقع فيها الطاعون والدخول إليها :

قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ ﴾ سورة البقرة ، قال فروا من الطاعون ، فقال لهم الله : موتوا ، ثم أحياهم ليكملوا بقية آجالهم ، مقتهم الله على فرارهم من الموت ، فأماتهم الله عقوبة ، ثم بعثهم إلى بقية آجالهم ليتوفوها ، ولو كانت آجال القوم حانت ما بعثوا بعد موتهم [١] .

وفي البخاري أن أسامة بن زيد رضي الله عنه كان يحدث سعداً عن النبي ﷺ أنه قال : " إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها " [٢] .

عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت : أنها سألت رسول الله ﷺ عن الطاعون ، فأخبرني أنه : " عذاب يبعثه الله على من يشاء ، وأن الله جعله رحمة للمؤمنين ، ليس من أحد يقع الطاعون ، فيمكث في بلده صابراً محتسباً ، يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له ، إلا كان مثل أجر شهيد " [٣] .

وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " الفار من الطاعون كالفار من الزحف ، والصابر فيه كالصابر في الزحف " [٤] .

أجر الصابر في الطاعون :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال : رسول الله ﷺ " ما تعدون الشهيد فيكم ؟ قالوا: يا رسول الله من قتل في سبيل الله فهو شهيد . قال : إن شهداء أمتي إذا لقليل ، قالوا : فمن هم ؟ يا رسول الله ! قال : من قتل في سبيل الله فهو شهيد . ومن مات في سبيل الله فهو شهيد. ومن مات في الطاعون فهو شهيد . ومن مات في البطن فهو شهيد " [٥]

---

(1) ابن حجر العسقلاني ، بذل الماعون في فضل الطاعون ، ص ٢٢٩ - ٢٣٠ .
(2) صحيح البخاري، ج ٤ ص ٤٤ .
(3) البخاري ، المصدر السابق ، ج ٤ ص ٤٥ .
(4) ابن حجر العسقلاني ، بذل الماعون في فضل الطاعون ، ص ٢٨٠ .
(5) مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، ج ٣ ص ١٥٢١ .

وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " الطاعون شهادة لكل مسلم " [1] .

ثانياً : الأمراض والأوبئة الأخرى :

سنة ٢٤ هـ :

يذكر الطبري: أن هذا العام سمي: " عام الرعاف [2] الشديد" [3] ،لانتشار الرعاف بين الناس .

سنة ٦٥ هـ :

يذكر المنبجي أنه وفي سنة ٦٥ هـ ، التي تولى فيها عبدالملك بن مروان الخلافة ،" لحق الناس جوع شديد ووباء " [4] .

سنة ١٥٥ هـ :

يذكر ابن العبري : " أنه انتشر وباء وجوع شديد في سورية وآثور [5] ، لا لنقص الحنطة ، بل لخلو أيدي الناس من الدراهم ، فكان ثمن الثور والحمار درهماً واحداً ... ، وخمسة أمداد حنطة درهماً، وثمن كل صبي وصبية خمسة دراهم " [6] .

سنة ١٥٨ هـ :

" وفيها أصاب الناس وباء شديد [7] ، توفي بسببه خلق كثير وجم غفير منهم أفلح بن حميد[8] ،وحيوة بن شريح [9] ، ومعاوية بن صالح بمكة ، وغيرهم [10] " [11] .

---

(1) البخاري ، صحيح البخاري ، ج ٤ ص ٤٥ .
(2) الرعاف : دم يسبق من الأنف . ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٦ ص ١٧٦ .
(3) تاريخ الطبري ، ج ٢ ص ٥٨٩ . العظيمي ، تاريخ حلب ، ص ١٤٠ . ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٣ ص ٦٤ .
(4) المنتخب من تاريخ المنبجي ، ص ٧٨ .
(5) آثور : بالفتح ثم الضم وسكون الواو وراء كانت الموصل قبل تسميتها بهذا الاسم تُسمى أثور ، وقيل هو اسم كورة الجزيرة بأسرها . الحموي ، معجم البلدان ، ج ١ ص ٨٢ .
(6) تاريخ الزمان ، ص ١٠ .
(7) الطبري ، تاريخه ، ج ٤ ص ٥٤٧ ، وابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٨ ص ٢٠٩ .
(8) أفلح بن حميد بن نافع الأنصاري يكنى أبا عبدالرحمن ، توفي سنة ١٥٨ هـ وهو ابن ثمانين سنة ، وكان ثقة كثير الحديث . ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج ٥ ص ٢٨٦ .
(9) حيوة بن شريح بن صفوان الإمام الرباني الفقيه شيخ الديار المصرية ، أبو زرعة التجيبي المصري ، توفي سنة ١٥٨ هـ . الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج ٦ ص ٥٧٤ .
(10) معاوية بن صالح بن حدير الإمام الحافظ الثقة قاضي الأندلس، من كبار أتباع التابعين ولد في حدود الثمانين من الهجرة ، توفي سنة ١٥٨ هـ . الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج ٧ ص ١١٦ .
(11) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٠ ص ١٣٩ .

سنة ١٦٨ هـ :

" أصاب الناس في آخر سنة ١٦٨ هـ ودخول سنة ١٦٩ هـ وباء كثير، وظلمة، وتراب أحمر كانوا يجدونه في فرشهم وعلى وجوههم " [١] .

سنة ٢٤٤ هـ :

يذكر المؤرخون أن المتوكل دخل دمشق في صفر وعزم على المقام بها ونقل دواوين الملك إليها وأمر بالبناء بها حتى قال يزيد بن محمد المهلبي :

أظنَّ الشامُ تشمتُ بالعراقِ إذا عَزَم الإمامُ على انطلاقِ

فإن تدعِ العراقَ وساكينَه فقد تُبلى المليحةُ بالطلاق [٢] .

لكنه أستوبأ دمشق وذلك أن الهواء فيها بارد ندي، واستثقل ماءها والريح تهب فيها من العصر، ولا يزال يشتد حتى يمضي عامة الليل وهي كثيرة البراغيث ،وهذا فيه دلالة على أن دمشق كانت متعرضه في تلك الفترة للوباء [٣] .

---

(1) اليعقوبي ، تاريخه ، ج ٢ ص ٤٠١ .

(2) ابن الوردي ، تاريخه ، ج ١ ص ٢١٩ .

(3) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٥ ص ٥٥٧ . وابن الوردي ، تاريخه ، ج ١ ص ٢١٩ . وابن الجوزي ، المنتظم ، ج ١٠ ص ٣٢٢ .

الأمراض الأخرى : (الجدري ، الجذام ، الحمى) : -

الجدري : من الأمراض الجلدية القديمة والمعروفة في الجاهلية ، وقد ذكر بعض الأخباريين أن أول جدري ظهر هو ما أصاب أبرهة الحبشي بعد غزوه مكة المكرمة (1) ، والجدري من الأمراض المشهورة في تلك الأزمنة، وقد سجلت المصادر التاريخية إشارات عابرة عن هذا المرض ، ففي السيرة الحلبية يذكر أن الرسول ﷺ عندما خرج لحجة الوداع أصاب الناس جدري منعت كثيراً من الناس من الحج (2) وهذا يدل على انتشاره ووجوده في القرون الثلاثة الأول ، والمؤرخون عند حديثهم عن الأعلام من الخلفاء وغيرهم يذكرون من كان في وجهه أثر للجدري ، فعثمان بن عفان رضي الله عنه كان بوجهه نكتات جدري (3) ، ويزيد بن معاوية كان بوجهه آثار الجدري (4) ،والوليد بن عبدالملك توفي سنة ٩٦ هـ وبوجهه آثار جُدري(5) . وأبو العباس السفاح مات بالجدري سنة ١٣٦هـ (6) والمستعين بالله أبو العباس مات سنة ٢٥٢هـ وكان بوجهه أثر للجدري (7)، فإصابة الخلفاء بهذا المرض يدل على وجوده وانتشاره في تلك الفترة ، وهو وباء معدٍ، ولذلك كانوا يحرصون على عزل المصاب به عن الآخرين.

وعلامات الجدري والحصبة : الحمى الحادة من أول الابتداء مع صداع وحمرة في العين وأكثر ما يظهر في اليوم الثالث من ابتداء الحمى، وربما كان من أول يوم ومن الثاني .

---

(1) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج ٨ ص ٤٠٧ ، ط ٢ ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م ، ساعدت جامعة بغداد على نشره .

(2) الحلبي ، السيرة الحلبية ، ج ٣ ص ٣٦٠ .

(3) السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ١١٧ .

(4) ابن الكازروني ، مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة العباس ، ص ٨٣ .

(5) اليعقوبي ، تاريخه ، ج ٢ ص ٢٩٢ . وابن واصل ، التاريخ الصالحي ، ج ١ ص ٣٠٣ . ومؤلف مجهول ، العيون والحدائق في إخبار الحقائق ، ص ١٢ . وإبراهيم بن محمد العلائي المعروف بابن دقماق (ت ٨٠٩ هـ) ، الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين ، تحقيق سعيد عبدالفتاح عاشور وأحمد السيد دراج ، ط. ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٢ م ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، مكة المكرمة ، ص ٦٦ . وابن الكازروني ، مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة العباس ، ص ٩١ .

(6) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٠ ص ٦٤ . والعظيمي ، تاريخ حلب ، ص ١٨٩ . وابن الكازروني ، مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة العباس ، ص ١١٣ . وابن العبري ، تاريخ مختصر الدول، ص ١٢٠ .

(7) السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ٢٨٠ .

وأفضل العلامات وأدلها على السلامة أن يثور في الثالث، أو في وقت تكون الحمى لانت وبالضد لو ثارت في أول يوم في شدة الحمى والوهج " [1] .

الجذام : من الأمراض المعروفة في القرون الثلاثة الأول ، فعن الشريد بن سويد الثقفي قال: كان في وفد ثقيف رجل مجذوم فأرسل إليه النبي ﷺ " إنا قد بايعناك فارجع " [2] .

وروى ابن السني وأبو نعيم عن النبي ﷺ أنه قال : " كَلِّم المجذوم وبينك وبينه قيد رمح أو رمحين " والحديث ضعفه الألباني [3] .

وعن مالك عن عبدالله بن أبي بكر بن حزم عن ابن أبي مليكة ، أن عمر بن الخطاب مر بامرأة مجذومة وهي تطوف بالبيت العتيق فقال لها : يا أمة الله لا تؤذي الناس لو جلست في بيتك فجلست ، فمر بها رجل بعد ذلك فقال لها : إن الذي كان قد نهاك قد مات فاخرجي فقالت: ما كنت لأطيعه حياً واعصيه ميتاً [4] .

ويذكر اليعقوبي : " أنه وفي أيام سليمان بن عبدالملك سنة ٩٨ هـ وعند انصرافه من مكة إلى بيت المقدس ، طاف المجذُمون بمنزله فضربوا بأجراسهم ، حتى منعوه من النوم فسأل عنهم فأخبر بما يلقاه الناس منهم فأمر بإحراقهم وقال : لو كان في هؤلاء خير ما ابتلاهم الله بهذا البلاء ، فكلمه عمر في ذلك فأمسك عنهم وأمر أن ينفوا إلى قرية معتزلة لا يخالطوا الناس" [5].

هذه الرواية وإن كنا نتحفظ على قبولها بهذه الصياغة من المؤرخ اليعقوبي لما عُرف عنه من بغضه للأمويين [6]، ولما تميز به الخليفة سليمان بن عبدالملك من تدين وصلاح

---

(1) الرازي ،الحاوي في الطب ، ج ١٧ ص ٦ – ٧ ، راجعه وصححه ، محمد محمد إسماعيل ، ط ١ ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م .

(2) مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، ج ٤ ص ١٧٥٢ .

(3) الألباني ، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة ، ج ٤ ص ٤٢٩ ، ط ٢ ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م ،مكتبة المعارف للنشر ، الرياض ، رقم الحديث ١٩٦٠ . وذكره عبدالرزاق الكيلاني ، الحقائق الطبية في الإسلام ، ص ١٤١ .

(4) ابن عبدالبر ، الاستذكار ، ج ١٣ ص ٣٥٥ .

(5) تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ص ٢٩٨ .

(6) للاستزادة عن عقيدة اليعقوبي انظر : محمد بن صامل السلمي ، منهج كتابة التاريخ الإسلامي، ص ٥٢١ – ٥٢٨، ط ٢ ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م ، دار الرسالة ، مكة المكرمة .

وتقريب للعلماء ، وتميز عهده بالجهاد والرباط في سبيل الله [1] ، بالإضافة إلى أن هذه الرواية لم ترد عند المؤرخين الموثوقين مثل خليفة بن خياط ، والطبري وغيرهم .

وقد وردت هذه الرواية عند عبدالله بن عبدالحكم بالصياغة التالية حيث أوردها تحت عنوان (استنقاذ عمر المجذومين وقد أمر سليمان بتحريقهم) فيذكر : " وحج سليمان ومعه عمر ، فبينما هو يسير ذات ليلة على راحلته قرب مكة وقد نعس إذ صاح به المجذَّمون وضربوا بأجراسهم فاستيقظ سليمان فزعاً وقد بشع بهم وأفزعوه ، فأمر بتحريقهم بالنار ، فرجع المأمور ما يدري ما يصنع بهم ، حتى لقي عمر بن عبدالعزيز فقال : يا أبا حفص حدث أمرٌ عظيم من أمير المؤمنين . وذلك أنه مرَّ بهؤلاء الجَذمى وهو نائم على راحلته فراعه من نومه صياحهم وضرب أجراسهم فغضب وأمر بتحريقهم فقال له عمر : لا تعجل حتى ألحقه ، فلحقه فحادثه ساعة ثم قال : يا أمير المؤمنين هل رأيت مثل هؤلاء الْمُبْتَلَيْن فنسأل الله العافية ، فلو أمرت بإخراجهم ؟ قال له : أصبت فأمر بإخراجهم ، فرجع عمر وراءه فقال للمأمور : قد أمر أمير المؤمنين بإخراجهم " [2] . فهنا نلاحظ أن تصرف الخليفة سليمان بن عبدالملك كانت ردة فعل سريعة لِما أحدثه هؤلاء المجذمين من من صخب وفوضى أدى إلى فزع الخليفة ، والدليل على ذلك تراجعه عن أمره بتحريقهم عندما كلمه فيهم عمر بن عبدالعزيز .

ويجمل المقدسي جملاً من شؤون إقليم الشام فيذكر أنه كثير المجذومين [3] ، وهذا يدل على انتشار هذا المرض بكثرة حتى أصبح مما يعرف به الشام .

الحمى : تعتبر من أشهر الأمراض المنتشرة في تلك الفترة ، يذكر ابن الجوزي قصة موت الخليفة سليمان بن عبدالملك تحت عنوان : حمى دابق التي مات بها سليمان فيقول : "حدثنا محمد بن سعد الداري أنه سمع أباه يذكر أن سليمان بن عبدالملك كان ربما نظر في المرآة فيقول : أنا الملك الشاب قال : فنزل مرج دابق فمرض مرضه الذي مات فيه وفشت الحمى في أهله وأصحابه فدعا جارية بوضوء فبينما هي توضئه سقط الكوز من يدها فقال ما

---

(1) للاستزادة عن سيرة الخليفة سليمان بن عبدالملك انظر : الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج ٥ ص ٥٦٥ – ٥٦٦ .

(2) ابن عبدالحكم ، سيرة عمر بن عبدالعزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه ، ص ٣٠ ، نسخها وصححها وعلق عليها أحمد عبيد ، ط ٦ ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م ، عالم الكتب ، بيروت .

(3) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ١٧٩ .

قصتك ؟ قالت : محمومة، قال : فلان ؟ قالت محموم قال : ففلانه ؟ قالت محمومة قال : الحمد لله الذي جعل خليفته في أرضه ليس عنده من يوضئه ثم التفت إلى خاله الوليد بن القعقاع العبسي فقال :

قَرِّبْ وضوءكَ ياوليدُ فإنما *** هذى الحياةُ تعلةٌ ومتاعُ

فأجابه الوليد :

فاعمل لنفسك في حياتكِ صالحاً *** فالدهرُ فيهِ فرقةٌ وجماعُ " [1] .

ويذكر كريزويل [2] : " أن ميول وطبائع الخلفاء الأمويين بدوية أيضاً رغم أن معاوية اتخذ دمشق عاصمة له وأقام فيها فإن خلفاءه اكتفوا بزيارتها عندما تطلب مراسم الدولة حضورهم، أما في الأوقات الأخرى كما يقول فان بريشيم – كنوع من أصالة الحياة البدوية – فإنهم فضلوا البادية أو المراعي الربيعية عندما تلبس الصحراء حله خضراء بعد الأمطار الشتوية ، أما واحة دومة الجندل ومدينة دمشق الرائعة فكانت مذكراً لهم بشحوب وقشعريرة الحميات التي أصابتهم في حدائق الغوطة كما قال الشاعر الأخطل :

سقى اللهُ من دارِ سلمى بريةً على أنَّ سلمى ليسَ يُشفى سقيُمها

من العربيات البوادي ولمْ تكنْ تلوحُها حمّى دمشقَ ومُومها " [3] .

وهذا فيه دلالة على اشتهار دومة الجندل ودمشق بالحمى – حسب رأي كريزويل – وتبريره لخروج الخلفاء إلى قصورهم البرية .

ومن أشهر الخلفاء الذين ماتوا بالطاعون والأوبئة :

معاوية بن يزيد بن معاوية ، ثالث خلفاء بني أمية ، مات بالطاعون [4] .

---

(1) سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز ، ص ٤٤ ، تحقيق طه عبدالرءوف ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م ، دار ابن خلدون .

(2) ك . كريزويل ، الآثار الإسلامية الأولى ، ص ١٣١، ترجمة عبدالهادي عبله ، ط ١ ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م، دار قتيبة ، دمشق .

(3) الأخطل ، ديوانه ، ص ١٢١، ط ٢ ، دار المشرق ، بيروت .

(4) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٣ ص ٥٧٢ . ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص ١١١ .

مروان بن الحكم قيل مات بالطاعون [1] .

عبدالملك بن مروان قيل مات بالطاعون [2].

يزيد بن عبدالملك بن مروان كان مرضه السلّ ووفاته سنة ١٠٥هـ [3].

يزيد بن الوليد بن عبدالملك توفي بالطاعون من عامه الذي تولى فيه الخلافة (عام ١٢٦ هـ) [4] .

توفي سليمان بن عبدالملك بالحمى وقيل بذات الجنب بدابق سنة ٩٩ هـ [5] .

---

(1) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٣ ص ١٠٣ ، وابن عساكر ، ج ٥٧ ص ٢٧٧ . والذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج ٨ ص ٥ . وبن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ١ ص ٢٢٠ . والنويري ، نهاية الأرب ، ج ٢ ص ٢٨٤ . وابن واصل ، التاريخ الصالحي ، ج ١ ص ٢٨٠ . وابن الكازروني ، مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة العباس ، ص ٨٨ .

(2) ابن قتيبة ، المعارف ، ص ٢٦٠ .

(3) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٩ ص ٢٣٩. والقرماني ، أخبار الدول وآثار الأول، ج ٢ ص ٤٧ .

(4) ابن الكازروني ، مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة العباس ، ص ١٠٣ . وابن واصل ، التاريخ الصالحي ، ج ١ ص ٣٢٨ . القرماني ، المصدر السابق ، ج ٢ ص ٥٥ .

(5) عبدالرحمن سنبط الأربلي ، خلاصة الذهب ، ص ١٧ . وابن الكازروني ، مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة العباس ، ص ٩٥ .

ثالثاً : أمراض الحيوانات :

إلى جانب الأمراض والأوبئة التي أصابت الناس ، انتشرت في بلاد الشام أوبئة أخرى طاولت بشكل خاص الحيوانات والبهائم ، وإن كانت المصادر التاريخية أعرضت عن ذكرها إلا في إشارات نادرة يسيرة جداً ، رغم ما كانت تمثله هذه البهائم (البقر – والإبل – والأغنام – والضان – والخيول) من أهمية كبيرة للإنسان وخاصة في تلك القرون [١] .

سنة ٢٤ هـ :

يذكر العظيمي : " وفيها عقرت الدواب بين قنسرين ودابق " [٢] .

سنة ١٠٧ هـ :

" وفيها وقع بالشام طاعون شديد [٣] ، حتى وقع في الدواب والبقر [٤] ، وخاف الناس كثيراً " [٥] .

واليعقوبي يذكر عند حديثه عن هشام بن عبدالملك (من ١٠٥ – ١٢٥ هـ) ، " أنه فشا الطاعون في أيامه حتى هلك عامة الناس وذهبت الدواب والبقر " [٦] .

سنة ٢٤١ هـ :

" في هذه السنة وقع الصدام [٧] فنفقت الدواب والبقر " [٨] .

---

(1) لهذه الحيوانات أهمية كبيرة في تلك الفترة فهي وسيلة النقل والزراعة والغذاء والكساء .

(2) تاريخ حلب ، ص ١٤٠ .

(3) الطبري ، تاريخه ، ج ٤ ص ١٢٠ . وابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٧ ص ١١٧ . وابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٩ ص ٢٥٠ .

(4) خليفة بن خياط ، تاريخه ، ص ٢١٧ .

(5) ابن تغري ، النجوم الزاهرة ، ج ١ ص ٣٣٢ .

(6) تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ص ٣٢٨ .

(7) الصُدامُ ، داء يأخذ الإبل فتخمص بطونها وتدع الماء وهي عطاش أياماً حتى تبرأ أو تموت . ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٨ ص ٢١٧ .

(8) الطبري ، تاريخه ، ج ٥ ص ٣٢١ . وانظر : ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ١١ ص ٢٨٣ . وابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٥ ص ٥٥٠ .

المبحث الثالث : المجاعات

يعتبر احتباس المطر، وظهور الفتن والحروب، وانتشار الوباء والآفات، من أهم أسباب المجاعات والقحط وغلاء الأسعار ، وما يصاحب ذلك عند التجار من احتكار للسلع ، مما يؤدي بعد – إذن الله– لموت كثير من الناس وهلاكهم . ولقد ابتلى الله أمماً وأقواماً بالجوع ونقص الثمرات، بعد أن ظهر كفرهم وعنادهم ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ سورة الأعراف، وهذه الكوارث مرتبطة بعضها ببعض غالباً ، فعند حدوث القحط يظهر الاحتكار ، ثم تزداد الأسعار ، وتظهر مظاهر سوء التغذية والمجاعات . وقد رتبتها على النحو التالي : –

سنة ١٨ هـ (قحط ومجاعة) :

في هذه السنة أصاب الناس مجاعة شديدة ولزبة [١] وجدوب وقحوط [٢] وذلك هو العام الذي يسمى عام الرمادة [٣] . يبدو أن هذه المجاعة شملت معظم أنحاء الجزيرة العربية وإن كان تمركزها في المدينة النبوية وما حولها ، إلا أن تأثيرها شمل مناطق أوسع ، وقد استمرت تسعة أشهر[٤]، وما يؤكد ذلك قدوم أعداد كبيرة من القبائل إلى المدينة هرباً من المجاعة . كما أن مركز الدولة الإسلامية في تلك الفترة كان المدينة النبوية، وبالتالي تعرضها لمثل هذا الظرف له تأثيراته في المناطق التابعة لها ، وتزامن هذه المجاعة مع طاعون عمواس في بلاد الشام زاد الأمر صعوبة .

---

(1) لزب : الضيق واللزوب : القحط ، واللزبة : الشدة وجمعها لزب ، وسنة لزبة ، شديدة ، ويقال ، أصابتهم لزبة ، يعني شدة السنة . ابن منظور ، لسان العرب ، ج ١٣ ص ١٩٣ .

(2) جدوب جمع جدب يقال أرض جدوب كأنهم جعلوا كل جزء منها جدباً ثم جمعوه على هذا . ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٣ ص ٨٨ . والقحط احتباس المطر ، وقحوط المطر أن يحتبس وهو محتاج إليه . ابن منظور ، لسان العرب ، ج ١٢ ص ٢٩ .

(3) الطبري ، تاريخه ، ج ٢ ص ٥٠٧ . ويوسف الدبس ، تاريخ سورية ، ج ٥ ص ١٣ .

(4) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج ٣ ص ١٦٥ .

سنة ٥٧ هـ (قحط) :

من أشهر سنوات القحط التي أصابت فلسطين في العصر الأموي، القحط الذي عم الشام في خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه سنة ٥٧ هـ [١] .

سنة ٦٥ هـ (مجاعة) :

ذكر المنبجي أنه وفي سنة ٦٥ هـ ، التي تولى فيها عبدالملك بن مروان الخلافة ،" لحق الناس جوع شديد ووباء " [٢].

سنة ٦٨ هـ (قحط شديد) :

وفي هذه السنة كان القحط الشديد بالشام، حتى لم يقدروا من شدته على الغزو ، لضعفهم وقلة طعامهم وميرتهم " [٣] .

كما أدى إلى تخلف اقتصادهم وبالتالي عدم قدرتهم العسكرية مما أثر على وضعهم السياسي [٤] .

ويذكر العظيمي : " أنه في سنة ٦٩ هـ ، لم يكن فيها صائفة ولا شاتية " [٥] .

سنة ٨٦ - ٩٦ هـ (قحط) :

يصف صاحب كتاب العيون والحدائق فترة الوليد بن عبدالملك وواليه الحجاج على العراق بأن الأرض أجدبت وأمسك القطر وذلك بسبب ما أفسده الحجاج، وإسرافه في الظلم والقتل،– ذكر الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه : " ... أن قحوط المطر من قضاء السوء وأئمة الجور "[٦] ، ثم يذكر عهد سليمان وإحسانه للناس ورده للمظالم [٧] ، ولعله يريد أن

---

(1) هاني أبو الرب ، تاريخ فلسطين في صدر الإسلام ، ص ٢٠٠ .

(2) المنتخب من تاريخ المنبجي ، ص ٧٨ .

(3) الطبري ، تاريخه ، ج ٣ ص ٥٠٢ ، وذكره ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ص ٧٠ ، وابن الأثير ، الكامل في التاريخ، ج ٣ ص ٦٩٩ ، وابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٨ ص ٢٧٩ . أحمد إسماعيل ، تاريخ بلاد الشام منذ قبل الميلاد حتى نهاية العصر الأموي ، ص ١٨٦ . والعظيمي ، تاريخ حلب ، ص ١٦٠ .

(4) أحمد إسماعيل ، تاريخ بلاد الشام منذ قبل الميلاد حتى نهاية العصر الأموي ، ص ١٨٦ .

(5) تاريخ حلب ، ص ١٦٠ .

(6) ابن أبي الدنيا ، المطر والرعد والبرق والريح ، ص ٥٩ .

(7) مؤلف مجهول ، ص ١٧ .

البلاد قد مرت بفترات قحط خلال العشر سنوات التي حكم فيها الوليد وواليه الحجاج على العراق، وان كنا لا نجزم بأن الدولة الإسلامية قد تأثرت كثيراً بهذا الأمر ، وذلك أنها عاشت خلال هذه الفترة عصر فتوحات خاصةً في المشرق الإسلامي ، فقد اتسعت اتساعاً عظيماً ، وهذا بدوره أدى إلى زيادة الدخل من مصادره المعروفة وبشكل كبير جداً، ولهذا لم يشعر الناس بهذه القحط ، بل بالعكس ازدادت العمارة الإسلامية وبني الجامع الأموي وبلغت الدولة أوج عظمتها خلال خلافة الوليد بن عبدالملك (٨٦ – ٩٦ هـ) .

سنة ١٠٧ هـ (قحط ومجاعة):

" وفيها غزا أسد بن عبدالله [1] غرشستان[2] على الخيل فلقيه جمع من العدو فأصيب نفر من المسلمين، وأصاب الناس تلك السنة مجاعة فرجعوا مجهودين " [3] .

ويذكر القرماني هذه القصة عند حديثه عن الخليفة الأموي هشام بن عبدالملك فيقول: " وفي أيامه أي (هشام بن عبدالملك) قحطت البادية فقدمت عليه العرب فهابوا أن يكلموه وكان فيهم درواس بن حبيب [4] وهو ابن ست عشرة سنة له ذؤابة وعليه شملتان ، فوقعت عليه عين هشام فقال لحاجبه : من أراد أن يدخل علي فليدخل ، فدخل حتى الصبيان ، فوثب درواس حتى وقف بين يديه مطرقاً ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن للكلام طياً ونشراً ، وإنه لا يعرف ما في طيه إلا بنشره ، فإن أذن لي أمير المؤمنين أن أنشره نشرته.

فأعجبه كلامه وقال : انشره لله درك .

---

(1) أسد بن عبدالله القسري ، أخو أمير العراق المشهور خالد القسري ، وقد عينه أخوه أميراً لخراسان ، توفي سنة ١٢٠ هـ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٩ ص ٣٢٨ . ج ١٠ ص ١٩ .

(2) غرشستان : ويقال غرشتان ، وهي ولاية هراة في غربيها والغرور في شرقيها ومرو الروذ عن شماليها وغزنة جنوبيها ، وهي ناحية واسعة كثيرة القرى . الحموي ، معجم البلدان ، ج ٦ ص ٣٨١ .

(3) خليفة بن خياط ، تاريخه ، ص ٢١٧ .

(4) درواس بن حبيب بن درواس بن لاحق بن ذهل . ذكر ابن الأثير أن عمره كان أربع عشرة سنة ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ج ٣ ص ٥٥٢ . وانظر أيضاً ترجمته والقصة عند ابن منظور ، مختصر تاريخ مدينة دمشق ، ج ٨ ص ١٦٥، تحقيق أحمد راتب ومحمد ناجي ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م ، دار الفكر ، دمشق .

فقال: يا أمير المؤمنين ، إنه أصابتنا سنون ثلاث ، سنة أذابت اللحم ، وسنة أكلت اللحم، وسنة أدقت العظم ، وفي أيديكم فضول مال ، فإن كانت لله ففرقوها على عباده ، وإن كانت لهم ، فلا تحبسوها عنهم ، وإن كانت لكم فتصدقوا بها عليهم ، فإن الله يجزي المتصدقين .

فقال هشام : ما ترك لنا الغلام في واحدة من الثلاث عذرا . فأمر للبوادي بمائة ألف دينار ، وله بمائة ألف درهم ، ثم قال له : أما لك حاجة ؟ قال : ما لي حاجة في حاجة نفسي دون عامة المسلمين " [1] .

سنة ١٢٢هـ (جوع وغلاء أسعار) :

روى ابن خياط في تاريخه قال : " حدثني أبو اليقطان قال : وفيها غزا معاوية بن هشام أرض الروم وغزا سليمان بن هشام فحاصرا جميعا الروم ، فلقي المسلمون شدة من الجوع وغلاء من السعر " [2] . ولعل ذلك بسبب انشغال المسلمون بالغزو فلم يزرعوا ويفلحوا أرضهم مما أدى إلى حدوث هذه المجاعة .

سنة ١٢٥/ ١٢٦ هـ (قحط ومجاعة) :

" وفي خلافة الوليد بن يزيد قلت الأمطار في هذه السنة ، ونقصت بسببها الينابيع والأنهار، وعرض جوع شديد ، وعرضت رجفات كثيرة مختلفة " [3] .

سنة ١٧٦ هـ (غلاء الأسعار) :

في هذه السنة ظهرت في بلاد الشام ثورات وفتن نتيجة تغير السلطات ، فقد نشبت ثورة أبي الهيذام [4] ، فانتشر الغلاء والبؤس والجدب [5] .

---

(1) أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ ، ج ٢ ص ٤٨ – ٤٩ .

(2) تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٢٣٠ .

(3) المنبجي ، المنتخب من تاريخ المنبجي ، ص ٩٤ .

(4) في هذه السنة هاجت العصبية بالشام بين النزارية وهم قيس، واليمانية وهم يمن ، أعادوا ما كانوا عليه في الجاهلية ، وقتل منهم في هذه السنة بشر كثير ، ورأس النزارية يومئذ أبو الهيذام . للاستزادة انظر : الطبري ، تاريخه ، ج ٤ ص ٦٣٣ . وابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٠ ص ١٨١ .

(5) سارة عبدالله إدريس الدوسري ، الحياة الاقتصادية في بلاد الشام في العصر العباسي (١٣٢– ٢٦٤ هـ) ، رسالة ماجستير ، جامعة الملك سعود ، قسم التاريخ ، ١٤٢٢ – ١٤٢٣ هـ ، ص ٢٦٨ .

سنة ١٨٨ هـ (جوع وغلاء) :

" وفيها أغزى الرشيد ابنه القاسم الصائفة في هذه السنة ومعه عبدالملك بن صالح الهاشمي [1] وعلى أمره إبراهيم بن عثمان بن نهيك فحاصر حصن سنان [2] وقُرة [3] وأصاب الناس جوع شديد وعوز وغلاء وطلب الروم الصلح على أن يدفعوا إليه ثلاثمائة وعشرين مسلماً فقبل وانصرف" [4] .فقبول القاسم الصلح وبهذا العرض – كان موقفه أقوى من الروم ، يدل على مدى تاثر الطرفين بالمجاعة ورغبتهم في إنهاء الموقف العسكري بينهم .

سنة ١٩٢ هـ (جوع شديد) :

وفي هذه السنة الموافقه لسنة ٨٠٨ م يذكر ابن العبري : " أنه تفاقم الجوع في البهائم، وجعلت تنبش قبور الموتى وتأكلهم، وتهجم على الأحياء فتفترس النساء والفتيان، وهم يلتقطون الأعشاب خارجاً "[5] . وعلى ما في الخبر من مبالغة وغرابة، إلا أنه يدل على حدوث مجاعة في هذه السنة أثرت على البهائم بشكل واضح ، وقد تكون نتيجة القحط والذي بدوره أدى إلى تناقص المزروعات والأعشاب التي تعتمد عليها البهائم .

سنة ٢٠٤ هـ (جوع شديد):

" وفيها وقع جوع شديد بفلسطين " [6] .

سنة ٢٠٧ هـ (غلاء عام) :

" وفيها غلاء السعر بكل مكان " [7] . وشمل جميع البلدان الإسلامية .

---

(1) عبدالملك بن صالح بن علي بن عبدالله بن عباس ، ولي المدينة ، وغزو الصوائف ، ثم ولي الشام والجزيرة للأمين ، كان فصيحاً بليغاً شريف الأخلاق ، مهيباً شجاعاً سائساً ، مات بالرقة سنة ست وتسعين ومائة . الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج ٨ ص ١٤٣ .

(2) حصن سنان : في بلاد الروم فتحه عبدالله بن عبدالملك بن مروان . الحموي ، معجم البلدان ، ج ٣ ص ١٥٣ .

(3) قرة ، لم أجد لها تحديداً ، والغالب انها من بلاد الروم لورود خبرها مع حصن سنان .

(4) اليعقوبي ، تاريخه ، ج ٢ ص ٤٢٣ .

(5) تاريخ الزمان ، ص ١٧ .

(6) الأصفهاني ، البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان ، ص ١٦٨ .

(7) الأصفهاني ، المصدر السابق ، ص ١٦٩ .

سنة ٢٢٧ هـ (غلاء):

ذكر ابن العبري في تاريخ الزمان : " أنه في سنة ٨٢٤ م حدث غـلاء فظيـع وطـاعون فتاك وضيق شديد بسبب ثقل الـضرائب واسـتفحال أمـر الخـوارج ،حتـى أن أهـالي دارا [١] ونصيبين[٢] وآمد [٣] خرجوا من وطنهم منهوبين وانقـض علـيهم العجـم وفتكـوا بهـم " [٤] . وهذه البلدان مجاورة ومتصلة للشام من جهة الشمال الشرقي ولا يستبعد وصول تـأثير هـذا الغلاء إلى بلاد الشام .

سنة ٢٤٤ هـ (غلاء الأسعار) :

عزم المتوكل على المقام في دمشق ؛ ليجعلـها عاصـمة لـه إلا أن دخـول فـصل الـشتاء وسقوط الثلج وكثرة من كان معه من الجند، تسبب في كثرة الطلب على المؤن ، فـأدى هـذا إلى غلاء الأسعار وضاق الناس ذرعاً بالمدينة [٥] .

وتذكر نهلة انيس أنه : " حل بإقليم الشام والثغور والعواصم ثلج شديد أطاح بكثير من أنواع المزروعات، وصقيع دام أشهر حال بين السابلة [٦] والميرة [٧] ، وغلت فيها الأسعار وضاقت الناس " [٨] .

---

(1) دارا : بلدة في لحف جبل بين نصيبين وماردين وهي من بلاد الجزيرة ذات بساتين ومياه جاريه . الحموي ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٢٧٣ .

(2) نصيبين : مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل إلى الشام . الحموي ، معجم البلدان، ج ٨ ص ٣٩٠ .

(3) آمد: أعظم ديار بكر وأجلها قدراً وأشهرها ذكراً ، في الإقليم الخامس وهي بلد قديم حصين ركين مبني بالحجارة السود ، فتحت سنة ٢٠ هـ على يد عياض بن غنم . الحموي ، معجم البلدان ، ج ١ ص ٥٦ .

(4) ص ٣٥ .

(5) الطبري ، تاريخه ، ج ٥ ص ٣٢٧ ، وابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٥ ص ٥٥٦ . وعبد عون ، موسوعة تاريخ العرب ، ج٢ ص ٢٠٣ .

(6) السابلة : أبناء السبيل المختلفون على الطرقات في حوائجهم . ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٧ ص ١١٧.

(7) الميرة : الطعام يمتاره الإنسان ، والميرة جلب الطعام وفي التهذيب جلب الطعام للبيع . ابن منظور، لسان العرب ، ج ١٤ ص ١٥٧ .

(8) الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الثغور والعواصم الإسلامية على الحدود البيزنطية (١٣٢ – ٦٥٦ هـ) ، ص ١٤٥ .

سنة ٢٦٠ هـ (غلاء الأسعار) :

" وفيها وقع غلاء شديد ببلاد الإسلام كلها حتى أجلى أكثر أهل البلدان منها إلى غيرها ، ولم يبق بمكة أحد المجاورين حتى ارتحلوا إلى المدينة وغيرها من البلاد ، وخرج نائب مكة منها وبلغ كُر [١] الشعير ببغداد مائة وعشرين ديناراً واستمر ذلك شهوراً " [٢] .

ومما يذكر المؤرخون أزمة سنة ٢٦٠ هـ ، حيث اشتد الغلاء في جميع أنحاء الشام وبلغ كر الحنطة في بغداد بخمسين ومائة دينار، وكر الشعير بمائة وعشرين ديناراً، واستمر ذلك شهوراً [٣] .

سنة ٢٦٤ هـ (غلاء أسعار) :

" وفيها سار أحمد بن طولون من مصر، إلى دمشق، ثم إلى حمص، ثم إلى حماة، ثم إلى حلب فملك ذلك كله، ثم سار إلى أنطاكية وملكها بعد قتال أميرها ، ثم أراد المقام بطرسوس فدخلها وعزم على المقام بها وملازمة الغزاة ، فغلا سعرها وضاقت عنه وعن عساكره ، فعاد منها إلى الشام " [٤] .

سنة ٢٦٦ هـ (غلاء الأسعار) :

" غلت الأسعار وندرت الأقوات في سنة ٢٦٦هـ وعم الغلاء جميع أنحاء البلاد بما فيها الحجاز والعراق والجزيرة والشام وغير ذلك، وأصاب البلاد شدة عظيمة " [٥] .

سنة ٢٨٤هـ (قحط) :

" وفيها وعد المنجمون الناس أن أكثر الأقاليم ستغرق في زمن الشتاء من كثرة الأمطار والسيول وزيادة الأنهار وأجمعوا على هذا الأمر ، فأخذ الناس كهوفاً في الجبال خوفاً من ذلك، فأكذب الله المنجمين في قولهم ، فلم يكن عام أقل مطراً منه وقلت العيون جداً ، وقحط

---

(1) كرا : الكروة والكراء ، أجر المستأجر .

(2) الطبري ، تاريخه ، ج ٥ ص ٥٠٠ ، وذكره ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ١٢ ص ١٥٦ . وابن الأثير ، الكامل في التاريخ، ج ٥ ص ٦٨٨ ، وابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٠ ص ٣٤ .

(3) محمد زيود، حالة بلاد الشام الاقتصادية منذ العصر الطولاني وحتى نهاية العصر الفاطمي ، ص٥٦ .

(4) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ، ج ٦ ص ٣٤ ، وابن الوردي ، تاريخه ، ج ١ ص ٢٢٩ .

(5) ابن الأثير، المصدر السابق، ج ٦ ص ٥١ ، ومحمد زيود ، حالة بلاد الشام الاقتصادية منذ العصر الطولاني وحتى نهاية العصر الفاطمي ، ص ٥٦ .

الناس في كل بقعة ، حتى استسقى الناس ببغداد وغيرها من البلاد مراراً كثيرة " [1] . وقيل كانت سنة ٢٨٣ هـ ، " وفيها غارت المياه في الدنيا ، وانقطع جريان الأنهار ، ونشفت العيون ، وماتت الوحوش في الفلاة " [2] .

سنة ٢٧٢ هـ (غلاء أسعار) :

كانت زلزلة عظيمة عمت البلدان ، ووقع غلاء ، بيع فيه نصف ويبة بدينار " [3] .

سنة ٢٨٩ /٢٩٠ هـ (حصار ومجاعة) :

كانت أمور دمشق السياسية مضطربة وأحوالها الاقتصادية سيئة نتيجة تسلط القرامطة ، وكانت السيادة الطولونية آنذاك تمر بفترة الاحتضار ، فاستغل هؤلاء هذه الأوضاع واعتمدوا على الطبقة الفقيرة، وهاجم القرامطة دمشق الطولونية وكان عليها طغج بن جف [4] ،فلم يستطع دفعهم واحكم هؤلاء الحصار على المدينة واستمر لمدة ستة أشهر وهُددت المدينة بالجوع وكثرت الخسائر، ولم يفك الحصار إلا بنجدات طولونية قدمت من مصر ، مما كان له أكبر الأثر على النواحي الاقتصادية، وخاصة على الزراعة حيث دمروا معظم أدواتها، فخربوا مجاري المياه وسدوا العيون وكانوا يغورونها ويردمون البرك وأماكن تجمع المياه والآبار، وأكثروا من عمليات نهب الأموال، والأدوات، والسلاح، وأباحوا المدن، وأحرقوها، كما أضروا بالتجارة ... إلخ [5] .

سنة ٢٩٧ هـ (قحط وغلاء أسعار):

وفي هذه السنة يذكر ابن الجوزي : " أن الأمطار تأخرت ، فزاد السعر " [6]. وذلك نتيجة قلة المحاصيل والمنتوجات الزراعية باعتبار ارتباطها بهطول الأمطار .

---

(1) العظيمي ، تاريخ حلب ، ص ٢٤٣ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ١٢ ص ٣٧٣ . وابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ص ٨٢ .

(2) الأصفهاني ، البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان ، ص ٢٠٢ .

(3) عبدالله الغنيم ، سجل الزلازل العربي ، ص ٩٢ .

(4) نائبها من قبل هارون بن خمارويه .

(5) انظر : الطبري ، تاريخه ، ج ٥ ص ٦٤٢ . وابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٦ ص ١٨٩ . وابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ص ٩١ . ابن تغري ، النجوم الزاهرة ، ج ٣ ص١١٨ . ومحمد زيود ، حالة بلاد الشام الاقتصادية ، ص ٢١ .

(6) المنتظم ، ج ١٣ ص ٩٣ .

المبحث الرابع : الآفات الزراعية

إن دراسة الآفات الزراعية التي أصابت المزروعات خلال فترة الدراسة واجهت عدة صعاب ومنها : قلة إن لم يكن ندرة الإشارات المصدرية حول هذا الموضوع ، حيث شغل مؤرخو ذلك العصر بالتأريخ للخلفاء والسلاطين والملوك والأمراء بأحداثهم السياسية والحربية ولم تحظَ الجوانب الاقتصادية والاجتماعية حينذاك إلا بأقل القليل من الاهتمام وإن وردت في نصوص المصادر المعاصرة فإنها ترد بصورة عرضية [1] .

وقد جمع الباحث ما توفر من معلومات عن تعرض المزروعات لأضرار ناتجة عن حشرات وكائنات حية تصيب المزروعات، وتسبب لها خسائر بصورة مباشرة أو غير مباشرة في جميع مراحل نموها أو حتى بعد تخزينها ، أو تتسبب في إيذاء الإنسان بأي صورة من صور الإيذاء، مثل : الجراد والجرذان والبعوض والنمل والبراغيث والبق .

ولا شك أن هذه الحشرات أو الكائنات الحية ، كان لها تأثير واضح على المزروعات الزراعية، والتي تمثل قوام الحياة والدعامة الرئيسية لحياة الناس في تلك الفترة، ويصور لنا الجاحظ هذه الحشرات بالجند المهلك فيقول : " فأما خلق البعوضة والنملة والفراشة والذرة والذِّبَّان والجعلان واليعاسيب والجراد ، فإياك أن تتهاون بشأن هذا الجند، وتستخف بالآلة التي في هذا الذَرْء [2]؛ فرُبَّت أمة قد أجلاها عن بلادها النمل، ونقلها عن مساقط رؤوسها الذر، وأُهلكت بالفأر، وجُردت بالجراد، وعذبت بالبعوض، وأفسد عيشها الذبان، فهي جند إن أراد الله عزوجل أن يهلك بها قوماً بعد طغيانهم وتجبرهم وعتوهم، ليعرفوا أو ليُعرف بهم أن كثير أمرهم لا يقوم بالقليل من أمر الله عزوجل . ، وفيها بعد معتبر لمن اعتبر، وموعظة لمن فكر، وصلاح لمن استبصر وبلوى ومحنة، وعذاب ونقمة، وحجة صادقة، وآية واضحة، وسبب إلى الصبر والفكر، وهما جماع الخير في باب المعرفة والاستبانة، وفي باب الأجر وعظم المثوبة " [3] .

---

(1) محمد مؤنس عوض ، إغارات أسراب الجراد وآثارها في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية ، ص ٦ – ٧، ط١ ، ٢٠٠٢ م ، عين للدراسات والبحوث .

(2) الذرء : الخلق .

(3) الحيوان ، ج ٣ ، ص ٥٥٩ .

الجـراد :

الجـراد : ″ فـصيلة مـن الحـشرات المـستقيمة الأجنحـة . واحـدهُ : جـرادة للـذكر والأنثى″ [1]. ″ وقد سماه العرب جراداً لأنه يجرد الأرض كلأها ومرعاها فيتركها جرداء لا نبت فيها ولا زرع″ [2] . والجراد صنفان : ″ أحد الصنفين يطير في الهواء ويقال له الفارس والآخر ينزو نزواناً ويقال له الراجل ، فإذا رعت أيام الربيع طلبت أرضاً طيبة التربة رخوة ونزلت هناك، وحفرت بأذنابها حفراً وباضت فيها، وآفتها الطيور والبرد ثم إذا أتـت أيـام الربيع واعتدل الزمان يفقس ذلك البيض المدفون″ [3]. ويذكر آخرون أنه أنواع كثيرة وأهمها الجراد الصحراوي والجراد الأحمر والجـراد الـبني والجـراد المراكـشي والجـراد المهـاجري وجراد الشجر [4] .

وقد ورد ذكر الجراد في القرآن الكريم في موضعين حيث يقول تعالى ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ سورة الأعراف ، فهو هنا عذاب أرسله الله ضمن آيات وجند مهلكات لقوم فرعون [5]، وقوله تعالى: ﴿ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ ﴾ سورة القمر ، ″ أي كـأنهم في انتـشارهم وسـرعة سـيرهم إلى موقـف الحـساب إجابـة للـداعي جـراد منتـشر في الآفاق″[6].

سئل شريح القاضي عن الجراد فقال : ″ قبح الله فيهـا خلقـة سـبعة جبـابرة رأسـها رأس فرس، وعنقها عنق ثور، وصدرها صدر أسد ، وجناحها جناح نسر ، ورجلاهـا رجـل جمل ، وذنبها ذنب حية، وبطنها بطن عقرب ″ [7] .

---

(1) كارم السيد غنيم و عبدالعظيم محمد الجمال ، المصدر السابق ، ص ٦٧ . وانظر : محمد مؤنس عوض ، إغارات أسراب الجراد وآثارها في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية ، ص ١١ .
(2) مسعود التاجى الفاروقى وسالم بامفلح حضرمي وأحمد على فهيم ، الجراد الصحراوي ، ص ١١.
(3) القزويني ، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ، ص ٣٤٤ – ٣٤٥ .
(4) مسعود التاجى وزملائه ، المصدر السابق ، ص ١٩ – ٢٠ .
(5) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٢ ص ٢٥٠ – ٢٥٢ .
(6) ابن كثير ، المصدر السابق ، ج ٤ ص ٢٨٢ .
(7) ابن كثير ، المصدر السابق ، ج ٢ ص ٢٥٠ .

" والجراد آفة طبيعية خطيرة على الإنسان، وموارده في كل عصر وفي كل مصر عموماً ، ذلك وأن هجومه المفاجيء بأسراب عديدة على المزروعات والمغروسات غالباً ما يتسبب في مضاعفات سلبية، وفي مقدمتها المجاعات، وأمراض سوء التغذية " [1] .

ولمعرفة ما يتركه الجراد من أثر وأضرار واضحين على الحياة بصورة عامة نورد ما ذكره القلقشندي " أنه في سنة سبعين وسبعمائة هجرية ظهر بالشام جراد عظيم لم يسمع بمثله، وامتد من مكة إلى الشام، وعظم بموران حتى أكل الأشجار والأخشاب وأبواب الدور وما وصل إليه من الأصبغة والقماش، وسدت أعين الماء خوفاً من أن يفسدها، وامتلأت منه المدينة، وغلقت الأسواق، وطبقت أبواب الدكاكين، وسدت الطاقات والأبواب، وحضر الناس لصلاة الجمعة فملأ عليهم الجامع، وترامى على الخطيب على المنبر حتى شغله عن الخطبة .. وانتتنت البلد لكثرة ما قتل منه، حتى صار أهل البلد يشمون القطران ليغطي رائحته "[2] .

سنة ٦٠ هـ :

يذكر هاني أبو الرب أن سوريا تعرضت لهجوم أسراب الجراد سنة ٦٠ هـ ، وفي السنة التي سبقتها – ٥٩ هـ – كثرت الفئران فيها واتلفت الزروع [3] .

سنة ١٦٧ هـ :

يذكر ابن العبري : " (أنه في سنة ٧٨٤ م ظهر جراد طيار عاث في الزروع وفقس ثم خرج وجعل يلتزق بالأسوار، ويدب في الجدران، ويخش في المنازل من الكوى والأبواب، حتى ملأ قِربَ المياه والفرش والموائد والصحون ، وكان يدخل من جنوبي البيت ويخرج من شماليه ، والتهم الأعشاب والأشجار وأمتعة الصوف وثياب البشر ، وأتلف نواحي الرها وسروج برمتها، ثم انتقل إلى المغرب ، وبعد مرور ثلاث سنوات على هذه الضربة القاسية عمّ الغلاء الأرض جميعاً " [4] .

---

(1) عبدالهادي البياض ، الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الإنسان في المغرب والأندلس (ق ٦ – ٨ هـ / ١٢ – ١٤ م) ، ص ٦٣، ط ١ ، ٢٠٠٨ م ، دار الطليعة ، بيروت – لبنان .

(2) صبح الأعشى ، ج ، ص ٥٢٤ .

(3) تاريخ فلسطين في صدر الإسلام ، ص ٢٠١ .

(4) تاريخ الزمان، ص ١٣ .

الفئران :

" وهي ضروب : فمنها الجرذان والفأر المعروفان ، وهما كالجواميس والبقر ، ومن الفأر فأرة المسك وهي دويبة تكون في ناحية تبت تصاد لنوافجها [1] ، وفي الجرذان جنس لها عبث بالعقود والشنوف[2] والدراهم والدنانير " [3] .

سنة ٥٥ هـ :

" وفي السنة الرابعة عشرة لمعاوية كثر الفأر في سورية حتى حدث فيها جوع شديد " [4] .

سنة ٥٩ هـ :

" ففي هذه السنة كثرت الفئران في سوريا وأتلفت الزروع " [5] .

سنة ٢٢٢ هـ :

" ظهر من الفأر ما لم يحط به الإحصاء، وأتى على غلات الناس، ثم تفانى بوقوع الموت فيه " [6] . ولم يحدد ابن الجوزي البلاد التي ظهر فيها الفأر ، ويبدو أنها العراق ، ولا يستبعد – إن كان ظهوره في العراق – من وصول تأثير وتبعات ظهوره إلى بلاد الشام بحكم تقارب العراق مع بلاد الشام .

البق والبراغيث :

" البق : البعوض ، واحدته بقَة ، ويقال : البق الدارج في حيطان البيت ، وقيل هي دويبة مثل القملة حمراء منتنة الريح تكون في السرر والجدر ، وهي التي يقال لها بنات الحصير إذا قتلتها شممت لها رائحة اللوز المر ، وأرض مُبقةٌ : كثيرة البق" [7] .

---

(1) النوافج : جمع نافج وهي وعاء المسك ، أي الجلدة التي يجتمع فيها . انظر هامش ، الجاحظ ، الحيوان ، ج ٥ ص ١٠٠٨ .

(2) الشنوف : جمع شنف وهو القرط . انظر هامش ، الجاحظ ، الحيوان ، ج ٥ ص ١٠٠٨ .

(3) الجاحظ ، المصدر السابق ، ج ٥ ص ١٠٠٨ .

(4) المنبجي ، المنتخب من تاريخ المنبجي ، ص ٧٢ .

(5) هاني أبو الرب ، تاريخ فلسطين في صدر الإسلام ، ص ٢٠١ .

(6) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ١١ ص ٧٣ .

(7) ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٢ ص ١٢٦ .

ويعرّف محمد أيوب البق فيقول : " بق الفراش جسم بيضاوي مفلطح طولها نحو ٥ مم ، لونها أحمر داكن تنقل الأمراض كالحميات " [١].

البراغيث : " جمع برغوث ، والبرغوث : دويبة شبه الحرقوص [٢] ، وهو أسود أحدب نزَاء، من الخلق الذي لا يمشي صِرفاً " [٣] .

ويعرفه محمد أيوب بأنه : " حشرة صغيرة طولها نحو ١ مم مضغوطة الجسم من الجانبين ذات فم ماص، ولونها أحمر قاتم ، تمتص دم الإنسان والحيوان وتنقل ميكروب الطاعون من الفأر إلى الإنسان " [٤] .

وقد اشتهرت الشام بكثرة البق والبراغيث، فقد ذكر ابن الفقيه عند حديثه عن اشتهار الشام بالطواعين قول أبي هريرة رضي الله عنه : " أنا لبراغيث الشام أخوف مني لغيرها [٥] .

وعندما تولى سليمان بن عبدالملك تحول إلى الصحراء فأخذ البيعة له في الرملة حيث يرى بعضهم أن الأمويين يهربون إلى الصحراء خوفاً من الطاعون الذي كان يقع بالشام من وقت لآخر، أو من البق، أو خوفاً من البعوض الكثير [٦] .

" ويشير القزويني الى أن هشام بن عبدالملك كان يفزع إلى الرصافة [٧] من البق في شاطىء الفرات ومن عجيب هذه البلدة أن ليس بها زرع ولا ضرع ولا ماء " [٨] .

ويذكر المؤرخون خبر انتقال الخليفة المتوكل إلى الشام ودمشق تحديداً ورغبته في المقام بها لكنه أستوباها لعدة أسباب ذكروا منها كثرة البراغيث[٩].

---

(1) الحشرات والآفات الزراعية وطرق مقاومتها بالمملكة العربية السعودية ،ص ٢٨٠، ط، ١٣٧٩ هـ - ١٩٥٩ م ، دار الفكر بالرياض .
(2) ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٢ ص ٦٥ .
(3) الجاحظ ، الحيوان ، ج ٥ ص ١٠٤٣ .
(4) المصدر السابق، ص ٢٨٠ .
(5) ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ، ص ١١٨ .
(6) أحمد إسماعيل ، تاريخ بلاد الشام ، ص ١٩٤ .
(7) الرصافة : تقع غربي الرَّقة بينهما أربعة فراسخ على طرف البرية بناها هشام لما وقع الطاعون بالشام . الحموي ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٤٠٥ .
(8) آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ١٩٨ . وأيضاً الحموي ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٤٠٥ .
(9) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٥ ص ٥٥٧ . وابن الوردي ، تاريخه ، ج ١ ص ٢١٩ . وابن الجوزي، المنتظم ، ج ١٠ ص ٣٢٢ .

كما يقدم المقدسي وصفاً لقصبة الأردن طبرية ويذكر أن أهلها " شهرين يرقصون، وشهرين يقمقمون، وشهرين يثاقفون، وشهرين عراة، وشهرين يزمرون، وشهرين يخوضون يعني: يرقصون من كثرة البراغيث، ويلوكون النبق، ويطردون الزنابير عن اللحم والفواكه بالمذاب، وعراة من شدة الحر، ويمصون قصب السكر، ويخوضون الوحل " [١] .

ويذكر المقدسي أن الرملة قصبة فلسطين ، وبعد أن ذكر بعض محاسنها قال عنها : " إلا إنها في الشتاء جزيرة من الوحل، وفي الصيف ذريرة من الرمل، ولا ماء يجري، ولا خضرة ولا طين حيد، ولا ثلج، كثيرة البراغيث عميقة الآبار " [٢] .

كما يشير المقدسي عند حديثة عن أريحا إلى أنها كانت كثيرة البراغيث [٣] .

الكائنات التي تهاجم المزروعات :

يذكر لنا فالح حسين عند حديثه عن الحياة الزراعية في بلاد الشام في العصر الأموي، وجهود الفلاحين في مقاومة الآفات، دوراً مهماً للفلاحين في تلك الفترة في مكافحة الحشرات الصغيرة والتي تتسبب في إتلاف المزروعات والمحاصيل ،مما يدل على أن هذه الحشرات والكائنات الصغيرة كانت موجودة فيقول : " وحاولوا مكافحة الآفات الزراعية ، إذ قاوموا دودة خاصة تهاجم شجر العنب عندما تتكون العناقيد بواسطة مادة الحمرية حيث كانوا يدهنون سيقان الكروم لمنع الدود من الصعود للشجر ، وهي ما تسمى الآن بالتكليس"[٤]، وكانت هذه المادة تقذف من البحر الميت، فذكر الاصطخري أن البحر الميت " يقذف شيئاً يسمى الحمرية يلقحون به كروم فلسطين " [٥]، بينما يذكر المسعودي أن هذه المادة تطلى بها المناجل، ويكسح به الكروم ليؤمن من الدود عليها، وتجري هذه العملية بعد تقليم العنب[٦].

---

(1) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ١٦١ .

(2) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ١٩٤ .

(3) المصدر السابق ، ص ١٧٥ .

(4) التكليس : الكلس ، ما طلي به حائط أو باطن قصر شبه الجص من غير آجُر ، والتكليس ، التمليس ، فإذا طلي ثخيناً فهو المقرمد . ابن منظور ، لسان العرب ، ج ١٣ ص ١٠٠ .

(5) مسالك الممالك ، ص ٦٤ . وابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ١٨٤ .

(6) الحياة الزراعية في بلاد الشام في العصر الأموي ، ص ٧٥ .

الفصل الثالث : جهود الدولة والمجتمع في مواجهة الكوارث

المبحث الأول : جهود الدولة في مواجهة الكوارث

المبحث الثاني : جهود المجتمع في مواجهة الكوارث

الفصل الثالث

جهود الدولة والمجتمع في مواجهة الكوارث

تعرضت بلاد الشام خلال القرون الثلاثة الأول، لكوارث متعددة ومتنوعة، [زلازل، أوبئة، قحط، مجاعات، حرائق، آفات وغيرها] وواجهت الدولة الإسلامية هذه الكوارث وفق ما أتيح لها من إمكانيات وقدرات في تلك الفترة ، معتمدة ومسترشدة بما في الشريعة الإسلامية من توجيهات ربانية ونبوية .

فقد قدم القرآن الكريم نماذج للمعالجات الحكيمة للأزمات الطارئة ، مثل ما حدث في عصر يوسف عليه السلام من أزمات اقتصادية، فأوحى الله إلى نبيه وأرشده إلى التعامل الأمثل لإدارة هذه الأزمة، بوضع خطوات للحل عبر مراحل مخطط لها [١] .

جاءت السنة النبوية بتنظيماتها الوقائية كخطوة أولى لمنع وقوع الأزمة ، وما ينبغي فعله أثناء الأزمة وما يترتب على هذه الأزمة ، فتكاملت الأدوار التنظيمية لإدارة أي أزمة وعبر مراحلها الثلاث (قبل – وأثناء – وبعد) وقد استعرضنا بعضاً من هذا في الفصل الأول عند حديثنا عن نظرة الإسلام للكوارث .

وسار الخلفاء الراشدون على هذا النهج ، وقدموا ما أمكن للسيطرة على الكارثة ومعالجة ما ينتج عنها على مستوى الأفراد، وعلى المستوى البيئي ، وسنستعرض بعض هذه الجهود في ثنايا هذا الفصل .

ففي بلاد الشام واجه الخلفاء والسكان هذه البلايا والمحن والكوارث، بكل ما يستطيعون في ظل الوسائل الممكنة والمتاحة ، ولم يستسلموا، وكانوا كثيراً ما يلجئون إلى الله ويفزعون إلى الصلاة والاستغفار لاتقاء هذه الكوارث . كما أن الأمويين جعلوا سبيل الخُمس[٢]

---

(1) للاستزادة انظر : الآيات من آية ٤٣ – ٤٩ من سورة يوسف . وابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٢ ص ٥٠٠ – ٥٠١ . و سوسن الشيخ ، إدارة ومعالجة الأزمات في الإسلام ، ص ٤٩ – ٦٠.

(2) الخُمس : فرض مالي محدد بنسبة {الخُمس} يتعلق بأنواع من المال، منها: غنائم الحرب، والركاز العادي ، وما يكون من غوص أو معدن . انظر : القاسم بن سلام ، الأموال ، ص ١٤، تحقيق مؤسسة ناصر للثقافة ، ط ١ ، ١٩٨١ م ، مؤسسة ناصر للثقافة ، بيروت – لبنان .

سبيل الفيء أحياناً حكمه للإمام أن رأى يجعله لمن سمى الله جعله [1]، وأن رأى أن الأفضل للمسلمين والأوفر لحظهم أن يضعه في بيت مالهم لنائبة تنوء بهم ومصلحة تعن لهم ، مثل سد ثغر ، وإعداد سلاح وخيل وأرزاق أهل الفيء من المقاتلين والقضاة، وغيرهم ممن يجرى مجراهم فعل" [2] .

ومما يذكر لعبدالملك بن مروان أنه لما سمع بما أحدثه سيل الجحاف سنة ٨٠ هـ بمكة المكرمة من جرف الناس ومتاعهم، وما خلفه من هدم للدور، فزع لذلك وبعث بمال عظيم وكتب لعامله على مكة عبدالله بن سفيان المخزومي بأن يعمل ضفائر [3] للدور الشارعة على الوادي، ويردم [4] على أفواه السكك [5] ، وغيرها من المعالجات لهذه الكارثة الأمر الذي يدل على مدى حرص الخلفاء على معالجة آثار الكوارث في جميع أقطار الدولة الإسلامية ، وسنستعرض في هذا الفصل هذه الجهود بعد أن قسمناها إلى مبحثين : المبحث الأول : جهود الدولة ، والمبحث الثاني : جهود المجتمع ، في مواجهة الكوارث.

---

(1) قال الله عز و جل: (وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [سورة الأنفال الآية :٤١] . للاستزادة انظر : القاسم بن سلام ، المصدر السابق ، ص ١٤ .

(2) القاسم بن سلام، المصدر السابق، ص ١٤ و ص ١٣٣ – ١٣٦ . ونجدت خماش ، المصدر السابق ، ص٣١٤ .

(3) الضفائر : البناء بحجارة بغير كلس ولا طين ؛ ومنه : وضفر الحجارة حول بيته ضفرا . ابن منظور ، لسان العرب ، ج٩ ص ٥٠ .

(4) الردم : جمعه ردوم ، وهو سدك بابا أو ثلمه أو مدخلا أو نحو ذلك ، وقيل الردم أكثر من السد ، لأنه ما جعل بعضه فوق بعض . ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٦ ص ١٣٨ .

(5) الأزرقي ، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، ج ٢ ص ١٦٨، تحقيق رشدي الصالح ، ط ١٠، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م ، مكتبة الثقافة ، مكة المكرمة .

المبحث الأول : **جهود الدولة في مواجهة الكوارث** :

أولاً / الأوبئة والطواعين :

لقد كان المسلمون مرتبطين بما يرد عن النبي ﷺ ، من أحاديث تؤصل جانب الصحة عند البشر والحض على الوقاية والتداوي من الأمراض ، وقد ورد عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة جداً في هذا المجال ، ومنها على سبيل المثال قوله ﷺ : " ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء " [1]، وفي مسند الإمام أحمد وغيره: عنه ﷺ أنه قال: " ما ملأ ابن آدم وعاءً شراً من بطنٍ، حسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة، فثلث طعام ، وثلث شراب، وثلث لِنَفَسَه " [2] .

ومما يحسن الإشارة إليه في هذا المجال ما ذكره الدكتور يوسف القرضاوي في موقعه الإلكتروني [3] بعنوان: عناية الإسلام بالصحة العامة والطب، فيقول : لقد كان موقف الإسلام من الصحة والوقاية وسلامة الأبدان موقف لا نظير له في أي دين من الأديان . فالنظافة فيه عبادة وقربة ، بل فريضة من فرائضه. ومما يدل على ذلك: إن كتب الشريعة في الإسلام تبدأ أول ما تبدأ بباب عنوانه الطهارة أي النظافة، وقد أشاد القرآن والسنة بالنظافة وأهلها .قَالَ تَعَالَى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ سورة البقرة، وأثنى على أهل مسجد قباء فقالتَعَالَى:﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ سورة التوبة، وقال رسول اللهﷺ " الطهور شطر الإيمان "[4] أي نصفه، كما رغب الإسلام في العمل والنشاط والحركة والبكور، وحذر من التباطؤ والتكاسل والترهل، ودعا إلى رياضة الأجسام بالسباحة والرماية وركوب الخيل، وحرم المسكرات

---

(1) البخاري ، صخيح البخاري ، ج ٤ ص ٣٤ ، ورقم الحديث ٥٦٧٨ . للاستزادة صحيح البخاري ، كتاب الطب ، من ص ٣٤ – ٥٦ .

(2) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، ج ٥ ص ٨٥٤، حققه السيد ابو المعاطي النوري وزملائه ، ط ١ ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م ، عالم الكتب ، بيروت – لبنان ، ورقم الحديث ١٧٣١٨ . وإسناده صحيح . وانظر : ابن قيم الجوزية ، زاد المعاد في هدي خير العباد ، ج ٤ ص ١٦ .

(3) موقع الشيخ يوسف القرضاوي على الشبكة الإلكترونية : http://www.qaradawi.net ، من كتاب : فتاوى معاصرة-الجزء الأول ، الخميس ٠٥ يوليو ٢٠٠١ م ، (بتصرف) .

(4) مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، ج ١ ص ٢٠٣ ، ورقم الحديث ٢٢٣ .

والمفترات (المخدرات) مهما اتخذت لها من أسماء وعناوين، واعتنى الإسلام بالأجسام ، وذلك بإنكاره على من حرم ما أحل الله من الطيبات تدينًا، أو شحًا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ ﴿٣٢﴾ ﴾ سورة الأعراف، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ سورة المائدة . وفي مقابل ذلك نهى عن الإسراف في الطعام والشراب خشية الإضرار بالبدن قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ سورة الأعراف، والإسلام دين إعتدال في كل شيء .كذلك حرم الإسلام إرهاق البدن بالعمل وطول السهر والجوع، وإن كان ذلك في صورة عبادة الله تعالى، فقد أنكر النبي ﷺ على رهط من أصحابه أراد أحدهم أن يقوم الليل فلا ينام، والثاني أن يصوم الدهر فلا يفطر، والثالث أن يعتزل النساء فلا يتزوج. وقال لهم : " أما والله إني لأخشاكم لله ، وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني " [(1)] .

ويذكر ابن القيم في زاد المعاد : في قوله ﷺ : " لكل داء دواء" تقوية لنفس المريض والطبيب، وحث على طلب ذلك الدواء والتفتيش عليه، فإن المريض إذا استشعرت نفسُه أن لِدائه دواءً يزيله، تعلق قلبه بروح الرجاء، وبردت عنده حرارة اليأس، وانفتح له باب الرجاء، ومتى قويت نفسُه انبعثت حرارتُه الغريزية، وكان ذلك سبباً لقوة الأرواح الحيوية والنفسانية والطبيعية، ومتى قويت هذه الأرواح، قويت القوى التي هي حاملة لها، فقهرت المرض ودفعته، وكذلك الطبيبُ إذا علم أن لهذا الداء دواء أمكنه طلبُه والتفتيش عليه، وأمراض الأبدان على وزان أمراض القلوب وما جعل الله للقلب مرضاً إلا جعل له شفاء بضده، فإن علمه صاحبُ الداء واستعمله، وصادف داء قلبه، أبرأه بإذن الله تعالى [(2)] .

كما أن الدولة الإسلامية حرصت على مواجهة الأوبئة عبر تنظيم إسلامي فريد يراعي ما قبل وأثناء وبعد حدوث المرض ، ومما يذكر لخلفاء المسلمين الأوائل، أمثال عمر بن الخطاب رضي الله عنه حرصهم وحثهم القادة والولاة عند بناء المدن وتمصيرها اختيار الموقع

---

(1) البخاري ، صحيح البخاري ، ج ٣ ص ٤٢٧ ، ورقم الحديث ٥٠٦٣ .
(2) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ج ٣ ص ٨١٧ – ٨١٨ .

المناسب الذي تتوفر فيه الشروط الصحية ، وابن خلدون يذكر عند حديثه عن البلدان والأمصار وسائر العمران، ما يجب مراعاته في أوضاع المدن فيقول: " اعلم أن المدن قرار تتخذه الأمم عند حصول الغاية المطلوبة من الترف ودواعيه ... ولما كان ذلك القرار والمأوى وجب أن يراعى فيه دفع المضار بالحماية من طوارقها وجلب المنافع وتسهيل المرافق لها ... ومما يراعى في ذلك للحماية من الآفات السماوية طيب الهواء للسلامة من الأمراض ، فإن الهواء إذا كان راكداً خبيثاً، أو مجاوراً للمياه الفاسدة أو مناقع متعفنة أو مروج خبيثة أسرع إليها العفن من مجاورتها " [١] .

لقد كانت بلاد الشام تتميز بصحه هوائها ومناخها [٢] ، وقد أعجب بالشام خلفاء بني العباس ، ومن ذلك ما ذكره الرشيد حيث يقول : " الدنيا أربعة منازل ، قد نزلت ثلاثة منها إحداها الرقة والآخر دمشق والآخر الري والرابع سمرقند وهو الذي بقي لم أنزله، ولم تزل ملوك بني العباس تخف إلى دمشق طلباً للصحة وحسن المنظر " [٣]، " ومما امتازت به مدنها غزارة مياهها وجمال أشجارها وبساتينها وكثرة خيراتها " [٤] ، مما أضفى عليها جواً صحياً متميزاً ،" ومما يذكر عن حمص أنها كانت أصح بلاد الشام هواءً وتربة"[٥]، "وأنطاكية موصوفة بالنزاهة والحسن وطيب الهواء وعذوبة الماء "[٦]، ومع ما كانت تتمتع به بلاد الشام من مناخ جميل وجو صحي إلا أن الوخم كان يصيب بعض مدنها ،وخاصةً الطواعين زمن الأمويين ، وقد يكون من أهم الأسباب كثرة سكانها وتمركزهم في بلاد الشام وبشكل عشوائي خلال العصر الأموي [٧].

كان أول هذه الأوبئة وأشدها وأشهرها طاعون عمواس،الذي حدث في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه (١٣ — ٢٣ هـ) ، فقد وقع في عهده المجاعة في الجزيرة

---

(1) مقدمة ابن خلدون ، ج ١ ص ٣٧٠ .
(2) القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ٢٠٥ ـ ٢٠٦ .
(3) عبدالقادر بدران ، تهذيب تاريخ دمشق ، ج ١ ص ٢٥١ ـ ٢٥٢ .
(4) ناصر محمد علي الحازمي ، الحركة العلمية الطبية في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية ٤٩٢ ـ ٦٩٠ هـ، ص ١٠٦، رسالة دكتوراة في الحضارة والنظم الإسلامية ، جامعة أم القرى ، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.
(5) القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ١٨٤ .
(6) القزويني ، المصدر السابق ، ص ١٥٠ .
(7) للمزيد انظر : مصطفى شاكر : جنوب بلاد الشام في العصر العباسي ١٣٢ ـ ٣٥٨ هـ ، ص ٦، منشورات لجنة تاريخ بلاد الشام ، عمان ١٩٩٢ م .

العربية، وبصفة خاصة عاصمة الدولة الإسلامية آنذاك المدينة النبوية وما حولها، فسمي ذلك العام عام الرمادة [١] وتزامن ذلك مع طاعون عمواس الذي اجتاح شطراً من بلاد الشام ، يذكر ابن كثير: " أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عس المدينة ذات ليلة عام الرمادة فلم يجد أحداً يضحك، ولا يتحدث الناس في منازلهم على العادة، ولم ير سائلاً يسأل، فسأل عن سبب ذلك فقيل له: يا أمير المؤمنين إن السّؤّالَ سألوا فلم يعطوا فقطعوا السؤال، والناس في هم وضيق لا يتحدثون ولا يضحكون " [٢] .

وعلى الرغم من حداثة الدولة واتساعها الكبير حينئذ فإن عمر رضي الله عنه تصدى للمجاعة بقوة وحكمة وضرب أروع الأمثلة لما يجب أن يكون عليه الحاكم المسلم المسؤول عن رعيته في كل شبر من أراضيها، فقد سعى لجلب الطعام من مصر والعراق والشام، وأشرف بنفسه على توزيعه، وشارك الرعية مصابهم فمنع نفسه طيب الطعام والأكل في بيته، كما أخر جباية الزكاة ولم ينفذ حد السرقة عام المجاعة لشبهة الاضطرار، وتوجه مع المسلمين إلى الله بالدعاء[٣] وأجرى عمر الأقوات على المسلمين وكان يرزق الضعفاء القوت، ونهى عن الحكرة[٤] حاطباً وغيره [٥].

ولما سار رضي الله عنه إلى بلاد الشام ووصل إلى سرغ وعلم بالطاعون – والقصة مشهورة وسبق استعراضها – ، اتخذ الاحتياطات اللازمة لحماية المسلمين والتي تتخذ عند وجود وتفشي الأمراض المعدية عملاً بقوله ﷺ عند وقوع الطاعون : " إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه " . وهذا الحديث الشريف هو أساس الحجر الصحي الذي لم يعرف إلا في القرن العشرين، فإذا وقع وباء معد في بلد ما، يضرب عليه حجر صحي ، فلا يدخل إليه أحد خوفاً من أن يرمي بنفسه إلى التهلكة فيصاب

---

(1) وذلك أن الأرض كلها صارت سوداء فشبهت بالرماد ، كما أن الأرض كانت تسفى إذا ريحت تراباً كالرماد فسمي ذلك العام عام الرمادة . الطبري ج ٢ ص ٥٠٨ .

(2) البداية والنهاية ، ج ٧ ص ٨٥ – ٨٦ .

(3) الطبري ، تاريخه ، ج ٢ ص ٥٠٨ – ٥٠٩ . وابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٧ ص ٨٥ – ٨٦ . وصلاح التيجاني ، معالجة الخليفة عمر بن الخطاب لمشكلة المجاعة في عام الرمادة ،ج ١ ص ٧٩ .

(4) حكر: احتكار الطعام، جمعه وحبسه يتربص به الغلاء، وهو الحُكرة بالضم. الجوهري، معجم الصحاح ص٢٥١ .

(5) ابن حبان ، السيرة النبوية وأخبار الخلفاء ، ص ٤٧٦ .

بالوباء، ولا يسمح لأحد من داخله بالخروج خوفاً من أن يكون مصاباً بالمرض ويعم انتشاره في الأرض [1] .

ولما فحش أثر الطاعون بالشام أجمع عمر بن الخطاب المسير إليه ليقسم مواريث من مات من المسلمين ، فإنه أشكل قَسْمُها على المسلمين ، ففعل ذلك سنة ١٨هـ ، ورجع إلى المدينة في ذي الحجة [2] ، فورَّث بعض الورثة من بعض وأخرجها إلى الأحياء من ورثة كل منهم [3] ، ومن هنا أشار بعض المؤرخين المحققين إلى أنه بمجيئه طابت قلوب الناس وانقمع الأعداء في كل جانب ولله الحمد والمنة [4] فهذا نوع من أنواع المعالجات الحكيمة، وذلك بالوقوف بنفسه رضي الله عنه على نتائج هذه الكارثة ومواساة أهلها وحل تبعاتها .

وقبل هذا لما بلغه موت أبي عبيدة بن الجراح ويزيد بن سفيان أمّر معاوية بن أبي سفيان على جند دمشق وخراجها ، وأمّر شرحبيل بن حسنة على جند الأردن وخراجها [5]، وهذا الإجراء كان ضرورياً لسد الفراغ في القيادة، وكما أنه ذو أبعادٍ سياسية ونفسية على عموم المسلمين في بلاد الشام ، ولهذا بادر به وعجل بتنفيذه .

وقد أشار المؤرخون إلى أن قائد الجيش الرابع عمرو بن العاص أول من فطن من القادة في الشام أن سكنى الجبال من أنجع الأمور المضادة لاشتعال الطاعون، لذلك أمر الجيش أن يرفعوا من المدن والقرى والدساكر[6] إلى رؤوس الجبال حيث البرودة والهواء النقي الذي لا

---

(1) الطبري ، تاريخه ، ج ٢ ص ٤٨٦ . وعبدالرزاق الكيلاني ، الحقائق الطبية في الإسلام ، ص ١٣٢ .

(2) الطبري ، تاريخه ، ج ٢ ص ٤٩٠ . وابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٧ ص ٧٤ ، ابن خلدون ، تاريخه ، ج ٢ ص ٥٣٠ . وابن الوردي ، تاريخه ، ج ١ ص ١٤١ .

(3) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٢ ص ٥١٧ .

(4) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٧ ص ٧٥ .

(5) ابن حبان ، السيرة النبوية وأخبار الخلفاء ، ص ٤٧٧ .

(6) الدساكر : الدسكرة بناء كالقصر حوله بيوت للأعاجم ، والجمع الدساكر ، يكون للملوك، وهو معرب وفي حديث أبي سفيان وهرقل ، أنه أذن لعظماء الروم في دسكرةٍ له ، والدسكرةُ ، الصومعة . ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٥ ص ٢٥٧ .

يتلوث بالأوبئة [1]، وذلك استجابة لتوجيه الخليفة عمر بن الخطاب الذي وجه أبا عبيدة قائلا: " فإنك أنزلت الناس أرضاً غمقة [2] فارفعهم إلى أرض مرتفعة نزهة " [3] .

ويذكر الطبري أن الأمير عمرو بن العاص لما رأى فتك الطاعون بالقادة والجند راعه ذلك فقام خطيباً مصدراً أمره إلى الجميع مرضى وأصحاء بأن يرتفعوا بأنفسهم إلى قمم الجبال حيث قال : " أيها الناس إن هذا الوجع إنما يشتعل اشتعال النار، فتجبلوا منه في الجبال . ثم خرج وخرج الناس فتفرقوا ورفع الله الطاعون عنهم قالوا : فبلغ ذلك عمر بن الخطاب من رأي عمرو بن العاص فوالله ما كرهه " [4] .

ولم يكن اهتمام الخلفاء بالمسلمين فحسب ، بل امتد اهتمامهم حتى بأهل الذمة في الجانب الصحي ، ومراعاة أحوالهم ومساعدتهم عند الحاجة، فقد ذكر البلاذري أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما مر بالجابية من أرض دمشق مر بقوم مجذومين من النصارى فأمر أن يعطوا من الصدقات وأن يجرى عليهم القوت [5] .

ولقد سلك خلفاء بني أمية سلوكاً مهماً في تجنب الطاعون ، وذلك نظراً لكثرة الطواعين في عهد دولتهم ، فقد ذكر ابن حجر أن بعض المؤرخين كان يقول :" إن الطواعين في زمن بني أمية كانت لا تنقطع بالشام . حتى إن خلفاء بني أمية إذا قرب أوانه [6] وجاء زمن الطاعون يخرجون إلى البوادي والصحراء " [7] . وهذا له دلالاته الصحية المهمة، فانتقال الخليفة وحاشيته ورجال دولته إلى البوادي عند حدوث الطاعون يعتبر حدثا في غاية

---

(1) محمد أحمد باشميل ، حروب الإسلام في الشام ، ص ٥٤٦، ط ١ ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م ، دار الفكر .

(2) أرض غمقة : أي وخيمة ، يقال غمقت الأرض غمقاً فهي غمقة ، أصابها ندى وثقل ووخامة ، وبلد غمق ، كثير المياه رطب الهواء ، والغمقة القريبة من المياه والخُضر والنُزور ، فإذا كانت كذلك قاربت الأوبئة، والغمق في ذلك فساد الريح وخمومها من كثرة الأنداء فيحصل منها الوباء . ابن منظور ، لسان العرب، ج ١١ ص ٨٧ .

(3) الطبري ، تاريخه ، ج ٢ ص ٤٨٨ . والأرض النزهة البعيدة من الريف . ابن منظور ، لسان العرب، ج١١ ص ٨٧ .

(4) تاريخ الطبري ، ج ٢ ص ٤٨٨ . وابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٢ ص ٥١٥ .

(5) فتوح البلدان ، ص ١٣٥ .

(6) بذل الماعون في فضل الطاعون ، ص ٢٢٣ . وهذا يدل على أن الطاعون له أوقات محددة وعلامات معروفة عند الناس .

(7) بذل الماعون في فضل الطاعون ، ص ٣٦٣ . وانظر : القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ١٩٨ .

الأهمية للناس، فالناس بطبعهم يهتمون ويترقبون تصرفات الخلفاء ويرتبطون بهم ارتباطاً وثيقاً، إذن هي رسالة واضحة لجميع السكان والقاطنين في المدن والقرى الموبوءة بالخروج إلى الصحاري ذات الهواء النقي والبعيدة عن مسببات انتشار هذا المرض .

كما أن الخلفاء اهتموا باستعداد الناس الصحي والنفسي للجهاد ، وراعوا ظروفهم الصحية وغيرها عند رغبتهم في الجهاد والفتوحات الإسلامية، ومن ذلك أنه لما أصاب الناس طاعون في عهد الخليفة عبدالملك بن مروان ، سنة٨٠ هـ ، لم يكن في تلك السنة غزو [١]، وهذا تقدير لظروف الناس ومراعاةٌ لأحوالهم وتحسس لإخبارهم ومراعاة ظروفهم الصحية، فقد جاءهم ما يشغلهم ، وهنا تبرز القرارات الحكيمة التي تدل على عمق سياسي لقادة الدولة الإسلامية في تلك الفترة .

ومن أهم جهود السلطات في عهد الدولة الأموية، لمواجهة الأوبئة، ما قام به الخليفة الأموي الوليد بن عبدالملك من بناء المستشفيات فقد كان أول بيمارستان [٢] أنشئ في الديار الإسلامية في عهده في دمشق عاصمة الأمويين[٣]، وذلك سنة ٨٨ هـ، وجعل فيه الأطباء وأجرى لهم الأرزاق [٤] وخصص مستشفى للمجذومين كما أمر بحبسهم وأن يجرى لهم وللعميان [٥]، كما اتخذ ديوان للزمنى [٦] بدمشق ، وكان إسحاق بن قبيصة بن ذؤيب

---

(1) خليفة بن خياط ، تاريخه ، ص ١٧٦ .

(2) بيمارستان : كلمة مركبة بأصل فارسي تعني دار المرضى ، حيث بيمار بمعنى مريض وستان بمعنى دار .

(3) عبدالرحمن سنبط الأربلي ، خلاصة الذهب ، ص ١ . ومحمد خوام ورفاقه محمد عفت وحسن إبراهيم ، تاريخ العلاج والدواء في العصور القديمة (العصر الإسلامي – عصر النهضة في أوروبا)، ص ٧٥، ط . ، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م ، دار المريخ ، الرياض .

(4) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ص ٢٨٧ . وعبد عون الروطنان ، موسوعة تاريخ العرب ، ج ٢ ص ١٢١.

(5) مؤلف مجهول ، العيون والحدائق في إخبار الحقائق ، ص ٤ . وأحمد عبدالرزاق أحمد ، الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى ، ص ١٦٤، ط ٢ ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م ، دار الفكر العربي ، القاهرة . وقد حدد موقعه في مرج العذراء إلى الشمال الشرقي من دمشق . ويذكر عبد علي ياسين أنه يبعد عن دمشق حوالي٢٠ كيلو متر ولا يزال يحمل هذا المستشفى اسم مستشفى الوليد . انظر كتابه ، تاريخ صدر الإسلام من البعثة النبوية وحتى نهاية الدولة الأموية ، ص ٤٠١ .

(6) الزمنى:المصابون بأمراض مزمنة كالعاهات ويسمى حالياً الشلل. ابن منظور، لسان العرب، ج٧ ص٦١،(بتصرف) .

الخزاعي[١] على هذا الديوان ، حيث قال له الوليد : " لأدعن الزّمن احبّ إلى أهله من الصحيح " [٢] .

لهذا كان الوليد بن عبدالملك عند أهل الشام من أفضل خلفائهم ، كان يعطي الناس الدراهم لتفرق على الصالحين ، وفرض للمجذومين وقال : لا تسألوا الناس . وأعطى كل مقعد خادماً يخدمه ، وكل أعمى قائداً يقوده[٣] ، وأوقف عليهم بلداً [٤] وأمر بإعطاء الزمنى [٥] .

ويذكر اليعقوبي قصة سليمان بن عبدالملك سنة ٩٨ هـ مع المجذمون، وأمره أن ينفوا إلى قرية معتزلة لا يخالطوا الناس" [٦] . وهذا يدل على حرصه على عزلهم وإبعاده لهم عن الناس ، حتى يرتاحوا من أذاهم ، ويضمنوا سلامتهم من انتقال المرض إليهم ، مع توفير ما يحتاجه هؤلاء المرضى من متطلبات في هذه المحاجر الصحية كما مر بنا في عهد الخليفة الوليد بن عبدالملك .

" وعند ابن عساكر أن صاحب الرقيق جاء إلى عمر بن عبدالعزيز فسأل أرزاقهم وكسوتهم وما يصلح حالهم فقال عمر : كم، هم ؟ قال كذا وكذا ألفاً . فكتب إلى أمصار الشام أن ارفعوا إلي كل أعمى في الديوان أو مقعد أو من به الفالج [٧] ، أو من به زمانة تحول بينه وبين القيام إلى الصلاة ، فرفعوا إليه فأمر لكل اثنين من الزمنى بخادم" [٨] .

---

(1) إسحاق بن قبيصة بن ذويب الخزاعي كان على ديوان الزمنى بدمشق وهو من أهلها وسكن الأردن ووليها لهشام بن عبدالملك . بدران ، تهذيب تاريخ دمشق ، ج ٢ ص ٤٥٢ .

(2) بدران ، المصدر السابق ، ج ٢ ص ٤٥٢ .

(3) البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج ٨ ص ٧٢ . وابن عبدربه الأندلسي ، العقد الفريد ، ج ٥ ص ١٥٨ . ابن دقماق ، الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين ، ص ٦٥ . والقرماني ، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ ، ج ٢ ص ٣٢ . وابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص ١١٣ .

(4) ابن دقماق ، الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين ، ص ٦٦ .

(5) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٠ ص ٥ .

(6) تاريخه ، ج٢ ص ٢٩٨ .

(7) الفالج : ريح يأخذ الإنسان فيذهب بشقه ، وقد فُلج فالجاً فهو مفلوج ، لأنه ذهب نصفه ، وهو داء يرخي بعض البدن . ابن منظور ، لسان العرب ، ج ١١ ص ٢١٥ .

(8) تاريخ مدينة دمشق ، ج ٤٥ ص ٢١٨ .

لقد كانت جهود الخليفة الوليد بن عبدالملك أنموذجاً رائعاً للخلفاء والسلاطين في الاهتمام بالصحة وتوفير متطلباتها ، وكذا رعاية المرضى والقيام على شؤونهم ، وتوفير ما يعينهم في قضاء حوائجهم .

وذكر ابن عبدالحكم : " إن عمر بن عبدالعزيز كان إذا كثر عنده أرقاء الخمس فرَّقه بين كل مُقعدين وبين كل زَمِنين غلاماً يخدمهما ، ولكل أعمى غلاماً يقوده " [1] .

كما أن المرأة في العصر الأموي شاركت في العناية والاهتمام بالمرضي وأصحاب العاهات ، ومن ذلك أن فاطمة بنت عبدالملك بن مروان قد أقامت داراً للضيافة لتكون مأوى للمكفوفين في منطقة العقيبة في دمشق [2] .

كذلك اتخذ هشام بن عبدالملك الرصافة منزلاً ، وذلك بسبب أن الخلفاء الأمويين وأبناءهم كانوا يهربون من الطاعون الذي يقع في الشام فينزلون البرية فعزم هشام على نزول الرصافة فقيل له لا تفعل فإن الخلفاء لا يطعنون ولم نر خليفة طعن فقال هشام : أتريدون أن تجربوا بي فخرج إلى الرصافة ، وكانت برية بنتها الروم في القديم وصنعت لها صهاريج وصنعت طريقاً للماء من أقصى البرية ، ثم خربت فأعادها هشام وابتنى قصرين بها [3] .

كما يذكر البلاذري أحداث مبايعة الوليد بن يزيد بالخلافة (١٢٥ – ١٢٦ هـ) وأن الوليد بن يزيد كان متبدياً أي في البادية ويعلل ذلك بأن أرض الشام كانت في تلك الأيام

---

(1) ابن عبدالحكم ، سيرة عمر بن عبدالعزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه ، ص ٥٤ .

(2) وداد بنت عوض الجعيد ، دور المرأة في الحياة السياسية والثقافية في العصر الأموي (دراسة عن بلاد الحجاز والشام والعراق ٤١ – ١٣٢ هـ) ، ص ١٠٠ ، رسالة ماجستير بجامعة الملك عبدالعزيز – قسم التاريخ ، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م .

(3) الطبري ، تاريخه ، ج ٤ ص ٢٢١ . وانظر أيضاً : مؤلف مجهول، العيون والحدائق، ص ١٠١ ، وفيليب حتى ، تاريخ سورية ، ص ١٢٣ . وعبدالله كامل موسى عبده ، الأمويون وآثارهم المعمارية في الشام والعراق والحجاز واليمن ومصر وأفريقية ، ص ١١٢ ، ط ١ ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م ، الآفاق العربية ، القاهرة – مصر . وأهم هذه القصور قصر خربة المنية وقصر خربة المفجر والذي أقامها هشام بن عبدالملك ، وقصر المشتى والذي أقامه الوليد الثاني . انظر صلاح طهبوب ، موسوعة التاريخ الإسلامي (العصر الأموي) ،ص ٢١٢ ، ط ١ ، ٢٠٠٤ م ، دار أسامة ، الأردن – عمان .

وبيئة فخرج الناس إلى البادية [1] . وكذلك الطبري يذكر أن الشام في تلك الأيام كان وبيئاً ، فخرجوا إلى البوادي ، وكان يزيد بن الوليد متبدياً [2] .

" ولما ولي الوليد بن يزيد أجرى على زمني أهل الشام وعميانهم وكساهم ، وأمر لكل إنسان منهم بخادم ، وأخرج لعيالات الناس الطيب والكسوة ، وزادهم على ما كان يخرج لهم هشام، وزاد الناس جميعاً في العطاء عشرة عشرة ، ثم زاد أهل الشام بعد زيادة العشرات عشرة عشرة لأهل الشام خاصة ، وزاد من وفد إليه من أهل بيته في جوائزهم الضعف ، وكان وهو ولي عهد يطعم من وفد إليه من أهل الصائفة قافلاً ، ويطعم من صدر عن الحج بمنزل يقال له زيزاء ثلاثة أيام، ويعلف دوابهم ، ولم يقل في شيء يُسأله: لا."[3]، وهنا أيضاً جانب مشرقٌ للخلفاء الأمويين في تعاملهم مع المرضى وأصحاب العاهات والعميان، بغض النظر عن شخصية هذا الخليفة وما أُخذ عليه في بعض الجوانب السياسية والدينية، إلا أننا نجده يقدم جهود مباركة لهذه الفئة من المجتمع في تلك الفترة، بل لم يكتفِ بذلك فقد قدم أيضاً المعونات المالية المجزية والتي تعينهم على مواجهة ظروف الحياة .

كما أظهر الخلفاء الأمويون اهتماماً كبيراً بالطب، وهذا لا شك من أهم الجهود للوقاية – بإذن الله – من الأوبئة وانتشارها ، واهتموا بالصحة وعلم الطب دراسة وترجمة ونشراً ، وأنشأوا البيمارستانات لعلاج المرضى من الناس، كما خطا الطب في عهد عمر بن عبدالعزيز خطوة إلى الإمام وذلك بنقله تدريس الطب من الإسكندرية إلى أنطاكية وحران وذلك بنقل الطبيب عبدالملك بن أبجر الكتاني[4] ، كما استعان بطبيب يدعى سرجون في تفسير – تعريب – كتاب أهدن بن أعين إلى العربية [5] .

---

(1) جمل من أنساب الأشراف ، ج ٩ ص ١٦٩ . الطبري ، تاريخه ، ج ٤ ص ٢٣٨ .

(2) تاريخه ، ج ٤ ص ٢٣٨ .

(3) الطبري ، المصدر السابق ، ج ٤ ص ٢٢٦ – ٢٢٧ .

(4) كان طبيباً عالماً ماهراً ، وكان في أول أمره مقيماً في الاسكندرية ثم نقله عمر بن عبدالعزيز إلى أنطاكية . ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ص ١٧١، شرح وتعليق نزار رضا ، ط . ، ١٩٦٥م، دار مكتبة الحياة ، بيروت .

(5) أحمد إسماعيل، تاريخ بلاد الشام، ص١٩٥ . وفيليب حتى ، تاريخ سورية ، ص ١١٣ . وكتاب أهدن ويقال أهرن (قوى الأطعمة ومنافعها ومضارها) .

وقد استعان الأمويون ببعض الأطباء مثل ابن أثال النصراني وكـان طبيبـاً متميـزاً في دمشق اصطفاه معاوية بن أبي سفيان [1] وكذلك أبو الحكم النصراني[2] اتخـذه معاويـة طبيبـاً خاصاً له ولآل بيته ، كما قـام خالـد بـن يزيـد بـن معاويـة بترجمـة كتـب الطـب والنجـوم والكيمياء [3] وقد سمي بحكيم بني أمية [4] ،وكان لـه يـد طـولى في الطـب [5] ، هـذا كلـه لـه تأثيراته في ازدياد الثقافة الطبية في المجتمـع، وبالتـالي يـنعكس هـذا علـى اهتمـام ووعـي المجتمع تجاه الصحة والمحافظة عليها بشكل عام ، وكذا اتخاذ التدابير اللازمة أثناء وقوع المرض .

إن اهتمام الخلفاء الأمويين ببناء المستشفيات وتحسس أخبار المرضى ومـساعدتهم ، وإقامة المحاجر الصحية ، والعناية بالأطباء ، وترجمة الكتب ذات العلاقـة بالطـب ، كـل هذا يبين بجلاء استعدادهم وحرصهم على مواجهة الأوبئة والطواعين ، وجهودهم وفـق مـا تهيأ لهم من إمكانات في تلك الفترة .

وقد واصل الخلفاء العباسيون هذه الجهود ، وإن كان الشام في عهـدهم أصـبح إقليمـاً من ضمن أقاليم الدولة الإسلامية ، إلا أن مسؤوليات الخليفة تمتد على كل قطر إسلامي تابع له ، ومما يدل على اهتمام الخلفاء العباسيين بالمرضى ما أمر به المهدي وهو أن يُجرى علـى المجذومين وأهل السجون في جميع الآفاق وسائر الأقاليم [6]، كمـا أمـر بإنـشاء ديوانـاً للـبر وديواناً للصدقات لمساعدة المعوزين ، وفي سنة ١٦٦ هـ وعندما انتقل الخليفة المهدي إلى قصره

---

(1) ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ص ١٧١ .

(2) كان عالماً بأنواع العلاج والأدوية ، عمّر طويلاً حتى تجاوز المائة . انظر : ابن أبي أصيبعه ،المصدر السابق ، ص ١٧٥ .

(3) ابن النديم ، الفهرست ، ص ٤٣٤، تعليق إبراهيم رمضان ، ط ٢ ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان . وأحمد عبدالرزاق أحمد ، الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى ، ص ١٣٤ .

(4) ابن النديم ، الفهرست ، ص ٣٠٠ . وفؤاد سلامة جميعان ، مآثر العرب العلمية أساس حضارة الغرب ، ص ٩٧، ط ١ ، ٢٠٠١ م ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت .

(5) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٩ ص ٦٥ .

(6) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٨ ص ٢٥٦ . والذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج ٤ ص ٢٧٣ . وابن كثير، البداية والنهاية ، ج ١٠ ص ١٤٥ . وعبد عون ، موسوعة تاريخ العرب ، ج ٢ ص ٢٠٣ .

قعد للناس قعوداً عاماً وفرق فيهم ثلاثة آلاف ألف درهم ، وأغنى كل عائل، وجبر كل كسير، وفرج عن كل مكروب [1] .

وفي سنة ٢٠٤ هـ ، وضع المأمون شيئاً كثيراً من خراجات بلاد شتى ، ورفق بالناس في مواضع كثيرة [2] .

كما اشتهر المأمون بحبه للعلم والعلماء وكانت له بصيرة بعلوم متعددة ، " وقرأ العلم والأدب والأخبار والعقليات وعلوم الأوائل، وأمر بتعريب كتبهم " [3] ، وقام بنقل كتب الحكمة من اليونانية إلى العربية [4] . فهذه من الجهود غير المباشرة في مواجهة الأوبئة والأمراض ،والاستفادة من علوم الأمم الأخرى وخاصة في مجال الطب وذلك بتشجيع ترجمة الكتب عامة وكتب الطب خاصة .

وعند حديث البلاذري عن السامرة ، ذكر أنه وفي عهد الخليفة هارون الرشيد، كان بفلسطين طاعون جارف ربما أتى على جميع أهل البيت فخربت أرضهم وتعطلت فوكل السلطان بها من عمرها وتألف الأكرة والمزارعين إليها، فصارت ضياعاً للسامرة . ولما شكى السامرة إلى المتوكل سنة ٢٤٦ هـ والقاطنون في ضياع تدعى بيت ماما من كورة نابلس، ضعفهم وعجزهم عن أداء الخراج على خمسة دنانير ، أمر المتوكل بردهم إلى ثلاثة دنانير [5] . وهذه الشكوى أتت بعد زلازل سنة ٢٤٥ هـ والتي تعتبر من أشد الزلازل التي تعرضت لها بلاد الشام ، وهذا التصرف من خليفة المسلمين يدل على تقدير الخلفاء لأحوال الناس ومراعاة ظروفهم حتى وإن كانوا من غير المسلمين .

---

(1) إبتسام أكرم مندورة ، أوضاع الدولة العباسية وعلاقاتها خلال فترة حكم الخليفة المهدي(١٥٨ – ١٦٩ هـ)، ص ٣٣١، رسالة دكتوراه بجامعة أم القرى قسم التاريخ ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م .

(2) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٠ ص ٢٧٣ .

(3) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج ٩ ص ٤١ .

(4) القلقشندي ، مآثر الأنافة في معالم الخلافة ، ص ٢٠٩ .

(5) فتوح البلدان ، ص ١٦٣ .

ثانياً / الزلازل :

من أشد الكوارث التي تعرضت لها بلاد الشام الزلازل ، فقد كان الناس في تلك الفترة ينظرون إليها بنظرة مملوءة بالإيمان، ولا غرابة في ذلك فهم من القرون المفضلة، والقريبة من عصر النبوة وعصر الصحابة رضوان الله عليهم، حيث وضعوا في اعتبارهم كل الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة التي أتت مؤكدة ورابطة بين ما يرتكبه العباد، وما يقع عليهم من عقوبات ، على اختلاف الحكمة منها .

ومما يذكر لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه من جهود في معالجة آثار الزلازل ، ما ذكره ترتون في كتابه : " أن معاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنه — أمر سنة ٦٠ هـ ، بترميم بيعة الرها الكبرى وإعادتها إلى سابق عهدها، بعد أن هُدمت من الزلازل " [(1)] . وهذا وإن كان مع غير المسلمين،إلا إنه يدل على التعامل الرائع للمسلمين مع أهل الذمة حال حدوث الكوارث عندهم ، كما يدل على حرص الخليفة ومبادرته لمعالجة ما نتج عن هذه الكارثة .

والبلاذري يذكر أن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه قام بترميم عكا عند ركوبه منها إلى قبرص — أي سنة ٢٨ هـ – ورمَّ صور ثم أن عبدالملك بن مروان جددهما وقد كانتا خربتا [(2)] ، وإن كان البلاذري لم يذكر سبب ترميمها إلا أن هذا من الجهود المعتبرة للخلفاء في صيانة وحفظ هذه المدن ، وقد يكون ترميمها أيضاً بسبب ما أصابها من زلازل خاصة الزلزال الذي حدث سنة ١٣ هـ الذي كان تمركزه وشدته في فلسطين .

كما يذكر شيخ الربوة أن سليمان بن عبدالملك بنى مدينة الرملة وهي من مدن الأرض المقدسة وجعلها القصبة ثم توالت الزلازل عليها ، فانتقل منها أهلها إلى البيت المقدس، ثم بنى بعدها مدينة اللدّ على أثر بنائها القديم[(3)] .

---

(1) ا . س . ترتون ، أهل الذمة في الإسلام ، ج ٢ ص٤٠ ـ ٤١، ترجمة حسن حبشي ، ط ٢ ، ١٩٦٧ م ، دار المعارف . وفليب حتي ، تاريخ سورية . وشفيق جاسر ، تاريخ القدس والعلاقة بين المسلمين والمسيحيين فيها منذ الفتح الإسلامي حتى الحروب الصليبية ، ص ١٧٧ .

(2) فتوح البلدان ، ص ١٢٤ .

(3) نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، ص ٢٠١ .

ومما يؤكد عمق النظرة الإيمانية عند خلفاء الأمة الإسلامية حينذاك، واعتبار حدوث الكوارث نذيراً من الله للبشر، ما ذكره البلاذري أنه قال : " أصابت الناس زلزلة سنة ٩٨هـ، فكتب عمر بن عبدالعزيز : أما بعد فإن الله ذو قدرة غالبة وعزّ قاهر، يعفو عمّن يشاء، ويؤاخذ من أراد، وإن هذه الرجفة عتاب من الله لخلقه ، فاعتبوه بطاعته ، وخافوا عقابه، فإنه يقول : ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ سورة الأعراف " [1]. وهذه معالجة إيمانية لجوهر أسباب حدوث مثل هذه الظواهر والكوارث ، وتدل دلالة واضحة على فهم دقيق من الخليفة عمر بن عبدالعزيز للأسباب الحقيقية للكوارث .

ويورد ابن قيم الجوزية هذه الحادثة فيقول : كتب عمر بن عبدالعزيز إلى الأمصار :(أما بعد، فإن الرجف شيء يعاتب الله عز وجل العباد، وقد كتبت إلى الأمصار أن يخرجوا في يوم كذا وكذا في شهر كذا وكذا فمن كان عنده شيء فليتصدق به فإن الله عز وجل يقول ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ ﴾ سورة الأعلى ، وقولوا كما قال آدم : ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ سورة الأعراف ، وقولوا كما قال يونس : ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ سورة الأنبياء [2] .

والروايتان تؤكد على أن الخليفة يدعو عموم المسلمين لمراجعة النفس وبذل ما يمكن من الأعمال الصالحة والطاعات لدفع هذه الزلازل .

ويذكر المقدسي أنه جاءت زلزلة في دولة بني العباس ، وأن الخليفة أبو جعفر المنصور وأثناء زيارته لبيت المقدس قام بإصلاح ما نتج عن هذه الزلزلة من أضرار حيث يقول: " جاءت زلزلة فطرحت المغطى إلا ما حول المحراب، فلما بلغ الخليفة – أبو جعفر

---

(1) أنساب الأشراف ، ج ٨ ص ١٤٦ .

(2) الداء والدواء ، ص ٧٤ . وقد ذكرها ابن عبدالحكم في كتابه سيرة عمر بن عبدالعزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه ، ص ٦٤ .

المنصور – خبره قيل له لا يفي برده بيت مال المسلمين، فكتب إلى أمراء الأطراف وسائر القواد أن يبني كل واحد منهم رواقاً فبنوه أوثق وأغلظ صناعةً مما كان ، وبقيت تلك القطعة شامة فيه وهي إلى حدّ أعمدة الرخام " [١] .

ويورد ابن كثير خبر هذه الإصلاحات فيذكر : " فلما كانت خلافة أبو جعفر المنصور ، قدم بيت المقدس في سنة أربعين ومائة، فوجد المسجد خراباً ،فأمر أن يقلع ذلك الذهب والصفائح التي على القبة والأبواب ، وأن يعمرو بها ما تشعث في المسجد ، ففعلوا ذلك " [٢] .

والقرماني أيضاً يذكرها : " أنه لما ولي أبو جعفر المنصور العباسي أمر بقلع الصفائح الذهبية التي كانت على الأبواب من عمارته الأولى في عهد عبدالملك بن مروان ، فقلعت وضربت دنانير ودراهم ، وأنفقه في عمارة شرقي المسجد وغربيه الذي وقع زمن الرجفة " [٣] .

ويذكر ابن الأثير ضمن أحداث سنة ١٤٠ هـ ، أن الخليفة المنصور أمر بعمارة مدينة المصيصة على يد جبرائيل بن يحيى، وكان سورها قد تشعث من الزلازل وأهلها قليل، فبنى السور وسماها : المعمورة وبنى بها مسجداً جامعاً، وفرض فيها لألف رجل، وأسكنها كثيراً من أهلها [٤] .

وفي سنة ١٥٨هـ وقع البناء الذي أقامه المنصور في بيت المقدس بسبب زلزال آخر [٥]، فأمر الخليفة المهدي بإعادة بنائه فبني المسجد هذه المرة بعناية كبيرة وأنفقت عليه أموال طائلة [٦] .

---

(1) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ١٦٨ . كانت زيارة المنصور لبيت المقدس سنة ١٤٠ هـ بعد انقضاء الحج . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٠ ص ٨٢ .
(2) البداية والنهاية ، ج ٨ ص ٢٦٦ .
(3) أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ ، ج ٣ ص ٣١٩ (بتصرف) . ومحمد حسن شراب ، بيت المقدس والمسجد الأقصى ، ص ٣٨٥، ط ١ ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م ، دار القلم ، دمشق . وشفيق جاسر ، تاريخ القدس ص ٢١٥ .
(4) الكامل في التاريخ ، ج ٤ ص ٦٤٦ . والبلاذري يؤرخ لهذا الحدث بسنة ١٣٩ هـ ، فتوح البلدان ، ص١٧٠ .
(5) لم تذكر المصادر المتقدمة هذه الزلزلة أي ما بين عامي ١٤١ هـ - ١٦٠ هـ والذي يبدو لي أنه يقصد ترميمات للعمارة الأولى .
(6) القرماني ، المصدر السابق ، ج ٣ ص ٣١٩ (بتصرف) . ومحمد حسن شراب ، بيت المقدس والمسجد الأقصى ، ص ٣٨٦ . وشفيق جاسر ، تاريخ القدس ، ص ٢١٧ . وشاكر مصطفى ، جنوب بلاد الشام في العصر العباسي ، ص ١٩ .

ومما يدل على جهود الخلفاء في المحافظة على المدن والحصون في الشام ، ما أورده البلاذري حيث يورد نصاً مهماً عن أدوار الخليفة أبو جعفر المنصور في ترميم وتتبع حصون سواحل الشام فيقول : " فلما ولي أبو جعفر المنصور تتبع حصون السواحل ومدنها فعمرها وحصنها وبنى ما احتاج إلى البناء منها وفعل مثل ذلك بمدن الثغور ، ثم لما استخلف المهدي استتم ما كان بقي من المدن والحصون وزاد في شحنها " (1) ، هذا النص يؤكد على الدور البارز للخلفاء المنصور والمهدي في ترميم ما احتاج إلى البناء من حصون ومدن في سواحل الشام والثغور بغض النظر عن سبب تأثرها، وإن كان الهدف عسكرياً بالدرجة الأولى وهو حماية الحدود من غارات الأعداء، إلا أن هذا العمل ساهم في معالجة آثار الزلازل والمؤثرات الطبيعية الأخرى على هذه الحصون والمدن، فهي من الجهود المباركة في مواجهة المواقف الطارئة لبلاد الشام .

وفي سنة ١٦١ هـ يورد البلاذري ما يدل على تعرض مدينة الحدث للثلوج فيقول :" ولما بنيت مدينة الحدث هجم الشتاء والثلوج وكثرت الأمطار ، ولم يكن بناؤها بمستوثق منه ولا محتاط فيه فتثلمت المدينة وتشعثت (2) ، فلما ولي الرشيد أمر ببنائها وتحصينها " (3) .

لقد شهدت فترة حكم الخليفتين المنصور والرشيد حركة اهتمام بتحصين الثغور ، كما أحدثوا مواقع وحصون جديدة ذات أهمية عسكرية استراتيجية بالنسبة لخط الثغور البرية، وكانوا حريصين على العناية بها (4) .

وفي أوآخر سنة ٢١٦ هـ زار الخليفة المأمون العباسي بيت المقدس في طريقه إلى مصر، وأمر بترميم ما يحتاج إلى إصلاح في منشأت المسجد الأقصى، وكانت قد حصلت زلزلة ثالثة بعد إصلاح المهدي ، فأصاب المسجد خراب، فأمر المأمون بتوزيع بنائه على أمراء الأطراف وسائر القواد وقام بالبناء قائده عبدالله بن طاهر (5). وقد أورد المقدسي ما يدل على حدوث

---

(1) فتوح البلدان ، ص ١٦٧ .
(2) فتوح البلدان ، ص ١٩٤ . والحموي ، معجم البلدان ، ج ٣ ص ١٢٥ .
(3) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ١٩٥ . وابن الشحنة ، الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب ، ص ١٩٣ .
(4) هيام هاشم البدر شيني ، الأوضاع السياسية والعسكرية والاقتصادية في منطقة الثغور الإسلامية الجزرية الشامية في القرن الثالث الهجري م التاسع الميلادي ، ص ٤٢، رسالة ماجستير في التاريخ ، جامعة الملك عبدالعزيز ، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م .
(5) محمد حسن شراب ، بيت المقدس والمسجد الأقصى ، ص ٣٨٦ .

هذه الإصلاحات وذلك أثناء حديثه عن أبواب المغطى بالمسجد الأقصى فيقول : " وللمغطى ستة وعشرون باباً، باب يقابل المحراب يسمى باب النحاس الأعظم، وعن يمينه سبعة أبواب في وسطها باب مصفح مذهب، وعلى اليسار مثلهن، ومن نحو الشرق أحد عشر باباً سوانج، وعلى الخمسة عشر رواق على أعمدة رخام أحدثه عبدالله بن طاهر " [1] .

وأيضاً من الجهود المذكورة للخلفاء العباسيين ما قام به الخليفة المهدي من تجديد لجامع السوق الأعلى بحماه من خراج حمص [2] .

وفي سنة ٢٤٥ هـ أمر المتوكل على الله لمن تضرر من الزلازل وأصيبت منازلهم بثلاثة آلاف ألف درهم [3] ، وتعتبر هذه الزلازل هي أقوى وأشد الزلازل التي ضربت بلاد الشام خلال القرون الثلاثة الأول وذلك لأتساع الرقعة التي شملتها وما ترتب عليها من الآثار ، وطول فترة بقائها .

وهذه الجهود من ترميمات وإصلاحات ودعم مادي، من الجهود المتاحة والتي كان يبذلها الخلفاء للوقوف مع أبناء المجتمع عند حدوث الكوارث، وتُعبر عن شعورهم بما أصاب الناس من أضرار تستوجب الدعم والمساندة . ويذكر البلاذري أن أمير المؤمنين المتوكل على الله أمر سنة ٢٤٧ هـ بترتيب المراكب بعكا وجميع السواحل وشحنها بالمقاتلة [4] ، وهذا لا شك له دلالاته السياسية في معالجة آثار الزلازل التي حدثت عام ٢٤٥ هـ ، وحتى لا يقوى العدو على المسلمين، وكذلك لا يتسرب الضعف إلى قلوب المسلمين .

---

(1) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ١٦٨ – ١٦٩ (بتصرف) . وشاكر مصطفى ، جنوب بلاد الشام في العصر العباسي ، ص ٢٠ .

(1) فتوح البلدان ، ص ١٦٧ . وعبدالله بن طاهر كان أمير خراسان ، وكان إليه الحرب ، والشرطة ، وكان أديباً شاعراً ، توفي سنة ٢٣٠ هـ . انظر ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٥ ص ٥٠٢ – ٥٠٣ .

(2) ابن الوردي ، تاريخه ، ج ١ ص ١٣٧ .

(3) الطبري ، تاريخه ، ج ٥ ص ٣٢٨ . وسارة الدوسري ، الحياة الاقتصادية في بلاد الشام في العصر العباسي ، ص ٢٥٧ .

(4) فتوح البلدان ، ص ١٢٥ .

ثالثًا / القحط وغلاء الأسعار والظواهر الأخرى :

الماء جوهر الحياة والعنصر الرئيسي لها ، وهو عصب الحياة لجميع الأحياء على هذه البسيطة ، والعرب منذ تاريخهم القديم أدركوا أهمية الماء في الحياة، وقد قالوا : "أطيب الطيب الماء " [1]، ولقد أعطى العرب الماء مكانةً مهمةً وخاصةً ماء السماء فتتبعوا أخباره وترقبوا قدومه؛ ولهذا سمى العرب بأبناء السماء [2] .

ولما كان العرب أهل صحراء مترامية الأطراف يعز فيها الماء، فإن فترات الجفاف كانت تترك بصماتها على حياتهم وأرزاقهم ومواشيهم ، لقد جعل الجفاف للماء مكانةً في نفوس العرب بلغت حد التقديس والتبجيل جاء ذلك في مظاهر كثيرة من حياة أوائلهم؛ فاتخذوا لورود الماء أصولاً وقوانين وأعرافًا يحترمونها أيما احترام . وجاء الإسلام ليقرر هذه الأهمية الكبرى للماء ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴿٣٠﴾ ﴾ سورة الأنبياء ،وقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ﴿٤٥﴾ ﴾ سورة النور ، وقَالَ تَعَالَى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ سورة الواقعة،وقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ ﴾ سورة فاطر ،و قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ ﴿١٧﴾ ﴾ سورة الرعد .

ونظرًا لأن الماء قوام الحياة وعنصر مادتها، فقد أباحه رسولنا الكريم ﷺ وقضى بحق جميع الناس فيه وسوى بينهم في ملكيتهم العامة له بقوله ﷺ : "المسلمون شركاء في ثلاث: في الماء والكلأ والنار " [3]، أخرجه أبو داود وصححه الألباني[4] .

لقد كان المسلمون شديدي التعلق بالله عز وجل، ولهذا فقد حرصوا على اللجوء إلى الله في معظم الملمات التي تصيبهم، وعند القحط والشدة تجدهم يسارعون إلى الدعاء والصلاة ،

---

(1) أبو حاتم السجستاني، المعمرون والوصايا ، ص ١٤٧، تحقيق عبدالمنعم عامر ، ط . ، ١٩٦١ م ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة . من وصية أبي الأسود الدؤلي لابنته ليلة البناء بها .

(2) صلاح عبدالستار محمد الشهاوي ، الماء في التراث العربي الإسلامي ، ص ٥٧- ٦٢، مجلة الداعي الشهرية ، مجلة إسلامية تصدر باللغة العربية عن الجامعة الإسلامية ، دار العلوم ديوبند - الهند ، العدد ١ – ٢ ، محرم – صفر ١٤٣١ هـ - ديسمبر ٢٠٠٩ م يناير – فبراير ٢٠١٠ م ، السنة ٣٤ ،(بتصرف) .

(3) صلاح الشهاوي ، الماء في التراث العربي الإسلامي ، مجلة الداعي الشهرية ، (بتصرف) .

(4) الألباني ، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ، ج ٦ ص ٦-٧، ط ١ ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م ، المكتب الإسلامي ، بيروت، ورقم الحديث ١٥٥٢ . والقاسم بن سلام ، الأموال ، ص ١٢٤، ورقمه ٧٢٩.

وهم في ذلك يقتدون ويسترشدون بهدي نبينا محمد ﷺ ، فقد روى الإمام البخاري في صحيحه، أن رسول الله ﷺ استسقى وهو يخطب يوم الجمعة ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلا دخل يوم الجمعة من باب كان وُجَاهَ المنبر ، ورسول الله ﷺ قائم يخطب ، فاستقبل رسول الله ﷺقائماً ، فقال : يا رسول الله ، هلكت المواشي ، وانقطعت السبل ، فادع الله يغيثنا . قال : فرفع رسول الله ﷺ يديه فقال : اللهم اسقنا ، اللهم اسقنا ، اللهم اسقنا .... إلخ الحديث " [1] . فدل هذا على أن مشروعية الدعاء بالسقي في الخطبة ، وطلب الغوث والعون من الله في هذه الملمة العظيمة .

" وعن أنس أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبدالمطلب فقال : اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قال: فَيُسْقَون " [2] . ومما يحمد قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين خرج إلى الاستسقاء، فصعد المنبر ولم يزد على الاستغفار ، ثم نزل فقيل : إنك لم تستق ، فقال : لقد استسقيت بمجاديح السماء . – يقصد الاستغفار – يتأول قوله تعالى : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ ﴾ سورة نوح [3] فهذه سنة يحرص المسلمون على القيام بها عند احتباس المطر وتأخر نزوله .

لقد كان الخلفاء الراشدون أنموذجاً يحتذى بهم في تصرفاتهم وأعمالهم ، وحرصهم على مساعدة الآخرين ، فقد عملوا على تهيئة ما يمكن لمساعدة المسلمين والترفق بهم ، ومن ذلك أن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قام في السنة السابعة عشر من الهجرة بوضع ما بين مكة والمدينة مياهاً للسابلة ، واتخذ داراً بالمدينة وجعل فيها الدقيق والسويق للمنقطع والضيف إذا نزل [4] .

---

(1) البخاري ، صحيح البخاري ، ج ١ ص ٢٥٩ ورقم الحديث ١٠١٤ .

(2) البخاري ، المصدر السابق ، ج ١ ص ٢٥٨ ورقم الحديث ١٠١٠ .

(3) الأصفهاني ، الأزمنة والأمكنة ، ص ١٣٢ .

(4) ابن حبان ، السيرة النبوية وأخبار الخلفاء ، ص ٤٧٣ – ٤٧٤ .

ويذكر المقدسي عند حديثه عن بيت المقدس أن عثمان بن عفان رضي الله عنه أوقف عيناً في سلوان – محلة في ربض المدينة – على ضعفاء البلد كانت تسقي جناناً عظيمة [1] . وهذه من الجهود المبكرة التي قام بها الخلفاء لمواجهة القحط ، ومساعدة أكثر المتضررين عادة في الكوارث وهم الضعفاء والفقراء .

وبلاد الشام تفتقر إلى المجاري المائية الدائمة التي يمكن الاستفادة منها في الري ، ولذا كان للأمطار أهمية كبيرة في تقرير مصير المواسم الزراعية فيها ، بل إن الأنهار الدائمة الجريان مدينة بدوامها – بعد الله – لسقوط الثلوج وذوبانها في فصل الصيف كنهر العاصي وبردى ونهر الأردن ، وفيما عداها فإن المجاري المائية في بلاد الشام قليلة الأهمية ومعظمها سيول مؤقتة تمتلىء بالمياه بعد سقوط الأمطار وتجف صيفاً ، فيما عدا بعض الأنهر في الشمال والجنوب كالفرات والقاسمية [2] .

ولهذا فقد حرص الخلفاء الأمويون على الاهتمام بتوفير مصادر المياه والعناية بها ورعايتها ، ومن ذلك ما قام به الخليفة معاوية بن أبي سفيان الخليفة الأول من حفر الآبار وإقامة السدود للانتفاع بالمياه وإنشاء المصانع [3] على الطرقات [4] ، وما قام به يزيد بن معاوية بتوسيع نهر بردى فسمي به نهر يزيد ، للاستفادة منها بشكل أفضل [5] . كما كان يصرف من بيت مال المسلمين في العهد الأموي مبالغ حسنة لتحسين وسائل الري والزراعة ، وكان بيت المال مسئولاً عن حفر الترع للزراعة وغيرها من المصالح [6] . كما حرص الخليفة

---

(1) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ١٧١ .

(2) محمد محفل ، ملامح من تاريخ الفلاحين في الوطن العربي ونضالهم في القطر السوري (العصر الراشدي والأموي) ج ٢ ص ١٥، ط . ، المكتب التنفيذي للاتحاد العام للفلاحين . ومحمد زيود ، حالة بلاد الشام الاقتصادية ، ص ٨٦ .

(3) المصانع ، الآبار والأبنية والأحواض تتخذ للماء . ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٨ ص ٢٩٢ .

(4) ثريا حافظ ، الحياة الاقتصادية في بلاد الشام في العصر الأموي ، ص ١٦٩ .

(5) بدران ، تهذيب تاريخ دمشق ، ج ١ ص ٢٤٥ - ٢٤٦ .

(6) عبدالله حسين الشنبري ، نصارى الشام في ظل الحكم الإسلامي منذ الفتح حتى نهاية الدولة الأموية ، ص ٥٦٨، رسالة دكتوراة في التاريخ الإسلامي ، جامعة أم القرى ، ١٤١٦ هـ .

عبدالملك بن مروان على إصلاح قناة حلب وهي قديمة من زمن الرومان وكانت للشرب فقط [1].

وعلى صعيد المعالجات الرسمية لمواجهة القحط والمجاعات وما نتج عنها من آثار فقد قرر الخليفة عبدالملك وقف الصوائف والشواتي سنة ٦٨ هـ وذلك بسبب أن القحط كان شديداً بالشام حتى لم يقدروا من شدته على الغزو ، لضعفهم وقلة طعامهم وميرتهم [2] . وهذا تقدير من الخليفة عبدالملك بن مروان لحال الناس واستعدادهم ، وتفريغهم لما هو أهم تجاه أنفسهم ومن يعولون .

ومما يفسر لنا أيضاً اهتمام الخليفة عبدالملك بمشكلة المياه في الشام ، إنها نوقشت في مجلسه مشكلة انحباس الأمطار والجدب ، وحضر النقاش الكيمائي خالد بن يزيد بن معاوية الذي اقترح على الخليفة تحلية مياه البحر لحل المشكلة ، وأجرى تجربة عملية أمام الخليفة لكيفية التحلية على قلتين من ماء البحر [3] .

وأيضاً أرسل عبدالملك بن مروان إلى روح بن زنباع [4] : " كيف نقول إذا قحطت السماء قال : تقولون : اللهم الذنب الذي حبست عنا به المطر فإنا نستغفرك منه فاغفرلنا واسقنا الغيث ثلاث مرات " [5] .

---

(1) ابن شداد ، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ، ج ١ القسم الأول ص ٣٤٠ . وانظر : محمد محفل ، ملامح من تاريخ الفلاحين في الوطن العربي ونضالهم في القطر السوري (العصر الراشدي والأموي) ج ٢ ص . والشنبري ، نصارى الشام ، ص ٥٦٩ .

(2) الطبري ، تاريخه ، ج ٣ ص ٥٠٢ ، وابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ص ٧٠ ، وابن الأثير ، الكامل في التاريخ، ج ٣ ص ٦٩٩ ، وابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٨ ص ٢٧٩ . أحمد إسماعيل علي ، تاريخ بلاد الشام منذ قبل الميلاد حتى نهاية العصر الأموي ، ص ١٨٦ .

(3) ابن منظور ، مختصر تاريخ مدينة دمشق ، ج ٨ ص ٣٧ . وبدران ، تهذيب تاريخ دمشق الكبير ، ج ٥ ص ١٢٢ – ١٢٣ . وهاني أبو الرب ، تاريخ فلسطين في صدر الإسلام ، ص ٢٠١ . وخليل داود ، الحياة العلمية في الشام ، ص ١٨٢ – ١٨٣ . (ولعله يقصد تبخيرها ثم تصفيتها مما يرسب بها من أملاح) . انظر : حاشية صفحة ٦٥٨ من رسالة الشنبري ، نصارى بلاد الشام .

(4) روح بن زنباح بن سلامة الجذامي كان أميراً على فلسطين كان يقول عنه عبدالملك بن مروان جمع روح طاعة أهل الشام ودهاء أهل العراق وفقه أهل الحجاز، توفي سنة ٨٤ هـ . انظر : ابن حجر العسقلاني ، الإصابة في تميز الصحابة ، ج ١ ص ٦٠٠ . وابن منظور، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، ج٨ ص٣٤١ .

(5) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ١٨ ص ٢٤٨. وابن ابي الدنيا، المطر والرعد والبرق والريح ، ص٧٢.

كذلك حرص الوليد بن عبدالملك على مكاتبة عماله بتسهيل الثنايا [١] وحفر الآبار [٢] .

كما قام الخليفة سليمان بن عبدالملك بعد أن قام ببناء الرملة ، بحفر قناة لأهلها وحفر آبار لهم وأجرى عليها النفقة [٣] . وذلك لمواجهة القحط وقلة المياه في هذه المدينة .

ويذكر البلاذري : " أن عمر بن عبدالعزيز لما شخص إلى المصيصة بنى لأهلها جامعاً من ناحية كفربّيا [٤] واتخذ بها صهريجاً [٥] وكان اسمه مكتوباً عليه" [٦] فاتخاذه صهريجاً للماء يعتبر من ضمن الجهود التي تُبذل لمواجهة القحط وتأخر الأمطار . " كما أتخذ دار طعام للمساكين والفقراء وابن السبيل ومنع أهله أن يصيبوا من تلك الدار " [٧].

واهتم هشام بن عبدالملك بالزراعة وطرق الري واتخذ القنِيَّ والبِرَكَ [٨]، كما أمر بحفر نهيرات صغيرة في دمشق لتزويد أهلها بالمياه اللازمة للري والشرب ، وأمر بكري [٩] ترع [١٠] دمشق لما شكا إليه الناس قلة الماء [١١] . كما قام الوليد بن يزيد بن عبدالملك بحفر نهر الأردن [١٢] .

كذلك أمر الخليفة هشام بن عبدالملك لما نقل له ما بالناس من حاجة وشدة ، نتيجة ما أصابهم من القحط أمر للبوادي بمائة ألف دينار[١٣] .

---

(1) الثنية : الطريق في الجبل وقيل هي العقبة وقيل هي الجبل نفسه . ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٣ص٤٩.

(2) ثريا حافظ ، المصدر السابق ، ١٧٠ .

(3) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ١٤٩ . وابن الفقيه ، كتاب البلدان ، ص ١٠٢ .

(4) كفربيا : مدينة بإزاء المصيصة على شاطئ جيحان ، كانت مدينة كبيرة ذات أسواق كثيرة وسور محكم ، كانت قد خربت قديماً ثم جدد بناءها الرشيد . الحموي ، معجم البلدان ، ج ٧ ص ١٤٣ .

(5) الصهريج : واحد الصهاريج ، وهي كالحياظ مكان يجتمع فيه الماء . ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٨ ص ٢٩٨ .

(6) فتوح البلدان ، ص ١٧٠ ، وأيضاً ذكره ، ابن شداد ، الأعلاق الخطيرة ، ص ١٤٦، حققه يحي زكريا ،ج ا القسم الثاني ، ط . ، منشورات وزارة الأوقاف ، دمشق ، ١٩٩١ م . وابن الشحنة ، الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب ، ص ١٧٩ .

(7) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج ٥ ص ١٨٨ . ونجدت خماش ، الشام في صدر الإسلام ، ص ٣١٩ .

(8) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٣ ص ٢٢٨ . والقنى أي حفر القنوات .

(9) كري : كرا الأرض كرواً : حفرها وهو من ذوات الواو والياء . ابن منظور ، لسان العرب ، ج ١٣ ص ٥٩.

(10) ترع : الترعة : فم الجدول ينفجر من النهر ، وفي الصحاح : الترعة أفواه الجداول ، قال ابن بري : الترع جمع ترعة أفواه الجداول . ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٢ ص ٢٢٢ .

(11) ثريا حافظ ، المصدر السابق ، ١٧٢ – ١٧٣ .

(12) الطبري ، تاريخه ، ج ٤ ص ٢٤٤ .

(13) القرماني ، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ ، ج ٢ ص ٤٨ – ٤٩ .

هذا ولم يقتصر الأمر على الخلفاء ، فقد قام الأمراء وكبار الدولة بهذا الدور ، ومما يذكر في هذا الصدد أن مسلمة بن عبدالملك حفر نهراً من الفرات لأهل بالس والقرى القريبة منها [١] .

كما أن الوقف الإسلامي بنوعيه ، الخاص والرسمي [٢] كان حاضراً في معالجة الكوارث كالقحط والمجاعات وغلاء الأسعار، بنحو وقائي ، فقد أُقفت الأراضي، والدور،والحوانيت ، والأسواق، والحمامات، والأفران ، والطواحين،ومصانع الصابون وغيرها ، لأغراض دينية وإنسانية ، أو لفك رقاب الأسرى، أو للمجاهدين، أو لصيانة حدود الدولة الإسلامية، أو للفقراء والمعوزين، أواليتامى، أو المرضى ، أو الخدمات العامة [٣] ، ومن ذلك ما قام به مسلمة بن عبدالملك، حيث أوقف أرضاً بغراس [٤] في سبيل البر [٥] .

كما أجرى الخليفة المأمون قناة من نهر منين من سفح جبل قاسيون إلى معسكره بدير مران[٦]، وإن كان هذا العمل ظاهره تأمين الماء للعسكر ، إلا أنه من الجهود التي تساهم في المحافظة على البيئة وتمنع الجفاف ، وتخفف من استهلاك واستنزاف المصادر الأخرى للمياه ، والاستفادة من مياه الأنهار بدلاً من أن تذهب سدى بدون فائدة .

وكثيراً ما كان الخلفاء يتدخلون في تخفيض الأسعار ، يؤيد ذلك ما ذكره أبو يوسف من أن رجلاً قال للخليفة عمر بن عبدالعزيز ما بال الأسعار عالية في زمانك وكانت في زمان الذي قبلك رخيصة ؟ إلخ القصة [٧] . ففي هذه القصة دلالة على أن من صلاحيات الخلفاء تقنين الأسعار عند الحاجة لذلك .

---

(1) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ١٥٦ .
(2) الأوقاف الخاصة هي : التي يوقفها سائر الناس ، أو بعض الأتقياء من الأمة الإسلامية ، والأوقاف الرسمية هي : ما يوقفها الخليفة لمصالح الناس . محمد زيود ، حالة بلاد الشام الاقتصادية ، ص ٩٤ .
(3) انظر : محمد زيود ، حالة بلاد الشام الاقتصادية ، ص٩٤ – ٩٥ .
(4) بغراس : مدينة في لحف جبل اللكام بينها وبين أنطاكية أربعة فراسخ على يمين القاصد إلى أنطاكية من حلب . الحموي، معجم البلدان ، ج ٢ ص ٣٦٨ .
(5) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ١٥٣ .
(6) بدران ، تهذيب تاريخ دمشق ، ج ١ ص ٢٥٢ .
(7) أبو يوسف، الخراج ، ص١٤٢. وانظر: عصام الدين عبدالرؤوف الفقي، الحالة الاقتصادية والمظاهر الاجتماعية في مدينة دمشق من الفتح العربي إلى نهاية العهد الأموي ، ص ٧٣، رسالة علمية (ماجستير) مقدمة لكلية الآداب جامعة القاهرة .

كما سعى الخلفاء إلى تحقيق جانب العدالة الاجتماعية بين السكان ، وتحملوا المسؤولية العظيمة الملقاة عليهم بكل اقتدار، كما كان الخلفاء يخصصون أوقاتاً للنظر في حوائج الرعية ، فكان معاوية – رضي الله عنه – يخرج إلى المسجد ويطلب من غلامة أن يضع له كرسياً يسند ظهره إلى المقصورة، فيقوم إليه الضعيف والأعرابي والصبي والمرأة ومن لا أحد له فينظر في أمرهم، ثم يخصص وقتاً لأشراف الناس الذين يرفعون حوائج من لا يستطيع الوصول إلى الخليفة [1] .

أما عبدالملك فقد أفرد للظلامات يوماً معيناً،يتصفح قصص المتظلّمين [2] ،" بينما كان لهشام بن عبدالملك موضع بالرصافة ، يبرز فيه ، فتضرب له به السرادقات ، فيكون فيه ستين ليلة، بارزاً للناس ، مباحاً للخلق،لا يفنى أيامه تلك إلا بردّ المظالم والأخذ على يد الظالم من جميع الناس وأطراف البلاد" [3] .

وبرز بعضهم في هذا الجانب بشكل واضح حتى أصبح مضرباً للمثل في استشعار الأمانة والمسؤولية ، ومن ذلك الخليفة العادل عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه ، " قالت فاطمة امرأة عمر بن عبدالعزيز : أنها دخلت عليه وهو في مصلاة ودموعه تجري على لحيته، فقلت : أحَدَث شيء ؟ فقال : إني تقلدت أمر أمّة محمد – ﷺ – فتفكرت في الفقير الجائع، والمريض الضائع ، والغازي، والمظلوم المقهور ، والغريب الأسير ،والشيخ الكبير ، وذى العيال الكثير ،والمال القليل ، وأشباههم في أقطار الأرض ، فعلمت أن ربي سيسألني عنهم يوم القيامة ،وإن خصمي دونهم محمد – ﷺ – فخشيت ألا تثبت لي حجتي عند الخصومة، فرحمت نفسي فبكيت " [4] .

ولما ولي عمر بن عبدالعزيز صعد المنبر وكان أول خطب خطبها حمد الله وأثنى عليه ثم قال: " أيها الناس من صحبنا فليصحبنا بخمس وإلا فليفارقنا، يرفع إلينا حاجة من لا

---

(1) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٣ ص ٤٠ . ونجدت خماش ، الشام في صدر الإسلام ، ص ٢٢٧.

(2) الماوردي ، الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، ص ٩٥، تحقيق سمير مصطفى رباب ، ط ١ ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م ، المكتبة العصرية ، بيروت – لبنان . ونجدت خماش ، المصدر السابق ، ص ٢٢٧ .

(3) ابن قتيبة ، الأمامة والسياسة ، ص ٢٢٧، تحقيق طه محمد الزيني ، ط . ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، ج ٢ ، ص ١٠٧ . ونجدت خماش ، المصدر السابق .

(4) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٤ ص ٢٨٦ . وانظر : الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج ٥ ص ٥٧٩ . وابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٩ ص ٢٠٨ .

يستطيع رفعها، ويعيينا على الخير بجهده، ويدلنا من الخير على ما لا نهتدي إليـه ، ولا يغتابن عندنا أحداً، ولا يعرضن فيما لا يعنيه " [1] .

وكان خلفاء بني أمية يوصون أمراءهم بالعدل والإنصاف ، وفرض العطاء للرعيـة ، فالحجاج يقول في أول خطبة له بالكوفة : " إن أمير المؤمنين أمرني بإعطائكم أُعطيـاتكم " ، كما نجد أن يزيد بن الوليد يجعل الأعطيـات في كـل سـنة والأرزاق في كـل شـهر ، وفي ذلـك يقول: " وإن لكم أعطياتكم في كل سنة وأرزاقكم في كل شهر " ، وقد حرص خلفاء بني أميـة على إخراج العطايا والأرزاق في وقتها ، لما يترتب على حـبس العطـاء مـن الإضـرار بمـصالح الرعية ، وتعرضهم للحاجة والعوز في وقت تغلو فيه المعيشة ، وتقل فيـه الأمـوال وفي ذلـك يقول معاوية – رضي الله عنه – " ولا يصلح الناس إلا ثلاث : – وذكر منها – إخراج العطاء عند محله " [2] .

كما واصل جماعة من خلفاء بني العباسي النظر في المظالم، فكان أول من جلـس لهـا المهدي، ثم الهادي، ثم الرشيد،ثم المأمون ، فـآخر مـن جلـس لهـا المهتـدي، حتـى عـادت الأملاك إلى مستحقيها [3]. والمسعودي يذكر أن المهدي كان محبوباً إلى الخاص والعـام ؛ لأنـه افتتح أمره بالنظر في المظالم ، وإنصاف المظلوم [4] .

كما أن الخليفة أبا جعفر المنصور كان يأمر ولاة البريد في جميـع الأقـاليم أن يكتبـوا إليه بأسعار المواد الغذائية ، فإذا وجد تغيراً في الأسعار كتب إلى ولاة الأقاليم متحريا السبب في تغير الأسعار [5] .

ومما يذكر للمهدي أنـه امر بحفر الركايا [6] ، وعمل المصانع ، وبناء القصور في طريق مكة ، وإن كان هذا خارج حـدود الدراسـة المكانيـة إلا أن فيـه دلالـة علـى اهتمـام الخلفـاء بجانب توفير المياه ومعالجة أهم المشكلات التي تواجه المجتمع في تلك الفترة [7].

---

(1) ابن كثير ، المصدر السابق، ج٩ ص٢٠٥. وانظر: ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٤ ص٢٨٥ .
(2) عبدالرحمن بن رجاء الله الجامعي السلمي ، خطب خلفاء بني أمية وأمرائهم ، ص ٧٣- ٩٢، رسالة دكتوراه، بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، قسم الأدب والبلاغة ، ١٤٢٧ – ١٤٢٨هـ .
(3) الماوردي ، الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، ص ٩٥ .
(4) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٣ ص ٣٤٣ .
(5) الطبري ، تاريخه ، ج ٤ ص ٥٣٦ .
(6) الركايا : جمع ركية ، وهي البئر ذات الماء .
(7) ابن كثير ، البداية النهاية ، ج ١٠ ص ١٤٣ .

ولم يقتصر هذا الاهتمام فقط على الخلفاء، بل إن بعض نساء البيت العباسي كان لهن دور في هذا المجال، فأم جعفر بنت جعفر المنصور [(١)] أنفقت أموالاً كبيرة في إقامة المباني العامة والخيرية في مناطق الثغور ، بلغت قيمة هذه الأموال مائة ألف دينار [(٢)] . كما أقامت دار ضيافة دائمة ببغراس، واوقفت عليها الأوقاف [(٣)].

وكان في حَبْرَى [(٤)] قرية إبراهيم الخليل عليه السلام ضيافة دائمة، وطبَّاخ وخبَّاز وخدَّام مرتبون ، يقدمون العدس بالزيت لكل من حضر من الفقراء [(٥)] .

وكذلك حرصت الدولة الإسلامية في بعض فتراتها في العصر الأموي والعباسي ، على الاحتفاظ أحياناً بعلاقات تجارية جيدة مع الدولة البيزنطية في الشمال ، لضمان استمرار التبادل التجاري بينهم ، وهذا لا شك ساهم في مواجهة ظروف القحط والمجاعات وما يستجد من أحداث وكوارث مفاجئة، رغم ظروف الحرب التي كانت بينهم ، كما استمرت تجارة الشام مع أوروبا الغربية ، وهذا يدل على حنكة وبُعد نظر في تنويع مراكز التعامل التجاري لمواجهة الظروف السياسية المحتملة مع الدولة البيزنطية ، كما أنه متطلب حياتي في علاقات الأمم بعضها ببعض [(٦)] .

كما اهتم الخلفاء بالتنظيمات المالية ، ووضعوا دواوين متعددة لهذا الغرض، تهتم وتعنى بهذا الأمر ، ومنها ديوان الصدقات ، وحددوا مصارف أموال بيت مال المسلمين بكل دقة ، وخصصوا جزءاً منه لمساعدة الفقراء والمساكين [(٧)]، كما اهتموا بتفعيل نظام الحسبة ومراقبة الأسواق ومنع الاحتكار كتنظيم إسلامي أصيل، ولقد تطور عمل عامل السوق في

---

(1) زبيدة بنت جعفر بن المنصور العباسية الهاشمية القرشية ، كانت أحب الناس إلى الرشيد ، وكانت لقبت بزبيدة لأن جدها أبا جعفر كان يلاعبها ويرقصها وهي صغيرة ويقول ، إنما أنت زبيدة ، لبياضها ، اشتهرت بالصدقة والبر . ابن كثير ، البداية النهاية ، ج ١٠ ص ٢٩٤ .

(2) هيام هاشم البدر شيني ،الأوضاع السياسية والعسكرية والاقتصادية في منطقة الثغور الإسلامية، ص ٤٢ .

(3) الاصطخري ، مسالك الممالك ، ص ٦٥ . وابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ١٨٤ . وسارة الدوسري ، الحياة الاقتصادية في بلاد الشام في العصر العباسي ، ص٢٥٧ .

(4) حبرى : اسم القرية التي فيها قبر إبراهيم الخليل عليه السلام بالبيت المقدس، وقد غلب على اسمها الخليل، الحموي ، ج ٣ ص ١١٣ .

(5) المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ١٧٣ .

(6) عاطف رحال ، تاريخ بلاد الشام الاقتصادي في العصر الأموي ، ص ١٨٧ – ٢٠٩ . وأحمد إسماعيل ، تاريخ بلاد الشام ، ص ٣٣٠ .

(7) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، فصل في الصدقات لمستحقيها، ص ١٤٣ – ١٤٦ . وانظر : نجدت خماش، الشام في صدر الإسلام ، ص ٣١٣ – ٣١٨ .

العصر الأموي وأصبح يطلق عليه لقب المحتسب ، وكان من مهامه متابعة أحوال الأسواق والإحاطة بما يجري من الغش والتدليس ، كما كانوا يستعينون بأصحاب الخبرة من أرباب المهن والحرف عند الحاجة، كما يتابعون ما يستقر عليه السعر [(١)]، وهم يقتدون بنبيهم محمد ﷺ ، فقد قام بهذه المهمة وتبعه الخلفاء الراشدون ، ومضت سُنةً في مهام الخليفة وأمراء الولايات في العصر الأموي والعباسي ، ومن ذلك أن الوليد بن عبدالملك كان يمر بالأسواق يساوم ويناقش في الأسعار مع البقالين وغيرهم [(٢)]، وتدخل الخليفة هشام بن عبدالملك في تسعير بعض المواد الضرورية وأرخص أقوات الناس في وقت الغلاء، فقد وقف على باب القصاب فسأله عن سعر اللحم ، كما كانت الدولة الأموية تدفع للتجار مالاً وقت الغلاء ثم ترجعه منهم وقت الرخص [(٣)] .

ويبدو أن الدولة الإسلامية حرصت وشرعت في بناء مخازن للغلال ، لتخزين الحبوب وبعض الغلات الزراعية المهمة لغذاء الإنسان ، – رغم أنني لم أقف على نص يؤكد ذلك – إلا إنه من البدهي أن تحرص الدولة الإسلامية على هذا الإجراء ، خاصة وأن مواردها زادت وتعددت ، كما أنها كانت في حالة شبه حرب مستمرة مع الدولة البيزنطية .

وقد تواصل الإنفاق من قبل العباسيين على آبار الرملة وقناتها ، وكان أمر تلك النفقة يخرج في كل سنة من خليفة بعد خليفة ، فلما استخلف المعتصم بالله سجل بتلك النفقة سجلاً ، فانقطع الاستثمار وصارت جارية [(٤)] .

ويذكر ناصر خسرو في رحلته إلى بيت المقدس أنه رأى في أرض المسجد الأقصى أحواضاً وصهاريج كبيرة [(٥)]، وهذا له دلالته الواضحة، وذلك أن بيت المقدس لا يوجد فيها

---

(1) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، فصل ، في المعاملات المنكرة ، ص ٢٧٣ – ٢٧٤ . وانظر : رجاء بنت شوعي محمد بن حسين ، الإصلاح النقدي في العصر الأموي وأثره على اقتصاد الدولة وإدارتها (٤١ – ١٣٢ هـ) ،ص ٩٦، رسالة ماجستير بجامعة الملك عبدالعزيز – قسم التاريخ ، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧م .

(2) رشاد عباس معتوق ، نظام الحسبة في العراق حتى عصر المأمون ، ص ٤٩، رسالة ماجستير في الحضارة ، جامعة أم القرى ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

(3) رجاء شوعي ، الإصلاح النقدي في العصر الأموي وأثره على اقتصاد الدولة ، ص ٩٧ .

(4) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ١٤٩ .

(5) سفر نامه ، ص ٦٣ . كانت رحلته في القرن الخامس الهجري .

ماء غير الأمطار، ولذلك عمد الأهالي والسلطات إلى بناء أحواض كبيرة وبرك يحفظون فيها الماء لمواجهة القحط والجفاف عند قلة الأمطار .

ومما يدل على حرص الخلفاء وعامة الناس على التمسك بما جاء في الشريعة الإسلامية من سنن قولية وفعلية عند حدوث الظواهر الغريبة والمخيفة، ما كتبه عبدالملك بن مروان إلى روح بن زنباع : كيف تقول إذا تخوفنا الصواعق ؟ قال تقولون : اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونؤمن بك ونتوب إليك ثلاثاً [١] .

وعندما وقع الحريق سنة ٢٦٤ هـ ودخل أحمد بن طولون دمشق، أمر بسبعين ألف دينار تخرج من ماله وتعطى كل من احترق له شيء ويقبل قوله ولا يستحلف عليه ، فأعطوا وفضل من المال أربعة عشر ألف دينار [٢]. ثم أمر بمال عظيم يفرق على فقراء دمشق وغوطتها، فأقل ما حصل للفقير دينار [٣].. ونلحظ في القصة نموذج رائع للحاكم المسلم وكيفية تعامله مع الحدث، فأول الأمر وقف بنفسه على الحدث، ثم أمر بمساعدة فورية للمتضررين مع تقدير لحالتهم النفسية، ثم تعامله السخي مع من اتصف بالشهامة وكان من ضمن المتضررين ، وزد على ذلك اختياره من اتصف بالأمانة للقيام على هذا الأمر حتى يضمن العدالة في توزيع المعونات بين جميع المتضررين .

ويذكر ابن الأثير أن أمور دمشق السياسية سنة ٢٩٠ هـ كانت مضطربة وأحوالها الاقتصادية سيئة نتيجة تسلط القرامطة [٤]،ولم يفك الحصار إلا بنجدات طولونية قدمت من مصر [٥]. وهذا التصرف من هارون بن خمارويه بن طولون حاكم مصر يدل على حرص الخلفاء والحكام على مواجهة مثل هذه الظروف عند تعرض أي جزء من بلاد المسلمين وفق الطاقات والقدرات المتاحة حال هذا الظرف .

---

(1) ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ج ١٨ ص ٢٤٨ .

(2) ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ج ٧١ ص ٢١٨ . والذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج ١٠ ص ٤٨٧ .

(3) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ص ٥٠ .

(4) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٦ ص ١٨٩ (بتصرف) . ومحمد أحمد زيود ، حالة بلاد الشام الاقتصادية منذ العصر الطولاني وحتى نهاية العصر الفاطمي ، ص ٢١ .

(5) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٦ ص ١٩١ .

ليس هذا فحسب، بل إن الخلفاء والسلطات كانت تتدخل حتى فيما يمكن تصنيفه بأقل من حد الكوارث ، ومن ذلك ما يذكره البلاذري : " من أن الطريق بين أنطاكية والمصيصة مسبعة يعترض للناس فيها الأسد ، فلما كان الوليد بن عبدالملك شكى ذلك إليه فوجه أربعة آلاف جاموسة وجاموس فنفع الله بها ... ولما قبض يزيد بن عبدالملك أموال بن المهلب أصاب لهم أربعة آلاف جاموسة كانت بكور دجلة وكسكر فوجه بها يزيد بن عبدالملك إلى المصيصة أيضاً، فكان أصل الجواميس بالمصيصة ثمانية آلاف جاموسة "[1] ، ولعل الأسود كانت تهاب الجواميس وتنفر منها، أو أن الأسود بهذا التصرف أصبحت في غنى عن مهاجمة الناس فقد جاءها ما يكفيها، أو لعل هذا العمل أحيا هذه المنطقة بهذا العدد الكبير من الجواميس والذي حتماً سيكون عليها من القائمين ما يجعل الأسود تنفر من هذه المنطقة .

---

(1) فتوح البلدان ، ص ١٧٢ . وابن الفقيه ، كتاب البلدان ، ص ١١٣ .

رابعاً : **الآفات الزراعية** :

على الصعيد الرسمي للدولة، لم أجد نصاً صريحاً يبرز دورهم في هذا الشأن، ليس هذا فحسب بل أن الدراسات لم تهتم بهذا الجانب، بالرغم من اهتمام الأمويين بالجانب الزراعي، لكن يبدو أن السبب ناتج عن إهمال المؤرخين لهذا الأمر، وإلا فإنه ليس من المعقول أن تصرف الدولة جل اهتمامها بالنشاط الزراعي وتغفل عن جانب مهم في المحافظة عليها، وحمايتها من الآفات الزراعية. ولعل ما ذكره الخليفة هشام بن عبدالملك حين وقف يوماً قريباً من حائط فيه زيتون له، فسمع نفض الزيتون ، فقال لرجل : " انطلق إليهم فقل لهم : التقطوه ولا تنفضوه ، فتفقئوا عيونه، وتكسروا غصونه" [1]. يدل على حرصه على توجيه المزارعين إلى استخدام الطريقة الصحيحة في جني الزيتون،مما يؤكد حرص الخلفاء على هذه الأمور وإن كانت بسيطة في نظر الآخرين، وهو فيه دلالة على أن من يهتم بهذه الأمور، فإنه من باب أولى ستكون لديه اهتمامات أكبر في جانب حماية المزروعات من الآفات.

ومن الصور التي حرص الخلفاء عليها ، الانتقال من مكان إلى آخر عندما يكون هذا أنسب في مواجهة بعض الآفات التي تؤذي الإنسان، ومن ذلك أن سليمان بن عبدالملك عندما تولى تحول إلى الصحراء فأخذ البيعة له في الرملة حيث يرى بعضهم أن ذهابه هو وغيره من الخلفاء إلى الصحراء خوفاً من الطاعون الذي كان يقع بالشام من وقت لآخر أو من البق أو خوفاً من البعوض الكثير[2] .

ويشير القزويني الى أن هشام بن عبدالملك كان يفزع إلى الرصافة من البق في شاطىء الفرات، ومن عجيب هذه البلدة أن ليس بها زرع ولا ضرع ولا ماء [3] .

أيضاً تذكر رجاء شوعي أن الخلفاء الأمويين خصصوا نفقات تصرف من بيت مال المسلمين للنوائب والبوائق التي قد تصيب الأراضي الزراعية . واستشهدت بجهود الخليفة هشام بن عبدالملك عندما صرف مبلغ مليونين درهم في مصلحة الزراعة قرب النهر في

---

(1) ابن عبدربه الأندلسي، العقد الفريد، ج ٥ ص ١٧٧. وابن كثير، البداية والنهاية ، ج ٩ ص ٣٥٥ .

(2) أحمد إسماعيل ، تاريخ بلاد الشام ، ص ١٩٤ .

(3) آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ١٩٨ . الحموي ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٤٠٥ .

الموصل[1]، وهذا يدل على اهتمامهم واعتمادهم على الزراعة كمورد اقتصادي رئيسي لخزينة الدولة في تلك الفترة، فلقد شهد العصر الأموي اهتماماً واضحاً بالزراعة واستصلاح الأراضي والعناية بها من جميع النواحي .

(1) الإصلاح النقدي في العصر الأموي وأثره على اقتصاد الدولة وإدارتها، ص ٧٢ .

المبحث الثاني : جهود المجتمع في مواجهة الكوارث :

أولاً : الأوبئة والطواعين

أرشدت الشريعة الإسلامية الناس إلى الوقاية من الأمراض كخطوة أولى لحماية الإنسان من الوباء، ثم دعت إلى تطبيق الحجر الصحي بمفهومه الواسع ، في الدخول إلى المناطق الموبوءة والخروج منها، ونبهت الشريعة الإسلامية إلى العناية بالنظافة الشخصية وتجنب الأماكن الموبوءة أو المستقذرة، والمسلم بطبعه مأمور بتنفيذ ما جاء في الشريعة الإسلامية ،ولهذا فإن هذه التنظيمات والتنبيهات الشرعية تعتبر الخط الأول عند المجتمع لمواجهة الأوبئة والطواعين .

كما أن المسلمين تعرفوا على كثيرٍ من الأمراض ، كالحمى والطاعون والجدري والجذام وغيرها من الأمراض سواء المُعدية وغير المُعدية ، واستخدموا ما أتيح لهم من إمكانات في تلك الفترة ، واستعانوا بالأطباء ، وتعرفوا على بعض خصائص النباتات والأعشاب واجتهدوا في تركيبتها وتوظيفها لمواجهة بعض الأمراض ، فقد روى عبدالله بن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : " الشفاء في ثلاثة : شرطة محجم أو شربة عسل أو كية بنار، وأنا أنهى أمتي عن الكي " [1] . وهذه كلها متاحة للمجتمع المسلم خلال القرون الثلاثة الأول للتداوي مما انتشر من الأوبئة والأمراض .

" لقد ركز الأطباء في تلك الفترة على أهمية الصحة العامة للإنسان وقالوا : إن حفظ الصحة أهم من معالجة المرض ، ومما يذكر للحارث بن كلدة طبيب العرب قوله : " الحمية رأس الدواء ، والمعدة بيت الداء ، وعَوّدُوا كل جسم ما اعتاد " [2] .

كما قَدَّم الأطباء أساليب علمية في الوقاية من المرض – مسترشدين بالكم الهائل من التوجيهات النبوية في هذا الشأن – سواء كان ذلك على مستوى الفرد أو المجتمع " [3]، ومن هذه الأساليب والتوصيات ما يلي :

---

(1) البخاري ، صحيح البخاري ، ج ٤ ص ٣٤ ورقم الحديث ٥٦٨١ .

(2) ابن قيم الجوزية ، زاد المعاد في هدي خير العباد ، ج ٤ ص ٩٦ .

(3) عادل البكري، الطب الوقائي عند العرب،ص ٧٠٨، بحوث الندوة القطرية الخامسة لتاريخ العلوم عند العرب، ط.، ١٩٨٩ م ، مركز إحياء التراث العربي، جامعة بغداد ، مطبعة الرشاد ببغداد .

أولاً : **صحة الفرد** :

وضعوا أسساً للصحة البدنية تعتمد على صحة الهواء الذي يتنفسه الإنسان، والاهتمام بالطعام والشراب والحركة والسكون والنوم واليقظة واحتباس الفضلات الجسمية وتعديل الأعراض النفسانية أو ما يتعلق بصحة النفس . ومن أهم متطلبات الصحة نظافة أعضاء الجسم كاليدين والوجه والفم والأنف والأذنين والقدمين والاستحمام ، وتنظيف الأسنان . والعناية بالعين والسمع وأوقات الطعام وعدم التخمة وقالوا بضرورة إجراء الحركات الرياضية، واعتنوا أيضاً بصحة المرأة وفصّلوا تفصيلات دقيقة عن الحيض والحمل والولادة، والعناية بصحة الطفل من رضاعة وغذاء وغيرها [١] .

ثانياً : **الصحة العامة أو صحة المجتمع** :

كالمحافظة على الطرقات والأسواق والحمامات ، ومنع المجذومين من دخول الأماكن العامة خوفاً من العدوى، وأوجدوا نظام الحسبة لغرض رقابة أصحاب المهن المختلفة ومن جملتها المهن الغذائية وحوانيت الأطعمة [٢] .

ثالثاً : **الوقاية من الأوبئة والأمراض السارية** :

وهي الإجراءات الوقائية ضد الأوبئة والأمراض السارية كالطاعون، والجدري، والجذام ، ومن أهمها الحجر الصحي، وهو عزل المرضى ومنع اختلاطهم بالأصحاء، وكذلك ابتعاد الأصحاء عن مصادر العدوى ، وغيرها من الأساليب التي تحمي بإذن الله من العدوى بالمرض"[٣] .

لقد اعتنى أهل الشام بمياه الشرب وحرصوا على نظافتها ونقائها ، فقد اتخذوا الصهاريج والأحواض الكبيرة لخزن المياه ، فقد كان أهل حلب يتخذون الصهاريج لجمع مياه الأمطار واستخدامها في الشرب ، فكانت صافية باردة ، وهم لا يستخدمون الثلج لاعتدال مناخها صيفاً وشتاءً [٤]، كذلك مر معنا أن ناصر خسرو رأى في رحلته إلى بيت

---

(1) عادل البكري ، الطب الوقائي عند العرب ، ص ٧٠٨ – ٧١٢ (بتصرف) .

(2) عادل البكري ، المصدر السابق ، ص ٧١٢ .

(3) عادل البكري ، المصدر السابق، ص ٧١٤ – ٧١٦ .

(4) ناصر الحازمي ، الحركة العلمية الطبية في بلاد الشام ، ص ١٠٩ .

المقدس في أرض المسجد الأقصى أحواضاً وصهاريج كبيرة [1]، وقد ثقبت هذه الأحواض ليخرج منها الماء ويصب بواسطة قنوات بينها غير ملوث أو عفن .

لقد أدرك أبناء المجتمع الإسلامي الأول ،أنه لا يستطيع أي أحد كان أن يدفع الضر عنهم غير الله، فحرصوا عند وقوع الكوارث بمراجعة أنفسهم أولاً ، لإصلاح ما بينهم وبين الله، فاظهروا التوبة والتذلل لله، ولزموا الدعاء ، وخرجوا في مواكب إيمانية مستعرضين ضعفهم وعجزهم أمام الله، وهذا لم يكن ديدن القرون الثلاثة الأول فقط ، بل استمر هذا حتى في العصور الإسلامية الوسطى، ومن ذلك ما نقله لنا ابن بطوطة وهو يستعرض مظهراً من مظاهر أدوار المجتمع في مواجهة الطاعون، ويصور لنا واقعاً ملموساً وقع سنة ٧٤٩ هـ فيقول :

" شاهدت أيام الطاعون الأعظم بدمشق في أواخر شهر ربيع الثاني سنة تسع وأربعين من تعظيم أهل دمشق لهذا المسجد – الجامع الأموي – ما يعجب منه وهو أن ملك الأمراء نايب السلطان أرغون شاه أمر منادياً ينادي بدمشق أن يصوم الناس ثلاثة أيام ولا يطبخ أحد بالسوق ما يؤكل نهاراً وأكثر الناس بها إنما يأكلون الطعام الذي يصنع بالسوق ، فصام الناس ثلاثة أيام متوالية كان آخرها يوم الخميس ثم اجتمع الأمراء والشرفاء والقضاة وساير الطبقات على اختلافهم في الجامع حتى غص بهم وباتوا ليلة الجمعة ما بين مصلٍ وذاكر وداعٍ ثم صلوا الصبح وخرجوا جميعاً على أقدامهم وبأيديهم المصاحف والأمراء حفاه وخرج جميع أهل البلد ذكوراً وإناثاً وصغاراً وكباراً وخرج اليهود بتوراتهم والنصارى بإنجيلهم ومعهم النساء والولدان وجميعهم باكون متضرعون متوسلون إلى الله بكتبه وأنبيائه، وقصدوا مسجد الأقدام[2] وأقاموا به في تضرعهم إلى قرب الزوال وعادوا إلى البلد فصلوا الجمعة، وخفف الله تعالى عنهم، فانتهى عدد الموتى إلى ألفين في اليوم الواحد وقد انتهى بالقاهرة ومصر إلى أربعة وعشرين ألفاً في يوم واحد " [3] .

---

(1) سفر نامه ، ص ٦٣ . كانت رحلته في القرن الخامس الهجري .

(2) مسجد الأقدام : من مشاهد دمشق الشهيرة البركة، وهو في قبلي دمشق على ميلين منها على قارعة الطريق الأعظم، الآخذ إلى الحجاز الشريف والبيت المقدس وديار مصر، وهو مسجد عظيم كثير البركة ، ويعظمه اهل دمشق تعظيماً شديداً. والأقدام التي ينسب إليها هي أقدام مصورة في حجر هناك ، يقال إنها أثرُ قدم موسى عليه السلام .انظر : ابن بطوطة ، تحفة االنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ،ج ١ ص ٣٢٥، تحقيق عبدالهادي التازي ، ط.، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م ، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية.

(3) ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ج ١ ص ٣٢٥ – ٣٢٦ .

لقد واجه المجتمع المسلم الأوبئة والطواعين في تلك الفترة بما يستطيع وفق ما أتيح له من إمكانات ، وما حرصهم على تطبيق التعليمات الصادرة من القيادات السياسية في تلك الفترة إلا تعبيراً واضحاً منهم على حرصهم على مدافعة هذه الأمراض والطواعين، فقد رأينا كيف استجاب الصحابة رضوان الله عليهم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه عند وصوله إلى سرغ وعلمه باشتعال الطاعون في بلاد الشام ، وما جرى بينه وبينهم من مشاورات، أدت في النهاية إلى تغليب المصلحة ورأي الجماعة والعودة إلى المدينة وعدم المخاطرة بأرواح المسلمين.

وقصته رضي الله عنه مع المرأة المجذومة التي وجدها تطوف بالبيت العتيق ، وتوجيهه لها بالبقاء في بيتها حيث قال لها: " يا أمة الله لا تؤذي الناس لو جلست في بيتك فجلست ، فمر بها رجل بعد ذلك فقال لها: إن الذي كان قد نهاك قد مات فاخرجي فقالت: ما كنت لأطيعه حياً وأعصيه ميتاً " [1] . فاستجابة أبناء المجتمع المسلم لهذه التوجيهات الصادرة من السلطات دليل واضح على رغبة المجتمع في تجنيب أنفسهم والآخرين الضرر .

وكذلك استجابة أصحاب الأمراض المعدية في عهد الوليد بن عبدالملك وبقاؤهم في المستشفيات المخصصة لهم، والتزامهم الحجر الصحي، دليل واضح على تقبلهم لهذه التعليمات، التي بدورها تحافظ على المجتمع وتحميه بإذن الله من انتشار الأمراض .

كذلك حرص الناس في تلك الفترة على وضع أجراس في رقاب المرضى المجذومين ليتبين للناس أنهم مصابون بأمراض معدية فينفروا منهم، هذا الإجراء يدل عليه قصة سليمان بن عبدالملك معهم، عند انصرافه من مكة إلى بيت المقدس فطاف المجذمون بمنزله فضربوا بأجراسهم ثم أمر بنفيهم إلى قرية معتزلة [2] .

وما عرف عن أهل الشام أثناء ظهور الطواعين وخروجهم إلى البادية بحثاً عن الهواء النقي، وهم في ذلك يقتدون بالخلفاء الأمويين، فهذا مظهر من مظاهر حرص المجتمع على تجنيب أنفسهم الأوبئة والطواعين .

كما أنه من المشهور في الشام حمامات طبرية وعيونها الحارة والتي يقصدها الناس للاغتسال منها لما عرف عنها بعد إذن الله من فوائد جمة للمرضى ، فالمقدسي يذكر أنه :

---

(1) ابن عبدالبر ، الاستذكار ، ج ١٣ ص ٣٥٥ .
(2) اليعقوبي ، تاريخه، ج٢ ص ٢٩٨. وشاكر مصطفى، جنوب بلاد الشام في العصر العباسي، ص١٠٢ . فتوح البلدان ، ص ١٦٧ .

"فيها ماء مسخن يسمى الحمة حار من اغتسل فيه ثلاثة أيام ثم اغتسل في ماء آخر بارد وبه جرب أو قروح أو ناسورة أو أي علة تكون برأ بإذن الله ، وسمعت الطبرانيين يذكرون أنه كان عليها بما يدور بيوت كل بيت لعلة فكل من به تلك العلة واغتسل فيه برأ .. " كما يذكر بحيرة صغر [1] وأن لها موسماً في شهر آب يذهب إليها أصحاب العلل ، لأنه من احتقن من مائها شفي من علل كثيرة " [2] . ويؤكد هذا القرماني عند حديثه عن طبرية فيقول : "وفي أعمال طبرية موضع يقال له الحسينية وفيها هيكل يخرج الماء من صدره ، وقد كان يخرج من اثنتي عشرة عيناً كل عين مخصوصة بمرض من الأمراض إذا اغتسل منها صاحب ذلك المرض عوفي بإذن الله تعالى " [3] .

كما قدم أئمة الطب المتقدمين النصائح لأبناء المجتمع ، فقد ذكر بعضهم : " من أراد عافية الجسم ،فليقلل من الطعام والشراب ، ومن أراد عافية القلب ، فليترك الآثام " [4] .

ثانياً : الزلازل :

هي من أشد الكوارث ضرراً بالناس ، ولها آثارها النفسية والمادية ، ولهذا فالناس فيها يصابون بشي من الذهول عند وقوعها ، ومما يزيد من خطورة الموقف ضعف الإمكانات المتاحة ، والتي لم تكن بالشكل الذي يمكنهم من مواجهتها بالشكل المناسب ، ومع ذلك فقد اجتهدوا بقدر المستطاع للتخفيف من آثارها ولجؤوا إلى أساليب بسيطة تعبر عن خوفهم وقلقهم من مثل هذه الحوادث .

أما قلوبهم فقد كانت عامرة بالإيمان بالله والخوف منه سبحانه وتعالى ، ويدل على ذلك ما قام به الخليفة عمر بن عبدالعزيز عند حدوث الزلازل في خلافته، فقد كتب إلى الأمصار وواعدهم يوماً بعينه، ثم خرج بنفسه رضي الله عنه في ذلك اليوم وخرج معه الناس، فدعا عمر وتضرع فسكنت الزلازل ببركته [5] .

---

(1) صغر : وتسمى زغر وهي قرية بمشارف الشام ، وقيل زغر اسم بنت لوط عليه السلام ، وهي في طرف البحيرة المنتنة في واد هناك ، بينها وبين بيت المقدس ثلاثة أيام – قديماً – وهي من ناحية الحجاز . الحموي ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٤٧٦ – ٤٧٧ .

(2) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ١٨٥ .

(3) أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ ، ج ٣ ص ٤١٠ (بتصرف) .

(4) ابن قيم الجوزية ، الطب النبوي ، ص ١١٨ .

(5) ابن تغري ، النجوم الزاهرة ، ج ١ ص ٣١٠ .

وفي عام ١٣٠ هـ حدثت زلازل شديدة بالشام وأخربت بيت المقدس، فخرج أهل الشام إلى البرية وأقاموا أربعين يوماً على ذلك [١]. والهدف من خروجهم إلى البرية حماية أنفسهم من سقوط أسقف المنازل على رؤوسهم حال حدوث الزلزلة، كما أن مدة بقائهم في البرية يعتمد على الهزات التتابعية للزلزلة الرئيسية [٢].

وفي سنة ٢٣٣ هـ ضربت الشام زلازل تعتبر من أقوى الزلازل التي أصابت بلاد الشام، وقد اشتدت وعظم تأثيرها في دمشق والغوطة والبلقاء وأنطاكية ، فهرب الناس بالنساء والصبيان وهرب أهل الأسواق إلى مصلى العيد يبكون ويتضرعون ويصلون ويستغفرون إلى وقت المغرب ثم سكن ذلك فرجعوا فأخذوا في إخراج الموتى من تحت الهدم [٣] .

ونلحظ هنا أن السكان سارعوا بالهروب بالنساء والأطفال من مكان الزلزلة أو على أقل الأحوال من الأماكن الخطرة التي يتوقع منها سقوط الأشياء على رؤوس الناس — يسمى حالياً إخلاء المنطقة المنكوبة – ، كما أنهم فزعوا إلى الله، وهذا ما ينبغي على المسلم حال حدوث الملمات والمصائب ؛ فإن الإنسان يشعر بضعفه وحاجته إلى الله ، فسارعوا بالتضرع والصلاة والدعاء والاستغفار ، قال تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ ﴾ سورة الطلاق ، وبعد أن هدأت الزلازل عادوا ليقوموا بواجبهم تجاه من مات من إخوانهم .

---

(1) ابن تغري ، المصدر السابق ، ج ١ ص ٣٩٤ .

(2) لكل زلزال رئيسي هزات تتابعية تسمى (توابع) .

(3) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ١٠ ص ١٨١ .

أهم الخطوات التي كان أبناء المجتمع يقومون بها عند حدوث الزلازل :

- الهروب من الموقع الأكثر تضرراً بالزلازل وحمل الأطفال والنساء إلى الأماكن الأكثر أماناً لهم .

- المسارعة إلى الخروج إلى الصحراء باعتبارها أماكن أمنه ولا يخشى عليهم من سقوط الأشياء الثقيلة على رؤوسهم .

- التذلل لله والصلاة والاستغفار والدعاء بأن يرفع عنهم هذه الكارثة .

- التقرب إلى الله بالصدقة ، فالصدقة لها أثره بإذن الله في دفع الضرر عن المسلمين ، فعن عبدالله بن عباس رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : " عليكم باصطناع المعروف ، فإنه يمنع مصارع السوء ، و عليكم بصدقة السر ، فإنها تطفئ غضب الرب عز و جل " صححه الألباني [1] .

- بعد نهاية الزلزلة يقومون بإخراج الموتى ودفنهم ، والبحث عن الجرحى والمصابين .

ومن الجهود الدالة على تعاون وتعاضد المجتمع حال حدوث الكوارث ، ما ذكر أن إبراهيم بن أدهم[2] أنفق عشرة آلاف درهم لتقويم حائط في عسقلان كان قد تشعث [3] . وإن كانت هذه الجهود فردية وبسيطة ولا ترتقي إلى جهود منظمة للتجار والأعيان؛ فإن سبب عدم رصد مثل هذه الجهود والمبادرات وغيرها من فئة التجار والأغنياء والأعيان في التخفيف من آثار الكوارث ، إنشغال المؤرخين كما ذكرنا سلفاً بالجوانب السياسية خلال تلك الفترة ،وإلا فإنه لا يعقل أنهم كانوا في موقف المتفرج خاصةً إذا ما علمنا بحرص أهل تلك القرون المفضلة في تلك الفترة على تقديم المعروف رغبة فيما عند الله من الأجر، وإدراكهم لفضل تفريج الكرب على المسلمين خاصة في زمن الملمات والمصائب، قال ﷺ " من نفس عن مؤمن كربة من

---

(1) الألباني ، صحيح الجامع ، رقم الحديث ٤٠٥٢ .

(2) إبراهيم بن أدهم بن منصور التميمي الزاهد ، أصله من بلخ وسكن الشام ودخل دمشق ، قال عنه أبو اسحاق ، كان ثقة مأموناً أحد الزهاد وكان من أبناء الملوك ، ويأكل من عمل يده ، توفي سنة ١٦١ هـ . للاستزادة انظر : بدران ، التهذيب ، ج ٢ ص ١٧٠ – ١٩٩ . وابن كثير يذكر أن وفاته سنة١٦٢ هـ ، البداية والنهاية ، ج ١٠ ص ١٤٥ .

(3) بدران ، تهذيب تاريخ مدينة دمشق ، ج ٢ ص ١٨٦ .

كرب الدنيا ، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة . ومن يسر على معسر ، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة . ومن ستر مسلماً ، ستره الله في الدنيا والآخرة . والله في عون العبد ما كـان العبد في عون أخيه ... " [1] .

ثالثاً :القحط وغلاء الأسعار والظواهر الأخرى :

واجه المجتمع الإسلامي القحط بالـصلاة والاستغفار والـصدقة، امتثـالاً لمـا جـاء في الشريعة الإسلامية من حث على لزوم هذه الطاعات والتقرب بهـا إلى الله ، في حـال الجـدب والقحط قال تعـالى : ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ ﴾ سورة نوح .

لقد كانت صلاة الاستسقاء مظهر مألوف عند أبناء المجتمع الإسلامي في تلك الفـترة سواءً في الشام أو في أي بقعة من بقاع الدولة الإسلامية ، يذكر ابـن كـثير : " أن موسـى بـن نصير استسقى بالناس في سنة ثلاث وتسعين حين أقحطوا بأفريقية فأمرهم بصيام ثلاثة أيام قبل الاستسقاء ، ثم خرج بين الناس وميـز أهـل الذمـة عـن المـسلمين ، وفـرق بـين البهـائم وأولادها ، ثم أمر بارتفاع الضجيج والبكاء ، وهو يدعو الله تعالى حتى انتصف النهـار ، ثـم نـزل فسقاهم الله " [2] .

وقد مر معنا كيـف تعامـل المـسلمون مـع مـا أصـابهم في عـام الرمـادة ، لقـد كانـت تشريعات الإسلام حاضرة في نفوس الناس ، فهم يعيشون الجـسد الواحـد ، غنـيهم يعطـف على فقيرهم ، والزكاة مطبقة والصدقات نافذة ، والناس حريصون علـى فعـل الخـير ، هـذا التكافل الاجتماعي بين الناس كان من أهم خطوط المواجهـة أمام الكوارث والملمات والمصائب .

يذكر البلاذري : " موقفاً لأهل بالس عندما توجّه مسلمة بن عبدالملك لغـزو الـروم مـن نحـو الثغور الجزرية عسكر فيها فأتاه أهلها وأهل بولس وقاصرين وعابدين وصفين ، وهـي قـرى منسوبة إليها، فأتاه أهل الحد الأعلى فسألوه جميعاً أن يحفر لهم نهـراً مـن الفـرات يـسقي

---

(1) مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، ج ٤ ص ٢٠٧٤ .
(2) البداية والنهاية ، ج ٩ ص ١٨١ .

أرضهم على أن يجعلوا له الثلث من غلاتهم بعد عشر السلطان الذي كان يأخذه ففعل فحفر النهر المعروف بنهر مسلمة ووفوا له بالشرط ورم سور المدينة وأحكمه " [1] .

ومما شاع عند أهل الشام في زراعة الأراضي طريقة تبوير قسم من الأرض وزراعة قسم آخر ، فيقسمون الأرض إلى قسمين : يزرعون الأول في السنة الأولى ويتركون القسم الآخر بوراً ، وفي السنة الثانية يزرعون القسم الثاني ويتركون القسم الأول وهكذا ، وتشيع طريقة التبوير حيث تقل الأمطار [2] .

وعندما اشتكى أهل طرسوس من بقاء ابن طولون بجيشه وارتفاع الأسعار وقالو له : قد ضيقت بلدنا وأغليت أسعارنا فإما أقمت في عدد يسير وإما ارتحلت عنا وأغلظوا له في القول وشغبوا عليه، فعاد منها إلى الشام [3] ، وفي هذا الموقف الذي يجمع بين حرص المجتمع ممثلاً في أهالي طرسوس على توازن الأسعار عندهم ، وبين الحاكم الواعي والحريص أيضاً على الاستجابة لهذه الطلبات المنطقية وهي تدل على حنكة وبعد نظر للقائد ابن طولون .

كما قام ابن طولون بإجراءات كثيرة لإنعاش الأحوال الاقتصادية ، وكان أهمها العناية بالزراعة وحماية الفلاح، والمنتج،وتقديم البذور والقروض للفلاحين وخاصة في دمشق والثغور،مما ساهم في خفض سعر القمح ،واصبحت العشرة أرادب [4] تباع بدينار واحد فقط[5].

ومر معنا الدور الذي قام به درواس بن حبيب عندما قحطت البلاد في عهد الخليفة هشام بن عبدالملك ، ووصوله إلى الخليفة وتقديمه وصفاً بليغاً عن وضع البلاد وحاجة الناس

---

(1) فتوح البلدان ، ص ١٥٥ – ١٥٦ . وكذلك الحموي ، معجم البلدان ، ج ٢ ص ٢٦٢ .

(2) هذه الطريقة ذكرها الماوردي ، في كتابه الأحكام السلطانية والولايات الدينية، فصل الخراج ، ص ١٧٢ . ومحمد محفل، ملامح من تاريخ الفلاحين في الوطن العربي ونضالهم في القطر السوري (العصر الراشدي والأموي) ، ج٢ ص ٨٥ .

(3) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، ج ٦ ص ٣٤ ، وابن الوردي ، تاريخه ، ج ١ ص ٢٢٩ .

(4) الأردب : مكيال ضخم لأهل مصر ؛ قيل : يضم أربعة وعشرين صاعاً . ابن منظور ، لسان العرب، ج ٦ ص١٣١ .

(5) انظر : محمد زيود ، حالة بلاد الشام الاقتصادية ، ص ١٠٩ (بتصرف) .

في تلك السنة [1] . وهذا دور رائع لأحد أفراد المجتمع في رفع وضع البلاد إلى الخليفة وقد تجاوب معه الخليفة وأعجب بكلامه .

ويذكر صاحب كتاب العقد الفريد قصة تدل على أن أبناء المجتمع الإسلامي في تلك الفترة كانوا حريصين على عرض همومهم ومشكلاتهم على الخلفاء ، وهم بذلك يسعون إلى حلها بكل ما يملكون من وسائل .ومن ذلك ما عرضه محمد بن ابي الجهم على الخليفة هشام بن عبدالملك ، حيث قال: إن لي حوائج، أفأذكرها ؟ قال: هاتها. قال: كبر سني، ونال الدهر مني، فإن رأى أمير المؤمنين أن يجبر كسري، وينفي فقري، فعل. قال: وما الذي ينفي فقرك، ويجبر كسرك؟ قال: ألف دينار وألف دينار وألف دينار. قال: فأطرق هشام طويلا ثم قال: يا بن أبي الجهم، بيت المال لا يحتمل ما ذكرت، ثم قال له: هيه. قال: ما هيه؟ أما والله إن الأمر لواحد، ولكن الله آثرك بمجلسك، فإن تعطنا فحقنا أديت، وإن تمنعنا فنسأل الله الذي بيده ما حويت. يا أمير المؤمنين، إن الله جعل العطاء محبة، والمنع مبغضة. والله لأن احبك أحب إلي من أن أبغضك. قال: فألف دينار لماذا؟ قال: أقضي بها ديناً قد حان قضاؤه، وقد عناني حمله، وأضر بي أهله. قال: فلا بأس، ننفس كربة، ونؤدي أمانة. وألف دينار لماذا؟ قال: أزوج بها من بلغ من ولدي. قال: نعم المسلك سلكت، أغضضت بصراً، وأعففت ذكراً، وأمرت نسلاً. وألف دينار لماذا؟ قال: أشتري بها أرضا يعيش بها ولدي، وأستعين بفضلها على نوائب دهري، وتكون ذخراً لمن بعدي. قال: فإنا قد أمرنا لك بما سألت. قال: فالمحمود الله على ذلك، وخرج. فأتبعه هشام بصره، وقال: إذا كان القرشي فليكن مثل هذا، ما رأيت رجلا أوجز في مقال ولا أبلغ في بيان منه. ثم قال: أما والله إنا لنعرف الحق إذا نزل، ونكره الإسراف والبخل، وما نعطي تبذيراً، ولا نمنع تقتيراً، وما نحن إلا خزان الله في بلاده، وأمناؤه على عباده، فإذا أذن أعطينا، وإذا منع أبينا؛ ولو كان كل قائل يصدق، وكل سائل يستحق ، ما جبهنا قائلاً، ولا رددنا سائلا. ونسأل الذي بيده ما استحفظنا أن يجريه على أيدينا. فإنه يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، إنه بعباده خبيرٌ بصير [2].

---

(1) القرماني،أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ ، ج ٢ ص ٤٨ – ٤٩ .

(2) ابن عبدربه الأندلسي ، ج ٥ ص ١٧٨ – ١٧٩ (بتصرف) .

" وكان أهالي دمشق يهتمون بالفقراء وحاجة الجند ، وينفقون أموالهم في هذه السبل، فقد ذُكر أن عبيدة بن المهاجر [1] من أهل دمشق ، كانت يتصدق بماله على الفقراء ، حتى لم يبق من ثروته إلا قدر كفن " [2] .

كذلك الرحيل من مكان الجفاف والقحط إلى المناطق الخصبة كان من ضمن الحلول التي يلجأ إليها الناس في مواجهة مواسم القحط والجفاف ، وهذا دارج عند الناس قديماً وحديثاً لمن يقوم نشاطه على الزراعة وتربية المواشي ، وقد ساعد العرب نبوغهم في علم النجوم وطوالعها ومعرفة المواسم ، فأعدوا العدة بقدر إمكاناتهم لمواجهة القحط والتقلبات المناخية .

كما أن أفراد المجتمع كانوا يستعدون لتقلبات المناخ والتغيرات الجوية بطريقة البناء ، واستخدام ما يمكن من الأدوات التي تجعلها أكثر مقاومة لهذه التغيرات والتقلبات المناخية، ومما يدل على ذلك أن عبدالملك بن مروان لما أراد عمارة بيت المقدس، وعندما فرغ من القبة عمل لها جلالين أحدهما من اليود الأحمر للشتاء، وآخر من أدم للصيف [3] ... وهذا لا شك فيه دلالة على أن وضع هذا الجانب المهم في الاعتبار عند البناء، يعد من الوسائل والأساليب المستخدمة عند الناس لمواجهة هذه التغيرات .

كذلك استعمالهم مصدات للرياح عن المزارع والبساتين، وذلك بزرع الأشجار الطويلة المحيطة بالبستان كأشجار الدلب والسرو والصنوبر وغيرها، وكذلك طريقة تغطية أشجار النارنج وأشجار الموز والبرتقال لحمايتها من البرودة الوافدة [4] .

ومن الظواهر الأخرى والتي كان للمجتمع المسلم في تلك الفترة دور في مواجهتها أو التخفيف من الفزع المصاحب لها، ظاهرة الكسوف والخسوف، وما أن تحدث حتى يفزع الناس ويستنفر الجميع لأداء الصلاة والتضرع إلى الله بالدعاء لانجلاء هذه الظاهرة كإجراء

---

(1) هو أبو عبد الرب واسمه عبيدة بن المهاجر ، كان أكثر أهل دمشق مالاً ، ذكره ابن الجوزي من ضمن المصطفين من أهل الشام من الطبقة الرابعة من التابعين . ابن الجوزي ، صفة الصفوة ، ج ٢ ص ٣٧٧ .

(2) ابن الجوزي ، صفة الصفوة ، ج ٢ ص ٣٧٧ – ٣٧٨ . وسارة الدوسري ، الحياةالاقتصادية في بلاد الشام في العصر العباسي ، ص ٢٧١ .

(3) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٨ ص ٢٦٥ .

(4) محمد زيود ، حالة بلاد الشام الاقتصادية ، ص ١٠٨ .

ديني يبعث نوعاً من الاطمئنان النفسي لتسكين الهلع حسب الاعتقاد المنسجم مع مرجعية الأمة الدينية .

كذلك كان أفراد المجتمع يسارعون إلى اللجوء إلى الله عند ظهور ما يريبهم ويخيفهم ومن ذلك أنه لما : " ظهرت بمصر حمرة في الأفق ، حتى كان الرجل ، ينظر إلى وجه صاحبه، فيراه أحمر اللون جداً، وكذلك الجدران . فمكثوا كذلك، من العصر إلى الليل، ثم خرجوا إلى الصحراء، يدعون الله، ويتضرعون ، حتى كشف عنهم [1] .

رابعًا / الآفات الزراعية :

أ/ الجراد : يذكر القزويني من أساليب مقاومة الجراد أنه : " إذا رأيت الجراد مقبلاً نحو القرية فليتوار أهلها عنها بحيث لا يظهر أحد منهم، فإذا لم تر الناس جاوزت القرية ولم يقع بها شيء منها ، وإذا أحرقت شيئا منها فان البقية تعدل عن القرية إذا شمت قيادها أو تسقط وتموت " [2] .

ويقدم ابن قتيبة وصفة لمقاومة الجراد فيقول : " والجراد إذا طلع فعمد إلى الترمس والحنظل فطبخا بماء ثم نضح ذلك الماء على زرع تنكبه الجراد ، وإذا زرع خردل في نواحي زرع نجا من الدبى " [3] .

كما يورد الدكتور كارم السيد غنيم جهود أفراد المجتمع ودورهم في وضع حلول لمواجهة أسراب الجراد ، خاصةً بعدما لاحظ أن جموع أسراب الجراد تبدأ في الزحف والسير اليومي بعد ارتفاع درجة الحرارة في فترة الضحى وما يليها .

ومن هنا حاول الإنسان الاستفادة من هذا السلوك اليومي ففكر في بعض الأساليب في مقاومة الجراد ومنها :

---

(1) ابن كثير ، المصدر السابق ، ج ١١ ص ٨١ .

(2) عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ، ص ٣٤٥، ط ١ ، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م ، دار الشرق العربي ، لبنان – بيروت .

(3) عيون الأخبار ،ج ٢ ص١١٦. وناصر الدين الأسد ، الجراد في التراث العربي، ص ٢٦، ط ١ ، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، دار الفتح للدراسات، عمان – الأردن. والدبى، صغار الجراد .

- " كانوا يحفرون خنادق في طريق هذا الزحف عرضياً فتسقط جموع الحوريات السائرة وعندها يشعلون النار فيها سريعاً .

- كما قام البعض بعمل زحافات تجرها الخيول أو الرجال والنساء والأطفال لتسير في اتجاه مضاد لاتجاه سير وزحف جموع الجراد على الأرض ، وبالتالي تمتلئ هذه الزحافات بأفراد هذه الآفة وبعدها يقوم الإنسان بحرقها والتخلص منها .

- وبعضهم يقوم بتفريق أسراب الجراد المهاجِمَة باستخدام الطبول ووسائل الإزعاج المختلفة بقصد طردها وتغيير اتجاه طيرانها بعيداً عن المزروعات .

- كما استخدموا إجراء آخر وهو إلقاء كور النار على أسراب الجراد وإحراقها بالمشاعل" [1] .

ولمواجهة الآفات الأخرى كالفأر والنمل وغيرها حرص المجتمع إلى تركيبات معينة من الأعشاب وغيرها، وذلك لمواجهة هذه الحشرات ومنعها من مهاجمة الغلات الزراعية ، ومن هذا ما ذكره ابن قتيبة حيث يقول: " وإذا أُخذ المرداسنج [٢] فعجن بعجين ثم طرح للفأر فأكلته ماتت منه، وإذا أُخذ الأفيون والشونيز [٣] والبارزذ [٤] وقرن الأُيل[٥] وبابونج[٦] وظلف من أظلاف المعز فخُلط ذلك جميعاً ثم دق وعجن بخل عتيق ثم قطع قطعاً فدخّن بقطعة منه نفرت لذلك النمل ، والنمل تهرب من دخان أصول الحنظل . وإن عمد إلى كبريت وسذاب [٧] وخربق[٨] فدق ذلك جميعاً وطرح في قرية النمل قتلها ومنع ظهورهن من ذلك

---

(1) الجراد في القرآن الكريم والعلم الحديث ، ص ١٧٢

(2) المُرداسنج : معرب سنك ومعناه الحجر الخبيث . حاشية ص ١١٦ من كتاب ابن قتيبة ، عيون الأخبار ج٢.

(3) الشونيز : الحبة السوداء . حاشية ص ١١٦ من كتاب ابن قتيبة ، عيون الأخبار ج ٢ .

(4) البارزذ : صمغ نبات يشبه القنا في شكله وينبت في أرض سورية ، وهو من النباتات النافعة لأمراض عدة . حاشية ص ١١٦ من كتاب ابن قتيبة ، عيون الأخبار ج ٢ .

(5) قرن الأيل : نوع من النباتات المجففة وهو بارد ويابس، له فوائد متعددة، الملك المظفر الرسولي، المعتمد في الأدوية ، ص ٣٥٠ .

(6) البابونج : نبات عشبي، وهو ثلاثة أصناف والفرق بينها في لون الزهر فقط، الملك المظفر الرسولي ، المصدر السابق ، ص ١٨.

(7) سذاب : هو الفيجن وهو نبات عشبي ومنه بري ، ومنه بستاني ، له استخدامات طبية متعددة ، الملك المظفر الرسولي ، المصدر السابق ، ص ٢٠١ .

(8) خربق : نبات له ورق شبيه بورق لسان الحمل أو ورق السلق البري ، الملك المظفر الرسولي، المصدر السابق ، ص ١١٤ .

الموضع، والبعوض تهرب من دخان القلقديس [١] إذا دخن به ومعه حب السوس [٢] ، وتهرب من دخان الكبريت والعلك " [٣] .

كما يذكر لنا فالح حسين عند حديثه عن الحياة الزراعية في بلاد الشام في العصر الأموي جهود الفلاحين في مقاومة الآفات دوراً للفلاحين في تلك الفترة في مكافحة الحشرات الصغيرة والتي تتسبب في إتلاف المزروعات والمحاصيل فيقول : وحاولوا مكافحة الآفات الزراعية ، إذ قاوموا دودة خاصة تهاجم شجر العنب عندما تتكون العناقيد بواسطة مادة الحمرية حيث كانوا يدهنون سيقان الكروم لمنع الدود من الصعود للشجر ، وهي ما تسمى الآن بالتكليس .

فهذه من الجهود التي حرص أبناء المجتمع وخاصةً الفلاحين على تطبيقها وتنفيذها في مواجهة الآفات الزراعية، حفاظاً على منتوجاتهم ومزروعاتهم، وهي تدل على إنهم كانوا يقومون بجهود غير هذه؛ ولكنها لم تكن ضمن اهتمامات المؤرخين في تلك الفترة، كما أن حماية المزروعات وهي الدعامة الرئيسية في حياته ومعاشهم وغذائهم أمر ليس بمستغرب، بل متوقع ممن يعرف قيمة هذه المزروعات الغذائية ودورها في تأمين الغذاء في تلك العصور المتقدمة .

لقد كانت جهود الخلفاء والمجتمع في مواجهة الكوارث خلال القرون الثلاثة الأول تنطلق من منظور شرعي، ذلك وأن الناس في تلك الفترة كان يغلب عليهم التدين والتمسك بالشريعة الإسلامية وما فيها من تعليمات وتوجيهات .

وقد تنوعت أساليب المواجهة ما بين جهود شرعية كالتوبة، والصدقة، والاستغفار، والصلاة، والزكاة، والوعظ، والدعاء، والاستسقاء، والوقف الإسلامي .

---

(1) القلقديس : كلمة يونانية معربة معناها في الكيمياء الحديثة ، كبرتيات الحديد . وقيل معناها الصبغة السوداء لصانعي الأحذية . حاشية ص ١١٦ من كتاب ابن قتيبة ، عيون الأخبار ج ٢ .

(2) السوس : شجر في عروقه حلاوة وفي فروعه مرارة . حاشية صفحة ١١٦ من كتاب ابن قتيبة ، عيون الأخبار ج ٢ .

(3) ابن قتيبة ، عيون الأخبار ، ج ٢ ص ١١٦ .

وجهود سياسية ومنها : حضور الخليفة بنفسه إلى موقع الكارثة والإشراف على الجهود المبذولة في معالجة آثار الكارثة، أو طلب المساعدة من الآخرين، وإيقاف الحروب والحملات العسكرية. أو جهود اقتصادية كتقنين المصروفات وضبطها، وتوزيع المعونات المالية، وتوزيع وتقسيم المواريث . كما بذلت جهود اجتماعية، كنشر العدل والمساواة بين جميع أفراد المجتمع. وجهود طبية كالحجر الصحي ومنع التنقل حال انتشار المرض، ودعم الجوانب الطبية، وتوفير البيمارستانات وأماكن الحجر الصحي، والقيام على المرضى وغيرها .

الفصل الرابع : آثار الكوارث في بلاد الشام

المبحث الأول : الآثار السياسية والحربية

المبحث الثاني : الآثار الاقتصادية

المبحث الثالث : الآثار الاجتماعية

المبحث الرابع : الآثار العلمية

المبحث الخامس : الآثار العمرانية

الفصل الرابع

آثار الكوارث في بلاد الشام

تعرضت بلاد الشام في القرون الثلاثة الأُول لكوارث طبيعية وبشرية ، أثرت في البلاد والسكان تأثيرات متعددة ، وقتلت أعداداً كبيرة من سكانها ، وكان أخطرها الزلازل ، والأوبئة والطواعين، والقحط والمجاعات ، مع حدوث حوادث وأزمات أخرى كان لها تأثيرها في بلاد الشام ، وقد أدى ذلك إلى تدني الكثافة السكانية، مما أثر سياسياً وحضارياً، وامتد تأثيره لجميع النواحي الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية والعمرانية وغيرها . وسنناقش في هذا الفصل هذه الآثار بعد تقسيمه إلى خمسة مباحث :

المبحث الأول : **الآثار السياسية والحربية** :

أ / آثار الزلازل على الجوانب الحربية والسياسية :

لقد كان أكبر تأثير للزلازل على المباني العسكرية، هو تعرض القلاع والحصون والأسوار للتخريب والدمار ، ذلك أن هذه المواقع كانت تقوم بأدوار مهمة في الدفاع عن الدولة الإسلامية في حال الهجوم عليها ، كما كان لها دور لا يقل أهمية عن الأول وهو الإعداد للهجوم والتهيئة لذلك، لقد ألحقت بعض الزلازل أضراراً بالقلاع والحصون خلال القرون الثلاثة الأُول،إلا أن المصادر الإسلامية لم ترصد هذا بشكل دقيق ، فقد ذكروا الحدث دون الخوض في الآثار المترتبة عليه، علاوة على عدم اهتمامهم أصلاً بمثل هذه الأحداث وإن ذكرت فإنها تكون مختصرة .

ولقد ذكر مصطفى محمود عند حديثه عن زلزال سنة ٦٣٤ م أي سنة ١١ هـ ما نتج عن هذه الزلزلة في حلب من تحطيم للأسوار والقلاع [1] ، ولم يذكر أي تفصيلات أخرى .

وقد تخدم الزلازل طرفاً على حساب طرف آخر ، ولعل من ذلك ما نتج من آثار إيجابية للزلزلة التي حدثت سنة ١٥ هـ بحمص بالنسبة للمسلمين ضد عدوهم الروم حيث

---

(1) الزلازل ، ص ٨٩ .

أدت بفضل الله إلى تصدع المدينة وحيطانها ، وتهافتت دورهم فأشرفوا على الهلاك ، فضعفت قواهم وأجبروا على طلب الصلح [١] .

ومن الآثار أيضاً ، الخراب والتدمير الذي تعرضت له المنشآت العسكرية سنة ٤٣ هـ (٦٦٣ م) حيث تعرضت بلاد الشام إلى زلزلة، لم يصلنا من أخبارها غير أنها أدت إلى خراب في قلعة رعبان [٢]، والذي يبدو أنه كان محدوداً ، ولم تزودنا المصادر بتفصيلات أوسع في هذا الحدث ، فخراب هذه القلعة يؤثر بلا شك في الموقف العسكري والحربي واستعداد المسلمين لمواجهة عدوهم .

وفي سنة ٩٤ هـ حدثت الزلازل في عهد الخليفة الوليد بن عبدالملك، وقد أثرت في القلاع والحصون باعتبارها من الأبنية الشاهقة ، كما أن هذه الزلازل استمرت ٤٠ يوماً ، مما أثر في الوضع السياسي والحربي للدولة، خاصة في مدينة أنطاكية والتي تعتبر ذات موقع استراتيجي للدولة الأموية لقربها من الثغور، لكن مما خفف هذه الآثار أنها كانت محدودة ومركزة في هذه المدينة،كما أن الدولة الأموية كانت في هذه الفترة تعيش قوة وازدهاراً وانتصارات في المشرق الإسلامي زادت من مركزها السياسي والعسكري .

كذلك سنة ٩٨ هـ/ ٩٩هـ، زلزلت بلاد الشام في عهد الخليفة عمر بن عبدالعزيز، وكثرت الزلازل في الدنيا ودامت ستة أشهر ، وقيل عادت الزلازل أربعين يوماً وقيل ستة أشهر فهدمت القلاع والأماكن العالية، وذكر بعضهم أنها كانت في الشام والجزيرة سنة ٩٩هـ[٣]، وهنا نلحظ أن فترة بقائها طالت – على اختلاف بين المؤرخين — وقد تسببت في هدم القلاع والأماكن العالية، وهذا له تأثيراته الحربية، كما أن ترميمها وإصلاحها قد يتأخر بسبب تتابعها وامتدادها في منطقة واسعة نسبياً وصعوبة ووعورة الأماكن المتأثرة .

---

(1) الطبري ، تاريخه ، ج ٢ ص ٤٤٤ . وابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٤ ص ١٩٠ .

(2) خالد يونس الخالدي ، الزلازل في بلاد الشام ، ص ٧٠ .

(3) ابن الجوزي، المنتظم، ج ٧ ص ٢٩ . والأصفهاني، البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان، ص ١٣٢ . وابن تغري ، النجوم الزاهرة ، ج ١ ص ٣٠٢ . والسيوطي ، كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة، ص ١٦٧ . وابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٤ ص ٢٦٣ . ومصطفى محمود ، الزلازل ، ص ٥٨ .

ثم تتابعت الزلازل في بلاد الشام، وكانت على فترات متباعدة ، فقد زلزلت الشام في السنوات التالية ١٣٠هـ، ١٣٢هـ ،١٤٠ هـ ، ١٨٧هـ ، ٢١٩ هـ ،٢٢٠هـ – ولم تذكر المصادر لها أيّة تأثيرات عسكرية –، وقد يكون هذا نتيجة عدم اهتمام المؤرخين بهذا الجانب .

لكنها عاودت نشاطها في سنة ٢٣٢ هـ وسنة ٢٣٣ هـ فكانت زلازل شديدة في دمشق وحمص وأنطاكية والعواصم والغوطة والبلقاء ومات كثير من الخلق ولم تحدد المصادر عدد الموتى ولا المصابين ، والذي يظهر أن العدد كان كبيراً ، فقد دلت لغة وصيغة الخبر عند المؤرخين عند إيراد خبر الزلزلة على ذلك ، فبعضها كان يذكر عبارة : (ومات فيها خلق من الناس) [١]، وبعضها ذكر : (ومات جماعة تحت الردم) [٢] .

وفي سنة ٢٤٢ هـ أي بعد الزلازل التي أصابت بلدان مختلفة في هذه السنة ومن ضمنها الشام ، " خرجت الروم من ناحية شمشاط [٣] حتى قاربوا آمد ، ثم خرجوا من الثغور الجزرية ، فانتهبوا عدة قرى ، وأسروا نحواً من عشرة آلاف إنسان ، وكان دخولهم من ناحية أبريق ، قرية قربياس [٤].

وفي سنة ٢٤٥ هـ عمت الزلازل بلاد الشام كلها وتأثرت كثيراً اللاذقية وجبله ومات عالم من الناس واتصل ذلك شهوراً [٥] ، ويذكر الطبري أنه كانت في هذه السنة بأنطاكية زلزلة ورجفة في شوال قتلت خلقاً كثيراً وسقط منها ألف وخمسمائة دار وسقط من سورها نيف وتسعون برجاً [٦] . والعظيمي يذكر أنه ظهرت حمرة في السماء وزلزلت أنطاكية أربعة أشهر اتلفت خلقاً) [٧] .

---

(1) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ١٠ ص ١٧٦ .
(2) الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج ٥ ص ٧٤٤ . وابن تغري ، النجوم الزاهرة ، ج ٢ ص ٣١٩ .
(3) شمشاط : بكسر أوله مدينة بالروم على شاطىء الفرات ، وهي في الإقليم الخامس ، وهي غير سميساط وكلاهما على الفرات إلا أن هذه من أعمال الشام .
(4) الطبري ، تاريخه ، ج ٥ ص ٣٢٥ . ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٥ ص ٥٥٢ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٠ ص ٣٧٠ .
(5) اليعقوبي ، تاريخه ، ج ٢ ص ٤٩١ .
(6) تاريخ الطبري ، ج ٥ ص ٣٢٨ . وابن الجوزي ، المنتظم ، ج ١٠ ص ٣٢٨ . وابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٥ ص٥٥٨ . وابن العبري ، تاريخ الزمان ، ص ٤٠ . والقلقشندي ، مآثر الأنافة في معالم الخلافة ، ج ١ ص ٢٣٣ . ومصطفى محمود ، الزلازل ، ص ٦٥ . وابن واصل ، التاريخ الصالحي ، ج ١ ص ٤٣٣ .
(7) تاريخ حلب ، ص ٢٢٩ .

وعمت الزلازل بالس ، والرقة، وحران، ورأس عين ، وحمص ، ودمشق ، والرها، وطرسوس ، والمصيصة ، وأذنة ، وسواحل الشام ، واللاذقية ، فما بقي منها منزل ولا أفلت من أهلها إلا اليسير وذهبت جبلة بأهلها [١] .

ويشير معظم المؤرخين إلى أن هذه الزلازل أخربت القلاع والمدن والقناطر وأهلكت خلق عظيم تحت الردم ، ولم تورد المصادر إحصاءات دقيقة لعدد الوفيات والمصابين ، والذي يقرأ وصف المؤرخين لها يدرك حجم الكارثة وما نتجت عنها من تدمير وهلاك للناس والبنية التحتية من قناطر ومنازل وأسوار وقلاع وغيرها .

هذا أثر بشكل واضح في النواحي السياسية من عدة وجوه :

١ – أولها عدد الوفيات يبدو أنه كان كبيراً ، وهذا بدوره أدى إلى نقص في أعداد العسكريين والمشاركين في الفتوحات والصوائف والشواتي، كذلك تعرض مرافق الدولة الحيوية للشلل المفاجئ يجعلها تغير في سياستها من الهجومية إلى الدفاعية[٢] . أو في أقل الأحوال تعطي العدو فرصة كبيرة لمراجعة خططه الهجومية والدفاعية ،لإنشغالها بالوضع الداخلي وما آلت إليه الأمور ، وتتغير موازيين القوى، ومما يدل على استغلال الروم لهذا الحدث ما ذكره المؤرخين من أن الروم أغارت سنة ٢٤٥ هـ ، حيث يذكر الطبري : " أغارت الروم على سميساط [٣]، فقتلوا وسبوا نحواً من خمسمائة [٤]، وابن الأثير يذكر أنهم : أسروا خلقاً كثيراً [٥]. فقد يكون الدافع لمهاجمة الرومان لبلاد المسلمين ،تعرض البلاد الإسلامية لهذه الزلزلة وما نتج عنها من ضعف في القوى السياسية والعسكرية على حدٍ سواء .

ولقد تنبه لهذا الخليفة المتوكل على الله حيث يذكر البلاذري : أن أمير المؤمنين المتوكل على الله أمر سنة ٢٤٧ هـ بترتيب المراكب بعكا وجميع السواحل وشحنها

---

(1) الطبري ، تاريخه ، ج ٥ ص ٣٢٩ .

(2) ينبغي أن نلاحظ ان أن هذا الموقف لا نتوقع أنه استمر طويلاً ، إذ إنه في أعقاب معالجة الآثار التدميرية للزلازل عادت الخطط الهجومية من جديد .

(3) سميساط ، بضم أوله وفتح ثانية مدينة على شاطىء الفرات من غربيه في طرف بلاد الروم في شرقي جبل اللكام . الحموي ، معجم البلدان ، ج ٥ ص ٧٥ .

(4) الطبري ، تاريخه ، ج ٥ ص ٣٣١ . وابن الجوزي ، المنتظم ، ج ١١ ص ٣٣٠ .

(5) الكامل في التاريخ ، ج ٥ ص ٥٥٩ .

بالمقاتلة[١]، وهو بذلك يريد معالجة أثار الزلازل التي حدثت عام ٢٤٥ هـ ، حتى لا يقوى العدو على المسلمين ، ولا يتسرب الضعف إلى قلوب المسلمين .

٢ – استغلت القوى المعاصرة للمسلمين في تلك الفترة حوادث الزلازل سواءً كانت تلك القوى محلية فأثارت الفتن والقلاقل وأعلنت خروجها عن الطاعة [٢] واستنزف القضاء عليها جهداً مالياً وبدنياً كبيراً، أو كانت جهات خارجية، والتي كانت في وضع متربص دائم لتصيد الفرص ومهاجمة الطرف الثاني كعادة الأطراف المتعادية .

لقد كانت آثار الزلازل مؤثرة بدرجة كبيرة – بعد إذن الله – في هلاك كثير من الناس من جراء الهزات العنيفة ، مما أدى إلى تناقص الأعداد البشرية فأثر هذا في عدد السكان في الدولة وسياستها بشكل عام ، لأن موت الأفراد والذين يعتبرون نواة المجتمع[٣]، من أهم الآثار على موقف الدولة سياسياً وحربياً، لأن بموتهم يكون الأثر في ضعف الدولة واضح وكبير حال حدوث الزلزلة وما بعدها مباشرةً، ولم تزودنا المصادر المتقدمة بتفاصيل عن حجم هذه الآثار بشكل دقيق، ولم تحدد المصادر عدد الموتى ولا المصابين، ولعل المصادر أعرضت عن ذكر الأعداد لعدم وجود إحصاءات موثوقة عن عدد الموتى أو المصابين والذين عادةً يكون عددهم أكثر من عدد الموتى .

أما على جانب المباني والتجهيزات العسكرية ، فقد أدت الزلازل إلى :

- انهدام القلاع والأسوار والحصون [٤] .
- تأثر الطرقات والمسالك .

---

(1) فتوح البلدان ، ص ١٢٥ .

(2) مثل فرقة الخوارج والقرامطة وظهور العصبية القبلية بين اليمانيين والعدنانيين وغيرها من الثورات والفتن .

(3) اكتفت المصادر التاريخية بذكر وصف انطباعي عن عدد الموتى ولم تتعرض للجرحى والمصابين من تعرض للكسور والحرق في هذه الزلازل وفي غيرها من الكوارث .

(4) لم تلق المصادر أضواء على الآثار التي تعرضت لها القلاع وإصابتها من جراء الزلازل بشكل مفصل ودقيق، وقد يعود هذا إلى قلة عددها في تلك الفترة أو عدم اهتمام المسلمين بهذا الأسلوب العسكري أو انصراف المؤرخين إلى الأحداث السياسية بدرجة كبيرة .

- أحياناً ينتج عن الزلزلة حرائق تطال مستودعات المؤن والجيش فتتعرض المؤن والعتاد للحريق أو الخراب .

- تعرض المرافق الحيوية مثل: (القناطر، المزارع، الأنهار، العيون، المستودعات) في الدولة للخراب يؤثر في تجهيزات الجيش بصفة عامة، ويؤدي إلى قلة موارد الجيش من المياه والمؤن .

ب / آثار التغيرات المناخية على الجوانب السياسية والحربية :

كذلك كانت التغيرات المناخية والجوية حاضرة وذات تأثير واضح ، خاصةً وأن الوضع في تلك الفترة كان يعتمد على تحرك الناس بأنفسهم بدون وسائل أخرى، فالجيوش معظمها برية تتحرك على شكل مجموعات كبيرة بوسائل تقليدية لا تمنعهم من تأثيرات المناخ والتقلبات الجوية ، ومن ذلك ما يذكره مؤلف كتاب العيون والحدائق أنه وفي أثناء محاصرة مسلمة بن عبدالملك للقسطنطينية ، أصاب المسلمون شدة وجوعاً وأن سليمان بن عبدالملك كان مقيماً بدابق لا يقدر أن يمدهم بشيء من الأزواد لكثرة البرد والثلوج [(١)] فبرودة الجو وتساقط الثلوج أدت إلى توقف الإمدادات العسكرية للمسلمين نظراً لتأثر دابق . وهذا أضعف المسلمين المحاصرين للقسطنطينية وأدى إلى نفاذ ما معهم من المؤن .

وفي سنة ٩٨ هـ وبعد نهاية حصار القسطنطينية بقيادة مسلمة بن عبدالملك وفي طريق العودة هبت عاصفة عاتية حطمت الأسطول الإسلامي [(٢)] . هذا الموقف أثر عسكرياً وأدى إلى ضربة قاصمة للبحرية الإسلامية والتي كانت على قدر كبير من التقدم والتفوق على الدولة البيزنطية، وبدوره أثر في الميزان العسكري في ميدان البحر .

كما يذكر ابن شداد أنه وفي سنة ١٩٠ هـ غزا هارون الرشيد الصائفة ، وسببها أن نقفور غدر ونقض الصلح وأغار على عين زربة ، إلا أن أهل المصيصة استنقذوا ما غنموا ، فجاء الخبر إلى الرشيد وكان البرد شديداً حينئذٍ فما تهيأ لأحد إخبار الرشيد إشفاقاً عليه

---

(1) مؤلف مجهول ، العيون والحدائق في إخبار الحقائق ، ص ٣٣ . ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص١١٤ . و يوسف الدبس ، تاريخ سورية ، ج ٥ ص ٢١٧ .

(2) فيليب حتى ، تاريخ سورية ، ج ٢ ص ٥٠ . وانظر : السيد عبدالعزيز سالم وأحمد مختار العبادي ، تاريخ البحرية الإسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط (البحرية الإسلامية في مصر والشام) ، ط . ، مؤسسة شباب الجامعة ، ج ١ ص ٣٥ .

وعلى المسلمين من الكرة في مثل تلك الأيام الباردة، فخرج الرشيد من الرقة قاصداً بلاد الروم[1].

ومن آثار المطر والثلج ما حدث للمسلمين في سنة ٢٣١ هـ حيث أصابهم فيها الثلج والمطر فمات منهم قدر مائتي إنسان، وغرق منهم في البدندون قوم كثير، وأسر منهم نحو من مائتين [2].

ج / آثار الحرائق على الجوانب السياسية والحربية :

بغض النظر عن دوافع الحرائق ، فقد تكون سياسية أو غير ذلك ،إلا أنها كانت ذات تأثير سياسي وحربي واضح على المسلمين ، ومن ذلك ما حدث في سنة ٩٨ هـ تعرضت اللاذقية لحريق كبير من قبل الروم الذين أغاروا عليها فأحرقوها وذهبوا بما فيها [3] ، لقد كان الحريق كبيراً وشاملاً، ومن المؤكد أن له تأثيراته الكبيرة على المسلمين في تلك الفترة خاصة إذا ما علمنا أن اللاذقية تعتبر في آخر بلاد الشام الساحلية من جهة الشمال ومقاربة للحدود مع الروم، ولهذا فقد سارع الخليفة سليمان بن عبدالملك بإرسال الإمدادات البرية والبحرية لاستنقاذها وتقوية المرابطين فيها ومعالجة الآثار السلبية على نفوس المسلمين في تلك المدينة.

وفي سنة ٢٨٧ هـ أمر المعتضد بإحراق المراكب البحرية التي كان المسلمون يغزون فيها وجميع آلاتها، وذكر أن دميانة غلام يازمان هو الذي أشار عليه لشيء كان في نفسه على أهل طرسوس، فأحرق ذلك كله وكان في المراكب نحو خمسين مركباً قديماً قد أُنفِقَ عليها أموالٌ جليلة لا يُعلم مثلها في هذا الوقت فأحرقت ، فأضر ذلك بالمسلمين وكسر ذلك في أعضادهم وقوي به الروم وأمِنوا أن يغزوا في البحر[4] . فهذا الخبر يدل على تسرع المعتضد

---

(1) ابن شداد ، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ، ج ١ القسم الثاني ص ٢٤٩ .

(2) الطبري ، تاريخه ، ج ٥ ص ٢٨٧ . حدث هذا بعد تبادل الأسرى بين المسلمين والروم أو ما يسمى الفداء .

(3) اليعقوبي ، تاريخه ، ج ٢ ص ٢٩٩ . والمقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ١٥٣. وفيليب حتى ، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، ج ٢ ص ٥١ .

(4) الطبري ، تاريخه ، ج ٥ ص ٦٣٤ . وابن الأثير ، الكامل في التاريخ، ج ٦ ص ١٦٩ . وابن خلدون ، تاريخه ، ج ٣ ص ٤٣٢ . عبدالعزيز سالم وأحمد العبادي ، تاريخ البحرية الإسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط ، ج ١ ص ٥٤ .

وعدم قراءته للموقف العسكري بعد إحراق المراكب البحرية ، ولقد أثر تأثيراً كبيراً في البحرية الإسلامية في البحر الأبيض المتوسط حيث كان التنافس على أشده بين المسلمين والبيزنطيين .

كذلك الحرائق الناتجة عن حركات العصيان والتمرد في بعض مدن بلاد الشام ضد الدولة العباسية وولاتها، كان له تأثيره السياسي على الدولة الإسلامية فقد استنفذ طاقات مالية وبشرية وعسكرية كان ممكن أن تستغل في مواقف أفضل للدولة على الصعيد الخارجي.

د / آثار الأوبئة والطواعين على الجوانب السياسية والحربية :

شهدت بلاد الشام خلال القرون الثلاثة الأُول أوبئة وطواعين متعددة ، بل إن الطواعين في زمن بني أمية كانت لا تنقطع بالشام [(١)]، وقد أثرت في الناحية السياسية وأدت وبشكل مباشر في موت عدد كبير من الجند، وكان أول هذه الأوبئة طاعون عمواس سنة ١٨هـ فقد مات فيه كما يذكر ذلك الطبري خمسة وعشرون ألفاً [(٢)] ، وذكر ابن الوردي أنه مكث شهراً، وطمع العدو، وكان بالبصرة مثله[(٣)] . وينقل الذهبي رواية تبين حجم الكارثة حيث يقول: زعموا أن أبا عبيدة كان في ستة وثلاثين ألفاً من الجند فلم يبق منهم إلا ستة الآف رجل[(٤)]، لقد كان ضحايا الطاعون بين جند الإسلام في الشام جسيمة مروعة فرح لها الرومان وطمعوا في المسلمين نتيجة النقص الكبير الذي حدث في الجيش بسبب الأعداد الهائلة التي حصدها الطاعون منهم ، كذلك تخوف المسلمون من أن يتعرض الشام لعملية غزو واسعة في حالة الضعف الذي أصاب الجيش نتيجة استشهاد أحسن أمرائه وخيرة ضباطه وجنوده [(٥)] . وقد أشار الطبري إلى ذلك بقوله: " كان ذلك الطاعون — يقصد طاعون عمواس – كان موتاً لم ير مثله، طمع له العدو في المسلمين، وتخوفت له قلوب المسلمين، كثر موته وطال مكثه ، مكث أشهراً حتى تكلم في ذلك الناس" [(٦)] .

---

(1) ابن حجر العسقلاني ، بذل الماعون في فضل الطاعون ، ص ٣٦٣ .

(2) تاريخ الطبري ، ج ٢ ص ٤٤٤ .

(3) تاريخ ابن الوردي ، ج ١ ص ١٤١ .

(4) سير أعلام النبلاء ، ج ٣ ص ١١ .

(5) محمد أحمد باشميل ، حروب الإسلام في الشام ، ص ٥٤٧ .

(6) تاريخ الطبري ، ج ٢ ص ٤٨٩ . وابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٧ ص ٧٥ .

وفي سنة ٧٩ هـ كان فيها الطاعون العظيم بالشام ، حتى كاد الناس أن يفنوا منه ولم يغزُ أحد في تلك السنة فيما قيل [١] .

ويعلل ذلك ابن كثير بسبب ضعفهم وقلتهم [٢] وقد وصفه ابن الأثير بالطاعون الشديد[٣]، وفيها أصابت الروم أهل أنطاكية لعلمهم بضعف الجنود والمقاتلة [٤] ، وتوقفت حملات الشواتي والصوائف ضد الروم في هذه السنة .

وكذلك في سنة ٨٠ هـ يذكر خليفة بن خياط أنه أصاب أهل الشام طاعون شديد فلم يكن ذلك العام غزو[٥] . واستمر توقف الحملات على الروم أيضاً في هذه السنة ، نظرا لتتابع الطاعون وكثرة الموتى وضعف الجند ، ولأن الدولة أصبحت في موقف سياسي وحربي ضعيف فالعسكر وهم الموكلون بالغزو والدفاع عن الدولة في حالة من المرض والضعف ، واستغل الروم هذه الظروف وتشجعوا ، فقد ذكر الطبري في تلك السنة أصابت الروم أهل أنطاكية [٦] فأصابوا خلقاً من أهلها لعلمهم بضعف الجنود والمقاتلة [٧] .

ولعل أعظم أثر سياسي لحدوث الطواعين ما يصيب الناس من موت وما يتعرضون له من مرض وضعف، فيؤثر هذا بدوره على وضع الدولة في مجالات عدة ومن أهمها الوضع العسكري والأمني لها ، ففي طاعون غراب والذي حدث سنة ١٢٧ هـ يذكر المؤرخ ابن تغري أنه مات فيه خلائق لا تحصى [٨] .

---

(1) الطبري ، تاريخه ، ج ٣ ص ٦١٤ . والذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج ٢ ص ٧٧٥ ، والعبر في خبر من غبر ، ص ٦٦ . وابن تغري ، النجوم الزاهرة ، ج ١ ص ٢٥٦ . وابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ج ١ ص١٦١ .

(2) البداية والنهاية ، ج ٩ ص ٣٠ .

(3) الكامل في التاريخ ، ج ٤ ص ١٢١ . والعظيمي ، تاريخ حلب ، ص ١٦٤ .

(4) الطبري ، تاريخه ، ج ٣ ص ٦١٤ . وابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ص ٢٠٣ . وابن كثير ، البداية والنهاية، ج ٩ ص ٣٠ .

(5) تاريخه ، ص ١٧٦ .

(6) تاريخ الطبري ، ج ٣ ص ٦١٤ . وابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ص ٢٠٣ .

(7) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٩ ص ٣٠ .

(8) النجوم الزاهرة ، ج ١ ص ٣٨٦ .

هـ / آثار القحط والمجاعات على الجوانب السياسية والحربية :

كان للقحط والمجاعات تأثيراتها السياسية والعسكرية ، ففي سنة ٦٨ هـ كان القحط الشديد بالشام حتى لم يقدروا المسلمون من شدته على الغزو ، لضعفهم وقلة طعامهم وميرتهم [1]، ويذكر العظيمي أنه في سنة ٦٩ هـ ، لم يكن فيها صائفة ولا شاتية [2] . فدل هذا على شدة ما مر بالناس من قحط أدى إلى قلة طعامهم وميرتهم وتوقف الصوائف والشواتي في تلك السنتين ، وهذا الأثر مرتبط بحالة الناس واستعدادهم الذي تأثر بهذه الأزمة وانعكس على الوضع العسكري وكذا السياسي خلال هذه الفترة من زمن الدولة الأموية .

ومن الآثار السياسية للمجاعة التي حدثت في زمن الخليفة عبدالملك أن بعض سكان بلاد الشام قد حاول التخلص من آثار المجاعة بالخروج إلى أرض الروم ، كما أن المجاعة قد تسببت في ثورة البعض وانضمام بعضهم إلى الثوار نتيجة عجزهم عن دفع ما قدر عليهم من الخراج وجلاء البعض الآخر [3] .

كذلك في سنة ١٢٥/ ١٢٦ هـ وفي خلافة الوليد بن يزيد قلت الأمطار في هذه السنة ، ونقصت بسببها الينابيع والأنهار ، وعرض جوع شديد ، وعرضت رجفات كثيرة مختلفة[4]. وهذا له آثاره المباشرة على السكان وهو لا شك يؤثر في استعدادهم ووضعهم السياسي والعسكري ، كما أن الدولة الأموية في هذه الفترة كانت تمر بفترة فتن واضطرابات وتنازع على السلطات، وهذا بدوره يؤثر في زيادة المشكلات الداخلية ويضاعف من أطماع الأطراف الأخرى، ويغري العدو على اغتنام الفرصة أو ترتيب أوضاعه الداخلية في أقل الأحوال .

لقد استمرت المجاعات وغلاء الأسعار أيضاً في العصر العباسي، وكانت نتيجة حتمية لظهور الثورات والفتن في بلاد الشام، ففي سنة ١٧٦ هـ ظهرت في بلاد الشام ثورة أبي الهيذام، فانتشر الغلاء والبؤس والجدب .

---

(1) الطبري ، تاريخه ، ج ٣ ص ٥٠٢ ، وابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ص ٧٠ ، وابن الأثير ، الكامل في التاريخ، ج ٣ ص ٦٩٩ ، وابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٨ ص ٢٧٩ . أحمد إسماعيل ، تاريخ بلاد الشام منذ قبل الميلاد حتى نهاية العصر الأموي ، ص ١٨٦ . العظيمي ، تاريخ حلب ، ص ١٦٠ .

(2) تاريخ حلب ، ص ١٦٠ .

(3) الشنبري، نصارى الشام في ظل الحكم الإسلامي منذ الفتح حتى نهاية الحكم الإسلامي ، ص ٥٢٧ ـ ٥٢٨ .

(4) المنبجي ، المنتخب من تاريخ المنبجي ، ص ٩٤ .

فهذه الأحداث مجتمعة – طاعون ، غلاء معيشة ، فتن داخلية – كل هذا يؤدي إلى تخلف الاقتصاد بشكل عام وبالتالي تضعف قدرات المسلمين العسكرية مما يؤثر في الوضع السياسي بصورة عامة .

المبحث الثاني : الآثار الاقتصادية :

أصاب بلاد الشام كثير من المحن والكوارث الطبيعية والبشرية ، أضرت بالاقتصاد وأحدثت آثاراً سلبية على النهضة الحضارية، بوجه عام والاقتصاد بوجه خاص،حيث تسببت في إلحاق الضرر بالسكان ، الذين يعتبرون عماد النشاط الاقتصادي، فتعطلت المهن والحرف الرئيسية في بعض الأحيان بسبب وفاة أعداد كبيرة من الناس أو تعرضهم للكارثة وإصابتهم ، كما أتلفت المزروعات ، واقتلعت بعض الأشجار وأحرقتها ، وكان أكثر تلك الكوارث ضرراً : الزلازل ، والأوبئة ، والقحط والمجاعات ، وغلاء الأسعار ، والبرد والصقيع، والسيول ، والآفات الزراعية كالجراد والفئران .

ولكن بالرغم من كثرة الكوارث وتنوعها إلا أن بلاد الشام كانت مزدهرة اقتصادياً ، فلم يكن لما عانته البلاد أثراً كبيراً وذلك بسبب تنوع نشاطها الاقتصادي ، كما أن صادراتها أكثر من وارداتها ، والمواد التموينية كانت متوفرة ، أضف إلى ذلك أن بعض هذه الكوارث كانت مؤقتة أو محدودة بمدينة واحدة من مدن الشام .

أ / آثار الزلازل على الجوانب الاقتصادية :

من أهم آثار الزلازل الاقتصادية ، موت السكان والذي يعتبر بحد ذاته خسارة كبيرة في جميع مناحي الحياة ، وخراب البيوت والدور وسقوطها له تأثيراته الاقتصادية والنفسية على الناس ، ومع حدوث الزلازل تتغير طبيعة الأرض وتتلف كثير من المزارع والبساتين وهذا لا شك له أضراره على النشاط الاقتصادي ، كما أن بعض الزلازل مثل زلازل سنتي ٩٤ هـ و٩٨ هـ تسببت في تحطم القلاع والحصون والأماكن العالية وهذا مكلف عند القيام بإصلاحها مما يستنزف موارد مالية عالية .

وفي زلزال ١٣٠ هـ مات خلق كثير خاصةً في بيت المقدس ، يذكر هاني أبو الرب أن الزلازل العنيفة أدت إلى قتل عشرات الألوف [١] وفقد في ساحل فلسطين مائة ألف ونيفا [٢] . إذن موت عدد بهذا الحجم له تأثيره البالغ على النشاط الاقتصادي ، كما يذكر السيوطي أن

---

(1) تاريخ فلسطين في صدر الإسلام ، ص ١٩٨ .

(2) المنبجي ، المنتخب من تاريخ المنبجي ، ص ١٠٥ - ١٠٦ .

الناس في هذه الزلزلة رحلوا عن دمشق وسقط فيها سوق الدجاج وذاك من الصخر العظام [1] ، وهذا يدل على تأثير هذا على حركة البيع والشراء ؛ فالناس هجروا مقر إقامتهم وسقطت أسواقهم وتخلوا عن بيوتهم ، مما أدى إلى ضعف النشاط الاقتصادي بصورة عامة .

وفي سنة ٢٣٢ هـ كانت زلازل شديدة في عدد من مدن بلاد الشام، وفي السنة التي تليها ضربت الشام زلازل تعتبر من أقوى الزلازل التي أصابت بلاد الشام ، وقتلت خلقاً كثيراً من الرجال والنساء والصبيان،وقد سقطت البيوت وتأثرت الأسواق ، ومات الرجال والنساء والصبيان وإن لم تحدد الأعداد فإن الواضح أنها كانت أعداداً كبيرة ، وهذا سيؤثر في الناحية الاقتصادية نتيجة نقص العنصر البشري وتعرض المزارع والقناطر والأسواق للخراب والتدمير .

كما كانت التأثيرات الاقتصادية كبيرة في زلزال سنة ٢٤٥ هـ حيث عمت الزلازل بلاد الشام كلها وتأثرت كثيراً اللاذقية وجبلة ،ومات خلق كثير [2]، وقد أخربت هذه الزلازل القلاع والمدن والقناطر، لقد كان حجم الكارثة كبيراً ونتج عنها تدمير وهلاك للناس والبنية التحتية من قناطر ومنازل وأسوار وقلاع وغيرها ، وهذا أثر بشكل واضح في الحياة الاقتصادية، فالإنسان أساس النشاط البشري وعماده الرئيسي .

وفي سنة ٢٧٢ هـ كانت زلزلة عظيمة عمت البلدان ، ووقع غلاء ، حتى بيع القمح فيه نصف ويبةٍ بدينار[3]. ويحددها عبدالله النصر في مصر والشام[4] فقد أدت هذه الزلزلة إلى ارتفاع كبير في سعر أهم منتج زراعي يعتمد عليه السكان اعتماداً كبيراً في غذائهم .

ب / آثار التغيرات المناخية على الجوانب الاقصادية :

كما كان للتغيرات المناخية تأثيراتها الاقتصادية ، ومن ذلك هبوب الرياح بشدة وما تخلفه من آثار تدميرية ، كما حدث سنة ٢٤ هـ حيث عرضت فيها ريح شديدة فقلعت أشجاراً كثيرة ، وأفسدت الزروع والكروم [5] ،فهذه الآثار تسببت في حرمان الناس في تلك

---

(1) كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة ، ص ١٦٨ .
(2) اليعقوبي ، تاريخه ، ج ٢ ص ٤٩١ .
(3) القلقشندي ، مآثر الأنافة في معالم الخلافة ، ج ١ ص ٢٥٦ .
(4) الأحداث الزلزالية في الجزيرة العربية ، ص ٤٧ .
(5) المنبجي، المنتخب من تاريخ المنبجي ، ص ٥٥ .

السنة محصول وثمرة هذه الزروع والأشجار أو نقصها عن معدلها السنوي المعتاد، وهذا يؤثر في النشاط الاقتصادي ويقلل من كمية المنتج في السوق .

وفي سنة ٥٠ هـ، السنة التاسعة لمعاوية بن أبي سفيان ، سقط ثلج كثير ، وحدث برد شديد، ومات خلق كثير من الناس والبهائم [١] ، ونلاحظ أن الإنسان والنبات والحيوان تأثروا بنزول الثلج وحدوث البرد وأدت إلى الموت أحياناً ، وتسببت في تلف الزروع ، وهذا لا شك مؤثر في الحياة بشكل عام، والحياة الاقتصادية على وجه الخصوص. وتكرر هذا سنة ٦٤ هـ حيث حدث برد شديد في شتاء هذه السنة، تجمدت فيه المياه ويبست أشجار الزيتون والكروم ، وفنيت الحيوانات والبهائم [٢] مما يعني تعطلاً في النشاط الاقتصادي فالحيوانات من أهم المؤثرات الاقتصادية في تلك الفترة وكان الاعتماد عليها كبيراً في الفلاحة ونقل المحاصيل وتسويقها عبر القوافل، ولم يزودنا المصدر بإحصاءات أكثر دقة عن المساحات المتأثرة ومقدار الفناء الذي حدث في البهائم والحيوانات .

وفي سنة ٢٤٤ هـ حل بإقليم الشام والثغور والعواصم ثلج شديد أطاح بكثير من أنواع المزروعات، وصقيع دام أشهراً حال بين السابلة والميرة وغلت فيها الأسعار وضاقت الناس[3]. ومن هنا نلاحظ تأثير الأحوال الجوية في الأسعار ، فقد غلت الأسعار وسقطت المزروعات وهذا أدى إلى ضعف حركة التجارة في مثل هذه الظروف التي يحرص الناس فيها على البقاء في منازلهم خاصةً وأنه استمر أشهراً وإن كانت المصادر لم تحددها لكن يظهر أنها استمرت طوال فترة الشتاء .

ج / آثار الحرائق على الجوانب الاقتصادية :

شهدت بلاد الشام حرائق خلفت دماراً بيئياً ملحوظاً ، حيث طالت الأراضي الزراعية والرعوية والدواب ،وشبت في الحواضر والأسواق التجارية تارة أخرى، والحرائق تعتبر من الكوارث البيئية التي تؤثر في البيئة والصحة العامة ، ويمتد تأثيرها في النواحي الاقتصادية والعمرانية .

---

(1) المنبجي ، المصدر السابق ، ص ٧١ .

(2) هاني أبو الرب ، تاريخ فلسطين في صدر الإسلام ، ص ٢٠١ .

(3) نهلة أنيس ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الثغور والعواصم الإسلامية على الحدود البيزنطية (١٣٢ ـ ٦٥٦ هـ) ، ص ١٤٥ .

ففي سنة ٩٨ هـ تعرضت اللاذقية لحريق كبير من قبل الروم عندما أغاروا عليها، وتركت المدينة وقد أتت النار على معظمها ، مما تسبب حتماً في القضاء على الزروع والأشجار التي كانت تمثل النشاط الرئيس للسكان في تلك الفترة .

ومن ذلك أيضاً حريق دابق الذي حدث سنة ١٠٨ هـ والذي احترق فيه المواشي والدواب والبقر والرجال[1]، ولا شك أن لهذا الحريق آثاراً اقتصادية كبيرة ، نظراً لما كان للمروج من أهمية كبيرة ،فهي تشكل مجالاً واسعاً للرعي وتربية الماشية ، وما نتج عن هذا الحريق من هلاك الدواب وخاصة البقر وهي عماد مهم في حياة الإنسان في تلك الفترة ، بل إنه يعتمد عليها في حياته اليومية فهي تمثل له داعماً غذائياً أساسياً يومياً وذلك من خلال ما يتوفر منها من الحليب والألبان واللحوم ،وهي أكبر عونٍ له على استصلاح الأراضي الزراعية، كما أنها الوسيلة الأولى في النقل .

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل استخدم أسلوب الحرائق كتعبير سياسي عند الحكام والمحكومين في بعض بلدان الشام وخاصة في نهاية الدولة الأموية، وأثناء الحكم العباسي وعند عصيان بعض المدن، حيث تعرضت كثير من المنشأت الحيوية مثل الأسواق والمباني المدنية وغيرها للحرائق، هذا أدى بدوره إلى انتشار الخوف والفوضى وعدم الثقة بالسلطة الحاكمة، ولم تعد الظروف آمنة، مما زاد من سوء الأوضاع الاقتصادية وتردي البلاد وتخريب المرافق العامة، ودمرت الحروب معظم الضياع، وتهدمت المباني، والقصور، وأهملت قنوات الري، وضعف استغلال الأراضي الزراعية [2] .

د / آثار الأوبئة والطواعين على الجوانب الاقتصادية :

كان للأوبئة والطواعين آثارها الاقتصادية ، فقد اجتاحت بلاد الشام سلسلة من الطواعين والأوبئة، خاصةً في القرن الأول والى منتصف القرن الثاني الهجري، وبلغ عدد الطواعين والأوبئة في زمن الدراسة (٢٥) طاعوناً ووباء، مما نتج عنه خسائر بشرية كبيرة،

---

(1) الطبري ، تاريخه ، ج ٤ ص ١٢٠ . وابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٧ ص ١٢١ . وابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٤ ص ٣٤٦ . وابن تغري ، النجوم الزاهرة ، ج ١ ص٣٣٤. والعظيمي ، تاريخ حلب ، ص١٧٦ .

(2) محمد زيود، حالة بلاد الشام الاقتصادية منذ العصر الطولاني وحتى نهاية العصر الفاطمي، ص١٦.

إلا أن تحديد عدد الموتى بشكل دقيق يتعذر وذلك أن إشارات المصادر كانت غامضة وغير دقيقة مثل قولهم: " ومات ما لا يحصى " أو " مات خلق كثير " أو " هلك عامة الناس " وبعض المؤرخين اهتم بالوصف العام لانتشار الوباء ، غير أن بعض عبارات المؤرخين كانت تدل على شدته وما لحق الفلاحين في الطاعون .

لقد كان طاعون عمواس من أشد الطواعين خاصةً أنه كان في بداية الدولة الإسلامية ، لقد كان لهذا الطاعون أثره الاقتصادي الكبير فمعظم المصادر تؤكد أن عدد الوفيات كان كبيراً، حيث تذكر بعضها أن عدد من استشهد في طاعون عمواس خمسة وعشرون ألفاً (١) سوى من لم يحصر منهم وقيل ثلاثون ألفاً (٢) وغلا السعر واحتكر الناس، فنهى عمر – رضي الله عنه – عن الاحتكار (٣) .

وفي سنة ١٠٧ هـ وقع بالشام طاعون شديد(٤)، حتى وقع في الدواب والبقر (٥) ، ويذكر اليعقوبي عند حديثه عن هشام بن عبدالملك: أنه فشا الطاعون في أيامه حتى هلك عامة الناس وذهبت الدواب والبقر(٦) لقد امتد تأثير هذه الطواعين إلى الدواب والبقر، وهذا أثر في حياة الناس الاقتصادية، وذلك أنهم كانوا يعتمدون عليها وبشكلٍ مباشر في نشاطهم الاقتصادي .

كما يذكر المنبجي أنه وفي خلافة هشام بن عبدالملك: وفي السنة الثالثة لهشام عرض وباء شديد بسورية ولحق الناس طواعين وخراجات مختلفة (٧) .

---

(1) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٤ ص ٢٤٧ . وابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٧ ص ٨٥ . وابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٢ ص ٥١٥ . وأبي زيد أحمد بن سهل البلخي ، البدء والتاريخ ،ج ٢ ص ٢٠٩، ط ١ ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان .

(2) ابن حجر العسقلاني ، بذل الماعون في فضل الطاعون ، ص ٢٢٢ .

(3) اليعقوبي ، تاريخه ، ج ٢ ص ١٥٠ .

(4) الطبري ، تاريخه ، ج ٤ ص ١٢٠ . وابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٧ ص ١١٧ . وابن كثير ، البدية والنهاية ، ج ٩ ص ٢٥٠ .

(5) خليفة بن خياط ، تاريخه ، ص ٢١٧ . ومؤلف مجهول ، العيون والحدائق ، ص ٨٩ .

(6) تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ص ٣٢٨ .

(7) المنتخب من تاريخ المنبجي ، ص ٨٩ .

وفي سنة ١٢٧ هـ كان الطاعون بالشام ومات فيه خلائق لا تحصى ، وكان هذا الطاعون يسمى بطاعون غراب[1]، وفي سنة ١٧٠ هـ : يورد البلاذري خبر وقوع طاعون زمن هارون الرشيد: فيقول: وكان بفلسطين في أول خلافة أمير المؤمنين الرشيد، طاعون جارف ربما أتى على جميع أهل البيت فخربت أرضهم وتعطلت فوكل السلطان بها من عمرها وتألف الأكرة والمزارعين [2] .

لقد تعرضت الزراعة – أهم نشاط اقتصادي بالشام – إلى التوقف احياناً ، أو التعطل وانخفاض المنتوج أحياناً أخرى وبشكلٍ ملحوظ ، وذلك نتيجة نزوح الفلاحين عن ديارهم او بسبب الوفيات من جراء الأوبئة والطواعين المتعاقبة ، فتحولت الأراضي الزراعية إلى قفار مجدبة .

هذه الأخبار تؤكد تأثر الناس بالطواعين وموت عدداً كبيراً كما دلت بعض أخبار المؤرخين الأوائل ، وامتداد الأثر إلى الدواب والبقر ، هذه كلها تجتمع لتكون أثراً سلبياً لا يمكن تجاهله على اقتصاد الدولة خاصةً إذا ما علمنا أن الدولة كانت تحدق بها الأخطار من جهات عدة على المستوى الداخلي والخارجي .

كذلك من الآثار الاقتصادية غير المباشرة ما تتعرض له الحيوانات من أوبئة وأمراض نظراً لأهمية دورها في تلك الفترة في تحريك النشاط الاقتصادي سواء الزراعي أو حركة التجارة باعتبارها الوسيلة الرئيسية لنقل البضائع ، ومما يذكر المؤرخون ما حدث سنة ٢٤ هـ حيث يذكر العظيمي أنه فيها عقرت الدواب بين قنسرين ودابق [3] ، وفي سنة ١٠٧ هـ وقع في البقر والدواب طاعون شديد في الشام [4] ، ويذكر اليعقوبي عند حديثه عن هشام بن عبدالملك، أنه فشا الطاعون في أيامه حتى هلك عامة الناس وذهبت الدواب والبقر [5] ، وفي سنة ٢٤١ هـ نفقت الدواب والبقر [6] ، وفي سنة ٢٩٧ هـ كان البرد عامّاً ، وقتل سائر

(1) ابن تغري ، النجوم الزاهرة ، ج ١ ص ٣٨٦ .
(2) فتوح البلدان ، ص ١٦٣ . وانظر : يوسف غوانمه ، الطاعون والجفاف ، ص ٧٤ .
(3) تاريخ حلب ، ص ١٤٠ .
(4) خليفة بن خياط ، تاريخه ، ص ٢١٧ .
(5) تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ص ٣٢٨ .
(6) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ١٠ ص ٢٨٣ .

الحيوان بالبرية[1]، هكذا نرى مدى تأثر الحيوانات (البقر – والإبل – والأغنام – والضان – والخيول) بهذه الأوبئة وهذا بدوره يؤثر في اقتصاد الدولة وذلك لأهمية هذه الحيوانات في تلك القرون كما أشرنا سابقاً .

هـ / آثار القحط والمجاعات على الجوانب الاقتصادية :

من أهم هذه الآثار الاقتصادية ما تعرضت له بلاد الشام خلال القرون الثلاثة الأُول من احتباس المطر، وما ينتج عن ذلك من قحط وغلاء في الأسعار ومجاعات فتاكة، وما يصاحب ذلك عند التجار من احتكار للسلع ، مما قد يؤدي بعد – إذن الله– لموت كثير من الناس وهلاكهم وهذا يؤثر في المجتمع سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وعلمياً ، ولقد كان عام الرمادة الذي أصاب الناس في الجزيرة العربية وتمركز في المدينة النبوية مثالاً واضحاً لتأثر هذه المجالات، فقد أصاب الناس مجاعة شديدة وقحط سنة ١٨ هـ واستمرت تسعة أشهر[2] وقد عانى المسلمون فيها أشد المعاناة،وقد مر معنا في الفصل الثالث إجراءات الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في مواجهة هذه الكارثة ، ولقد استمرت مظاهر القحط والمجاعات في الدولة الإسلامية؛ ففي سنة ٥٧ هـ حدث قحط شديد في بلاد الشام ، عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان[3]، وكذلك في عهد عبدالملك بن مروان لحق الناس جوع شديد ووباء [4] ، وفي سنة ٦٨ هـ كان القحط الشديد بالشام حتى لم يقدروا من شدته على الغزو ، لضعفهم وقلة طعامهم وميرتهم [5] وهذا أدى إلى تخلف اقتصادهم وبالتالي عدم قدرتهم العسكرية مما أثر في وضعهم السياسي [6] ، وكذلك سنة ١٠٧ هـ في عهد الخليفة هشام بن عبدالملك قحطت البلاد[7] وتزامن ذلك مع انتشار الطاعون فأثر في السكان وفت في أعضادهم ، وفي سنة

(1) الأصفهاني، البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان ، ص ٢١٠ .
(2) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج ٣ ص ١٦٥ .
(3) هاني أبو الرب ، تاريخ فلسطين في صدر الإسلام ، ص ٢٠٠ .
(4) المنبجي ، المنتخب من تاريخ المنبجي ، ص ٧٨ .
(5) الطبري ، تاريخه ، ج ٣ ص ٥٠٢ ، وابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ص ٧٠ ، وابن الأثير ، الكامل في التاريخ، ج ٣ ص ٦٩٩ ، وابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٨ ص ٢٧٩ . أحمد إسماعيل ، تاريخ بلاد الشام منذ قبل الميلاد حتى نهاية العصر الأموي ، ص ١٨٦ . العظيمي ، تاريخ حلب ، ص ١٦٠ .
(6) أحمد إسماعيل ، تاريخ بلاد الشام منذ قبل الميلاد حتى نهاية العصر الأموي ، ص ١٨٦ .
(7) القرماني ، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ ، ج ٢ ص ٤٨ – ٤٩ .

١٢٥– ١٢٦ هـ وفي خلافة الوليد بن يزيد قلت الأمطار في هذه السنة ، ونقصت بسببها الينابيع والأنهار، وعرض جوع شديد ، وعرضت رجفات كثيرة مختلفة [١]

كذلك سنة ١٩٢ هـ يذكر ابن العبري : أنه تفاقم الجوع في البهائم [٢] ، وفي سنة ٢٠٤ هـ وقع جوع شديد بفلسطين [٣] . وكذلك حل الغلاء العام سنة ٢٠٧ هـ بكل مكان[٤] .

وفي سنة ٢٤٤ هـ أراد المتوكل المقام في دمشق، إلا أن دخول فصل الشتاء وسقوط الثلج وكثرة من كان معه من الجند، تسبب في كثرة الطلب على المؤن ، فأدى هذا إلى غلاء الأسعار وضاق الناس ذرعاً بالمدينة [٥] . وتذكر نهلة أنيس : أنه حل بإقليم الشام والثغور والعواصم ثلج شديد أطاح بكثير من أنواع المزروعات وصقيع دام أشهراً حال بين السابلة والميرة وغلت فيها الأسعار وضاقت الناس [٦].

وفي سنة ٢٦٠ هـ وقع غلاء شديد ببلاد الإسلام كلها حتى أجلى أكثر أهل البلدان منها إلى غيرها ، ولم يبق بمكة أحد المجاورين حتى ارتحلوا إلى المدينة وغيرها من البلاد ، وخرج نائب مكة منها وبلغ كُر الشعير ببغداد مائة وعشرين ديناراً واستمر ذلك شهوراً [٧]، ويذكر المؤرخون أزمة سنة ٢٦٠ هـ ، حيث أشتد الغلاء في جميع أنحاء الشام وبلغ كر الحنطة في بغداد بخمسين ومائة دينار وكر الشعير بمائة وعشرين دينار واستمر ذلك شهوراً[٨] .

لقد شمل الغلاء أهم السلع الغذائية للناس ، فغذاء الناس يعتمد بدرجة كبيرة على هذه المنتوجات، مما جعل الناس يتضايقون من هذا الغلاء، وبعضهم يهاجر إلى أماكن أخرى

---

(1) المنبجي ، المنتخب من تاريخ المنبجي ، ص ٩٤ .

(2) تاريخ الزمان ، ص ١٧ .

(3) الأصفهاني، البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان ، ص ١٦٨ .

(4) الأصفهاني، المصدر السابق ، ص ١٦٩ .

(5) الطبري، تاريخه، ج ٥ ص ٣٢٧، وابن الأثير، الكامل في التاريخ ، ج ٥ ص ٥٥٦ . وعبد عون ، موسوعة تاريخ العرب ، ج٢ ص ٢٠٣ .

(6) الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الثغور والعواصم الإسلامية على الحدود البيزنطية ، ص ١٤٥.

(7) الطبري ، تاريخه ، ج ٥ ص ٥٠٠ ، وابن الجوزي ، المنتظم ، ج ١٢ ص ١٥٦ . وابن الأثير ، الكامل في التاريخ، ج ٥ ص ٦٨٨ ، وابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٠ ص ٣٤ .

(8) محمد أحمد زيود ، حالة بلاد الشام الاقتصادية ، ص ٥٦ .

أقل غلاءً ، كما أن هذا الغلاء يشجع أحياناً التجار الجشعين على الاحتكـار فتـزداد الأمـور سوءًا ويؤثر هذا في حياة الناس واستقرارهم وسعادتهم .

وفي سنة ٢٦٤ هـ أراد أحمد بن طولون المقام بطرسوس فدخلها، فغلا سعرها وضاقت عنه وعن عساكره ، فعاد منها إلى الشام [١] .

وفي سنة ٢٦٦ هـ غلت الأسعار وندرت الأقوات في سـنة ٢٦٦هـ وعـم الغـلاء جميـع أنحاء البلاد بما فيها الحجـاز والعـراق والجزيـرة والـشام وغـير ذلـك وأصـاب الـبلاد شـدة عظيمة[٢] .

وفي سنة ٢٨٤هـ قحط الناس في كل بقعة ، حتى استسقى الناس ببغداد وغيرهـا مـن البلاد مراراً كثيرة [٣]، كما غارت المياه، وانقطع جريان الأنهار ، ونشفت العيون ، وماتـت الوحوش في الفلاة [٤]، وفي سنة ٢٩٧ هـ يـذكر ابـن الجـوزي : أن الأمطـار تـأخرت ، فـزاد السعر[٥].

كل هذه الأحداث وغيرها ، أثـرت في النـشاط الاقتـصادي تـأثيراً بالغـاً، لأن القحـط وغلاء الأسعار ولأي سببٍ كان يؤدي إلى ركود في النشاط الاقتصادي، فتقل حركة التجـارة في الأسواق ، ويتجنب الناس وخاصة الفقـراء الـشراء في هـذه الفـترة ، فيتعرضـون للمجاعـات وأمراض سوء التغذية، كما شجعت التجـار علـى ممارسـات غـير إنـسانية عنـد بعـضهم ، فيتسبب هذا في انتشار الفوضى والفتن أحياناً كتعبير عن الضجر من هـذا الوضـع، وتنتـشر المجاعات والأمراض وغيرها .

غير أن الإنسان في فترات الفرج سرعان ما كان ينهض ويعمل على استمرارية الحياة رغم هذه الشدائد الكبيرة، بفـضل الله وإيمانـه بـدوره في الحيـاة، فيـسعى إلى إعـادة الأمـور

---

(1) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ، ج ٦ ص ٣٤ ، وابن الوردي ، تاريخه ، ج ١ ص ٢٢٩ .

(2) ابن الأثير ، الكامل في التـاريخ، ج ٦ ص ٥١ ، ومحمد زيود ، حالـة بلاد الـشام الاقتـصادية منذ العصر الطولاني وحتى نهاية العصر الفاطمي ، ص ٥٦ .

(3) العظيمـي ، تـاريخ حلـب ، ص ٢٤٣ . ابـن الجـوزي ، المنـتظم ، ج ١٢ ص ٣٧٣ . وابـن كثيـر ، البدايـة والنهاية ، ج ١١ ص ٨٢ .

(4) الأصفهاني، البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان ، ص ٢٠٢ .

(5) المنتظم ، ج ١٣ ص ٩٣ .

الاقتصادية إلى مسيرتها الطبيعية ، خاصةً مع وجود الحكام الأقوياء القادرين على التعامل مع هذه الظروف الطارئة، وما وهبه الله لبلاد الشام من مميزات اقتصادية وطبيعية،جعلتها في وضع أفضل من غيرها ، في معالجة هذه الآثارة وسرعة التعافي من تبعاتها .

و / آثار الآفات على الجوانب الاقتصادية :

كان للآفات الزراعية والحشرات والكائنات الحية ، تأثير واضح في المنتوجات الزراعية ، والتي تمثل قوام الحياة والدعامة الرئيسية لحياة الناس في تلك الفترة ، وأول هذه الآفات وأخطرها الجراد فآثاره الاقتصادية بالغة، وتكمن خطورته في شراهته المتناهية في التغذية على أي شيء أخضر، فإذا لم يجد شيئاً أخضر فإنه لا يترك حتى الثمار الناضجة أو لحاء الأشجار ، وتأكل حشرات الجراد ما يعادل وزنها يومياً أي أن سرب الجراد الواحد الذي يحوي ملايين من الجراد تأكل أطناناً من الغذاء الأخضر الذي يعتمد عليه الإنسان والحيوان في غذائه مما يتسبب في مجاعات وهلاك كثير من الناس في العصور الوسطى [(١)] . كما أنه سريع الحركة والانتقال من مكان إلى آخر، وسريع التكاثر، مما يجعله عدواً لدوداً لبني البشر يصعب مواجهة آثاره [(٢)] .

ويذكر محمد مؤنس بعضاً من آثاره الاقتصادية على المستوى الزراعي:

- مهاجمة المحاصيل الحقلية والأشجار بأنواعها المختلفة، وكأنه أشبه ما يكون بالجيش الجرار المنظم فمنه ما يزحف ومنه ما كان يطير .
- يعقب مهاجمة أسراب الجراد على المحاصيل الزراعية عادةً ارتفاع في الأسعار نتيجة قلة المعروض من الحبوب .
- قد يتسبب في انتشار المجاعة وذلك لتأثيره المباشر على الغذاء الأساسي للإنسان خلال تلك الفترة وهو الخبز [(٣)] .

---

(1) مسعود التاجى الفاروقى وسالم بامفلح حضرمي وأحمد على فهيم ، الجراد الصحراوي ، ص ٢٤ - ٢٥ .

(2) محمد مؤنس عوض، إغارات أسراب الجراد وآثارها في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية ، ص١٣ .

(3) إغارات أسراب الجراد وآثارها في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية ، ص ٢٢ – ٢٥ .

ومما يدل على تأثير الآفات على المزروعات، ما ذكره ابن العبري سنة ١٦٧ هـ حيث يذكر: " أنه ظهر جراد طيار عاث في الزروع وفقس ثم خرج وجعل يلتزق بالأسوار ويدب في الجدران ويخش في المنازل من الكوى والأبواب حتى ملأ قرب المياه والفرش والموائد والصحون ، وكان يدخل من جنوبي البيت ويخرج من شماليه ، والتهم الأعشاب والأشجار وأمتعة الصوف وثياب البشر، وأتلف نواحي الرها وسروج برمتها ثم انتقل إلى المغرب ، وبعد مرور ثلاث سنوات على هذه الضربة القاسية عمّ الغلاء الأرض جميعاً " (١) .

وينقل لنا محمد مؤنس ما ينتج عن مهاجمة الجراد للمحاصيل الزراعية وتأثيره على النواحي الصناعية فيقول: إن تأثير الجراد ليس هذا فحسب بل يمتد تأثيره على المستوى الصناعي فمن المتوقع أن بعض الصناعات أصيبت في الصميم من جراء الإغارات، ومن ذلك صناعة عصر الزيتون ومطاحن الحبوب ، وهذا بدوره انعكس على التجارة وذلك لقلة وندرة المعروض من الحبوب مما أدى إلى أزمة اقتصادية (٢) .

تذكر هدى الويسي : أن ظهور الجراد كان يتزامن أحياناً مع وقوع الزلازل مما يؤدي إلى إفساد المحاصيل الزراعية ، وليس هذا وحسب؛ بل حتى ظهور الفئران يتزامن مع وقوع الزلازل ، فتجتمع كلها وتسهم في ضرب الاقتصاد الإسلامي (٣) .

ومن الأمثلة التي تدل على تأثيره في المزروعات ما ذكره فوشيه الشارتري : " أنه في عام ١١١٧ م – ٥١٠ هـ – وفي شهر آيار عجت أراضي القدس بحشود لا تعد ولا تحصى من الجراد ملتهمة محاصيل الحقل والأشجار وكنت تراهم يزحفون كجيش من الرجال بانتظام كما لو أنهم عقدوا المشورة ونظموا زحفهم حسب الاتفاق، وبعد أن قضوا رحلة يومهم بعضهم سائرين وبعضهم طائرين اختاروا بالاتفاق مرقداً مريحاً لأنفسهم وهكذا بعد أن التهموا كل ما هو أخضر، وقضوا لحاء الشجر، غادروا بأسراب بعضها مجُنّح وبعضها الآخر بلا أجنحة" (٤) .

---

(1) تاريخ الزمان ، ص ١٣ .

(2) إغارات أسراب الجراد وآثارها في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية، ص٤١ –٤٣ .

(3) الهزات الأرضية في بلاد الشام في القرنين (٦ / ٧ الهجري) ، ص ١٦٧ – ١٦٨ .

(4) تاريخ الحملة إلى القدس ، ترجمة زياد جميل العسلي ، ص ١٥٤، ط ١ ، ١٩٩٠ م ، دار الشروق ، بيروت – لبنان .

أما الفئران فإن أضرارها اقتصادية وصحية فبقدر ما تـؤثر اقتـصادياً ، تـؤثر صـحيا فهي المصدر الأشهر للنقل الطاعون من الحيوان إلى الإنسان ، ويذكر المنبجي أنه في سـنة ٥٥ هـ السنة الرابعة عشرة لمعاوية كثر الفأر في سورية حتى حدث فيها جوع شديد [١] ، وكذلك سنة ٥٩ هـ كثرت الفئران في سوريا وأتلفت الزروع [٢] وفي سنة ٢٢٢ هـ ظهر من الفأر ما لم يحط به الإحصاء وأتى على غلات الناس ثم تفانى بوقوع الموت فيه [٣] . لقد لاحظنا كيـف أن هذه الفئران كانت سبباً في حـدوث المجاعـات وإتـلاف الـزروع وأكـل غـلات النـاس بعـد أن وصلت إليها في مخازنها ، ويشتد تأثيرها على الناس في ظل ضعف الإمكانات في مواجهتهـا والقضاء عليها ، غـير أنهـا تكـون أحيانـاً كـثيرة ناقلـة للأمـراض الخطـيرة في تلـك الفـترة وأشهرها مرض الطاعون .

كذلك تتسبب كثير من الآفات والحشرات الصغيرة في إفساد المحاصـيل الزراعيـة ، مما يعرض المنتوجات الغذائية إلى النقص ، وهذا بدوره ينعكس على ظهور مجاعـات ، وإن أغفلت المصادر المتقدمة هذا الجانب ، إلا أنه من المؤكد تعرض بلاد الشام لمثل هذه الآفـات ، مما دفع المزارعين والفلاحين للاستعداد لمواجهتها بالتكليس كما مر معنا سـابقاً، إذ قـاوموا دودة خاصة تهاجم شجر العنب عندما تتكون العناقيد بواسطة مـادة الحمريـة حيـث كـانوا يدهنون سيقان الكروم لمنع الدود من الـصعود للـشجر، وغيرهـا مـن أسـاليب مواجهـة هـذه الآفات .

---

(1) المنتخب من تاريخ المنبجي ، ص ٧٢ .

(2) هاني أبو الرب ، تاريخ فلسطين في صدر الإسلام ، ص ٢٠١ .

(3) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ١٠ ص ٧٣ .

المبحث الثالث : الآثار الاجتماعية والنفسية :

أولاً : آثار الكوارث على الجوانب الاجتماعية :

للكوارث آثار اجتماعية ونفسية مصاحبة لجميع أنواعها ، فانتشار الموت وكثرته وتهدم المباني والدور والأوبئة والطواعين والمجاعات والتغيرات الجوية وغيرها تؤثر اجتماعياً وبشكل واضح نتيجة ما تحدثه هذه الكوارث وما ينتج عنها من نتائج مؤلمة ، فهي تحيل المجتمع الآمن المستقر المترابط إلى مجتمع خائف ومرتبك .فالزلازل تؤثر في التركيبة الاجتماعية والسكانية، فمثلاً زلزال سنة (١٣٠ هـ) والذي حدث في الشام وكان أكثر المدن تضرراً بيت المقدس ، أدى إلى هلاك كثير ممن كان فيه من الأنصار [١] ، وهذا يؤثر بلا شك في تركيبة السكان في بيت المقدس ، ففناء الأنصار في هذا الزلزال أدى إلى تناقصهم وقلة عددهم مما أثر مباشرةً في ميزان التركيبة الاجتماعية في بيت المقدس .

كما نتج عن الزلازل التي حدثت سنة ٢٣٢ هـ و ٢٣٣ هـ موت خلق كثير في دمشق والبلقاء وأنطاكية وقرى في الغوطة ، واعتبر ما حدث كارثة كبيرة في ظل إمكانات محدودة واستعدادات بسيطة ، وإن كانت المصادر لم تتحدث عن الآثار الاجتماعية إلا أننا نستطيع أن نشعر بحجم الكارثة في ظل تلك الظروف ، وما تؤدي مثل هذه الكوارث من ظروف اجتماعية يخيم عليها الحزن والأسى نتيجة موت الناس، ووجود أعداد كبيرة من الجرحى والمصابين ، وتحول ظروف كثير من الناس نتيجة هذه الحادثة، وانتشار الأمراض والأوبئة والفقر والمجاعات وغيرها من الظروف الإنسانية المحزنة .

كذلك الطواعين والأوبئة كان لها تأثيراتها الاجتماعية، ففي طاعون عمواس مات معظم أفراد الجيش الإسلامي ، وقد أثر هذا على التركيبة الاجتماعية القبلية للمقاتلة والسكان في فلسطين ، فقد مات عدد كبير من أفراد القبيلة القيسية مما أعطى التفوق العددي للقبائل اليمانية [٢] .

ومن آثار طاعون عمواس الاجتماعية أن الناس تقاطعوا وخافوا على أنفسهم من العدوى وقلت اتصالاتهم ببعضهم ، وضعفت جوانب العلاقات بينهم ، فقد روى يزيد بن عبدالله

---

(1) الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج ٣ ص ٣٦٦ .
(2) هاني أبو الرب ، فلسطين في صدر الإسلام ، ص ١٩٩ .

قال: " إنه لم يكن أحد يقول لأحد : كيف أصبحت ولا كيف أمسيت حين كثر فيهم الموت"[1] من شدة ما أصابهم .

ومن أهم الآثار الاجتماعية الهجرة من مكان إلى آخر ، إما بسبب انتشار الأوبئة والأمراض، أو القحط والمجاعات ، ويذكر أن سليمان بن عبدالملك تحول إلى الصحراء فأخذ البيعة له في الرملة حيث يرى بعضهم أن الأمويين يهربون إلى الصحراء خوفاً من الطاعون الذي كان يقع بالشام من وقت لآخر، أو من البق، أو خوفاً من البعوض الكثير[٢] .

كذلك من الآثار الاجتماعيـة ، مـا ألحقته الكوارث من أضرار جسيمة في البنية البشرية ، فما ذكره المؤرخون من موت أعداد كبيرة — دون ذكر للأرقام – تعكس وبصورة واضحة حجم تلك الخسائر البشرية ، ويمكن القول إن عمواس في فلسطين، وأنطاكية ، ودمشق، وبيت المقدس، وحلب ، والمدن الساحلية، كانت من أكثر المدن في بلاد الشام تعرضاً للكوارث، وهذا يؤدي إلى تغير في التركيبة السكانية ، زيادة أو نقصاناً في عنصر على آخر، لهذا حرص الخلفاء الأمويون في بعض الأحيان إلى إحداث التوازن في التركيبة السكانية لهذا السبب أو لغيره .

والهجرة من مكان إلى آخر مظهر من مظاهر التأثر الاجتماعي بالكوارث ، ومما يدل على ذلك ما ذكره المؤرخين في سنة ٢٦٠ هـ حيث وقع فيها الغلاء الشديد ببلاد الإسلام كلها حتى أجلى أكثر أهل البلدان منها إلى غيرها [٣] .

كما أن بعض الكوارث وخاصةً الزلازل ارتبطت بزاوية الأمراض والأوبئة في بعض الأحيان، على نحو أثر بصورة مباشرة في البنية السكانية، مع أن المصادر لم تذكره هذا صراحةً، إلا أن المتتبع لأسباب بعض الأمراض وانتشارها يجد عوامل تربط بينهما، كما أن

---

(1) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٤ ص ٢٤٨ .

(2) أحمد إسماعيل ، تاريخ بلاد الشام ، ص ١٩٤ .

(3) الطبري ، تاريخه ، ج ٥ ص ٥٠٠، وذكره ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٢ ص ١٥٦. وابن الأثير ، الكامل في التاريخ، ج ٥ ص ٦٨٨ ، وابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٠ ص ٣٤ .

عدم القدرة على دفن الموتى الذين تتزايد أعدادهم من جراء هذه الكوارث يؤدي إلى انتشار الأوبئة في صفوف الذين فروا من ذلك المصير المأساوي [1] .

ثانياً : **آثار الكوارث على الجوانب النفسية** :

من الآثار الاجتماعية التأثيرات النفسية ، التي تصيب الناس عند حدوث الكارثة، ومن ذلك ما حدث للناس عند وقوع زلزال سنة ١٣٠ هـ، حيث يذكر هاني أبو الرب أنه : "أثار القتل والدمار الذي خلفه ذلك الزلزال الهلع والخوف في نفوس الناس فخرجوا من المدن والقرى إلى البرية وأقاموا فيها اربعين يوماً " [2] .

كذلك ما حدث للنساء في زلازل سنة ٢٤٥ هـ حيث يذكر صاحب كتاب البستان الجامع أنه " جاءت زلزلة عظيمة بالشام هدمت أكثر العمارة، وتبعها صوت أسقط الحوامل ومات خلق كثير" [3]. هذا أدى إلى الخوف والفزع وظهور أمراض ومواقف لا تنسى عند الناس ، وهذا له تبعاته النفسية على الأشخاص الذين شاهدوا وعاصروا هذه الأحداث .

لقد كانت نتائج الزلازل مؤلمة نفسياً لسكان بلاد الشام ، لكونها تحدث بغتة وتخلف خلفها دماراً هائلاً – حسب قوتها – وقتلى بالآلآف وجرحى أكثر من القتلى، في ظل إمكانات محدودة، هذا بدوره يؤثر نفسياً على من سلم منهم ويجعله عاجزاً أمام هذا الحدث .

أيضاً من التأثيرات النفسية ما صاحب تناثر النجوم والكواكب والتغيرات الجوية من حالات الخوف والفزع والبكاء والتضرع لله ، فيذكر المنبجي أنه في سنة ٥٤ هـ السنة الثالثة عشرة لمعاوية ظهر قوس قُزح في السحاب كاملاً، فغشي الناس الخوف والفزع ، وقال كثير عن القيامة : قد حضر وقتها [4].

---

(1) محمد مؤنس ، الزلازل في بلاد الشام عصر الخروب الصليبية ، ص ١٤٣ .

(2) فلسطين في صدر الإسلام ، ص ١٩٨ .

(3) الأصفهاني ، ص ١٨٤ .

(4) المنتخب من تاريخ المنبجي ، ص ٢٨ .

هذا الهاجس يدل على مدى تأثير الارتباط الديني في الناس وتعلقهم بمشاهد القيامة في تلك الفترة بمختلف ديانتهم، كذلك في سنة ١٤٧ هـ تساقطت النجوم وتناثرت الكواكب[١]، من أول الليل إلى الصباح فخاف الناس عاقبة ذلك [٢] .

وتكررت مظاهر الخوف والفزع سنة ٢٢٢ هـ وذلك عندما انقض ليلة السبت لست خلون من ربيع الآخر نجم لم يُر أعظم منه حتى نودي بالنفير في الرقة وكور الجزيرة والسابات [٣]، ويذكر ابن الأثير أنه في هذه السنة ظهر عن يسار القبلة كوكب فبقي يرى نحواً من أربعين ليلة وله شبه الذئب وكان أول ما طلع نحو المغرب، ثم رؤي بعد ذلك نحو المشرق وكان طويلاً جداً فهال الناس ذلك وعظم عليهم [٤] .

وفي سنة ٢٤١ هـ كان انقضاض الكواكب ليلة الخميس لستٍ خلون من جمادى الآخرة سنة ولم تزل تنقض من أول الليل إلى طلوع الفجر [٥]، وزاد المسعودي بأنه انقضاض لم ير مثله قط وكان في اليوم السادس من جمادى الآخرة ،[٦] وتناثرت الكواكب كالجراد أكثر الليل وكان أمراً مزعجاً لم يعهد [٧] ، فكان ذلك آية مزعجة [٨] .

هذه الكوارث على تنوعها كانت دافعة للناس للقيام ببعض الأعمال [٩] ومنها :

- الفزع إلى الله والانطلاق إلى المساجد للدعاء والتعبد لله والتوسل إليه برفع البلاء عنهم .
- إعلان التوبة والإقلاع الفوري عن المعاصي وارتكاب المنكرات والذنوب .
- التصدق والإكثار من فعل الصالحات .

---

(1) خليفة بن خياط ، تاريخه ، ص ٢٧٨ ، وابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٨ ص ١٠٢ . والأزدي ، تاريخ الموصل ، ص ٢٠٠ .

(2) ابن تغري ، النجوم الزاهرة ، ج ٢ ص ١١ .

(3) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ١٠ ص ٧٣ .

(4) الكامل في التاريخ ، ج ٥ ص ٤٥٢ .

(5) اليعقوبي ، تاريخه ، ج ٢ ص ٤٩١ . والأصفهاني، البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان ، ص ١٨٣. والعظيمي، تاريخ حلب ، ص ٢٢٧ .

(6) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ٤ ص ١١٣ .

(7) الذهبي ، تاريخ الذهبي ، ج ٥ ص ٩٨٥ ، والسيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ٢٧١ . وانظر : الحلبي ، السيرة الحلبية ، ج ١ ص ٣٠٦ .

(8) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج ١٠ ص ٤٨ .

(9) وهذه من الآثار الإيجابية للكوارث والابتلاءات .

- التناصح بين الناس وبعث روح التكافل الاجتماعي بينهم .
- القيام بأعمال تطوعية لصالح المجتمع .

أما التغيرات المناخية وتغير حالة الجو من حالة إلى أخرى ، فلم ترصد آثار نفسية واضحة لها ولعل المؤرخين لم يعطوا هذا الموضوع في تلك الفترة الاهتمام اللازم ، واقتصرت الآثار على مظاهر الدهشة والخوف والفزع أحياناً .

ومثال ذلك ما حدث سنة٢٨٤ هـ في ربيع الآخر حيث ظهرت ظلمة شديدة وريح وحمرة ، وخاف الناس من ذلك كله ثم كشفه الله [(1)] .

لقد تسببت هذه الظواهر الكونية وغيرها ، في حالة من الخوف والفزع والاستغراب .

وقد ينتج عن هذه الآثار النفسية صوراً من الانهيار النفسي وتكون بأشكال مختلفة ومنها : الصراخ ، والبكاء ، والانطواء وغيرها ، ولكن وبطبيعة حالة الإيمان الموجودة في الناس في تلك القرون ، كانوا ينظرون إليها بنظرة إيمانية تبعث نوعاً من الاطمئنان النفسي لتسكين الهلع والخوف الذي يصاحب مثل هذه الظواهر .

وقد ذكرت خولة المقبل المراحل النفسية التي يمر بها من تعرض للكارثة وما يندرج تحتها من تأثيرات نفسية ، وهي كالتالي :

أولاً : الأثر النفسي الأولي : وهذا يبدأ فور وقوع الكارثة ويستمر من (١٠ دقائق إلى ساعة) وهنا يشعر المصاب بالكارثة بالذعر، والخوف، والإحساس بالتهديد وفقد الأمان ، مع حدوث تغيرات فسيولوجية منها : سرعة النبض ، والتنفس ، وقد يتحول الخوف إلى قلق، وكآبة وحزن عميق .

ثانياً : الأثر النفسي التالي : وهذا يستمر لفترة تتراوح من (ساعة إلى عدة ساعات) ويتصف هذا الأثر بسرعة الانفعال، وشدة القلق، والغضب ، والتأثير العضلي والعصبي .

ثالثاً : الأثر النفسي المتأخر : ويستمر شهوراً أو سنوات ، وقد يمتد مدى الحياة مثل : الاكتئاب الحاد، الهستريا وغيرها من الأمراض النفسية المتأخرة) [(2)] .

---

(1) القلقشندي ، مآثر الأنافة في معالم الخلافة ، ج ١ ص ٢٦٦ .

(2) للاستزادة انظر : العمل الدعوي عند حلول الكوارث ، ص ١٦٨ – ١٧٣ .

المبحث الرابع : الآثار العلمية للكوارث :

لقد أثرت الكوارث بأنواعها على الناحية العلمية ، وكان تأثيرها بشكل مباشر أحياناً أو غير مباشر أحياناً أخرى، فمثلاً ما ينتج عن الزلازل من تدمير وانهدام للمباني بأنواعها [1] يؤثر خاصة إذا ما علمنا أن المساجد كانت من أهم دور العلم في العصور الإسلامية الأُول ، والمراكز التي يتدفق عليها الناس طلباً للعلم [2] .

أ / آثار الزلازل على الجوانب العلمية :

لقد تأثرت دور العلم مع كثير من الزلازل التي وقعت في بلاد الشام ، كما تأثرت الناحية العلمية بموت الناس بما فيهم العلماء وطلبة العلم ، وهذا حدث في معظم الكوارث ، أو ما تتعرض له كتب العلماء من فقدان أو حرق أو تخريب، أو ما يصيب الناس من جروح وإصابات وما ينتج عن هذا من آثار نفسية ، وسنذكر نماذج من هذه الكوارث وما نتج عنها من مؤثرات في الناحية العلمية :

نلحظ أنه في سنة ١٣٠ هـ قد تأثر بيت المقدس كثيراً بالزلزلة التي حدثت فقد أخربته ، ولم تشر المصادر إلى تعطل أدواره العلمية إلا أنه من المؤكد تأثر هذا الجانب كثيراً خاصة وأن الأهالي خرجوا إلى البرية وأقاموا أربعين يوماً [3] . وفي الغالب عند حدوث الزلازل يمتد تأثيرها إلى النواحي العلمية بشكل غير مباشر أحياناً ، فمعاقل العلم في تلك الفترة هي المساجد،فعند تأثرها تتوقف حلقات العلم ويتفرق الناس للوقوف على شؤونهم ومتابعة أوضاع أسرهم، فتضعف النواحي العلمية عند الناس، ويذكر هاني أبو الرب أن التأثير امتد إلى النصارى فقد تهدمت كثير من الكنائس في صحراء بيت المقدس [4] .

---

(1) مباني مدنية مثل المنازل وعسكرية مثل القلاع والحصون ودينية مثل المساجد والمدارس واقتصادية بيت مال المسلمين وغيرها .

(2) نجدت خماش ، الشام في صدر الإسلام ، ص ٩٨ .

(3) ابن تغري ، النجوم الزاهرة ، ج ١ ص ٣٩٤ .

(4) تاريخ فلسطين في صدر الإسلام ، ص ١٩٨ .

كذلك من الآثار العلمية لزلازل سنة ١٣٠ هـ ما ذكره ابن عساكر[1] من احتراق كتب الإمام الأوزاعي [2] زمن الرجفة ثلاثة عشر قنداقاً [3]. فاحتراق كتب عالم يـؤثر في النـواحي العلمية،خاصة في أوضاع مثل تلك الأوضاع في تلك الفترة وما صاحبها من صعوبات في التدوين والنسخ .

لهذا تعتبر الزلازل من أكبر المؤثرات على النواحي العلمية ؛ لأنها تحول المجتمع وفي وقتٍ وجيز إلى مجتمع مرتبك متفرغ لمتابعـة نتـائج هـذه الكارثـة — الـصحية والنفـسية والاجتماعية والأمنية – ، وينصرف الناس عن طلب العلم والاهتمام بهذا الجانب ، وإن كان هذا مؤقتاً إلا أنه يترك آثاره العلمية على المنطقة التي وقع فيها الزلزال .

ب / آثار الأوبئة والطواعين على الجوانب العلمية :

لقد كان لطاعون عمواس آثار علمية كبيرة ، فموت أكثر من خمسة وعشرين ألفاً من الصحابة رضوان الله عليهم ليس بالأمر الهين على الدعوة الإسلامية خاصةً في بـدايتها، لقـد كان الصحابة خير البشر بعد الأنبياء فبموتهم يُفقد كثيرٌ من العلـم ، فـأبو عبيـدة رضـي الله عنه أحد المبشرين بالجنة وأمين هذه الأمة، ومعاذ بن جبـل رضـي الله عنـه أعلـم الـصحابة بالحلال والحرام وهو إمام العلماء يوم القيامة [4]، وهؤلاء وغيرهم كانوا ممـن استـشهدوا في طاعون عمواس، لقد كان الصحابة رضـوان الله علـيهم منـارات عاليـة في العلـم يهتـدى بهـم ويكفيهم فخراً وشرفاً صـحبة رسـول الله ﷺ، إن مـوت عـدد كبيرمـنهم وغيرهـم في طـاعون عمواس وانتشار هذا الوباء سيؤثر حتماً في الحركة العلمية، بل قد يـؤدي إلى توقفهـا تمامـاً خلال حدوث الطاعون خاصةً وأنه مرض معدي، فمن هو سليم سيحرص على اعتزال النـاس

(1) تاريخ مدينة دمشق ، ج ١٠ ص ٤٤. والذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج ٧ ص ٨٤ . وخليل داود ، الحياة العلمية في الشام ، ص ٧٧ .

(2) أبو عمرو الأوزاعي واسمه عبدالرحمن بن عمرو ، والأوزع بطن من همدان ولد سنة ٨٨ هـ وكان ثقة مأموناً صدوقاً فاضلاً خيراً ، كثير الحديث والعلم والفقه حجة ، وكان يسكن بيروت ، مات سنة ١٥٧ هـ في آخر خلافة أبي جعفر وهو ابن سبعين سنة . انظر ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج ٧ ص ٢٢٦ . وابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٠ ص ١٢٤ .

(3) القندق : صحيفة الحساب . ابن منظور ، لسان العرب ، ج ١٢ ص ١٩٨ .

(4) ابن عبد البر ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ص ٦٧٢ .

على أقل تقدير ، كما أن من أصيب به فقد جاءه ما يشغله عن أي أمر آخر ، وعادةً في مثل هذه الظروف تعم حالة من الضعف، وتتقاصر الهمم في هذا الجانب، وهم في ذلك معذورون .

كما أن طاعون عمواس كان سبباً في عودة خليفة المسلمين ومن معه من الصحابة، عندما قدموا من المدينة النبوية سنة ١٧ هـ إلى الشام، وهذا مؤشر ودليل قوي على أن المناطق الموبوءة تعتبر مناطق منفرة وغير جاذبة للناس على مختلف مستوياتهم ، وهذا يترك اثره على النواحي العلمية ولو بطريقة غير مباشرة .

ج / آثار الحرائق على الجوانب العلمية :

يذكر المؤرخون أنه في سنة ٢٣٧ هـ ظهرت نار في بعض كور عسقلان تحرق المنازل والمساجد والبيادر . فهرب الناس فلم تزل تحرق حتى مضى ثلث الليل ثم كفت[١] ، وهنا التأثير شمل المنازل والمساجد والبيادر وكلاً منها يعتبر له أهميته الخاصة ، والذي يهمنا مدى تأثر الناحية العلمية بهذه الحادثة، هذا التأثير قد يكون محدوداً بسبب أن وقتها كان محدداً بفترة زمنية قصيرة، لكن ورود الخبر عند المؤرخين يدل على غرابة الحادثة فهم لم يذكروا سبباً لها والذي يغلب عليها أنها كانت بدون فعل فاعل ثم كفت وبدون ذكر لطريقة إخمادها، وعلى أية حال فإن لهذه الحادثة تأثيرها العلمي، نظراً لتعرض المساجد وهي دور العلم والعبادة للحرق، وما سببته من هلع وخوف عند الناس .

وفي سنة ٢٩٣ هـ أغارت الروم على موارس من أعمال حلب، وقاتلهم أهلها فانهزموا وقتل منهم خلق ودخلها الروم فأحرقوا جامعها وأخذوا من بقي فيها [٢]، لقد كانت المساجد عرضه للحرائق عند نشوب الحروب والفتن، مما يعطل مهمتها في كثير من الأحيان .

والحرائق عند نشوبها في المدن والمساجد والحواضر ، تكون ذات تأثير بالغ على النواحي العلمية، – مر معنا في الفصل الثاني حرائق التهمت قرى وحواضر بأكملها نتيجة الثورات والفتن– فعندما يحدث حريق على نطاق واسع فإن بيوت العلماء وطلبة العلم والنساخون ودور الكتب، تكون مادة سهلة الاستجابة للحرائق ، علماً أن أوضاع الكتب في

(1) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ١٠ ص ٢٥٢ . وابن تغري ، النجوم الزاهرة ، ج ٢ ص ٣٤٨. والذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج ٥ ص ٧٥٠ . والقرماني ، أخبار الدول وآثار الأول ، ج ٢ ص١١٤ .

(2) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ، ج ٦ ص ٢٠٦ . وابن خلدون ، تاريخه ، ج ٣ ص ٤٣٨ .

تلك الفترة تختلف عن الوقت الحاضر من حيث تخزينها وكبرها وصعوبة نقلها، وهذا يؤثر على الناحية العلمية بصورة عامة .

د / آثار المجاعات وغلاء الأسعار على الجوانب العلمية :

تعبر المجاعات وغلاء الأسعار من العوامل المؤثرة وبشكلٍ مباشر على النواحي العلمية، ذلك وأن المجاعات و ما يتبعها من غلاء الأسعار، يجعل الناس ينصرفون عن طلب العلم والاشتغال به، وتنصرف همتهم واشتغالهم في تحصيل ما يساعدهم على مواجهة ظروفهم المعيشية، كما أن ارتفاع الأسعار في المتطلبات العلمية مثل : (كتب – ورق – أحبار – نسخ) تؤثر على النواحي العلمية بشكل عام .

ولعل من الآثار الناجمة عن الكوارث ما ظهر من مؤلفات متخصصة عنها ، فقد أُلف مثلاً عن الزلازل كُتب كتبها مؤرخون معاصرون حفزتهم الأحداث والنكبات للكتابة في هذا الموضوع،ويبدو أن معظمها قد فقد ، ومن أمثلة ذلك رسالة ألفها أبو يوسف يعقوب بن اسحق الكندي (ت ٢٥٤ هـ) حيث يعد أول مصنف للعلوم عند العرب، بعنوان (علم حدوث الرياح في باطن الأرض المحدثة كثير الزلازل)[1] ، وقد ألف أيضاً في إحداثيات متعددة لها علاقة بالأوبئة وأحداث الجو وغيرها [2]، وفي الجراد كتاب لأبي نصر أحمد بن حاتم الباهلي (ت ٢٣١ هـ)[3] وكتاب عن الجراد وعن الخصب والقحط لأبي حاتم السجستاني (ت ٢٥٥ هـ)، وهي تدل على اهتمام المؤرخين بهذا الجانب، وأيضاً مدى تأثرهم بهذه الكوارث، وحضورها في اذهانهم وكتاباتهم يدل على أثرها عليهم .

كذلك من المؤكد أن كثيراً من الآثار العلمية للكوارث لم ترصد في تلك الفترة ، وذلك أن معظم المؤرخين كانت اهتماماتهم متابعة الأوضاع السياسية بالدرجة الأولى، ولكن المتتبع لأحوال الناس زمن الكوارث والملمات يشعر بتأثر هذا الجانب ، كون الإنسان العنصر المحرك للنشاط العلمي ، فتعرضه للظروف الطارئة على اختلاف درجة تأثيرها لا شك أنه يؤثر فيه، ويحد من نشاطه في هذا الجانب ، فالإنسان بطبعه شديد التأثر بما حوله .

---

(1) ابن النديم ، الفهرست ، ص ٣٢١ .

(2) ابن النديم ، المصدر السابق ، ص ٣٢٠ .

(3) ابن النديم ، المصدر السابق ، ص ٧٩ .

المبحث الخامس : الآثار العمرانية (المدنية)

أ / آثار الزلازل على الجوانب العمرانية :

كان للزلازل في بلاد الشام آثار تدميرية على كثير من المعالم العمرانية بمختلف أشكالها وتنوعها، مما كان لها أسوأ الأثر في الجانب الحضاري للإنسان ، ولعل من أهم آثار الزلازل، تدمير البنية التحتية للمدن والقرى ، ومما يزيد خطرها عنصر المفأجاة بحيث لا يستطيع الإنسان اتخاذ اللازم حيالها ، ولقد مرت بلاد الشام بهزات زلزالية تنوعت ما بين ضعيفة ومتوسطة وشديدة، نتج عنها تهدم كثير من المباني والبيوت، والقلاع والحصون والأسوار، والمساجد، والأسواق ، وغيرها من مظاهر الحياة العامة، يذكر مصطفى محمود، ضمن أحداث سنة ٣٩/٣٨ هـ (٦٥٨ / ٦٥٩ م) حدوث زلازل عظيمة ويحدد مواقعها في سوريا وفلسطين[(1)]، ويقول عنها زلازل هدمت معظم مدن فلسطين والبلاد المجاورة [(2)] . وإن كانت المصادر الإسلامية قد سكتت عن ذكرها ، إلا أنه يبدو أن آثارها كانت كبيرة ، وقد ذكرها يوسف الدبس ووصفها بالزلازل الشديدة والتي أخربت كثيراً من قرى فلسطين [(3)] .

ومن آثار الزلازل على المعالم العمرانية ما حدث سنة ٤٣ هـ (٦٦٣ م) حيث تعرضت بلاد الشام إلى زلزلة، لم يصلنا من أخبارها غير أنها أدت إلى خراب في قلعة رعبان [(4)] .

وفي سنة ٧٠ هـ يذكر العظيمي أنه كانت بالشام زلزلة هدمت المدائن وأخربت طبرية [(5)] .

وفي سنة ٩٤ هـ حدثت الزلازل في عهد الخليفة الوليد بن عبدالملك، والتي هدمت كل شيء ، وأقامت أربعين صباحاً ، وشمل الهدم الأبنية الشاهقة وتهدمت دور أنطاكية ، وخربت البلاد ، وكان تركيزها في أنطاكية [(6)] .

---

(1) الزلازل ، ص ٨٩ .
(2) الزلازل ، ص ٨٩ .
(3) تاريخ سورية ، ج ٥ ص ٣٣ .
(4) الخالدي ، الزلازل في بلاد الشام ، ص ٧٠ .
(5) العظيمي، تاريخ حلب ، ص ١٦١ .
(6) اليعقوبي ، تاريخه ، ج ٢ ص ٢١٩ . والمنبجي ، المنتخب من تاريخ المنبجي ، ص ٨٢ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ص ٣١٨ . والقلقشندي ، مآثر الأنافة في معالم الخلافة ، ج ١ ص ١٣٧ . وابن واصل ، التاريخ الصالحي ، ج ١ ص ٣٠١ . وعبدالرحمن سنبط قنيتق الأبلي ، خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك ، ص ١ . ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٤ ص ٢٣٠ . والنويري ، نهاية الأرب ، ج ٢ ص ٢٨٩ . والأصفهاني، البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان ، ص ١٢٨ .

ويذكر الشنبري: إن بلاد الشام تعرضت لعدد من الزلازل وعاديات الأيام ،والذي ضرب كثير من العمائر الأموية ومن ذلك زلزال سنة (١٢٩هـ / ٧٤٧ م) الذي ترك آثاره على قصر القسطل الذي كان يقع في البلقاء ، وكان سبباً في تدمير زخارفة والتي كان من الممكن تقديم معلومات هامة عن تاريخ القصر والفترة التي بُني فيها [١] . ويبدو أن المقصود هنا زلزال سنة ١٣٠ هـ ؛ لأن المصادر المتقدمة لم تذكر وقوع زلزال في هذه السنة .

وفي سنة ١٣٠ هـ تأثرت المعالم العمرانية في فلسطين وساحلها بشكل كبير ، فقد خسف بالكثير من الأماكن ، وتأثر بيت المقدس ودمشق تأثراً بالغاً [٢] . كما أدت إلى سقوط الكثير من البيوت فوق رؤوس أهلها .

وتعتبر أنطاكية من أكثر المدن تعرضاً للزلازل قديماً وخلال فترة الدراسة ، فقد حدث فيها نحو (١٠ هزات زلزالية) كان بعضها شديداً ، أدى إلى تأثر بنيانها، وسقطت معالمها وأبنيتها الشاهقة في أكثر من زلزال ، ومن ذلك زلزال سنة ٩٤ هـ ، وسنة ٢٢٠ هـ ، ٢٣٢ هـ ، ٢٣٣ هـ ، ٢٤٥ هـ .

كما كانت سنة ٢٣٢ هـ زلازل شديدة في دمشق وحمص وأنطاكية والعواصم وأدت إلى هدم الدور والحيطان، وموت كثير من الخلق .

وفي السنة التي تليها ضربت الشام زلازل تعتبر من أقوى الزلازل التي أصابت بلاد الشام، وقد عظم تأثيرها في دمشق والغوطة والبلقاء وأنطاكية ، وقد وصفها ابن الجوزي فقال: (رجفت دمشق رجفة شديدة لارتفاع الصخر وانتقضت البيوت، وتزايلت الحجارة العظيمة، وسقطت عدة منازل ..... إلخ) ونلحظ هنا أن التأثير كان كبيراً خاصة في دمشق، فقد سقطت البيوت .

كما أن المنطقة المتأثرة امتدت إلى قرية من أعمال الغوطة فأنكفأت عليهم [٣] . وأصاب أهل البلقاء ما أصاب أهل دمشق من هدم المنازل وتزايلت الحجارة من سور مدينتهم وسقط حائط لها عرضه ذراع في ستة عشر ذراعاً [٤] .

---

(1) الشنبري ، نصارى بلاد الشام ، ص ٦٤٠ .
(2) المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ١٦٨ . وابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٨ ص ٢٦٦ . والقرماني ، أخبار الدول ، ج ٣ ص ٣١٩ .
(3) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ١٠ ص ١٨١ .
(4) ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ج ١٠ ص ١٩٠ .

كل النصوص السابقة تؤكد مدى تأثير هذه الزلزلة المهولة – كما يصفها السيوطي – في المعالم العمرانية ، وما نتج عنها من هدم الدور وأجزاء من الأسواق والجوامع والأسوار والقناطر والمزارع، فقد كان حجم المأساة والدمار الذي لحق بالمناطق المنكوبة كبيراً ، وذلك يمكن ملاحظته من خلال النطاق الجغرافي الذي شمله الزلزال ، والآثار التدميرية الذي خلفه، فتكون بذلك آثارها عمرانية وحربية واقتصادية وعلمية على جميع السكان باعتبارهم أهم العناصر المتأثرة .

وفي سنة ٢٣٩ هـ تأثرت طبرية برجفة حتى مادت الأرض واصطكت الجبال وانقطع من الجبل المطل عليها ثمانون ذراعاً طولاً وعرضاً في خمسين ذراعاً فتقطع فمات تحته بشر كثير وهدم دوراً [١] . وهنا نلحظ ان التأثير كان مخصوص بطبرية أكثر من غيرها ، وسقوط جزء من الجبل أدى في تغير وإن كان بسيطاً في طبيعة الجبل وما حوله .

أما سنة ٢٤٢ هـ فقد عمت الزلازل أرجاء كثيرة (فارس ، وخراسان ، والشام ، واليمن)، وكانت زلازل هائلة وسمعت أصوات منكرة [٢] ، وهلك خلق تحت الردم [٣] ، وقد نتج عنها أن تقطعت جبال وتشققت الأرض وإن كان تركيز هذه الزلازل في بلاد فارس إلا أنها وصلت إلى الشام والجزيرة [٤] .

وفي سنة ٢٤٥ هـ عمت الزلازل بلاد الشام كلها وتأثرت كثيراً اللاذقية وجبلة ومات عالم من الناس واتصل ذلك شهوراً [٥] ، ويذكر الطبري " أنه كانت في هذه السنة بأنطاكية زلزلة ورجفة في شوال قتلت خلقاً كثيراً وسقط منها ألف وخمسمائة دار، وسقط من سورها نيف وتسعون برجاً، وتقطع جبلها الأقرع وسقط في البحر فهاج البحر في ذلك اليوم وارتفع منه دخان أسود مظلم منتن، وغار منها نهر على فرسخ لا يُدرى أين ذهب " [٦] .

---

(1) ابن الجوزي، المصدر السابق، ج١٠ ص ٢٦٦. والسيوطي، كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة، ص١٧٠
(2) الطبري ، تاريخه ، ج ٥ ص ٣٢٥ .
(3) ابن تغري ، النجوم الزاهرة ، ج ٢ ص ٣٦٨ .
(4) ابن أبي جرادة، زبدة الحلب من تاريخ حلب، ج١ ص٨١. والغزي، نهر الذهب في تاريخ حلب، ج٣ ص٣٣.
(5) اليعقوبي ، تاريخه ، ج ٢ ص ٤٩١ .
(6) تاريخ الطبري،ج ٥ ص ٣٢٨ . وابن الجوزي ، المنتظم ، ج ١٠ ص ٣٢٨ . وابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٥ ص٥٥٨. وابن العبري، تاريخ الزمان، ص ٤٠ . والقلقشندي ، مآثر الأنافة في معالم الخلافة ، ج ١ص ٢٣٣ . ومصطفى محمود ، الزلازل ، ص ٦٥ . وابن واصل ، التاريخ الصالحي ، ج ١ ص ٤٣٣ .

وعمت الزلازل بالس ، والرقة، وحران، ورأس عين ، وحمص ، ودمشق ، والرها، وطرسوس ، والمصيصة ، وأذنة ، وسواحل الشام ، واللاذقية ، فما بقي منها منزل ولا أفلت من أهلها إلا اليسير وذهبت جبلة بأهلها [1] ، ويشير معظم المؤرخين إلى أن هذه الزلازل أخربت القلاع والمدن والقناطر وأهلكتا خلقاً عظيماً تحت الردم ، والذي يقرأ وصف المؤرخين لها يدرك حجم الكارثة وما نتجت عنها من تدمير وهلاك للناس والبنية التحتية من قناطر ومنازل وأسوار وقلاع وغيرها ، وهذا أثـرّ بـشكل واضح في المعـالم العمرانيـة سـواءً المدنيـة أوالاقتصادية أوالحربية .

ويصفها ابن الوردي فيقول: " وفيها زُلزِلَ الشام عظيماً في شباط، وسقطت مـن ذلـك كنيسة حناك الكبيرة وغيرها " [2]. وكانت زلزلة عامة وتأثيرها عام على جميع مناطق بـلاد الشام .

وفي سنة ٢٨٩ هـ يذكر ابن الجوزي : " أنه في هذه السنة كثـرت الـزلازل فكـان في رجب زلزلة شديدة " [3] وابن كثير يصفها " بالزلزلـة العظيمـة جـداً " [4].إلا أنـه لم يحـدد موقعها وما نتج عنها ، ويبدو أنها كانت زلزله عامة شملت مناطق واسعة .

ويذكر مصطفى محمود أن تأثيرها إمتد إلى بغـداد والبـصرة وحمـص، وكـان زلـزال بحري أحدث طوفانات بحرية أغرقت مواضع كثيرة [5] . فنتيجةً لهذه الزلزلة فـاض البحـر على الساحل، ومعلوم ما ينتج عن هذه الفيضانات مـن خـراب للبيـوت والأسـواق والطرقـات والمحلات المجاورة للساحل ، وما يخلفه الغـرق مـن خـراب علـى المزروعـات والمعروضـات التجارية ، فهذه من الآثار العمرانية للزلازل والتقلبات الجويـة واشـتداد الريـاح في عـرض البحر . وكما هو معلوم أن بلاد الشام لديها على سـاحل البحـر الأبـيض المتوسط مـدن ذات مواقع إستراتيجية ، وقلاع تقوم بواجبات دفاعية ، ولا يستبعد تأثرهـا بهـذا الغـرق ولعـل تأثيره كان محدوداً وما يفسر ذلك أن معظم المصادر التاريخية لم تذكره .

---

(1) الطبري ، تاريخه ، ج ٥ ص ٣٢٩ .
(2) تاريخ ابن الوردي ، ج ١ ص ٢١٩ .
(3) المنتظم ، ج ١٢ ص ٤٢٣ .
(4) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ص ١٠١ .
(5) الزلازل ، ص ٩٤ .

وفي سنة ٣٠٠ هـ انخسفت وغارت قطعة عظيمة من جبل لبنان وسقطت في البحر ، ولم تذكر المصادر آثاراً لهذه الحادثة . لكن سقوط جسم كبير في البحر لا شك أنه يؤثر على حياة النبات والكائنات البحرية ويؤدي إلى هلاكها وابتعادها عن الشاطئ ولو مؤقتاً .

أهم آثار الزلازل العمرانية :

١ – تدمير البنية التحتية للمدن والقرى وخاصةً المناطق القريبة من مركز الزلزال .

٢ – سقوط الأماكن العالية والقلاع والحصون العسكرية .

٣ – انهدام أسوار المدن – تعتبر ذات أهمية كبرى في تلك الفترة – .

٣ – سقوط البيوت والمباني والمساجد والأسواق .

٤ – تأثر السواحل وحدوث خسف في بعض المواقع .

٥ – حدوث تشققات وصدوع في الأرض وتقطع وسقوط قطع كبيرة من الجبال .

٦ – تخريب الأراضي الزراعية والقناطر والترع وغور بعض الأنهار واختفائها تماماً .

٧ – حدوث طوفانات بحرية على السواحل .

وهذه الآثار تختلف في تأثيرها على منطقة الحدث من مكان إلى آخر حسب قوة الزلزال وطبيعة المنطقة الجغرافية .

ب / آثار التغيرات المناخية على الجوانب العمرانية :

كما كان للتغيرات المناخية تأثيراتها العمرانية، فهبوب الرياح وهطول الأمطار وتساقط البرد والثلوج كان له آثاره الكبيرة على المباني والطرقات والأراضي الزراعية ، كما حدث في سنة ٢٤ هـ حيث يذكر المنبجي : " عرضت فيها ريح شديدة فقلعت أشجاراً كثيرة ، وأفسدت الزروع والكروم وهدمت صوامع كثيرة " [1] .

وفي سنة ٥٠ هـ ، السنة التاسعة لمعاوية بن أبي سفيان ، سقط ثلج كثير ، وحدث برد شديد ، ومات خلق كثير من الناس والبهائم [2] ، وتسببت في تلف الزروع ، وهذا لا شك مؤثر على الحياة بشكل عام،. وهذا تكرر سنة ٦٤ هـ حيث حدث برد شديد في شتاء

(1) المنتخب من تاريخ المنبجي ، ص ٥٥ .

(2) المنبجي ، المصدر السابق ، ص ٧١ .

هذه السنة، تجمدت فيه المياه ويبست أشجار الزيتـون والكـروم ... إلخ [1] ممـا يعـني تـأثر النواحي العمرانية بجميع أنواعها وأخص هنا المباني والأراضي الزراعية .

وفي سنة ١٦١ هـ يورد البلاذري ما يدل على تأثر مدينة الحدث إحدى مدن الثغـور للثلوج مما ادى إلى تثلم المدينة وتشعثها نتيجـة كثـرت مـا سـقط عليهـا مـن الثلـوج وتتـابع الأمطار [2] .

كذلك كـان للفـتن والاضـطرابات الـتي تحـدث بـسبب الثـورات الداخليـة أو القـوى الخارجية دوراً في تغيير المعالم العمرانية ومن ذلك ما حدث سنة ٢٩٠ هــ عنـدما تعرضـت دمشق نتيجة الفتن والاضطرابات وتسلط القرامطة ، وما قاموا به حيث دمـروا معظـم أدوات الزراعة فخربوا مجاري المياه وسدوا العيون وكان يغورونها ويردمون الـبرك وأمـاكن تجمـع المياه والآبار وأكثروا من عمليات نهب الأموال والأدوات والسلاح وأباحوا المدن وأحرقوها كما أضروا بالتجارة [3] .

ج / آثار الحرائق على الجوانب العمرانية :

يذكر المؤرخون حوادث الحرائق مع تركيز على مسبباتها السياسية ، دون التفصيل في آثارها العمرانية، ومن ذلك ما تعرضت له اللاذقية سنة ٩٨ هـ من حريق كـبير مـن قبـل الروم[4]، وفي سنة ١٠٨ هـ وقع حريق في دابق احترق على أثره المرعى والخيم ، كما ظهـرت حرائق في الشام نتيجة الفتن والثورات ، وفي سنة ٢٣٧ هـ ظهرت نار في بعض كور عسقلان تحرق المنازل والمساجد والبيادر ، فهرب الناس فلم تزل تحرق حتـى مـضى ثلـث الليـل ثـم كفت[5] كل هذه الحوادث وغيرها كان لها تأثيراتها العمرانية، ذلك أن الحريق يؤثر وبشكل واضح على المنازل والبيئة ويجعلها غير صالحة للسكنى وغيرها من المؤثرات .

هذه الآثار العمرانية وغيرها من الآثار الأخـرى والـتي استعرضـناها سـابقاً، كانـت نتيجة حتمية لحدوث الكوارث على مر العصور، والمتتبـع لهـا يـشعر بمـدى المعانـاة الـتي

---

(1) هاني أبو الرب ، تاريخ فلسطين في صدر الإسلام ، ص ٢٠١ .
(2) فتوح البلدان ، ص ١٩٤ .
(3) محمد زيود ، حالة بلاد الشام الاقتصادية ، ص ٢١ .
(4) اليعقوبي ، تاريخه ، ج ٢ ص ٢٩٩ . المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ١٥٣ ، فيليب حتى ، ج ٢ ص ٥١ .
(5) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ١٠ ص ٢٥٢ . وابن تغري ، النجوم الزاهرة ، ج ٢ ص ٣٤٨. والذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج ٥ ص٧٥٠. والقرماني، أخبار الدول وآثار الأول، ج ٢ ص ١١٤ .

لحقت سكان بلاد الشام من جراء هذه الكوارث ، ولكن ما يسلي قلب المؤمن ، أنها وإن كانت آثارها السلبية هي الطاغية إلا أنها كانت أيضاً تحمل معها الخير ، وهذا ميزة يختص بها المسلمون عن غيرهم ، فأمر المؤمن كله خير كما قال رسول الله ﷺ: " عجبا لأمر المؤمن ، إن أمره كله خير ، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر ، فكان خيرا له ، وإن أصابته ضراء صبر ، فكان خيرا له " [1]، كما أنها دفعت الناس إلى مراجعة النفس وتعهدها بالتوبة والإنابة إلى الله في كل الشؤون ، وتذكر هوان الدنيا وأنها دار التعب والعناء والمشقة وليست بدار القرار والسعادة .

---

(1) مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، ج ٤ ص ٢٢٩٥ ورقم الحديث ٢٩٩٩ .

الخاتمة والنتائج :

إن هذه الدراسة كانت محاولة جادة لدراسة جزء يكتنفه الغموض من تاريخنا الإسلامي ، في جانب الكوارث وأنواعها ونظرة الإسلام لها ، وجهود أبناء المجتمع الإسلامي – حكام ومحكومين – في مواجهتها ، وآثارها في النواحي السياسية والحضارية بشكل عام .

ولقد تنوعت الكوارث في بلاد الشام بين زلازل وأوبئة وقحط وظواهر جوية وآفات وغيرها، وواجه المسلمون هذه بكل ما أوتوا من إمكانات ، واستطاعوا تحويلها من محنة إلى منحة، واستفادوا منها في العودة والتوبة إلى الله، وإظهار الذل والخضوع والإنابة، والحذر والخوف من الله عز وجل .

لقد أكدت الدراسة أن كل ما يصيب الإنسان على الأرض من مصائب وبلايا من وخزة الشوكة واختلاج العرق إلى الزلازل المدمرة والرياح العاتية هو بسبب ما يجترحه من سيئات، إذ تأتي كسنة من سنن الله في خلقه إلى يوم القيامة، على اختلاف الحكمة منها .

ومن أهم نتائج الدراسة ما يلي :

١ - أن المصائب والمحن بأنواعها دقيقها وجليلها وظاهرها وباطنها لا تنزل إلا بذنب، ولكن تتباين الحِكم من نزولها فلله في خلقه شؤون وحكم لا يعلمها إلا هو .

٢- أن المصائب تنزل بالصالحين وبخيار الخلق وغيرهم ، ولكنها تختلف أثراً وحكمة فيهم .

٣ – تعرض بلاد الشام لأكثر من (٣٠) زلزال، و (٢٥) طاعوناً ووباء كانت هي أبرز ما تعرضت له بلاد الشام من كوارث .

٤ – تبين ومن خلال المصادر المتوافرة أن الطاعون كان بلا منازع أهم تلك الأوبئة والأمراض التي اجتاحت بلاد الشام خلال القرن الأول والثاني ، وباستثناء الطاعون لم نلحظ انتشاراً مهماً لأي وباء آخر، لكن هناك إشارات إلى بعض الأوبئة والأمراض الأخرى مثل الجذام وغيرها .

٥ - طغى التفسير الديني على الناس عموماً ، الذين كانوا يعتبرون الكوارث والجائحات عقاباً من الله . وهذا يؤكد ارتباط القرون الأولى بالله وصحة اعتقادهم .

٦ - تزامن حدوث بعض أنواع الكوارث مثل الزلازل مع كوارث أخرى مثل الطواعين والجفاف والقحط والمجاعات وأسراب الجراد ، وتناثر النجوم ، وغيرها .

٧ - قد يكون من نتائج الطاعون انحلال الملكيات وعدم وجود من يمتلك الأرض ويستغلها ، مثل ما حدث في طاعون سنة ١٧٠ هـ في عهد هارون الرشيد الذي حدث في فلسطين .

٨ - معظم الكوارث التي أصابت بلاد الشام كان لها امتداد في البلدان المجاورة وخاصة العراق ، وعلى الأخص الزلازل والطواعين .

٩ - الزلازل التي تعرضت لها بلاد الشام في القرون الثلاثة الأُول كان بعضها أشد من بعض، ونتج عن زلازل القرن الثالث الهجري ، قتلى بالآلف وتدمرت كثير من المباني .

١٠ - كثير من الزلازل التي حدثت في بلاد الشام كان تركيزها في مناطق جبلية مثل أنطاكية فقد وقعت فيها كثيراً ،وكانت متفاوتة القوة .

١١ – انتاب الدولة الإسلامية زلازل كارثية في بعض الأحيان مثل زلزال ٢٤٢ هـ ، و ٢٤٥هـ، ٢٦٧ هـ غير أن الباقي كان في أغلبها هزات خاطفة سريعة .

١٢ - بعض الزلازل صاحبها ظواهر غريبة مثل احمرار الشمس وظلام الدنيا وكسوف وغيرها .

١٣ - بعض الزلازل لم يحدد تاريخها بالدقة لاختلاف التاريخ الميلادي عن التاريخ الهجري ، وصمت المؤرخون عن ذكر تاريخها بدقة .

١٤ - لم تسجل ولا حالة واحدة لحدوث براكين في بلاد الشام خلال فترة الدراسة .

١٥ - لم تذكر المصادر وقوع فيضانات أو جفاف لأنهار الشام خلال فترة الدراسة .

١٦ - لم تبرز المصادر أي جهود للدول أو المناطق المجاورة لبلاد الشام أو للتجار والأعيان في المساهمة والتخفيف من آثار الكوارث .

١٧ - كانت هناك جهود فردية وبسيطة من بعض الأفراد الميسورين في تخفيف آثار الكوارث على بلاد الشام .

١٨ – شارك العنصر النسائي في العصرين الأموي والعباسي في التخفيف من آثار الكوارث – وإن كانت محدودة – وقدموا صدقات وأوقاف كانت عوناً للمحتاجين أثناء حدوث الكوارث .

١٩ - كان اهتمام المؤرخين بإدراج أخبار الحرائق اهتماما ضعيفاً ، بحيث لم يدونوا منها إلا القليل، وركزوا اهتمامهم على الأحداث السياسية وما نتج عنها .

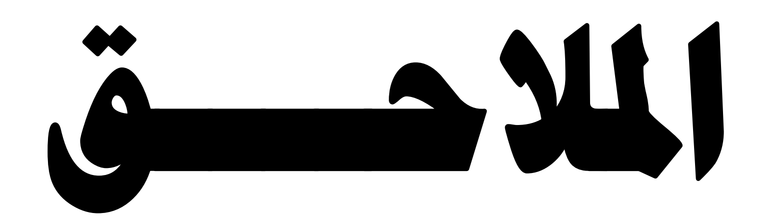
٢٠ - حدوث كوارث متعددة كالزلازل والطواعين الفتاكة كانت فيما يبدو سبباً لإهمال تدوين أخبار الجراد وبعض الآفات الأخرى باعتبارها أقل خطورة وفتكاً من الزلازل والطواعين .

٢١ - إذا أمعنا النظر في الظروف التاريخية التي اندلعت فيها القحوط والمجاعات نلاحظ أنها تزامنت مع مراحل الفتن والثورات ، وهذا يدل على ذكاء واستغلال الثوار لهذه الظروف وتوظيفها لصالحهم .

٢٢ - أكثر بلدان الشام تعرضاً للكوارث : أنطاكية – فلسطين – دمشق – سواحل الشام – حمص – حلب .

٢٣ - يمكن القول بأن الأحوال الاقتصادية الجيدة لبلاد الشام خاصة في القرن الأول وإلى منتصف القرن الثاني إبان العصر الأموي،وكذلك حركة الفتوحات الإسلامية في تلك الفترة ، ساعدتا سكان بلاد الشام على مواجهة الكوارث ، أو على أقل الأحوال التخفيف من آثارها .

وختاماً أسال الله بمنه وكرمه أن يقينا وإياكم الكوارث وأن يحفظ علينا أمننا وأماننا إنه ولي ذلك والقادر عليه . وصلى اله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .


الملاحق

جدول (١) : **درجة التأثير الذي تحدثه الزلازل (لعالم الزلازل ريختر)** [1]

القوة	درجة الاهتزاز	مظاهر التأثير
١	بالغة الضعف	لا يحس بها سوى آلات التسجيل الزلزالية ، ويعرف جهاز قياس الزلازل باسم سيسموجراف **seismograph** .
٢	ضعيفة جدا	لا يشعر بها سوى سكان الطوابق العليا من المباني .
٣	ضعيفة	لا يحس بها سوى عدد قليل من الأفراد .
٤	متوسطة	يحس بها معظم الناس في المباني ، وبعض سكان الأدوار الأرضية ، وهي لا تثير الخوف في النفس .
٥	محسوسة	يشعر بها كل من في المنازل وبعض من في خارجها ،وتوقظ النائمين ،وتثير الخوف عند بعض الناس .
٦	قوية	يشعر بها كل من في داخل المباني ، ويندفع كثير منهم إلى الشوارع فزعين ، وتسقط الأشياء من على الرفوف في المنازل ، وتحث شروخاً في طلاء الجدران ، وينجم عنها تلف طفيف في المنازل الصغيرة .
٧	عنيفة	تثير الخوف والرعب ويشعر بها من في المنازل وكذلك من بخارجها ، ويندفع الناس على إثرها إلى الشوارع في رعب ، وتحدث بعض الأضرار لكثير من المباني .
٨	مخربة	تثير الرعب ، وتحدث أضراراً متوسطة للمباني ، وتخريب بعض المنازل، ولا ينجم عنها خسائر في الأرواح ولكنها تسبب الأذى لبعض الناس .
٩	مدمرة	تتحطم بعض المباني بصورة كلية ، وكثير منها يصاب بتخريب شديد ، ويلقى قليل من الناس مصرعهم بتأثر تلك الزلزلة
١٠	شديدة التدمير	تتحطم كثير من المباني بصورة كاملة ، كما يصرع العديد من الناس
١١	بالغة التدمير	تتحطم المباني الحجرية عن آخرها ، وتلتوي العمد الحديدية ، وتتحطم بفعلها السدود والقناطر
١٢	شاذة التدمير ، ومفجعة	تتحطم جميع المباني بدون استثناء وتنشق الأرض

(1) محمد مؤنس عوض ، الزلازل في بلاد الشام ،ص ٥٧ .

جدول رقم (٢) : الزلازل التي حدثت في بلاد الشام من سنة ١ – ٣٠٠ هـ

م	التاريخ	المناطق التي أصابتها	الآثار
١	سنة ٧ هـ	لم يحدد موقعها	–
٢	١١ هـ	لم يحدد موقعها	رجفة عظيمة وعمود نار في السماء
٣	١٣ هـ	فلسطين و حلب	استمرت ٣٠ يوم مع انتشار للأوبئة
٤	١٥ هـ	حمص	تصدعت وتهافتت الدور والأسوار
٥	٢٠ هـ	سوريا وفلسطين	لم تذكر آثارها
٦	٣٧ / ٣٨ هـ	فلسطين	زلزلة قوية هدمت معظم قرى فلسطين
٧	٤٣ هـ	الشام	تهدمت قلعة رعبان
٨	٥٨/٥٧ هـ	قرية قطنان من قرى سروج – والرُها	سقوط سورها وعامة بيوتها
٩	٧٠ هـ	الشام	هدمت المدائن وأخربت طبرية
١٠	٩٤ هـ	الشام	تهدمت دور أنطاكية
١١	٩٨ هـ	الشام	هدمت القلاع والأماكن العالية
١٢	١٢٤ هـ	سورية والأردن	استمرت ١٠ أيام قلت الأمطار والينابيع والأنهار
١٣	١٣٠ هـ	الشام وتركزها ببيت المقدس وشملت ساحل فلسطين ودمشق وطبرية	زلزلة عظيمة هدمت الدور وهلكت خلق كثير ومات في طبرية مائة ألف ونيف
١٤	١٣١ / ١٣٢ هـ	دمشق	–
١٥	١٤٠ هـ	المصيصة	تشعث سورها
١٦	١٦٣ هـ	فلسطين — سوريا	هدم الكنائس والأديرة ومات ألف من السكان
١٧	١٨٧ هـ	المصيصة	انهدم سورها ونضب ماؤها
١٨	٢١٩ هـ	الشام	زلازل هائلة لم توضح آثارها
١٩	٢٢٠ هـ	أنطاكية	دامت ٤٠ يوماً وتهدمت أنطاكية
٢٠	٢٣٢ هـ	دمشق — حمص — أنطاكية – العواصم	تهدمت المنازل والدور ومات خلق من الناس
٢١	٢٣٣ هـ	الشام كله وكان أشدها في دمشق والغوطة والبلقاء وأنطاكية	رجفة شديدة سقطت منها البيوت وشرفات المساجد والأسوار والقناطر

م	التاريخ	المناطق التي أصابتها	الآثار
٢٢	٢٣٩ هـ	طبرية	رجفت طبرية حتى مادت الأرض واصطكت الجبال ومات بشر كثير
٢٣	٢٤١ هـ	أنطاكية – حمص – تدمر	زلزلة عظيمة أخربت أنطاكية وحمص وتدمر
٢٤	٢٤٢ هـ	الشام	زلازل هائلة عمت أرجاء كثيرة تقطعت منها الجبال وتشققت الأرض
٢٥	٢٤٥ هـ	الشام كله وتركزت في أنطاكية وسواحل الشام	تهدمت الدور وسقطت الأسوار ومات خلق كثير من الناس واستمرت شهور
٢٦	٢٦٧ هـ	الشام ومصر والجزيرة والأندلس	زلزلة عظيمة لم تتوفر معلومات عن آثارها في الشام
٢٧	٢٧٢ هـ	عمت البلدان ويحددها النصر في مصر والشام	زلزلة عظيمة نتج عنها غلاء
٢٨	٢٧٥ هـ	عمت البلدان	لم تتوفر معلومات عن آثارها
٢٩	٢٨٩ هـ	بغداد – البصرة – حمص	يذكر مصطفى محمود انه زلزال بحري أحدث طوفانات بحرية
٣٠	٣٠٠ هـ	جبل لبنان	انخساف قطعة عظيمة من جبل لبنان

جدول رقم (٣) : التغيرات الجوية وتناثر النجوم والكواكب وحالات الكسوف والخسوف والمطر والثلج والسيول والعواصف والفيضانات التي حدثت في بلاد الشام من سنة ١ – ٣٠٠ هـ

م	التاريخ	الحـــــــدث	الآثـــــــــار
١	٤ هـ	انكسفت الشمس واستمرت تسعة أشهر وكان نصف جرمها مكسوفاً والنصف غير مكسوف	لم يكن يظهر من ضوئها إلا يسيراً .
٢	٧ هـ	ظهر نجم مذنب في السماء انكسفت الشمس وظهرت النجوم بالنهار	– –
٣	٢٣ هـ	انكسفت الشمس	–
٤	٢٤ هـ	ريح شديدة	قلعت الأشجار وأفسدت الزروع والكروم وهدمت الصوامع
٥	٥٠ هـ	سقوط ثلج كثير وبرد شديد	مات خلق كثير من الناس والبهائم
٦	٥٤ هـ	ظهر قوس قزح في السحاب كاملاً	غشي الناس الخوف والفزع وقال كثير أن القيامة حضر وقتها
٧	٥٥ هـ	ظهر كوكب ذؤابي	–
٨	٦٤ هـ	حدث برد شديد في شتاء هذه السنة	تجمدت المياه ويبست أشجار الزيتون والكروم وفنيت الحيوانات والبهائم
٩	٧٣ هـ	كسفت الشمس حتى بانت النجوم	–
١٠	٧٨ هـ	مطر عظيم وثلج وبرد	أصيب ناس كثير
١١	٩٨ هـ	عاصفة عاتية برد وثلوج بدابق	حطمت الأسطول الإسلامي لم يستطع الخليفة سليمان بن عبدالملك أن يمد الجيوش الإسلامية بالمؤن والأزواد
١٢	١١٥ هـ	ظهر في السماء شبيه بسيف من نار	–
١٣	١٢٥ / ١٢٦ هـ	ظهرت في السماء أساطين من نار تتأجج	–

م	التاريخ	الحدث	الآثار
١٤	١٢٧ هـ	ظهر النجم المذنب ظلمة شديدة وكانت السماء مثل الدم وكان ضوءها ضعيفاً	– –
١٥	١٣٦ هـ	ظهر في السماء آية مثل حربة من نار ممتدة من الشرق إلى الغرب	–
١٦	١٤٣ هـ	طلع كوكب ذو الذنب نهاراً وأقام نحو عشرين ليلة ظهر في السماء النجم المذنب ولبث أربعين يوماً	– –
١٧	١٤٧ هـ	تساقطت النجوم وتناثرت الكواكب	خاف الناس عاقبة ذلك
١٨	١٦١ هـ	تعرضت مدينة الحدث للثلوج وكثرت الأمطار	تثلمت المدينة وتشعثت
١٩	١٦٧ هـ	أظلمت الدنيا ظلمة شديدة انكسفت الشمس بعد العصر وظهرت الكواكب	– –
٢٠	١٦٨ هـ	ظلمة وتراب أحمر كانوا يجدونه في فرشهم وعلى وجوههم	–
٢١	١٧٥ هـ	برد شديد	أثر على الجيش الإسلامي حيث قطع أيديهم وأرجلهم
٢٢	١٧٧ هـ	ريح وظلمة وحمرة	–
٢٣	١٩٣ هـ	كسفت الشمس في رجب	–
٢٤	١٩٦ هـ	انكسفت الشمس ساعتين وظهرت النجوم وأضاء الأهالي السروج	–
٢٥	٢٠٢ هـ	ظهرت حمرة في السماء	–
٢٦	٢٠٣ هـ	انكسفت الشمس حتى ضوءها	–
٢٧	٢١٦ هـ	كان في هذه السنة البرد الشديد	–
٢٨	٢١٩ هـ	ظلمة شديدة بين الظهر والعصر	–
٢٩	٢٢٢ هـ	– ثلج شديد – انقض نجم لم ير أعظم منه – ظهر عن يسار القبلة كوكب له شبه ذنب وكان طويلاً جداً .	أطاح بكثير من المزروعات نودي بالنفير في الرقة وكور الجزيرة والسابات هال الناس ذلك وعظم عليهم

الآثـــــــار	الحـــــدث	التاريخ	م
قتل ثلاثمائة وسبعين إنساناً وهدم دوراً	مطر أهل تيماء مطراً وبرداً كالبيض	٢٢٦ هـ	٣٠
–	اشتد الحر وبردت ومطرت الدنيا في يوم واحد	٢٢٨ هـ	٣١
مات من الناس قدر مائتي وغرق منهم في النهر قوم كثير	ثلج ومطر	٢٣١ هـ	٣٢
–	اشتد البرد حتى جمد الماء	٢٣٢ هـ	٣٣
–	كان كسوف أظلمت به الأرض وظهرت الكواكب	٢٤٠ هـ	٣٤
لم ير مثله وكانت كالجراد وكان أمراً مزعجاً وآية مزعجة	انقضاض الكواكب	٢٤١ هـ	٣٥
غلت الأسعار وانقطعت الأجلاب	كثر المطر والثلج في دمشق	٢٤٤ هـ	٣٦
–	انكسفت الشمس وخسف القمر	٢٤٧ هـ	٣٧
لقي الناس شدة من البرد في البلاد كلها	كسفت الشمس وجمد الفرات ٤٠ يوماً وجمدت البحيرة كلها	٢٤٩ هـ	٣٨
–	طلع بالمشرق كوكب بذنب	٢٥٠ هـ	٣٩
– –	انخسف القمر جميعه اتفق اجتماع كواكب في برج السرطان وتولد مطر وسحاب وظلمات ورعد وبرق	٢٥٣ هـ	٤٠
–	انكسف القمر كسوفاً كلياً	٢٥٤ هـ	٤١
–	انكسف القمر كله	٢٥٦ هـ	٤٢
–	كسف القمر	٢٥٧ هـ	٤٣
–	ظهر كوكب له ذؤابة	٢٦٣ هـ	٤٤
–	اشتد الحر ثم اشتد البرد حتى جمد الماء	٢٦٦ هـ	٤٥
من الأمور النادرة أن يحدث كسوفان في يوم واحد	انخسف القمر وانكسفت الشمس فيه أيضاً فاجتمع كسوفان	٢٦٩ هـ	٤٦
–	ظهر كوكب ذو جمة وصارت الجمة ذؤابة	٢٧٨ هـ	٤٧
–	كسفت الشمس وظهرت الظلمة ساعات ثم رئيت الكواكب	٢٨٠ هـ	٤٨

م	التاريخ	الحـــــدث	الآثــــــار
٤٩	٢٨٤ هـ	ظلمة شديدة وريح وحمرة	خاف الناس ذلك كله
٥٠	٢٨٨ هـ	تساقطت وقت السحر نجوم كثيرة	–
٥١	٢٨٩ هـ	انقضت كواكب وتساقطت من السماء نجوم كثيرة هبت ريح من ناحية الشمال باردة جداً في وقت الصيف بحمص فاض ماء البحر على الساحل	– لبسوا الناس الفراء والمحشوات وجمد الماء كفصل الشتاء أخرب البلاد والحصون
٥٢	٢٩٢ هـ	طلع كوكب الذنب في ٢٠ من أيار طلع كوكب له ذنب عظيم جداً	–
٥٣	٢٩٤ هـ	طلع كوكب الذنب من ناحية المغرب وكثرت الأمطار	غرقت المنازل
٥٤	٢٩٧ هـ	ظهر كوكب ذو ذوابة كان البرد عاماً	– قتل سائر الحيوانات بالبرية
٥٥	٢٩٩ هـ	ظهر ثلاثة كواكب مذنبة	بقيت أياماً ثم اضمحلت
٥٦	٣٠٠ هـ	تناثرت النجوم تناثراً عجيباً	–

جدول (٤) : الحرائق التي حدثت في بلاد الشام من سنة ١ – ٣٠٠ هـ

م	التاريخ	المناطق لتي أصابتها	الآثــــــــار
١	سنة ٩٨ هـ	اللاذقية	احترق اللاذقية بالكامل
٢	١٠٨ هـ	دابق	احتراق المرعى والمواشي والدواب والرجال
٣	١٢٦ هـ	دمشق	حرق الدور والسرقة
٤	١٢٧ هـ	قرى الغوطة والمزة وغيرها	–
٥	١٧٦ هـ	دمشق	إحراق المنازل والدور
٦	١٩٤ هـ	حمص	احتراق حمص
٧	٢٥٠ هـ	حمص	احتراق حمص
٨	٢٣٧ هـ	كور عسقلان	ظهرت نار تحرق المنازل والمساجد والبيادر
٩	٢٦٤ هـ	دمشق (كنيسة مريم)	–
١٠	٢٨٧ هـ	المراكب البحرية بطرسوس	ضعف البحرية الإسلامية أمام الروم
١١	٢٩٠ هـ	معرة النعمان	حرق ونهب للمدينة
١٢	٢٩٣ هـ	موارس من أعمال حلب	حرق جامعها

جدول رقم (٥) : الأوبئة والطواعين التي أصابت بلاد الشام من سنة ١ – ٣٠٠ هـ

م	التاريخ	الوبـــــــاء	الآثـــــــــار
١	سنة ١٨ هـ	طاعون عَمَواس	مات من الصحابة ٢٥ ألف نسمة وطمع الأعداء في المسلمين وتأثرت جميع مصالح الناس
٢	٢٤ هـ	الرعاف	سمي عام الرعاف الشديد
٣	٢٤ هـ	وباء	عقرت الدواب بين قنسرين ودابق
٤	٥٤ هـ	طاعون بفلسطين	لم تتوفر معلومات عن آثاره
٥	٦٥ هـ	وباء	جوع شديد ووباء
٦	٧٩ هـ	الطاعون العظيم بالشام	كاد الناس يفنون منه ولم يغزو أحد بسبب ضعفهم وأصابت الروم أنطاكية
٧	٨٠ هـ	طاعون شديد بالشام وشمل بلدان أخرى	لم يكن في هذا العام غزو
٨	٨١ هـ	طاعون بالشام	–
٩	٨٦ هـ	طاعون الفتيات ويقال له أيضاً طاعون الأشراف	بدأ بالنساء وماتت في الجواري ومات فيه الأشراف
١٠	٩٨ هـ	طاعون	مات فيه ابن الخليفة سليمان بن عبدالملك وولي عهده أيوب وأهل بيته
١١	١٠٧ هـ	طاعون شديد	هلك عامة الناس والدواب والبقر
١٢	١٠٧ هـ	وباء شديد بسورية وطواعين وخراجات مختلفة	–
١٣	١٠٨ هـ	طاعون شديد	–
١٤	١١٥ هـ	طاعون	–
١٥	١١٥ هـ	عرض بفلسطين ومصر وباء شديد	
١٦	١١٦ هـ	طاعون عظيم وشديد بالعراق والشام	–
١٧	١٢٦ هـ	طاعون بالشام	خرج الخليفة والناس إلى البوادي
١٨	١٢٧ هـ	طاعون غراب بالشام	مات فيه خلائق لا تحصى
١٩	١٣١ هـ	طاعون	–
٢٠	١٣٥ هـ	طاعون	–
٢١	١٥٥ هـ	وباء وجوع شديد بسورية	–
٢٢	١٥٨ هـ	وباء شديد	توفي فيه خلق كثير وجم غفير
٢٣	١٦٨ هـ	وباء كثير	–
٢٤	١٧٠ هـ	طاعون بفلسطين	طاعون جارف مات منه الناس فخربت أراضيهم وتعطلت
٢٥	٢٤١ هـ	وباء	نفقت الدواب والبقر

جدول رقم (٦) : المجاعات وسنوات القحط وغلاء الأسعار والآفات الزراعية التي حدثت في بلاد الشام من سنة ١ - ٣٠٠ هـ

م	التاريخ	الحدث	الآثار
١	١٨ هـ	مجاعة في الجزيرة العربية يسمى عام الرمادة	امتد تأثيرها للمناطق المجاورة
٢	٥٥ هـ	كثر الفأر في سورية	جوع شديد
٣	٥٧ هـ	قحط شديد	تأثرت فلسطين بشكل أكبر وعم بلاد الشام
٤	٥٩ هـ	كثرت الفئران في سوريا	أتلفت الزروع
٥	٦٠ هـ	كثر الجراد	أتلف الزروع
٦	٦٥ هـ	جوع شديد	-
٧	٦٨ هـ	قحط شديد	لم يقدروا من شدته على الغزو لضعفهم وقلة طعامهم وميرتهم
٨	١٠٧ هـ	مجاعة	أصابت البوادي وجيوش المسلمين في الثغور
٩	١٢٢ هـ	جوع وغلاء في السعر	الحملات في الثغور
١٠	١٢٦/١٢٥ هـ	قحط وجوع شديد	قلت الأمطار ونقصت الينابيع والأنهار وعرض جوع شديد
١١	١٦٧ هـ	جراد كثير	عاث في الزروع والتهم الأعشاب والأشجار وأمتعة الصوف وثياب البشر
١٢	١٧٦ هـ	غلاء في الأسعار	بسبب الثورات والفتن
١٣	١٨٨ هـ	جوع شديد وعوز وغلاء	-
١٤	١٩٢ هـ	جوع في البهائم	جعلت تنبش قبور الموتى وتأكلهم وتهجم على الأحياء فتفترس النساء والفتيان
١٥	٢٠٤ هـ	جوع شديد بفلسطين	-
١٦	٢٠٧ هـ	غلاء السعر بكل مكان	-
١٧	٢٢٢ هـ	ظهر من الفأر ما لم يحط به الإحصاء	أتى على غلات الناس
١٨	٢٢٧ هـ	غلاء فضيع وضيق شديد	-
١٩	٢٤٤ هـ	غلاء السعر في دمشق	ضاق الناس ذرعاً بالمدينة
٢٠	٢٦٠ هـ	غلاء شديد ببلاد الإسلام كلها	أجلى الناس عن بلدانهم

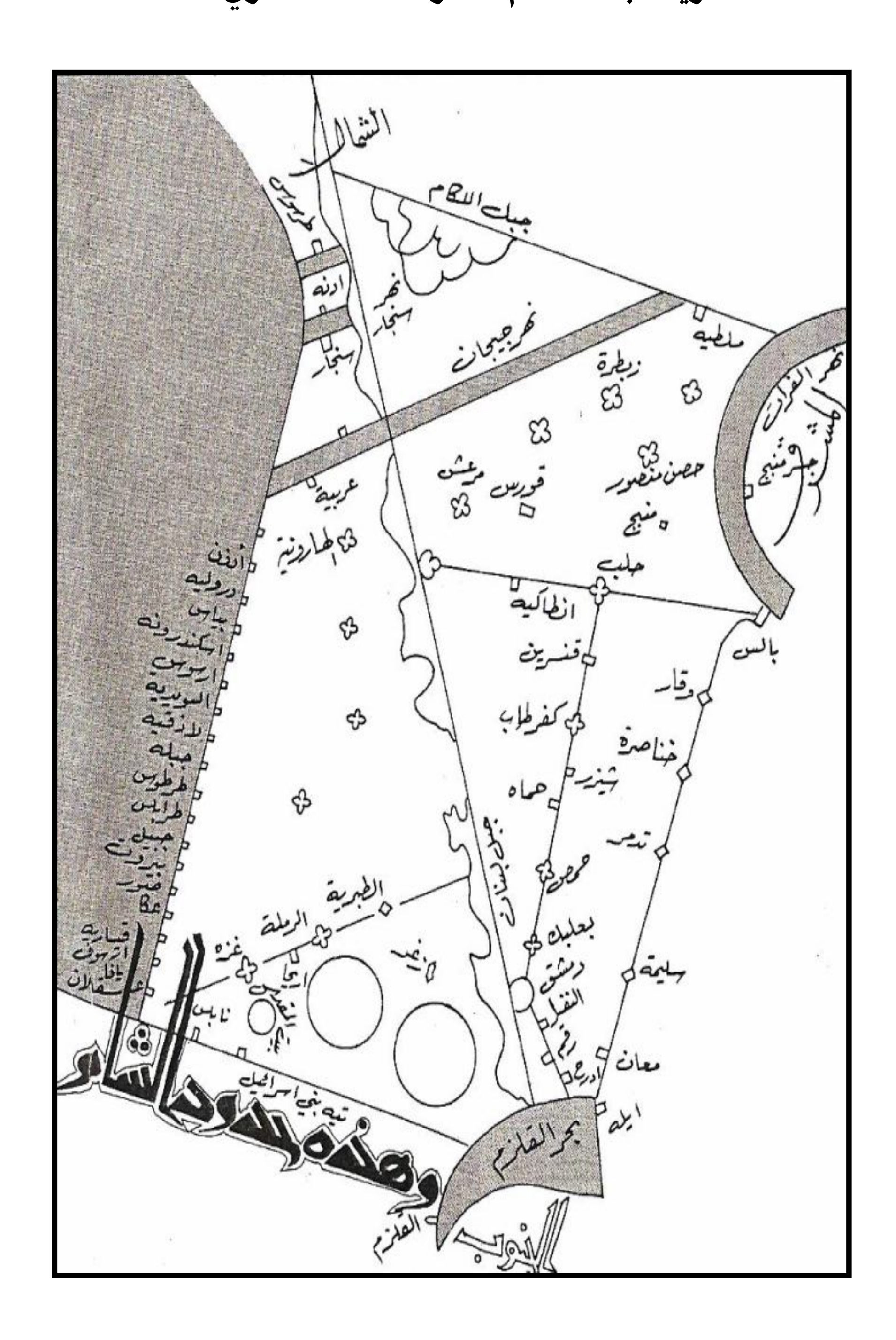
م	التاريخ	الحدث	الآثار
٢١	٢٦٤ هـ	غلاء في طرسوس	بسبب إقامة بن طولون فيها
٢٢	٢٦٦ هـ	غلت الأسعار وندرت الأقوات وعم الغلاء جميع البلاد الإسلامية	أصاب الناس والبلاد شدة عظيمة
٢٣	٢٧٢ هـ	غلاء عم البلدان	حدث متزامناً مع زلزلة عظيمة
٢٤	٢٨٤ هـ	قحط في كل بقعة	غارت المياه وانقطع جريان الأنهار ونشفت العيون وماتت الوحوش في الفلاة
٢٥	٢٨٩ هـ	حصار ومجاعة بسبب القرامطة	حصار دمشق لمدة ستة أشهر وهددت المدينة بالجوع وكثرت الخسائر
٢٦	٢٩٧ هـ	تأخرت الأمطار فزاد السعر	-

جدول رقم (٧) : المعالجات الإسلامية للكوارث :

استباقية	شرعية	سياسية	اقتصادية	اجتماعية	طبية
اختيار المكان المناسب للسكنى	صدقات نظام الحسبة	تأخير الفتوحات	تقنين الصرف من بيت مال المسلمين	تطبيق العدالة بين الناس	تطبيق الحجر الصحي
تطبيق التوجيهات الشرعية	زكاة	وقف الصوائف والشواتي	تخصيص دواوين للظروف الطارئة	إذكاء روح الأخوة	الاهتمام بالنظافة على مستوى الفرد والمجتمع
المحافظة على الأذكار	وقف	طلب المساعدة	تفعيل نظام الحسبة	التكافل الاجتماعي	التداوي
	صلوات	تدارس الموقف باستمرار		تفعيل نظام الحسبة	تفعيل نظام الحسبة
	أدعية				
	قنوت				
	وعظ				
	استسقاء				
	وقف تنفيذ أحكام				

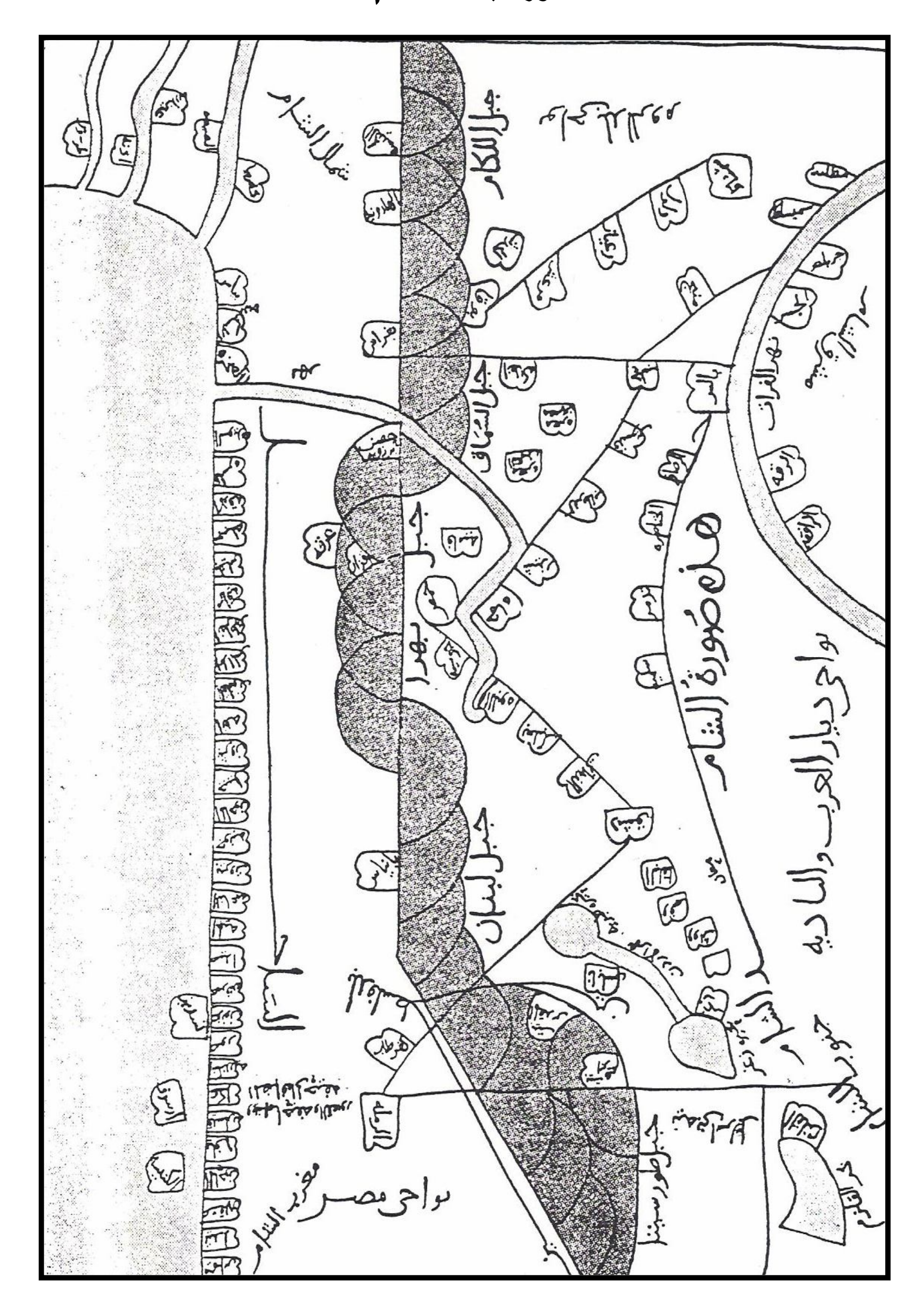
الخرائط

خريطة بلاد الشام كما رسمها الاصطخري [١] .



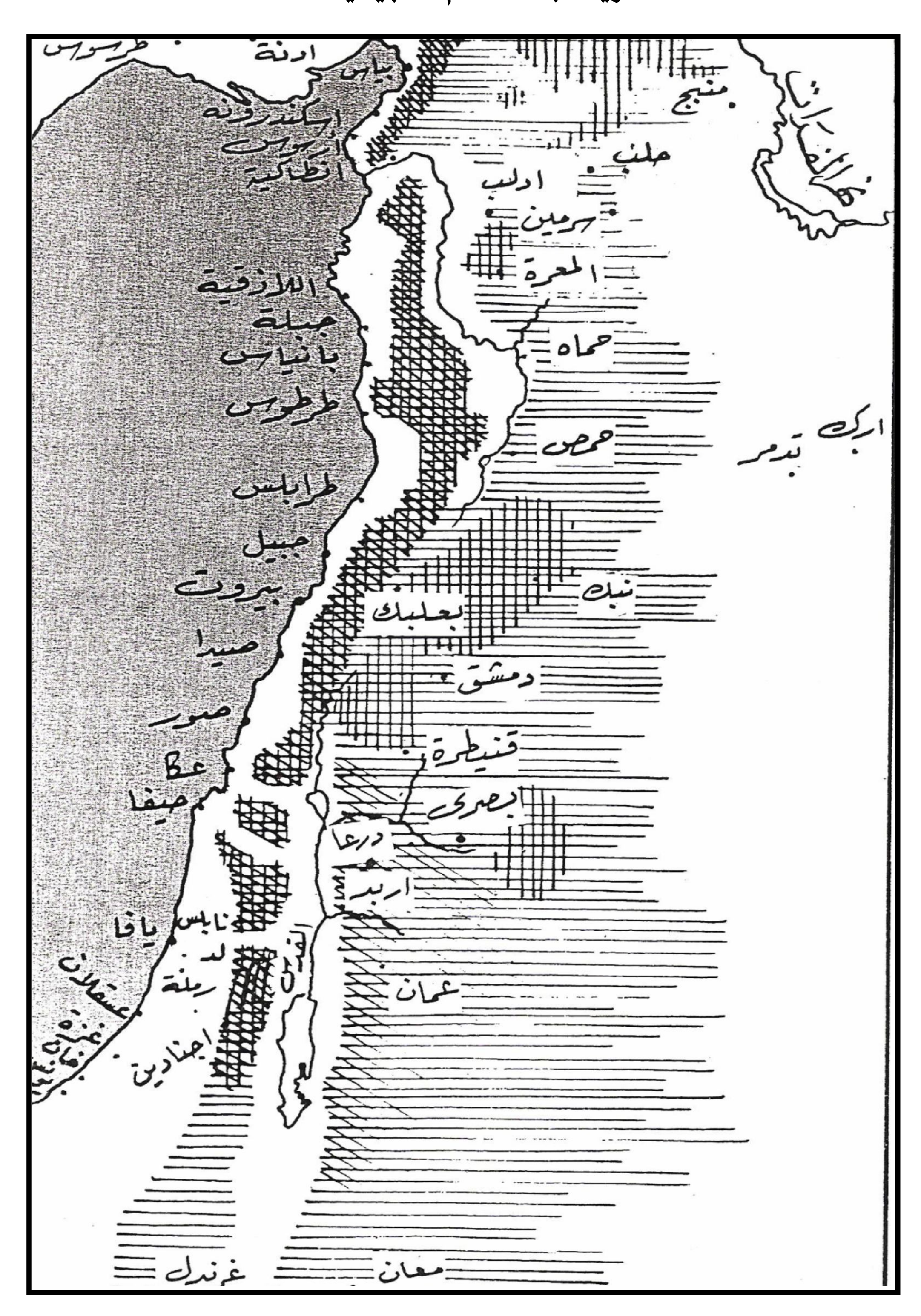
([1]) أحمد عادل كمال ، الطريق إلى دمشق ، ص ٣٠ .

صورة بلاد الشأم [1] .



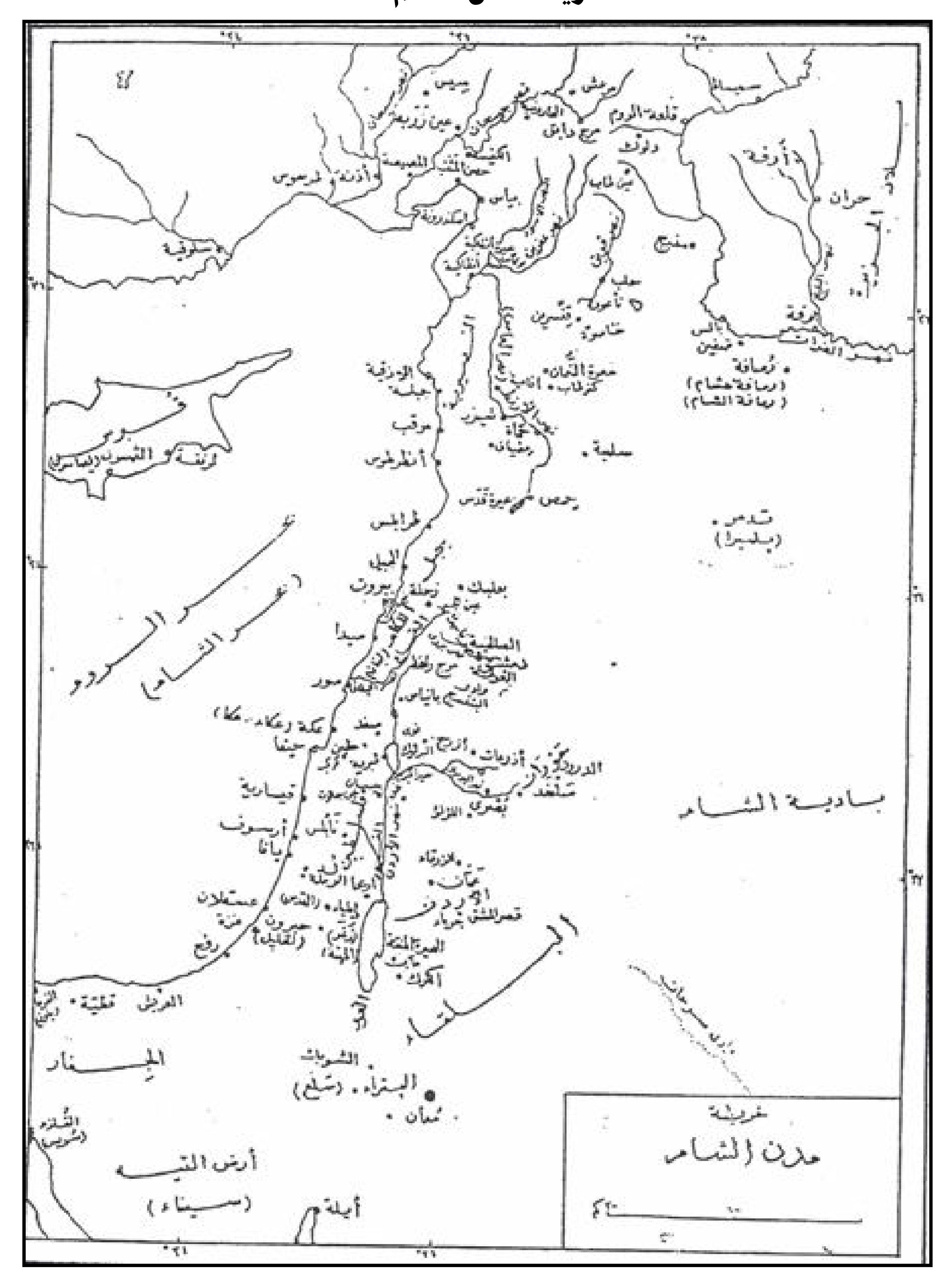
([1]) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص١٦٧ .

خريطة بلاد الشام الطبيعية [1] .



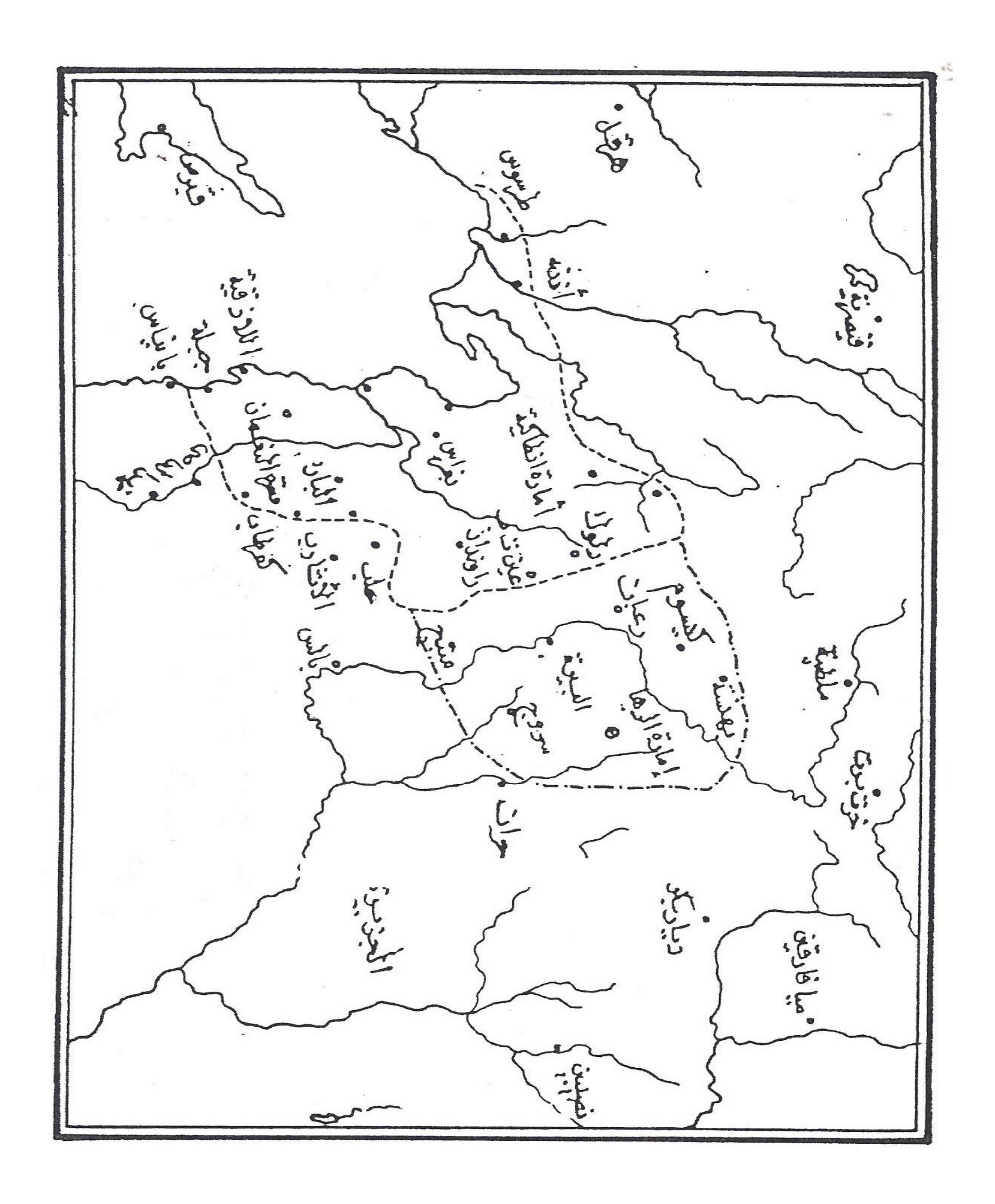
([1]) أحمد عادل كمال ، الطريق إلى دمشق ، ص ١٧ .

خريطة مدن الشام [1] .



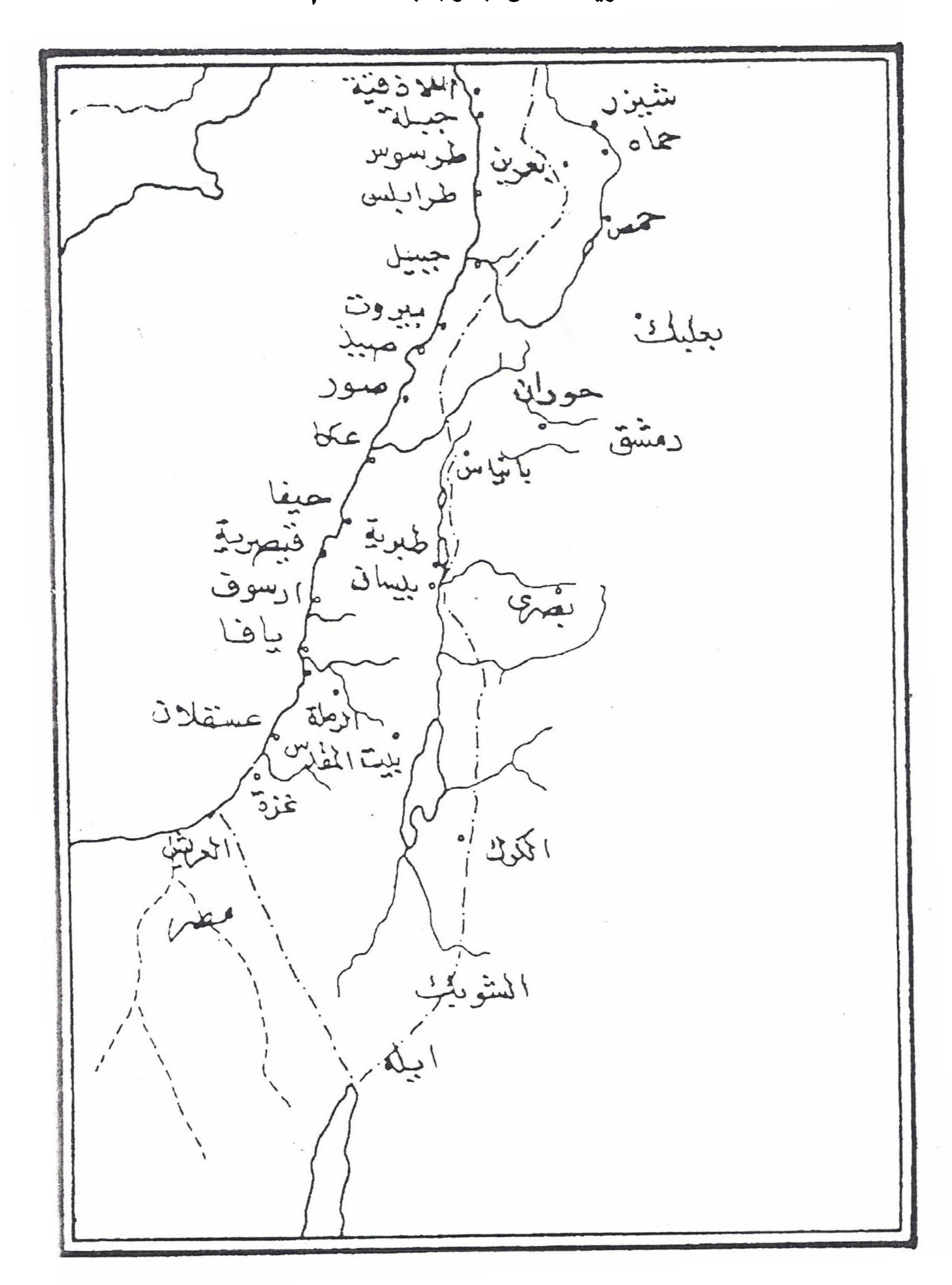
(1) هدى الويسي ، الهزات الأرضية في بلاد الشام ، ص ١٩٠ .

خريطة مدن شمال بلاد الشام [1] .



(1) هدى الويسي ، الهزات الأرضية في بلاد الشام ، ص ١٨٥ ، (بتصرف) .

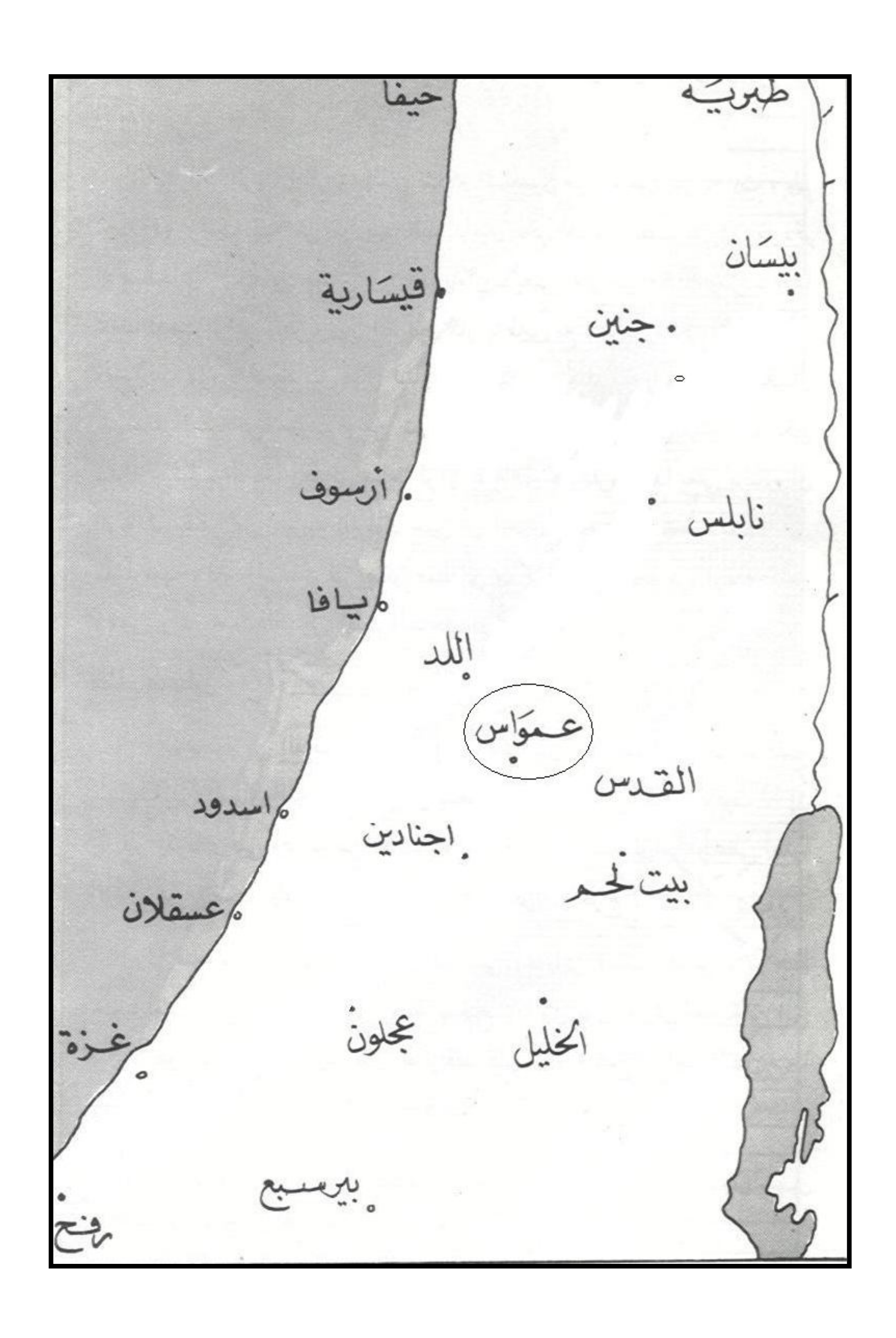
خريطة مدن جنوب بلاد الشام [1] .



---

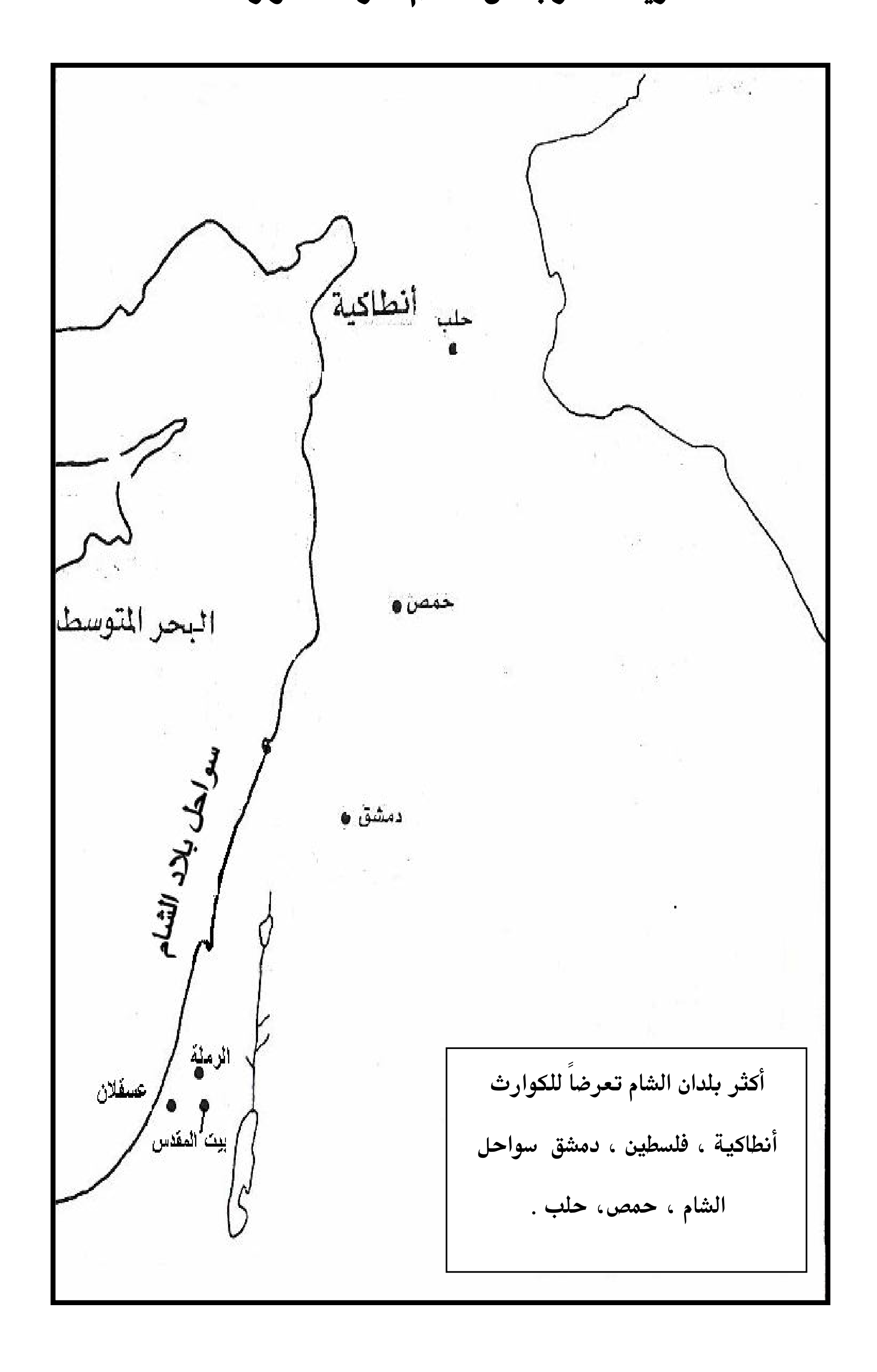
(1) هدى الويسي ، الهزات الأرضية في بلاد الشام ، ص ١٨٦ ، (بتصرف) .

خريطة عمواس (1) .



---
(1) أحمد عادل كمال ، الطريق إلى دمشق ، ص ٥١٤ ، (بتصرف) .

خريطة أكثر بلدان الشام تعرضاً للكوارث [1] .



---

(1) عبدالله الغنيم ، سجل الزلازل العربي ، ٦٩ ، (بتصرف) .

قائمة المصادر والمراجع :

١. القرآن الكريم .

٢. الإدريسي (محمد بن عبدالله بن إدريس ت ٥٦٠ هـ)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ط الأولى ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩ م ، عالم الكتب ، بيروت .

٣. الأزرقي (أبو الوليد محمد بن عبدالله، ت نحو ٢٤٨ هـ) ، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، تحقيق رشدي الصالح ، ط العاشرة ، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م ، مكتبة الثقافة ، مكة المكرمة .

٤. الأزدي ، (أبو زكريا يزيد بن محمد بن إياس بن القاسم ، ت ٣٣٤ هـ)، تاريخ الموصل، تحقيق علي حبيبة ، ط . ، ١٣٨٧ هـ – ١٩٦٧ م ، لجنة إحياء التراث الإسلامي .

٥. الأزهري (أبو منصور محمد بن أحمد)، تهذيب اللغة ، ط بون ، ١٩٦٧ م ، دار الكاتب العربي .

٦. الفقيه أحمد بن محمد بن عبدربه الأندلسي ، العقد الفريد ، ط ١ ، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م ، المكتبة العصرية ، صيدا — بيروت .

٧. الإمام أحمد بن حنبل ، المسند ، حققه السيد ابو المعاطي النوري وزملائه ، ط ١ ، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م ، عالم الكتب ، بيروت — لبنان .

٨. ابن أبي أصيبعة (أحمد بن القاسم الخزرجي، ت ٦٦٨ هـ) ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، شرح وتعليق نزار رضا ، ط . ، ١٩٦٥ م ، دار مكتبة الحياة ، بيروت .

٩. ابن أبي الدنيا (أبي بكر عبدالله بن محمد بن عبيد) ، كتاب المطر والرعد والبرق والريح ، ط ١ ، ١٤٢٧ هـ — ٢٠٠٦ م ، المكتبة العصرية ، بيروت — لبنان .

١٠. ابن أبي شيبة (أبو بكر عبدالله بن محمد ، ت ٢٣٥ هـ) ، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار ، تقديم وضبط كمال يوسف الحوت ، ط ١ ، ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٩ م ، دار التاج ، بيروت — لبنان .

١١. الاصطخري (أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الكرخي) ، مسالك الممالك ، ط ., مطبعة بريل مدينة ليدن ١٩٣٧ م .

١٢. الأصفهاني (أبو حامد محمد بن محمد ، ت ٥٩٧ هـ) ، البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان ، تحقيق عمر عبدالسلام تدمري ، ط ١ ، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م ، المكتبة العصرية ، بيروت — لبنان .

١٣. الأصفهاني (أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن) ، الأزمنة والأمكنة ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت — لبنان .

١٤. ابن الأثير (عزالدين محمد بن أبي الكرم، ت ٦٣٠ هـ)، الكامل في التاريخ حققه خليل مأمون شيحا ، ط ٢ ، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م ، دار المعرفة ، بيروت .

١٥. أسد الغابة في معرفة الصحابة ، تحقيق خليل مأمون شيحا ، ط ٢ ، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان .

١٦. ابن بطوطة ، (أبو عبدالله محمد بن عبدالله، ت ٧٧٩ هـ)، تحفة االنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، تحقيق عبدالهادي التازي ، ط . ، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م ، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية .

١٧. ابن الجوزي (أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد) ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، حققه محمد عبدالقادر عطا وأخوه مصطفى ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان .

١٨. سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز ، تحقيق طه عبدالرؤوف ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م ، دار ابن خلدون .

١٩. صفة الصفوة ، تحقيق أحمد علي ، ط . ، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م ، دار الحديث ، القاهرة .

٢٠. أبو حاتم السجستاني سهل بن محمد بن عثمان (ت ٢٤٨ هـ) ، المعمرون والوصايا ، تحقيق عبدالمنعم عامر ، ط . ، ١٩٦١ م ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة .

٢١. ابن حبان (أبو حاتم محمد بن أحمد بن حبان البستي) ، السيرة النبوية وأخبار الخلفاء ، صححه وعلق عليه ، السيد عزيز بك ، ط ٢ ، ١٤١١ هـ – ١٩٩١ م ، مؤسسة الكتب الثقافية .

٢٢. ابن حجر (أحمد بن علي العسقلاني) ، فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري ، تحقيق ، عبدالقادر شيبة الحمد ، ط ١ ، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م ، طبع على نفقة الأمير سلطان بن عبدالعزيز آل سعود .

٢٣. بذل الماعون في فضل الطاعون ، ط ١ ، ١٤١١ هـ ، الرياض ، دار العاصمة .

٢٤. الإصابة في تميز الصحابة ، تحقيق خليل مأمون شيحا ، ط ١ ، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان .

٢٥. ابن حوقل (أبو القاسم بن حوقل النصيبي)، صورة الأرض ، الطبعة الثانية ، ١٩٣٨م، مطبعة بريل ، مدينة ليدن.

٢٦. ابن خرداذبه (أبو القاسم عبيدالله بن عبدالله)، المسالك والممالك ، طبع في ليدن بمطبعة بريل سنة ١٨٨٩ م ، دار صادر، بيروت .

٢٧. ابن دقماق ، إبراهيم بن محمد العلائي المعروف بابن دقماق (ت ٨٠٩ هـ) ، الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين ، تحقيق سعيد عبدالفتاح عاشور وأحمد السيد دراج ، ط. ، ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٢ م ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى ، مكة المكرمة .

٢٨. ابن رسته (أبو علي أحمد بن عمر)، الأعلاق النفيسة ، ط . ، مطبعة بريل في ليدن سنة ١٨٩٣ م .

٢٩. محمد بن سعد بن منيع الزهري ، الطبقات الكبرى ، أعد فهارسها رياض عبدالله عبدالهادي ، ط ١ ، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان .

٣٠. ابن سينا (الحسن بن عبدالله بن الحسين بن علي) ، خلاصة تذكرة القانون في الطب ، ط. ، المركز العربي للنشر ، الاسكندرية .

٣١. ابن الشحنة (قاضي القضاة أبو الفضل محمد بن الشحنة) ، الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب ، ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤ م ، دار الكتاب العربي ، سورية – دمشق .

٣٢. ابن شداد (عزالدين أبو عبدالله محمد بن علي) ، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ، تحقيق يحيى زكريا ، ط . ، منشورات وزارة الثقافة ١٩٩١ م ، سوريا – دمشق ، الجزء الأول – القسم الأول .

٣٣. الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، حققه يحي زكريا ، ج ١ القسم الثاني، ط . ، منشورات وزارة الأوقاف ، دمشق ١٩٩١ م .

٣٤. ابن عبد البر (أبو عمر يوسف بن عبدالله النمري)،الاستذكار ، تحقيق عبدالمعطي قلعجي ، ط١ ،١٤١٤ هـ ١٩٩٣ م ، دار قتيبة ، دمشق – بيروت ، دار الوعى ، حلب – القاهرة .

٣٥. الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، تحقيق خليل مأمون شيحا ، ط ١ ، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان .

٣٦. ابن عبدالحكم أبومحمد عبدالله بن عبدالحكم (ت ٢١٤ هـ) ، سيرة عمر بن عبدالعزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه ، نسخها وصححها وعلق عليها أحمد عبيد ، ط ٦ ، ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤ م ، عالم الكتب ، بيروت .

٣٧. ابن عبدالرزاق الدمشقي (عبدالرحمن بن إبراهيم بن أحمد) ، حدائق الأنعام في فضائل الشام، تحقيق يوسف بديوي،ط ٢، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩م، دار المكتبي، سورية – دمشق .

٣٨. ابن العديم (عمر بن أحمد بن أبي جرادة): زبدة الحلب في تاريخ حلب، تحقيق سهيل زكار، ط ١، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م، دار الكتاب العربي، دمشق .

٣٩. ابن عساكر، (أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبدالله): تاريخ مدينة دمشق، تحقيق عمر العمري، ط .، دار الفكر .

٤٠. ابن العماد الحنبلي (شهاب الدين عبدالحي بن العماد)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ط ١، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م، دار الكتب العلمية، لبنان – بيروت .

٤١. ابن الفقيه الهمذاني (أبو بكر أحمد بن محمد)، مختصر كتاب البلدان، طبع بمطبعة بريل ١٣٠٢ هـ، مدينة ليدن.

٤٢. أبو عبيد القاسم بن سلام الأزدي (ت ٢٢٤ هـ) ، الأموال ، تحقيق مؤسسة ناصر للثقافة ، ط ١ ، ١٩٨١ م ، مؤسسة ناصر للثقافة ، بيروت – لبنان .

٤٣. ابن قتيبة (أبو محمد عبدالله بن مسلم الكاتب الدينوري): المعارف، صححه وعلق عليه محمد إسماعيل الصاوي، ط ٢، ١٣٩٠ هـ – ١٩٧٠ م، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان .

٤٤. عيون الأخبار، ط.، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨ م، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان .

٤٥. الأمامة والسياسة، تحقيق طه محمد الزيني، ط.، دار المعرفة، بيروت – لبنان .

٤٦. ابن قيم الجوزية (أبو عبدالله محمد بن أبي بكر): التبيان في أقسام القرآن، حققه محمد شريف سكر، ط١، ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٨ م، دار إحياء العلوم، بيروت – لبنان .

٤٧. زاد المعاد في هدي خير العباد، حقق نصوصه شعيب الأرنؤوط وعبدالقادر الأرنؤوط، ط٤، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م، مؤسسة الرسالة .

٤٨. زاد المعاد في هدي خير العباد ، تحقيق عبدالرزاق المهدي ، ط. ، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦م، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان .

٤٩. الطب النبوي، تحقيق محمد تامر، ط٢، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة .

٥٠. الداء والدواء، تحقيق علي بن حسن الحلبي، ط٣، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م، دار ابن الجوزي، الدمام .

٥١. ابن الكازروني (ظهير الدين علي بن محمد البغدادي): مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة العباس، تحقيق مصطفى جواد، ط.، ١٣٩٠ هـ – ١٩٧٠ م، مطبعة الحكومة – بغداد .

٥٢. ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن كثير): تفسير القرآن العظيم، ط١٠، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م، دار المعرفة، بيروت – لبنان .

٥٣. البداية والنهاية، تحقيق أحمد عبدالوهاب فتيح، ط١، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م، دار الحديث، دار الحديث .

٥٤. قصص الأنبياء، تحقيق، علي عبدالحميد أبو الخير ومحمد وهبي ومعروف رزيق، ط٤، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م، دار الخير، دمشق .

٥٥. ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد)، لسان العرب، ط٦، ٢٠٠٨ م، دار صادر، بيروت – لبنان .

٥٦. مختصر تاريخ دمشق، تحقيق أحمد راتب ومحمد ناجي، ط١، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م، دار الفكر، سورية – دمشق.

٥٧. ابن النديم (أبو الفرج محمد بن اسحاق)، الفهرست، تعليق إبراهيم رمضان، ط٢، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م، دار المعرفة، بيروت – لبنان .

٥٨. ابن هشام (أبو محمد عبدالملك بن هشام): السيرة النبوية، تعليق عمر عبدالسلام تدمري، ط.، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م، دار الكتاب العربي، بيروت .

٥٩. ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم بن نصر الله): التاريخ الصالحي (سيرة النبي ﷺ والأنبياء عليهم السلام الخلفاء والملوك وغيرهم)، تحقيق عمر عبدالسلام تدمري، ط١، ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠ م، المكتبة العصرية، بيروت – لبنان .

٦٠. ابن الوردي، سرج الدين أبو حفص عمر بن المظفر بن الوردي، ت ٨٥٢ هـ، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تحقيق أنور محمود زناتي، ط ١، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٨ م، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة .

٦١. ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر، تاريخ ابن الوردي المسمى، (تتمة المختصر في تاريخ البشر) ت ٧٤٩ هـ، ط ١، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان .

٦٢. أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى، تحقيق ولدي المؤلف جعفر ومحمد، ط .، ١٩٥٤ م، دار الكتاب، الدار البيضاء .

٦٣. الإمام زين الدين أحمد بن احمد الزبيدي، مختصر صحيح البخاري، ط ١، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م، دار ابن القيم .

٦٤. أبو الفداء (عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر صاحب حماه): تقويم البلدان، اعتنى بتصحيحه رينود والبارون ماك كوكين، طبع في مدينة باريس بدار الطباعة السلطانية، ١٨٤٠ م، دار صادر: بيروت .

٦٥. القاضي أبو يوسف (يعقوب بن إبراهيم)، كتاب الخراج، ط ٤، ١٣٩٢ هـ، المطبعة السلفية، القاهرة .

٦٦. أبو اليمن القاضي مجير الدين الحنبلي عبدالرحمن بن محمد، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ط . ، دار الجيل، ١٩٧٣ م، بيروت – لبنان .

٦٧. البلاذري، (أبو الحسن أحمد بن يحي بن جابر) ، فتوح البلدان، ط .، ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان .

٦٨. جُمَل من أنساب الأشراف، تحقيق سهيل زكار ورياض زركلي، ط ١، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م، دار الفكر، بيروت – لبنان .

٦٩. البخاري، (أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم)، صحيح البخاري، ط .، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م، دار الفجر، القاهرة .

٧٠. البدري (أبو البقاء عبدالله بن محمد)، نزهة الأنام في محاسن الشام، ط .، المطبعة السلفية، مصر – القاهرة، ١٣٤١ هـ .

٧١. البلخي (أبو زيد أحمد بن سهل)، البدء والتاريخ، ط ١ ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان .

٧٢. البيهقي (أبو بكر أحمد بن الحسين)، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، تحقيق سيد إبراهيم، ط .، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م، دار الحديث، القاهرة – مصر .

٧٣. السنن الكبرى ، تحقيق محمد عبدالقادر عطا ، ط ٣ ، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان .

٧٤. الترمذي (أبو عيسى محمد بن عيسى): الجامع الكبير، تحقيق بشار عواد معروف، ط٢، ١٩٩٨ م، دار الغرب الإسلامي، بيروت .

٧٥. التنوخي (القاضي أبو علي المحسن بن علي): الفرج بعد الشدة، تحيقي عمر الشالجي، ط.، دار صادر، بيروت .

٧٦. الثعالبي، أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري ، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، تحقيق محمد أبو الفضل، ط١ ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٣ م، المكتبة العصرية، بيروت – لبنان .

٧٧. الجوهري (إسماعيل بن حماد)، معجم الصحاح، ط٢ ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م، دار المعرفة بيروت – لبنان .

٧٨. الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بجر بن محبوب): الحيوان، تحقيق إيمان الشيخ وغريد الشيخ، ط.، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان .

٧٩. الحاكم (محمد بن عبدالله النيسابوري)، المستدرك على الصحيحين، تحقيق عبدالسلام بن محمد علوش، ط٢، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م، دار المعرفة، بيروت – لبنان .

٨٠. الحميري، (محمد بن عبدالمنعم)، الروض المعطار في خبر الأقطار، حققه إحسان عباس، ط٢ ١٩٨٤ م،مكتبة لبنان، بيروت، ٢٦٨ .

٨١. الأخطل، ديوانه، ط٢، دار المشرق، بيروت – لبنان .

٨٢. خليفة بن خياط العصفري، تاريخ خليفة بن خياط، ط١، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥ م، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان .

٨٣. الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان)، سير أعلام النبلاء، تحقيق خيري سعيد، ط.، المكتبة التوفيقية، القاهرة – مصر .

٨٤. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، حققه بشار عواد معروف، ط١، ٢٠٠٣ م، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان .

٨٥. الغبر في خبر من غبر، تحقيق أبو هاجر محمد زغلول، ط.، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان .

٨٦. الرازي (أبو بكر محمد بن زكريا):الحاوي في الطب، راجعه وصححه، محمد محمد إسماعيل، ط١، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م .

٨٧. رسائل إخوان الصفا وخلان الوفاء ، تأليف إخوان الصفا (القرن الرابع الهجري) ، ط. ، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م ، دار صادر، بيروت – لبنان .

٨٨. سبط ابن الجوزي أبو المظفر يوسف بن قزاوغلي، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، حققه الدكتور إحسان عباس، ط ١، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م، دار الشروق، بيروت .

٨٩. السيوطي (جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر)، رسالة في الطاعون، مخطوط بجامعة أم القرى تحت رقم ٤٦٨٥ .

٩٠. تاريخ الخلفاء، ط.، شركة دار الأرقم بن الأرقم، بيروت – لبنان .

٩١. كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة، تحقيق د . محمد كمال الدين، ط ١، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م، عالم الكتب، بيروت .

٩٢. شيخ الربوة الدمشقي (أبو عبدالله محمد أبي طالب الأنصاري): نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ط.، طبع بمدينة بطربورغ مطابع الأكادمية الامبرطورية، سنة ١٣٨١ هـ / ١٨٦٥ م .

٩٣. الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير): تاريخ الأمم والملوك، ط ١، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان .

٩٤. تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آى القرآن) تحقيق، عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ط ١، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م، دار هجر، القاهرة .

٩٥. العظيمي (محمد بن علي الحلبي): تاريخ حلب، تحقيق إبراهيم زعرور، رسالة ماجستير جامعة دمشق، كلية الآداب، قسم التاريخ، ١٩٨٤ م .

٩٦. عبدالرحمن سنبط قنيتق الأبلي، خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك، صححه وعلق عليه مكي السيد جاسم، ط.، مكتبة المثنى، بغداد .

٩٧. أبو الفرج نور الدين علي بن إبراهيم الحلبي، السيرة الحلبية (إنسان العيون في سيرة الأمين والمأمون)، تحقيق عبدالله الخليلي، ط ٢، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان .

٩٨. الفراهيدي (الخليل بن أحمد): العين، ط ١، ٢٠٠٤ م، مكتبة لبنان .

٩٩. الفيروزابادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، ط ٣، ١٤٣٠ – ٢٠٠٩ م، مؤسسة الرسالة، دمشق – سوريا .

١٠٠. قدامة بن جعفر، الخراج وصنعة الكتابة، مطبعة بريل ١٨٨٩ م، مدينة ليدن .

١٠١. التوابين، تحقيق خالد عبداللطيف السبع، ط ١، ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م، دار الكتاب العربي، بيروت .

١٠٢. القرطبي (أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر)، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تحقيق عبدالحميد هنداوي، ط ١، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٥ م، المكتبة العصرية، بيروت – لبنان .

١٠٣. وأيضاً الجامع لأحكام القرآن، بتحقيق عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ط ١، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان .

١٠٤. القرماني (أحمد بن يوسف)، أخبار الدول وآثار الأُول في التاريخ، تحقيق، أحمد حطيط وفهمي سعد، ط ١، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م، عالم الكتب، بيروت .

١٠٥. القزويني (زكريا بن محمد بن محمود)، آثار البلاد وأخبار العباد، ط.، دار صادر بيروت .

١٠٦. عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، ط ١، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م، دار الشرق العربي، لبنان – بيروت .

١٠٧. القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي): صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ط ١ ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م، دار الكتب العلمية .

١٠٨. مآثر الأنافة في معالم الخلافة، تحقيق عبدالستار أحمد فراج، ط .، عالم الكتب، بيروت – لبنان .

١٠٩. الماوردي (أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب)، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق سمير مصطفى رباب، ط ١، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م،المكتبة العصرية،بيروت – لبنان .

١١٠. المسعودي (أبو الحسن علي الحسين)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط ١، تحقيق، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان .

١١١. المقريزي (أبو العباس أحمد بن علي): إغاثة الأمة بكشف الغمة، ط١، ١٤٢٩ – ٢٠٠٨ م، المكتبة العصرية، صيدا – لبنان .

١١٢. مؤلف مجهول، العيون والحدائق في إخبار الحقائق، من خلافة الوليد بن عبدالملك إلى خلافة المعتصم، مكتبة المثنى، بغداد .

١١٣. ميمون بن قيس الأعشى، ديوان الأعشى، ط .، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤ م، دار صادر .

١١٤. المقدسي (أبو عبدالله محمد المقدسي): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، طبعة بريل مدينة ليدن، ١٩٠٩ م، دار صادر .

١١٥. المطهر بن طاهر المقدسي، البدء والتاريخ، ط .،القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية .

١١٦. الملك المظفر الرسولي (يوسف بن عمر الغساني): المعتمد في الأدوية المفردة للعلاج بالأعشاب والنباتات، تحقيق أبي الفداء محمد عزت، ط .، دار الفضيلة، القاهرة .

١١٧. أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، ط ١، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م، دار عالم الكتب، ج ٤ ص ١٧٤٣ ورقم الحديث ٢٢٢١ .

١١٨. المنبجي (أغابيوس بن قسطنطين)، المنتخب من تاريخ المنبجي، : انتخبه وحققه عمر عبدالسلام تدمري، ط ١، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م، دار المنصور، طرابلس – لبنان .

١١٩. النويري، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب: نهاية الأرب في فنون الأدب، اختصره وقدمه مرزوق علي إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٦ م، القاهرة .

١٢٠. ناصر خسرو، سفر نامه، ترجمة يحيى الخشاب، ط ٢، ١٩٧٠م، دار الكتاب الجديد، لبنان – بيروت .

١٢١. النووي (أبو زكريا الإمام يحيى بن شرف)، تهذيب الأسماء واللغات، تحقيق مصطفى عبدالقادر، ط ١، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان .

١٢٢. صحيح مسلم بشرح النووي، أشرف على مراجعته، حسن عباس قطب، ط ١، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م، دار عالم الكتب، الرياض .

١٢٣. الواقدي (عبدالله محمد بن عمر)، فتوح الشام، ط ١، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م، دار صادر، بيروت — لبنان .

١٢٤. أبو عبدالله (ياقوت بن عبدالله الحموي)، معجم البلدان، ط .، دار إحياء التراث العربي، بيروت — لبنان .

١٢٥. اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح)، البلدان، طبع في مدينة ليدن ، مطبعة بريل، ١٨٩٢ م .

١٢٦. تاريخ اليعقوبي، ط .، دار صادر، بيروت .

١٢٧. أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تعليق محمد حسين شمس الدين، ط ١٤١٣،١ هـ – ١٩٩٢ م، دار الكتب العلمية، بيروت .

المراجع العربية الحديثة :

١٢٨. الألباني (محمد ناصر الدين): تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن علي بن محمد الربعي، ط ١، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م، مكتبة المعارف، الرياض .

١٢٩. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، ط ٤، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م، المكتب الإسلامي، بيروت .

١٣٠. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، ط ٢، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م،مكتبة المعارف للنشر، الرياض .

١٣١. صحيح الجامع الصغير ، ط ٢ ، ١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩ م ، المكتب الإسلامي ، بيروت .

١٣٢. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ، ط ١ ، ١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩ م ، المكتب الإسلامي ، بيروت .

١٣٣. أحمد إسماعيل علي، تاريخ بلاد الشام منذ قبل الميلاد حتى نهاية العصر الأموي، ط ٣، ١٩٩٤ م، دار دمشق، دمشق — سوريا .

١٣٤. إبراهيم بن سليمان الأحيدب، الكوارث الطبيعية وكيفية مواجهتها (دراسة جغرافية)، ط .، ١٤١٩ هـ الرياض.

١٣٥. أحمد حسن الزهراني، الأزمات والكوارث فوائد وحلول، ط ١، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م، مطابع الحميضي .

١٣٦. أحمد عادل كمال، الطريق إلى دمشق (فتح بلاد الشام)، ط الثانية ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م، دار النفائس، بيروت .

١٣٧. أحمد عبدالرزاق أحمد، الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، ط ٢ ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م، دار الفكر العربي، القاهرة .

١٣٨. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط ٢، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م، ساعدت جامعة بغداد على نشره .

١٣٩. حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط١٣، ١٤١١ هـ – ١٩٩١ م، دار الجيل ومكتبة النهضة المصرية .

١٤٠. حسن زكي الصواف، دمشق أقدم عاصمة في العالم، ط١، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٤ م، دار قتيبة، دمشق – سوريا .

١٤١. حسين عطوان، الجغرافية التاريخية لبلاد الشام في العصر الأموي، ط١ ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م، دار الجيل، بيروت – لبنان .

١٤٢. خليل داود الزرو، الحياة العلمية في الشام في القرنين الأول والثاني: رسالة ماجستير، ط١، ١٩٧١ م، دار الآفاق الجديدة، بيروت – لبنان .

١٤٣. خير الدين الزركلي، الأعلام، ط١٧، ٢٠٠٧ م، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان .

١٤٤. زغلول راغب محمد النجار، الزلازل في القرآن الكريم، ط٢، ٢٠٠٧ م، شركة نهضة مصر، القاهرة .

١٤٥. سليمان إبراهيم الثنيان، الجوائح وأحكامها، ط١، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م، دار عالم الكتب، الرياض .

١٤٦. السيد عبدالعزيز سالم وأحمد مختار العبادي ، تاريخ البحرية الإسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط (البحرية الإسلامية في مصر والشام) ، ط. ، مؤسسة شباب الجامعة .

١٤٧. سوسن سالم الشيخ، إدارة ومعالجة الأزمات في الإسلام، ط١، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م، دار النشر للجامعات، القاهرة.

١٤٨. شفيق جاسر أحمد محمود، تاريخ القدس والعلاقة بين المسلمين والمسيحيين منذ فجر التاريخ حتى الحروب الصليبية، ط١، ١٤٠٤ –١٩٨٤ م، دار البشير، عمان .

١٤٩. صلاح طهبوب، موسوعة التاريخ الإسلامي (العصر الأموي)، ط١ ٢٠٠٤ م، دار أسامة، الأردن – عمان .

١٥٠. صلاح محمد عبدالحميد، سلسلة الكوارث الطبيعية (الزلازل)، ط١، ٢٠٠٨ م، مؤسسة طيبة، القاهرة .

١٥١. عاطف رحال، تاريخ بلاد الشام الاقتصادي في العصر الأموي، ط١ ٢٠٠٠ م ، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت – لبنان .

١٥٢. عبد علي ياسين، تاريخ صدر الإسلام من البعثة النبوية وحتى نهاية الدولة الأموية، ط.، ٢٠٠٣ م، دار يافا العلمية، عمان – الأردن، ص ٤٣٩ .

١٥٣. عفت وصال حمزة، الكوارث الطبيعية، ط١، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م، دار ابن حزم بيروت .

١٥٤. عبد عون الرطنان، موسوعة تاريخ العرب، ط١، ٢٠٠٤ م، الأهلية، الأردن – عمان

١٥٥. عبدالرزاق الكيلاني، الحقائق الطبية في الإسلام، ط١، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م، دار القلم، دمشق .

١٥٦. عبدالعزيز المنشاوي وزميله د. عصمت حجازي، الآفات الحشرية والحيوانية وطرق مكافحتها، ط ١، ٢٠٠١ م، مكتبة المعارف الحديثة، الإسكندرية .

١٥٧. عبدالكريم صالح الحميد، التفكر والإعتبار بآيات الله الكسوف والزلازل والإعصار، ط ١، ١٤٢٦ – ٢٠٠٦م ، مطابع الجمعة الالكترونية .

١٥٨. عبدالله حسن النصر، الأحداث الزلزالية في الجزيرة العربية والمناطق المجاورة خلال التاريخ الهجري، ط ١، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م، الإدارة العامة للتوعية العلمية والنشر – مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية .

١٥٩. عبدالهادي البياض، الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الإنسان في المغرب والأندلس (ق ٦ – ٨ هـ / ١٢ – ١٤ م)، ط ١، ٢٠٠٨ م، دار الطليعة، بيروت – لبنان .

١٦٠. عبدالله يوسف الغنيم، سجل الزلازل العربي (أحداث الزلازل وآثارها في المصادر العربية)، ط ١، ٢٠٠٢ م، طبع بدعم كريم من مؤسسة الكويت للتقدم، الكويت .

١٦١. عبدالقادر بدران، تهذيب تاريخ مدينة دمشق، ج ٣ ص ٢١٠ عبدالقادر بدران، تهذيب تاريخ دمشق الكبير، ط ٣، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان .

١٦٢. عبد الله كامل موسى عبده، الأمويون وآثارهم المعمارية في الشام والعراق والحجاز واليمن ومصر وأفريقية، ط ١، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م، الآفاق العربية، القاهرة – مصر .

١٦٣. الغزّيّ (كامل بن حسين البالي الحلبي)، نهر الذهب في تاريخ حلب، تقديم شوقي شعث ومحمود فاخري، ط ٢، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩م، دار القلم، حلب .

١٦٤. فالح حسين، الحياة الزراعية في بلاد الشام في العصر الأموي، ط بدون ١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨ م، نشر بدعم من الجامعة الأردنية .

١٦٥. فادي الياس توا، المناخ والأسعار والأمراض في بلاد الشام في عهد المماليك، ط .، ١٩٩٨ م، بيروت .

١٦٦. فؤاد سلامة جميعان، مآثر العرب العلمية أساس حضارة الغرب، ط ١، ٢٠٠١ م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت .

١٦٧. كارم السيد غنيم و عبدالعظيم محمد الجمال، الجراد في القرآن الكريم والعلم الحديث، ط ١، ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٨ م، دار الصحوة، القاهرة .

١٦٨. محمد أحمد زيود، حالة بلاد الشام الاقتصادية منذ العصر الطولاني وحتى نهاية العصر الفاطمي، دار الفكر .

١٦٩. محمد أحمد باشميل، حروب الإسلام في الشام، ط ١، ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م، دار الفكر .

١٧٠. محمد حسن شراب، بيت المقدس والمسجد الأقصى، ط ١، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م، دار القلم، دمشق .

١٧١. محمد بن صامل السلمي، منهج كتابة التاريخ الإسلامي، ط ٢، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨ م، دار الرسالة، مكة المكرمة .

١٧٢. محمد صبري محسوب ومحمد إبراهيم أرباب، الأخطار والكوارث الطبيعية، ط.: ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢ م، دار الفكر العربي، القاهرة .

١٧٣. محمد كرد علي، خطط الشام، ط ٢ ١٣٨٩ هـ – ١٩٦٩ م، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان .

١٧٤. محمد مؤنس أحمد عوض، الزلازل في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية، ط ١، ١٩٩٦ م، عين للدراسات .

١٧٥. إغارات أسراب الجراد وآثارها في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية، ط ١، ٢٠٠٢ م، عين للدراسات والبحوث .

١٧٦. محمد السيد أيوب، الحشرات والآفات الزراعية وطرق مقاومتها بالمملكة العربية السعودية، ، ط .، ١٣٧٩ هـ – ١٩٥٩ م، دار الفكر بالرياض، ص ٢٨٠ .

١٧٧. محمد محفل، ملامح من تاريخ الفلاحين في الوطن العربي ونضالهم في القطر السوري (العصر الراشدي والأموي)، ط .، المكتب التنفيذي للاتحاد العام للفلاحين .

١٧٨. محمد نزار خوام ورفاقه محمد عفت وحسن إبراهيم، تاريخ العلاج والدواء في العصور القديمة (العصر الإسلامي – عصر النهضة في أوروبا) ط .، ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م، دار المريخ، الرياض .

١٧٩. مسعود التاجى الفاروقى وسالم بامفلح حضرمي وأحمد على فهيم، الجراد الصحراوي،نشر بواسطة وزارة الزراعة والمياه، المملكة العربية السعودية .

١٨٠. مصطفى محمود سليمان، الزلازل من فجر التاريخ إلى اليوم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٦ م .

١٨١. ناصر الدين الأسد، الجراد في التراث العربي، ط ١، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م، دار الفتح للدراسات، عمان – الأردن .

١٨٢. نجدت خماش، الشام في صدر الإسلام، ط ١، ١٩٨٧ م، دار طلاس للدراسات والترجمة .

١٨٣. هاني أبو الرب، تاريخ فلسطين في صدر الإسلام، ط ١، ٢٠٠٢ م، منشورات بيت المقدس، الأردن .

١٨٤. هدى محمد حسين الويسي ، الهزات الأرضية في بلاد الشام في القرنين (٦ – ٧ هـ)، ط ١، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م، دار العالم العربي .

١٨٥. يوسف الياس الدبس (مطران بيروت الماروني)، تاريخ سورية، طبع في المطبعة العمومية في بيروت سنة ١٩٠٠ م، ج ٥ ص ٣٣ .

١٨٦. يوسف غوانمه، الزلازل في بلاد الشام في العصر الإسلامي وأثرها على المعالم العمرانية، ط . ١٩٩٠ م، دار الفكر، عمان – الأردن، ص ١٧ .

المصادر والمراجع المعربة :

١٨٧. أبو الفرج جمال الدين غريغوريوس الملطي المعروف بابن العبري (ت ١٢٨٦ م / ٦٨٤هـ)، تاريخ الزمان، نقله إلى العربية إسحاق أرملة، ط ., ١٩٨٦ م، دار المشرق، بيروت – لبنان .

١٨٨. تاريخ مختصر الدول، ط ١، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م، دار الآفاق العربية، القاهرة .

١٨٩. ا . س . ترتون، أهل الذمة في الإسلام، ترجمة حسن حبشي، ط ٢، ١٩٦٧ م، دار المعارف .

١٩٠. باتريك ل . أبوت، الكوارث الطبيعية، ترجمة توفيق علي منصور، ط ١، ٢٠٠٣ م، الجلس الأعلى للثقافة، القاهرة .

١٩١. ج . م . والاس هادريل، أوربا في صدر العصور الوسطى، تعريب وتعليق حياة ناصر الحجي، ط ١، ١٩٧٩ م، الكويت .

١٩٢. فوشيه الشارتري ، تاريخ الحملة إلى القدس، ترجمة زياد جميل العسلي، ط ١، ١٩٩٠ م، دار الشروق، بيروت – لبنان .

١٩٣. فيليب حتى، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ترجمه كمال اليازجي، ط ., بيروت ١٩٥٩ م، دار الثقافة ببيروت .

١٩٤. ك . كريزويل، الآثار الإسلامية الأولى، ترجمة عبدالهادي عبله، ط ١، ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤ م، دار قتيبة، دمشق .

١٩٥. ونسنك ومنسنج المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، رتبه ونظمه لفيف من المستشرقين، ط ., مطبعة بريل في مدينة ليدن سنة ١٩٤٣ م .

الرسائل الجامعية :

١٩٦. إبتسام أكرم مندورة، أوضاع الدولة العباسية وعلاقاتها خلال فترة حكم الخليفة المهدي (١٥٨ – ١٦٩ هـ)، رسالة دكتوراه بجامعة أم القرى قسم التاريخ، ١٤١٢ هـ – ١٩٩١ م .

١٩٧. أيمن عبدالله عبدالعزيز الدهيشي ، الأحكام الفقهية المتعلقة بالمسافة في غير العبادات، رسالة ماجستير جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤٢٥ – ١٤٢٦ هـ .

١٩٨. ثريا حافظ عرفة، الحياة الاقتصادية في بلاد الشام في العصر الأموي، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، قسم الدراسات التاريخية والحضارية، ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٩ م .

١٩٩. خولة بنت يوسف المقبل، العمل الدعوي عند حلول الكوارث، رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الدعوة والاحتساب .

٢٠٠. رجاء بنت شوعي محمد بن حسين، الإصلاح النقدي في العصر الأموي وأثره على اقتصاد الدولة وإدارتها (٤١ – ١٣٢ هـ)، رسالة ماجستير بجامعة الملك عبدالعزيز – قسم التاريخ، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م .

٢٠١. رشاد عباس معتوق، نظام الحسبة في العراق حتى عصر المأمون، رسالة ماجستير في الحضارة، جامعة أم القرى، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

٢٠٢. سارة عبدالله إدريس الدوسري، الحياة الاقتصادية في بلاد الشام في العصر العباسي (١٣٢ – ٢٦٤ هـ)، رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود، كلية الآداب، قسم التاريخ، ١٤٢٢ / ١٤٢٣ هـ .

٢٠٣. عبدالرحمن بن رجاء الله الجامعي السلمي، خطب خلفاء بني أمية وأمرائهم، رسالة دكتوراه، بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، قسم الأدب والبلاغة، ١٤٢٧ – ١٤٢٨ هـ .

٢٠٤. عبدالله حسين الشنبري، نصارى الشام في ظل الحكم الإسلامي منذ الفتح حتى نهاية الدولة الأموية، رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، جامعة أم القرى، ١٤١٦ هـ .

٢٠٥. عصام الدين عبدالرؤف الفقي، الحالة الاقتصادية والمظاهر الاجتماعية في مدينة دمشق من الفتح العربي إلى نهاية العهد الأموي، رسالة علمية (ماجستير) مقدمة لكلية الآداب جامعة القاهرة .

٢٠٦. ناصر محمد علي الحازمي، الحركة العلمية الطبية في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية ٤٩٢ – ٦٩٠ هـ، رسالة دكتوراه في الحضارة والنظم الإسلامية، جامعة أم القرى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م .

٢٠٧. هيام هاشم البدر شيني، الأوضاع السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية في منطقة الثغور الإسلامية الجزرية الشامية في القن الثالث الهجري م التاسع الميلادي، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢م، ص ٤٢ .

٢٠٨. وداد بنت عوض الجعيد، دور المرأة في الحياة السياسية والثقافية في العصر الأموي (دراسة عن بلاد الحجاز والشام والعراق ٤١ – ١٣٢ هـ)، رسالة ماجستير بجامعة الملك عبدالعزيز – قسم التاريخ، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م .

٢٠٩. نهلة أنيس محمد مصطفى، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الثغور والعواصم الإسلامية على الحدود البيزنطية، ط بدون، دار الكتاب العربي، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م، القاهرة .

الأبحاث والدوريات والمجلات ومواقع الانترنت :

٢١٠. خالد يونس الخالدي، الزلازل في بلاد الشام (من القرن الأول إلى القرن الثالث عشر الهجري)، مجلة الجامعة الإسلامية بغزة – فلسطين (سلسلة الدراسات الإنسانية) ج ١٣ – العدد الأول ص ٦٧ – ٩٢ يناير ٢٠٠٥ م .

٢١١. شاكر مصطفى ، جنوب بلاد الشام في العصر العباسي ١٣٢ – ٣٥٨ هـ، منشورات لجنة تاريخ بلاد الشام، عمان ١٩٩٢ م .

٢١٢. صلاح التيجاني حمودي،معالجة الخليفة عمر بن الخطاب لمشكلة المجاعة في عام الرمادة، مجلة جامعة الملك عبدالعزيز الاقتصاد الإسلامي، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م، مركز النشر العلمي بجامعة الملك عبدالعزيز .

٢١٣. صلاح عبدالستار محمد الشهاوي ، الماء في التراث العربي الإسلامي ، مجلة شهرية إسلامية تصدر باللغة العربية عن الجامعة الإسلامية – دار العلوم ديوبند – الهند ، العدد ١ – ٢ ، محرم – صفر ١٤٣١ هـ – ديسمبر ٢٠٠٩ – يناير – فبراير ٢٠١٠ م، السنة ٣٤ .

٢١٤. عادل البكري، الطب الوقائي عند العرب، بحوث الندوة القطرية الخامسة لتاريخ العلوم عند العرب، ط.، ١٩٨٩ م، مركز إحياء التراث العربي، جامعة بغداد، مطبعة الرشاد ببغداد .

٢١٥. فيصل عبدالله بني حمد، أثر الكوارث الطبيعية على الحياة الاقتصادية في بلاد الشام في العصر المملوكي، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية ٢٨، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م

٢١٦. مجلة القافلة: عدد ٨ ج ٤٥ : ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م: تصدر عن العلاقات العامة في شركة أرامكو .

٢١٧. محمد صلاح الدين السيد، الطاعون الشبح المخيف، مجلة الحرس الوطني، العدد ١٤٨، جمادى الآخرة ١٤١٥ هـ .

٢١٨. محمد بن شاكر الشريف، مجلة البيان، الكوارث بين المنح والمحن، السنة ٢٥، العدد ٢٧٢ ربيع الآخر – ابريل ٢٠١٠ م .

٢١٩. محمد علي البار، وباء الطاعون، مجلة المنهل، العدد (٥٣٦) ج ٥٨، رجب / شعبان ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م .

٢٢٠. نقولا زيادة، جغرافية الشام عند جغرافيي القرن الرابع الهجري، مؤتمر بلاد الشام، الجامعة الأردنية، ط١، ١٩٧٤ م، الدار المتحدة للنشر، لبنان – بيروت .

٢٢١. يوسف درويش غوانمه، الطاعون والجفاف وأثرهما على البيئة في جنوب بلاد الشام (الأردن وفلسطين) في العصر المملوكي، مجلة دراسات تاريخية، لجنة كتابة تاريخ العرب بجامعة دمشق، العددان الثالث عشر والرابع عشر، محرم ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٣م.

٢٢٢. لطف الله بن عبد العظيم خوجه، كارثة جدة والعلاقة بين المصيبة والخطيئة، المقالات العلمية، موقع الإسلام اليوم، http://islamtoday.ne : السبت ٠٢ محرم 1431 الموافق 19 ديسمبر ٢٠٠٩ م .

٢٢٣. ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، http://ar.wikipedia.org/wiki .

٢٢٤. موقع الشيخ يوسف القرضاوي على شبكة الإنترنت، http://www.qaradawi.net .

٢٢٥. شبكة ساندروز http://www.sandroses.com/hijri/ لتحويل التاريخ من هجري الى ميلادي والعكس .

الفهارس العامة

أولاً : فهرس الآيات القرآنية

حسب توالي الآيات في الرسالة

الآيـــــــــــــــة	السورة	رقم الصفحة
﴿ أَمۡ أَمِنتُمۡ أَن يُعِيدَكُمۡ فِيهِ تَارَةً أُخۡرَىٰ فَيُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ قَاصِفٗا ﴿٦٩﴾ ﴾	الإسراء	٥٤
﴿ فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ﴿٢﴾ ﴾	المرسلات	٥٤
﴿ وَفِي عَادٍ إِذۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ ﴿٤١﴾ ﴾	الداريات	٥٤
﴿ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ ﴿١٦﴾ ﴾	فصلت	٥٤
﴿ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا ﴿٣﴾ ﴾	المرسلات	٥٤
﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرۡسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٖ ﴿٤٦﴾ ﴾	الروم	٥٤
﴿ وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ﴿١﴾ ﴾	المرسلات	٥٤
﴿ وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ﴿١﴾ ﴾	الداريات	٥٤
﴿ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ ﴿١٣١﴾ ﴾	الأعراف	٦٣
﴿ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ ﴿٢١٤﴾ ﴾	البقرة	٦٥
﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾	البقرة	٦٥
﴿ كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ﴿٢٦﴾ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾	الرحمن	٦٥
﴿ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ﴿١٦﴾ ﴾	الإسراء	٦٧
﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ ﴾	نوح	٦٧
﴿ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ﴿٧﴾ ﴾	نوح	٦٧
﴿ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾	العنكبوت	٦٧
﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ﴿٤٠﴾ ﴾	هود	٦٧
﴿ وَفِي عَادٍ إِذۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَيۡءٍ أَتَتۡ عَلَيۡهِ إِلَّا جَعَلَتۡهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ ﴾	الذاريات	٦٨
﴿ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ عَادٖ ﴿٧٤﴾ ﴾	الأعراف	٦٨
﴿ وَنَبِّئۡهُمۡ أَنَّ ٱلۡمَآءَ قِسۡمَةُۢ بَيۡنَهُمۡۖ كُلُّ شِرۡبٖ مُّحۡتَضَرٞ ﴿٢٨﴾ ﴾	القمر	٦٨

الآيـــــــــــــة	السورة	رقم الصفحة
﴿ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ ﴿٧٧﴾ ﴾	الأعراف	٦٨
﴿ فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾	الذاريات	٦٨
﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ ﴿٢٩﴾ ﴾	العنكبوت	٦٩
﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ ﴿٣٢﴾ ﴾	العنكبوت	٦٩
﴿ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٤﴾ ﴾	العنكبوت	٦٩
﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ ﴿٨٥﴾ ﴾	الأعراف	٦٩
﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَـٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾	الأعراف	٦٩
﴿ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾	البقرة	٧٠
﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ ﴿٤٠﴾ ﴾	العنكبوت	٧١
﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم ﴿٦﴾ ﴾	الأنعام	٧١
﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ ﴿١٠٠﴾ ﴾	هود	٧١
﴿ وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴿٣٠﴾ ﴾	الشورى	٧١
﴿ أَوَلَمَّآ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا ﴿١٦٥﴾ ﴾	آل عمران	٧٢
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ ﴿٢٧٩﴾ ﴾	البقرة	٧٢
﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾	المائدة	٧٤
﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ ﴾	غافر	٧٥
﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴿٩٦﴾ ﴾	الأعراف	٧٦
﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ ﴿٥٥﴾ ﴾	النور	٧٦
﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ ﴿٦٠﴾ ﴾	غافر	٨١
﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴿١٨٦﴾ ﴾	البقرة	٨١
﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ ﴾	الأعلى	٨٢ ، ١٩٣
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾	البقرة	٨٤
﴿ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾	النحل	٨٤
﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ ﴿٢٣﴾ ﴾	الحديد	٨٤
﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَـٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ ﴿٢٤﴾ ﴾	الأحقاف	٨٥

رقم الصفحة	السورة	الآيـــــــــــــــة
٨٩	الإسراء	﴿ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ ﴾
٩٠	الأنعام	﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴿٥٩﴾ ﴾
٩٠	آل عمران	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ ﴾
٩٠	البقرة	﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِنَا ﴿١٥١﴾ ﴾
٩٠	الأحزاب	﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ ﴿٩﴾ ﴾
١٥٤	البقرة	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ ﴿٢٤٣﴾ ﴾
١٦٣	الأعراف	﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴿١٣٠﴾ ﴾
١٧٢	الأعراف	﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ ﴿١٣٣﴾ ﴾
١٧٢	القمر	﴿ خُشَّعًا أَبْصَـٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ ﴾
١٨٠	البقرة	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾
١٨٠	التوبة	﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾
١٨١	الأعراف	﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَـٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴿٣٢﴾ ﴾
١٨١	المائدة	﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَـٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴿٨٧﴾ ﴾
١٨١	الأعراف	﴿ ۞ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾
١٩٣	الأعراف	﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَـٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴾
١٩٣	الأعراف	﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا ﴿٢٣﴾ ﴾
١٩٣	الأنبياء	﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ﴿٨٧﴾ ﴾
١٩٧	الأنبياء	﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ﴿٣٠﴾ ﴾
١٩٧	النور	﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ﴿٤٥﴾ ﴾
١٩٧	الواقعة	﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾
١٩٧	فاطر	﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَـٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ ﴾
١٩٨، ٢١٨	نوح	﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ ﴾
٢١٦	الطلاق	﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ ﴾

ثانياً - فهرس الأحاديث والآثار .

ثالثاً – فهرس الأشعار .(حسب توالي ورودها في الرسالة)

رابعًا – فهرس الأعلام .

حرف (أ)

حرف (ث)

حرف (ج)

حرف (ح)

حرف (خ)

حرف (د)

حرف (ر)

حرف (ز)

حرف (س)

حرف (ش)

حرف (ص)

حرف (ض)

حرف (ط)

حرف (ع)

حرف (ن)

حرف (هـ)

حرف (و)

حرف (ي)

خامساً – فهرس الأماكن والبلدان .

حرف (أ)

حرف (ب)

حرف (ج)

حرف (ح)

حرف (خ)

حرف (د)

حرف (ر)

حرف (س)

حرف (ش)

حرف (ص)

حرف (ط)

حرف (ع)

حرف (غ)

حرف (م)

حرف (ن)

حرف (هـ)

حرف (و)

حرف (ي)

سادساً : فهرس الموضوعات

عنوان الدراسة : الكوارث وآثارها في بلاد الشام خلال القرون الثلاثة الأُول

الموضوع **الصفحة**

الفصل الرابع :

الملاحق وتشتمل على :

أولاً : الجداول

رابعاً : الفهارس